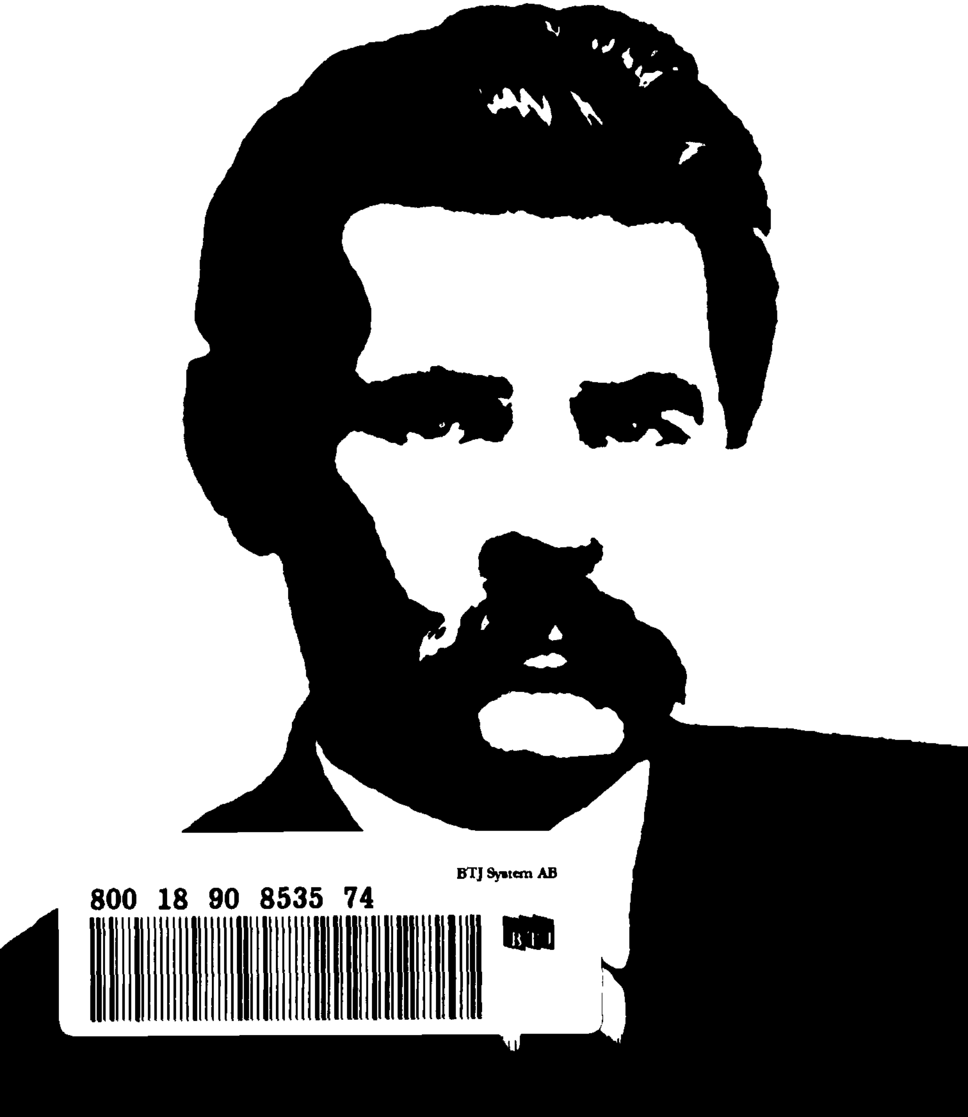
مكسيم غوركي



«مسرحيـــة «البرجوازيون الصغار» متألقة جدا ، مكتوبـــة باسلوب خاص بغوركي فقط ، اصيلـــة . وممتعـــة جدا . . . البطـــل الرئيسي للمسرحية ـ نيل ـ عُكس بصورة رائعة للغاية !»

انطون تشيخوف

«لقد أخذتم حقبة زمنية ذات تركيب سياسي حام وبينتموها . . . خلال عدد من الشخصيات الفنية . . . «أعداء» في اعتقادي اجود مسرحية درامية عصرية ، وواحدة من احسن المسرحيات في تاريخ «المسرح الفني» .

فلاديمير نميروفيتش-دانتشينكو

ISBN 5-05-001726-2
ISBN 5-05-001732-7

INTERNATIONELLA BIBLIOTEKET

Hsg.02

GORKIJ

Masrahiyat

مكسيم غوركي

المؤلفات المختارة في ٦ مجلدات

المجلد ٦

مسرحيات

ترجمة المحامى سهيل ايوب

دار «رادوغا»
موسكو

М. ГОРЬКИЙ

Собрание сочинений
в 6-ти томах
т. VI

Пьесы

На арабском языке

طبع في الاتحاد السوفييتي

Г $\frac{4702010200 \quad 513}{031(01) \quad 88}$ 070 88

ISBN 5-05-001726-2
ISBN 5-05-001732-7

البرجوازيون الصغار

كتب غوركي هذه المسرحية في عام ١٩٠١ . عرضت لاول مرة في ٢٥ آذار (مارس) ١٩٠٢ في بطرسبورغ يؤديهـــا مسرح موسكو الفني .

الشخصيات

فاسيلي فاسيليفيتش بيسيمينوف ، ٥٨ عامـــاً ، برجوازي صغير موسر ، كبير جمعية الدهانين .
أكولينا ايفانوفنا ، ٥٢ عاماً ، زوجته .
بيوتر (بيتيا) ، ٢٦ عاماً ، ولده ، طالب سابق .
تاتيانا (تانيا) ، ٢٨ عاماً ، ابنته ، معلمة مدرسة .
نيل ، ٢٧ عاماً ، ولده بالتبني ، سائق قاطرة .
بيرتشيخين ، ٥٠ عاماً ، من أقربائه الأباعد ، تاجر بطيـور مغرّدة .
بوليا ، ٢١ عاماً ، ابنة بيرتشيخين ، خياطة تعمل بالاجرة لدى العائلات .
يلينا نيقولايفنا (لينا) **كريفتسوفا** ، ٢٤ عاماً ، أرملة ناظر السجن تستأجر غرفة في بيت عائلة بيسيمينوف .
تيتيريف ، مرتل في جوقة الكنيسة } مستأجران لدى عائلة
شيشكين ، طالب } بيسيمينوف
تسفيتاييفا ، ٢٥ عاماً ، معلمة مدرسة وصديقة تاتيانا .
ستيبانيدا ، الطاهية .
امرأة عابرة .
غلام ، دهان .
طبيب .
تجري الأحداث في مدينة اقليمية صغيرة .

المشهد

حجرة في منزل برجوازي صغير موسر . الزاوية اليمنى في مؤخرة المسرح معزولة بحاجزين أصمين يشكلان الزاوية القائمة مما يضيّق خلفية المسرح ويؤلف غرفة صغيرة في مقدمته اليمنى تفصلها عن الغرفة الكبيرة قوس خشبية كبيرة ثبت بها سلك معلقة به ستارة من قماش قطني مورّد . ثمة باب في الجدار الخلفي للغرفة الكبيرة يؤدي الى المدخل والى النصف الآخر من المنزل ، حيث تقوم غرف المستأجرين والمطهى . والى يسار الباب ينتصب صوان ضخم للاواني ، وفي الزاوية صندوق . وهنالك ساعة عتيقة الطراز خشبية القاعدة عن يمين الباب ، وبندولها ، الكبير مثل القمر ، يتأرجح في بطء في صندوقه الزجاجي ، وحين يرين السكون على الغرفة يمكن سماع صوته البارد الخامد : تيك-تاك ! وفي الجدار الايسر بابان يوصل أحدهما الى غرفة بيسيمينوف وزوجته ، والاخر الى غرفة ولدهما بيوتر . وبين هذين البابين مدفأة مطلية بترابيع بيضاء . وامام المدفأة كنبة عتيقة منجدة بمشمع ، الى جانبها منضدة كبيرة تتناول الاسرة عليها الطعام والشاي . وهنالك عدد من مقاعد خشبية رخيصة خفيفة مصفوفة بفواصل منتظمة دقيقة للغاية عند الجدران . وثمة خزانة زجاجية عند مقدمة المسرح الى اليسار فيها علب متعددة الألوان ، وبيض عيد الفصح ، وشمعدانان برونزيان ، وملاعق للشاي والحساء ، وعدة أكواب وكؤوس فضية . وفي

الغرفة الصغيرة المفصولة بالقوس ، عند الجدار المواجه للنظارة ، بيانو وخزانة ذات رفوف عليها نوتات موسيقية . في الزاوية اليمنى برميل فيه زهور الفيلودندرون . وفي الجدار الايمن نافذتان وضعت على افريزيهما أصص للزهور ، وتحتهما أريكة والى جانبها ، في مقدمة المسرح ، منضدة صغيرة .

الفصل الاول

الساعة تقارب الخامسة مساء ، ومن النافذتين يطلّ غسق خريفي . الغرفة الكبيرة تكاد ان تكون مظلمة . تاتيانا تقرأ في كتاب وهي نصف مضطجعة على الاريكة . وبوليا جالسة الى المنضدة تخيط .

تاتيانا (تقرأ) : «ونهض القمر . وكان من الغرابة ان ترى مثل هذا القمر الصغير الحزين يغمر الارض بكل ذلك الفيض من الضياء الازرق الفضي الحنون» . . . (تلقي بالكتاب في حجرها .) الدنيا تظلم .

بوليا : هل أشعل المصباح ؟

تاتيانا : لا تزعجي نفسك! ضجرت من القراءة . . .

بوليا : ما أعذب كتابته ! بسيطة بسيطة . . . وحزينة . . . تؤثر في النفس . . . (صمت .) لكم أتوق الى معرفة النهاية .هل انهما سيتزوجان ام لا ؟

تاتيانا (مغتاظة) : وما أهمية هذا ؟ . . .

بوليا : ليس في مقدوري قط ان أحب مثل هذا الرجل !

تاتيانا : لماذا ؟

بوليا : انه يبعث على الضجر . . . لا يكف عن الشكوى . . . ذلك لانه متردد . . . على الرجل ان يعرف مبتغاه في الحياة . . .

تاتيانا (في صوت رقيق) : وهل . . . نيل يعرف ؟

بوليا (بصوت واثق) : يعرف من دون ريب !

تاتيانا : وما هو مبتغاه ؟

بوليا : لا أستطيع ان اقص عليك ذلك . . . بالاسلوب البسيط الذي يوضح هو الامور به . . . ولكنني اعرف امراً واحداً : لسوف يسيئ الى الناس الاشرار . . . الجشعين والخبثاء منهم ! فهو يكرههم . . .

تاتيانا : من هو الشرير ومن هو الخير ؟

بوليا : انه عارف بذلك (تصمت تاتيانا دون ان تنظر الى بوليا التي تتناول ، مبتسمة ، الكتاب عن حجرها .) لقد كُتِبَ على أروع صورة ! لكم هي جذابة — بسيطة وصريحة ، لها قلب أبيض ! عندما تقرئين عن مثل هذه المرأة الخلابة يخيّل اليك انك غدوت انت نفسك احسن حالاً . . .

تاتيانا : لكم انت ساذجة . . . وتبعثين على الضحك ، يا بوليا ! اما أنا فقصص من هذا النوع تثير ثائرتي ! لم يكن هنالك مثل هذه الفتاة قط ! ولا مثل ذلك البيت ، والنهر ، والقمر ! انه مجرد خيال . الكتب لا تصوّر الحياة قط على ما هي عليه عندنا . . . حياتك مثلاً . . .

بوليا : انهم يكتبون عما يبعث على الاهتمام . اما نحن فماذا يبعث على الاهتمام في حياتنا ؟

تاتيانا (متضايقة ومتجاهلة ما نطقت به) : يتراءى لي كثيراً ان الناس الذين يكتبون الكتب . . . يكرهونني ويطيب

لهم الخصام معي دائماً . كما لو انهم يقولون لي : هذا أحسن مما تظنين ، وهذا أسوأ . . .

بوليا : وانا اظن ان الكتّاب جميعاً طيبون ولطيفون من دون ريب . . . كم أود ان أرى احد الكتّاب ! . .

تاتيانا (كأنها تخاطب نفسها) : هم لا يصفون الاشياء السيئة المحزنة مثلما أراها أنا . . . هم يصوّرونها بصورة خاصة . . . يضخّمونهـــا . . . ويجعلونهـــا تبدو مأسوية . أما الاشياء الطيبة – فهم يختلقونها . ليس هنالك من يعترف بحبه مثلما تصف الكتب ذلـــك ! والحياة ليست مأسوية أبداً . . . بل هي تتدفق في هدوء ورتابة ، . . . أشبه بنهر كبير موحل . تتعب عيناك من مراقبة النهر ، وتتضجر نفسك . . ويتبلّد ذهنك فلا تتكلفين عناء التساؤل عما يجعله يتدفق .

بوليا : (ترسل النظر الى امام غارقة في تفكيرها) : اما انـــا فأحب ان ارى كاتباً ! طوال الفترة التي كنت تقرئين فيها كانت تخطر لي فكرة بين الفينة والفينة : كيف تراه يبدو ؟ أهو شاب ؟ عجوز ؟ أسود الشعر ؟ . . .

تاتيانا : من ؟

بوليا : المؤلف . . .

تاتيانا : انه ميت . . .

بوليا : واأسفاه ! أ'طوي منذ زمن بعيد ؟ هل كان شاباً يوم مات ؟

تاتيانا : كان متوسط العمر . وكان يشرب الفودكا . . .

بوليا : يا للمسكين . . . (صمت .) ما الذي يهيب بالاذكياء

ان ينغمسوا في الشراب ؟ خـــذي هذا المستأجـــر
لديكم ، . . . . المنشد في جوقة الكنيسة . . . انه
ذكي ، وهو يُقبل على الشراب . . . وأتساءل لماذا ؟

تاتيانا : لان الحياة تبعث على الضجر . . .

بيوتر (يخرج من غرفته وقد بدا عليه انه استيقظ للتو) :
اي ظلمة كثيفة هنا ! من يجلس هناك ؟

بوليا : أنا . . . وتاتيانا فاسيلييفنا . . .

بيوتر : لِمَ لا تشعلان المصباح ؟

بوليا : نحن نستمتع بالغسق . . .

بيوتر : رائحة زيت الايقونات تتسرب الى غرفتي من غرفـة
الوالدين . . . لعل هذا هو السبب في انني رأيـت في
حلمي اني اسبح في نهر مياهه دبقة مثل القطران . . .
كانت السباحة صعبة . . . كان عليّ ان أسبح وأنــا
فقدت الاتجاه . . . ولا أرى الشاطئ . وكانت قطع من
اشياء تطفو حواليّ ، لا أكاد اتشبث بها حتى تتفتـت
هباء منثوراً . . . فهـــي رخوة ومتعفنـة . حلـــم
سخيف . . . (يراوح ويغادي وهو يصفر .) حانـــت
ساعة الشاي ، أليس كذلك ؟

بوليا (تشعل المصباح) : سأهتم بتحضيره . . . (تخرج .)

بيوتر : منزلنا هذا يبدو لسبب ما في المساء كئيباً مقبضـاً
للغاية . وكل هذه الاشياء العتيقة تلوح وكأنما تنتفخ
وتغدو اكبر واثقل . . . تزيـــح الهواء وتحول دون
التنفس . (يدق على الصوان بقبضته .) خذي الصوان
هذا – فلقد ظل رابضاً في هذا المكان . . . لا يتزحـزح

ثمانية عشر عاماً . . . ثمانية عشر عاماً . . . يقولون ان الحياة تتحرك قدماً بسرعة ، ولكن هذا الصوان لم يتزحزح أنملة واحدة منذ اليوم الذي وضع فيه هنا : ظللت أضرب رأسي به غير مرة حين كنت صغيراً . . . والآن ايضاً يقف في طريقي عثرة لسبب ما . انه شيء سخيف . . . انه رمز اكثر منه صواناً . . . ليأخذه الشيطان !

تاتيانا : انت مضجر كثيراً ، يا بيوتر . . . ومن المضر بك ان تعيش بهذه الطريقة . . .

بيوتر : أي طريقة ؟

تاتيانا : لا تذهب الى اي مكان . . . فيما عدا صعودك كل مساء الى فوق لرؤية لينا * . . . وهذا يثير قلق الوالدين كثيراً . . . (بيوتر لا يجيب ، بل يراوح ويغادي وهو يصفر .) اسمع ، بدأت اشعر بتعب شديد . . . في المدرسة يرهقني الضجيج والفوضى . . . وفي البيت هنا هدوء ونظام ، رغم ان الجوّ ازداد مرحاً منذ قدوم لينا . اجل ، أنا اشعر بتعب شديد ! واعياد الشتاء لا تزال بعيدة . . . نوفمبر . . . ديسمبر . (تدق الساعة معلنة السادسة .)

بيسيمينوف (يطل برأسه من باب غرفته) : انت تصفر مثل القوزاق ! لا أحسبك كتبت ذلك الالتماس بعد .

---

* التدليل من اسم ايلينا . **الناشر** .

بيوتر : فعلت ذلك ، فعلت . . .
يبسيمينوف : لقد وجدتَ وقتاً لذلك بجهد جهيد . . . اوه ، اوه ! (يختفي)
تاتيانا : اي التماس ؟
بيوتر : بشأن استحصال سبعة عشر روبلاً وخمسين كوبيكا من التاجر سيزوف – تكاليف دهان سطح سقيفته . . .
اكولينا ايفانوفنا (تدخل حاملة مصباحاً آخر) : المطر مرة أخرى . (تمضي الى الصوان وتخرج منه أدوات الشاي وتضعها على المنضدة .) الجو بارد هنا . أشعلنا المدفأة ، ولكن الجو بارد . البيت عتيق . . . تهب الريح عبر الشقوق . . . أوه ، أوه ! ابوكما غضبان مرة اخرى ، ايها الولدان . . . يقول ان ظهره يوجعه . انه عجوز . . . اما اموره فكلها خاطئة وفوضى . . . ونفقات كثيرة . . . وهموم .
تاتيانا : (الى شقيقها) : هل كنت عند لينا ليلة البارحة ؟ . .
بيوتر : أجل . . .
تاتيانا : أقضيتم وقتاً طيباً ؟
بيوتر : كالعادة . . . شربنا الشاي ، وغنينا . . . وتجادلنا . . .
تاتيانا : من ضد من ؟
بيوتر : نيل وشيشكين ضدي أنا .
تاتيانا : كالعادة . . .
بيوتر : نعم . عبر نيل عن اعجابه بالحياة . كان يثير أعصابي جداً بدعايته للنشاط والحيوية والحب للحياة . . .

شيء مضحك ! عندما تصغين اليه تتصورين هذه الحياة التي لم يشاهدها أحد شبيهة بالعمة الاميركية التي قد تجيء في أية لحظة وتغدق البركات المختلفة عليك . . . اما شيشكين فأكثر من الحديث عن التأثيرات النافعة للحليب والتأثيرات الضارة للتبغ . . . واتهمني ان لديّ نظرة برجوازية .

تاتيانا : الشيء القديم ذاته .

بيوتر : تماماً . كالعادة . . .

تاتيانا : أتعجبك لينا كثيراً ؟

بيوتر : لا بأس بها . . . فهي مرحة . . . وطيبة . . .

اكولينا ايفانوفنا : انها طائشة ! ولا فائدة من حياتها ! تستقبل ضيوفاً كل يوم – شرب وأكل ، وغناء ورقص . . . ولا تستطيع ان تبتاع لنفسها حوضاً للغسيل ! – فهي تغتسل في الطست وترش الماء على الارض . . . انها تضر بالمنزل . . .

تاتيانا : ذهبتُ الى حفلة عائلية في النادي ليلة البارحة . كان سوموف هناك – فهو عضو في مجلس بلدية المدينة وراعي مدرستي – حيّاني بايماءة خفيفة من رأسه . . . هكذا . ولم تكد عشيقة القاضي رومانوف تدلف الى الغرفة حتى اندفع اليها ، وانحنى أمامها كما لو كانت زوجة المحافظ ، وقبّل يدها . . .

اكولينا ايفانوفنا : يا له من عديم الحياء ! ما ؟ بدلاً من ان يتأبط ذراع فتاة شريفة ويتبختر معها في اعتزاز على طول القاعة تحت أنظار الجميع . . .

تاتيانا (الى شقيقها) : كلا ! فكّر في الامر اذن ! ان معلمة المدرسة في نظر هؤلاء الناس أقل مدعاة للاحترام من المومس الملطخة بالأصباغ . . .

بيوتر : لا تعيري هذه الدناءة التفاتاً . . . ينبغي ان تكوني أسمى منها . . . أما بالنسبة الى تلك المرأة فهي قد تكون مومساً ، ولكنها لا تستعمل الاصباغ . . .

أكولينا ايفانوفنا : وكيف تعرف ذلك ؟ هل لعقت خدها ؟ أهينت شقيقتك وأنت تدافع عن المرأة التي كانت سبباً في الاهانة . . .

بيوتر : أماه ! كفى عن ذلك . . .

تاتيانا : يستحيل ان نتحدث في حضور أمنا . . . (تسمع خطوات ثقيلة من وراء الباب المؤدي الى المدخل .)

أكولينا ايفانوفنا : تهاجمون امكم ! بدلاً من ان تروح وتجيء على هذا الغرار ، يا بيوتر ، يحسن أن تأتي بالسماور . . . ستيبانيدا تشكو من أنه ثقيل بالنسبة اليها . . .

ستيبانيدا (تدخل بالسماور ، وتضعه على الأرض الى جانب المنضدة ، وتنهض جذعها ، وتخاطب سيدتها في صوت لاهث) : أحببتم ذلك أم لا ، فأنا أكرر القول مرة أخرى اني لا أقوى على حمل مثل هذا الثقل . فساقاي ترتعشان من ثقله . . .

اكولينا ايفانوفنا : يخال لي أنك تريديننا أن نستأجر شخصاً خاصاً يحمل عنك هذا السماور ؟

ستيبانيدا : هذا من شأنك ! فليحمله منشد الجوقة — فذلك

٢*

لا يؤذيه . بيوتر فاسيلييفيتش ، تلطّف برفع هذا السماور على المنضدة . فأنا لا أقوى على ذلك ، أقسم بالله !

بيوتر : حسناً . هوب !

ستيبانيدا : لك شكري . (تخرج .)

اكولينا ايفانوفنا : يالها من فكرة ، يا بيتيا * . قل ذلك لمنشد الجوقة . وليحملنّ السماور . في الحقيقة . . .

تاتيانا (متنهدة في كآبة) : أوه ، يا ربي . . .

بيوتر : لعلي أطلب اليه جلب الماء ، ومسح الأرض ، وتنظيف المدخنة ، وغسل الثياب ايضاً ؟

اكولينا ايفانوفنا (تلوّح بيدها في قنوط) : فيم تتكلم عبثاً ؟ هذه الامور كلها تُنجز في أوقاتها دون مساعدة منه . . . أما بالنسبة الى السماور . . .

بيوتر : يا اماه ! أنت تثيرين هذه القضية المشؤومة كل عشية بخصوص مَنْ يحمل السماور ، صدقيني ان هذه القضية لن تجد حلاً لها ما لم تستأجري كنّاساً . . .

اكولينا ايفانوفنا : ما حاجتنا الى هذا الرجل ؟ فوالدك يكنّس فناء البيت بنفسه . . .

بيوتر : هذا ما يسمونه تقتيراً . ولا يحسن بالمرء ان يقتّر وهو يملك في المصرف . . .

اكولينا ايفانوفنا : صه ! أمسك لسانك ! اذا سمعك أبوك

---

* التدليل من اسم بيوتر . **الناشر** .

أذاقك طعم المال في المصرف ! فهل أنت الذي وضـــع النقود هناك ؟

بيوتر : اسمعي !

تاتيانا (واثبة) : يا بيوتر ، كفّ عن ذلـــك . . . فصبري ينفد . . .

بيوتر (يذهب اليها) : آسف . لا تصرخي ! فالمرء ينغمس في مثل هذا الشجار قبل ان ينتبه اليه . . .

أكولينا ايفانوفنا : بدأت الشكاوى ! والام لا تستطيع التفوه بكلمة واحدة . . .

بيوتر : الأمر ذاته يوماً بعد يوم . . . ان هذا الشجار يغطي نفس المرء بالصدأ والهباب . . .

أكولينا ايفانوفنا (منادية نحو باب غرفتها) : أبتـــاه ! تعال واشرب الشاي . . .

بيوتر : حينما تنتهي فترة حرماني من الجامعة أعود أدراجي الى موسكو ولن آتي الى هنا لأكثر من أسبوع واحد كل مرة كما اعتدت أن أفعل . ان ثلاث سنوات في الجامعة أنستني ماهية الحياة في البيت بجميع . . . هذا التقتير وهذا البهرج التافه الحقير . . . حلوة هي حيـــاة الوحدة ، بعيداً عن مفاتن بيتي العزيز !

تاتيانا : أما انا فأني لا أملك مكاناً أذهب اليه . . .

بيوتر : قلت لك ان ترحلي وتدرسي . . .

تاتيانا : آه ! وفيم أفعل هذا ؟ لا أريد أن ادرس – بل أريد أن أحيا . أريد أن أحيا . . . ألا تفهم ذلك ؟

أكولينا ايفانوفنا (تحرق يدها وهي ترفـــع الابريـــق عـــن

السماور) : أف ! أخذك الشيطان !

تاتيانا (الى شقيقها) : أنا لا أدرك ولا أتصور معنى أن يحيا الانسان حقاً . كيف أستطيع **أنا** ان أحيا ؟

بيوتر (متفكراً) : أ . . . جل . ينبغي على المرء ان يحيا بحذق . . . وبحذر . . .

بيسيمينوف (يخرج من غرفته ، يمعن النظر في ابنه وابنته ، ويجلس الى المنضدة) : هل ناديتم على المستأجرين ؟

اكولينا ايفانوفنا : يا بيتيا ! اذهب ناديهما !

(يخرج بيوتر ، وتتجه تاتيانا الى المنضدة)

بيسيمينوف : اشتريتم قطعا من السكر مرة أخرى ؟ كم مرة قلت لكم . . .

تاتيانا : ما الفارق في ذلك ، يا أبتاه ؟

بيسيمينوف : أنا لا أخاطبك ، بل أنا أخاطب أمك . فالأمور كلها سيان لديك ، وأنا أعرف هذا . . .

اكولينا ايفانوفنا : اشتريت رطلاً واحداً ، يا أبتاه . هنالك قمع كامل لم نمسسه بعد ، لم يكن لدينا وقت لتكسيره . . . فلا تغضب !

بيسيمينوف : لست غاضباً . . . بل أنا أقول ان السكر المقطّع ثقيل جداً وحلاوته قليلة ، وهذا معناه أن لا توفير فيه . يجب أن نشتري دائماً أقماعاً من السكر . . . وتكسيرها قطعاً صغيرة بأنفسنا . وسيتخلف عن ذلك فتات ، وهذه الفتات يمكن

استخدامها في الطبخ . والسكر نفسه يكون خفيفاً شديد الحلاوة . . . (الى ابنته .) ما الذي يجعلك تزفرين وتمتعضين ؟

تاتيانا : لا شيء ، لا شيء . . .

بيسيمنوف : تقولين : لا شيء ، فلا ضرورة للزفرات اذن . أم يصعب عليك حتى هذه الدرجة الاصغاء الى ما يقول والدك ؟ أنا لا أتحدث من أجلي ، بل من أجلكم أنتم الشبان . لقد عشت أيام حياتي ، أما أنتم فأيامكم أمامكم ، وحينما أنظر اليكم أروح أتساءل كيف تعيشون في هذا العالم . ما هو هدفكم ؟ أنتم لا تحبون نمط حياتنا ، وأنا أستطيع رؤية هذا بوضوح كامل ، لكن ما هو النمط الجديد الذي يخطر في أذهانكم ؟ هذه هي القضية ! أ . . جل . .

تاتيانا : أبتاه ! أتعلم عدد المرات التي كررت فيها هذا الكلام ذاته ؟

بيسيمنوف : وسأكرره مرة أخرى ، وأظل أكرره وأكرره دائماً حتى يضمني اللحد ! فأنا لا أعرف الراحة في حياتي – وكل ذلك بسبب منكم . . . عبثاً أتحت لكم فرصة الدراسة ، هذا لم امعنت الفكر فيه جيداً . . . والنتيجة – هذا يطرد من الجامعة ، وأنت . . . غدوت عانساً . . .

تاتيانا : ان لديّ عملي . . . فأنا . . .

بيسيمنوف : هذا ما سمعت ، لكن ما الفائدة من ذلك ؟

ليس من هو في حاجة الى الخمسة والعشرين روبلاً التي تتقاضينها - حتي ولا أنت . كان يحسن ان تتزوجي وتستقري حالك حال أية امرأة محترمة . وكنت نفسي أعطيك اذن خمسين روبلاً في الشهر .

اكولينا ايفانوفنا (وقد كانت طوال حديث الوالد والابنة تتململ في مقعدها في عصبية ، وتحاول بين فترة وأخرى أن تقول كلمة ، وأخيراً سألت في لطف) : يا أبتاه ! أتريد شيئاً من الفطائر بالقريش ؟ لقد تبقى قليل منها من الغداء . . . أتريدها ؟

بيسيمينوف : (يستدير اليها ، ويحملق فيها برهة في غيظ ، ثم يبتسم ابتسامة تخفيها لحيته) : حسناً . هاتي ما لديك من الفطائر بالقريش . . . هاتيها . . . (تسرع أكولينا ايفانوفنا الى الصوان ، ويلتفت بيسيمينوف الى ابنته .) أترين كيف أمك تردعني ؟ مثل أوزة تطرد الكلاب عن صغارها . . . لا تزال تخاف من أن أقول شيئاً يجرح احساساتكم . . . آه ، تاجر العصافير ! ها أنت هنا بعد غياب طويل !

بيرتشيخين (يظهر عند الباب وبوليا تدخل وراءه صامتة) : السلام على صاحب هذا البيت الشائب ، وزوجته الوسيمة وذريته المحترمة ، الآن والى أبد الابدين !

بيسيمينوف : وهكذا عدت تتعاطى الشراب من جديد ؟

بيرتشيخين : اني أغرق متاعبي .

بيسيمينوف : أية متاعب ؟

بيرتشيغين (ينحني امام الجميع وهو يقول) : بعت هذا النهار شرشوراً . . بقي عندي ثلاث سنوات ، كان يصدح بصوت رائع ، لكنني بعته ! كان ذلك عملاً دنيئاً ارتكبته ، وهكذا أغرقت همومي في الشراب ، لكم آسف على ذلك العصفور . فقد ألفته . . . وأحببته . . .

(تبتسم بوليا وتومىء لوالدها)

بيسيمينوف : وفيم بعته اذن ؟

بيرتشيغين (يستند على ظهور المقاعد وهو يدور حول المنضدة) : قبضت عنه ثمناً محترماً . . .

أكولينا ايفانوفنا : وما قيمة المال بالنسبة اليك ؟ فأنت تنفقه عبثاً مهما يكن الامر . . .

بيرتشيغين (وهو يجلس) : صحيح يا امّ ! فأنا لا أمسك نقوداً . . . صحيح تماماً !

بيسيمينوف : وهكذا لم يكن ثمة سبب يدعوك الى بيعه بعد ذلك كله . . .

بيرتشيغين : بلى ، كان هنالك سبب . فقد كان العصفور يفقد البصر . . . وهذا يعني أنه سيموت قريباً . . .

بيسيمينوف (يبتسم ساخراً) : وهكذا فلست ذلك الغبي كما تبدو . . .

بيرتشيغين : أتحسب أن ذكائي دفعني الى ذلك ؟ أبداً – بل هي حقارة نفسي . . .

(يدخل بيوتر وتيتيريف)

تاتيانا : أين نيل ؟

بيوتر : ذهب وشيشكين الى التمرين .

بيسيمينوف : وأين ستعرض المسرحية ؟

بيوتر : في ميدان الركوب . انه عرض خاص بالجنود .

بيرتشيخين (الى تيتيريف) : احتراماتي للمزمار الالهي ! أترافقني لصيد عصافير القرقف يا رجل ؟

تيتيريف : فليكن . متى ؟

بيرتشيخين : غداً اذا طاب لك .

تيتيريف : ليس غداً . فينبغي ان أرتل في جنازة .

بيرتشيخين : فلنذهب قبل القداس اذن .

تيتيريف : موافق . مرّ بي . ألم يتبق شيء من الغداء ، يا أكولينا ايفانوفنا ؟ قليل من العصيدة ، او شيء آخر ؟

اكولينا ايفانوفنا : بلى يا سيدي . اذهبي ، يا بوليا ، وجيئيه به . . .

(تخرج بوليا)

تيتيريف : شكراً جزيلاً . فاليوم ، كما تعرفين ، حالت جنازة وحفل زفاف بيني وبين تناول الغداء . . .

اكولينا ايفانوفنا : أعرف ، أعرف . . .

(يتناول بيوتر قدحاً من الشاي ويمرّ تحت القوس الى الغرفة الصغيرة ، تلاحقه نظرة أبيه الثاقبة ونظرة تيتيريف العدائية . يأكل الجميع ويشربون في صمت عدة لحظات .)

بيسيمينوف : سوف تكسب كثيراً من المال في هذا الشهر ، يا تيرينتي خريسانفوفيتش . فلا يمرّ يوم دون ميّت .
تيتيريف : الحظ الى جانبي . . . لا بأس .
بيسيمينوف : وحفلات زفاف كثيرة . . .
تيتيريف : صحيح . فهم يتزوجون بلا كلل . . .
بيسيمينوف : ادخر نقودك وتزوج بدورك .
تيتيريف : لا أرغب في ذلك . . .

(تتجه تاتيانا الى شقيقها ويشرعان في الحديث همساً)

بيرتشيخين : هذا صحيح ، حذار من الزواج . فالزواج لم يخلق للبط الغريب من أمثالنا . الاحرى بنا ان نذهب لصيد طيور الدغناش . . .
تيتيريف : هيا بنا . . .
بيرتشيخين : فى صيد طيور الدغناش متعة خالصة ! الثلجة الاولى سقطت للتو ، فتكسو الأرض بوشي يشبه ثياب الكاهن في عيد الفصح . . . كل شيء حواليك نقي براق وساكن في السكون الناعم . . . واذا اتفق أن كان النهار مشمساً — فان قلبك ليرقص نشوة اذن ! وأوراق الخريف لا تبرح تتلألأ على الاشجار كالذهب ، والغصون قد فضّضها الثلج بطبقة رخوة . . . وعلى حين فجأة وسط هذه الروعة المؤثرة كلها — ورر ! ورر ! — من قلب السماء الصافية ينطلق سرب من الطيور الحمر اللامعة تروح تجثم على الغصون مثل نبات

الخشخاش – تشيرب ! تشيرب ! تشيرب ! يا للطيور الصغيرة ، الطيور السمينة ، الرزينة مثل الجنرالات ، تروح تزقزق وتسقسق – انه منظر يخلب اللب حقاً ! يجعلك تتمنى ان تنقلب أنت نفسك طيراً كيما تستمتع باللهو معها على الثلج . . . ما أروع هذا ! . .
بيسيمينوف : الدغناش طائر أحمق .
بيرتشيخين : وأنا نفسي أحمق . . .
تيتيريف : لقد أحسنت الصورة . . .
اكولينا ايفانوفنا (الى بيرتشيخين) : انك مثل طفل صغير . . .
بيرتشيخين : أنا مولع بصيد الطيور ! أهنالك في الدنيا ما هو افضل من طائر صداح ؟
بيسيمينوف : صيد الطيور خطيئة . أفلا تعرف ذلك ؟
بيرتشيخين : أعرف ذلك ، ولكن لا حيلة لي فيه . فهو الشيء الوحيد الذي أحب أن أفعله وأعرف كيف أفعله . ويخال لي ان الحب يجعل اي عمل كان كريماً . . .
بيسيمينوف : أي عمل كان ؟
بيرتشيخين : اي عمل !
بيسيمينوف : وماذا لو أحببت ان تدس في جيبك أشياء الناس الآخرين ؟
بيرتشيخين : هذا لا يعتبر عملاً ، هذا سرقة .
بيسيمينوف : أجل . . . لعله كذلك . . .
اكولينا ايفانوفنا (متثائبة) : أوه – هو – هو ! ذلك مضجر . . . اي ضجر في العشيات دائماً . . . ماذا لو

أحضرت قيثارتـــك وعزفت شيئـــاً ، يا تيرينتـــي خريسانفوفيتش ؟

تيتيريف (في رباطة جأش) : حين استأجرت غرفة منك ، أيتها المحترمة أكولينا ايفانوفنا ، لم ألتزم بالترويـــــح عنك . . .

أكولينا ايفانوفنا (لم تستوعب كلامه) : ماذا قلت ؟

تيتيريف : لقد قلت ما قلت بصوت مرتفع وبوضوح .

بيسيمينوف (مشدوهاً ساخطاً) : أنظر اليك ، يا تيرينتـــي خريسانفوفيتش ، وأندهش . أنت رجـل تافه ، اذا صفحت عن تعبيري هذا ، رجل لا فائدة منه ، ولكـن فيك من الفخار ما في سيد نبيل . فمن أين لك هذا ؟

تيتيريف (في رباطة جأش) : ولدت على هذه الخصال . . .

بيسيمينوف : بماذا تراك تفاخر اذا سمحت باخباري ؟

أكولينا ايفانوفنا : انه غريب الاطوار . ما الذي يمكـن أن يعتز به رجل مثله ؟

تاتيانا : أماه !

أكولينا ايفانوفنا (منتفضة) : ايه ؟ ما هذا ؟

(تهزّ تاتيانا رأسها مؤنبة)

أكولينا ايفانوفنا : هل قلت من جديد شيئاً ما كان ينبغي ان أتفوه به ؟ حسناً ، سأبقي فمـي مغلقاً . . . واللّه المسامح !

بيسيمينوف (مغضباً) : انتبهي لمـــا تقولين ، يا أم . نحن

نعيش وسط أناس مثقفين . يمكن أن ينتقدوا كل شيء ، لهم معرفة وذكاء . أما أنا وأنت فنحن عجوزان أحمقان ليس غير . . .

اكولينا ايفانوفنا (مسترضية) : ليس لي ما اقوله ! فهم في الحقيقة يعرفون أموراً كثيرة

بيرتشيخين : صدقت في هذا ، يا أخي . نطقت به مازحاً ، ولكنك صدقت فيه . . .

بيسيمينوف : لم أمزح . . .

بيرتشيخين : لحظة ! فالشيوخ فعلاً حمقى . . .

بيسيمينوف : وخاصة بعد ان يروك انت .

بيرتشيخين : أنا لا أهمية لي واكثر من ذلك أظن انه لا يمكن ان تكون هنالك حماقة لو لم يكن هنالك شيوخ . . . فالعجوز يفكر مثلما تحترق شجرة رطبة – لا تعطي لهباً بقدر ما تطلق من دخان . . .

تيتريف (مبتسماً) : أنت على حق !

(تحدّق بوليا في أبيها برقة ، وتربت على كتفه .)

بيسيمينوف (متجهماً) : حسناً ! واصل أكاذيبك . . .

(يكفّ بيوتر وتاتيانا عن الحديث ويراقبان بيرتشيخين مبتسمين)

بيرتشيخين (في حيوية) : الشيوخ عنيدون – هذا هو الأمر الرئيسي فالشيخ يعرف أنه على خطأ ، وانه لا يفقه شيئاً من شيء ، ولكنه لا يستطيع ان يعترف بذلك . انه متكبر جداً ! فهو يقول في نفسه : أيمكن أني

عشت هذه السنوات كلها وأبليت أربعين بنطالاً او ما شابه ، وأجد نفسي فجأة لا أفقه شيئا ؟ كيف يمكن هذا ؟ فيؤلمه هذا الأمر كثيراً ! ولذلك فهو لا يكف عن ترديد نفس الشيء : أنا شيخ ! أنا على صواب ! بيد ان الأمر بعيد عن ذلك ! فقد أصبح ذهنه ثقيلاً . . . أما الشبان – فذهنهم متوقد وسريع . . .

بيسيمينوف (في جفوة) : ليس هنالك من هو أكذب منك . . . لكن قل ، ما دمنا حمقى أفما كان من الضروري أن نُلقّن الحكمة ؟

بيرتشيخين : أبداً ! لا جدوى من اطلاق السهام على صخرة . . .

بيسيمينوف : مهلاً ، لا تقاطعني – فأنا أكبر منك سناً . اليك ما أقول : فيم يهرب منا أصحاب العقول المتوقدة السريعة ، نحن الشيوخ ، ويختبؤون في الزوايا ويقطبون في وجوهنا ويسخرون منا ويرفضون حتى مجرد مخاطبتنا ؟ فكّر في هذا . . . سأخرج أنا لأفكر فيه أيضاً – لوحدي ، طالما أني أحمق بالنسبة الى جماعتكم هذه (يدفع كرسيه الى الوراء في صخب ، ويمضي الى غرفته ويقول عند المدخل) . . . يا ولديّ المثقفين . . .

(صمت)

بيرتشيخين (الى بيوتر وتاتيانا) : فيم جرحتما أحاسيس والدكما العجوز ، – يا شباب ؟

بوليا (مبتسمة) : أنت الذي جرحت أحاسيسه . . .
بيرتشيخين : أنا ؟ أنا لم أغضب في حياتي برغوثاً . . .
أكولينا ايفانوفنا : أوه ، يا أصحاب ! الامور عندنا ليست على ما يرام . . . فيم تغضبون الرجل العجوز ؟ جميعكم مقطبون عابسون . . . وهو عجوز . يحتاج الى السلام والهدوء . . . والاحترام . . . فهو والدكما . . . سأذهب اليه . وأنت اغسلي أدوات الشاي ، يا بوليا . . .
تاتيانا (تقترب من المنضدة) : لماذا يغضب والدنا منا ؟
أكولينا ايفانوفنا (عند الباب) : لانك تبتعدين عنه طوال الوقت . . . أيتها الذكية !

(بينما بوليا تغسل أدوات الشاي يرتفق تيتيريف المنضدة ويرنو الى وجهها بنظرة قاسية . يتجه بيرتشيخين الى بيوتر ويقتعد المنضدة الصغيرة . تنصرف تاتيانا الى غرفتها في خطوات متأنية .)

بوليا (الى تيتيريف) : فيم تنظر اليّ مثل . . . مثل هذه النظرة ؟
تيتيريف : هكذا . . .
بيرتشيخين : فيم تفكر ، بيتيا ؟
بيوتر : ايّان عليّ ان أذهب من هنا لو فعلت . . .
بيرتشيخين : ثمة أمر كنت أريد ان أسألك عنه منذ زمن طويل . قل لي من فضلك ما هي «شبكة المجاري» ؟
بيوتر : وفيم اهتمامك بها ؟ ان الحديث عن ذلك بحيث تفهم

بوضوح – حديث طويل . . . وممل . . .
بيرتشيخين : وأنت نفسك ، هل تعرف معناها ؟
بيوتر : دون ريب . . .
بيرتشيخين (يتطلع في وجهه متشككاً) : هم . . .
بوليا : ما الذي أطال غياب نيل فاسيليييفيتش هكذا . . .
تيتيريف : ما أجمل عينيك . . .
بوليا : أخبرتني بذلك نهار أمس .
تيتيريف : وسأخبرك به غداً . . .
بوليا : لماذا ؟
تيتيريف : لست أدري . . . قد يخطرلك أني متيم في هواك ؟
بوليا : يا للسموات ، أبداً ! لا يخطر في بالي شيء من هذا .
تيتيريف : أبداً ؟ يا للأسف ! حاولي أن تفكري . .
بوليا : في ماذا ؟
تيتيريف : في أي شيء – ما الذي يحدوني الى مغازلتك مثلاً .
فكري في الأمر ، واخبريني . . .
بوليا : ما أغرب أطوارك !
تيتيريف : أعرف هذا . . . فقد سبق اخباري به . سأقول لك مرة أخرى : ارحلي عن هذا المكان ! من المضر بك ان تجيئي الى هذا البيت . . . اذهبي !
بيوتر : هل هذا مشهد الاعتراف بالحب ؟ أتريد أن أنصرف ؟
تيتيريف : أبداً ! لا تزعج نفسك ! فأنا أصنفك مع الأشياء الجامدة . . .
بيوتر : دعابة سخيفة . . .
بوليا (الى تيتيريف) : لكم تحبّ الخصام !

(يبتعـــد تيتيريف وينصت في اهتمام الى حديث بيوتـــر وبيرتشيخين)

تاتيانا (تخرج من غرفتها وهي تلف نفسها بشال ، وتجلس الى البيان . تسأل وهي تقلب النوتات الموسيقية) : ألم يصل نيل بعد ؟

بوليا : كلا . . .

بيرتشيخين : الجو مقنط . . . على فكرة ، يا بيتيا : قبل فترة وجيزة قرأت في الصحيفة أنهـــم بنوا سفناً طائرة في انجلترا . تبدو مثل السفن الأخرى ، لكن اذا ركبتها وضغطت على زر معين – زينغ ! – تحلق في الفضـــاء مثل العصفور في قلب السحب ، وتحمل الناس الى حيث لا يعلم الا الله . . . ويقولون ان كثرة من الانكليز اختفوا على هذا الغرار . أهذا صحيح ، يا بيتيا ؟

بيوتر : هراء !

بيرتشيخين : ولكنه نشر في الصحف . . .

بيوتر : ما ينشر من الهراء في الصحف غير قليل .

بيرتشيخين : كثير اذن ؟

(تعزف تاتيانا لحناً حزيناً خافتاً)

بيوتر (مغتاظاً) : كثير منه بالطبع !

بيرتشيخين : لا تغضب . وفي الحقيقة ، لماذا تكونون ، أنتم الشبان ، على هذا القدر من الغرور بالنسبة الينا نحن

الكهول ؟ حتى انكم لا تودون مخاطبتنا ؟ هذا لا يليق !

بيوتر : ماذا بعد هذا ؟

بيرتشيخين : بعد هذا أقول : حان أوان انصرافي طالما أنكم تضايقتم مني . هل ستذهبين الى المنزل عن قريب ، يا بوليا ؟

بوليا : حالما أنظف المكان . . . (تغادر الغرفة . يتبعها تيتيريف بعينيه .)

بيرتشيخين : أجل . . . نسيتَ ، يا بيتيا ، كيف كنا أنا وأنت نصيد طيور السميلي معاً . كنت تحبني هاتيك الأيام . . .

بيوتر : وحتى الآن أنا . . .

بيرتشيخين : أرى وأشعر . . . ما في قلبك الآن !

بيوتر : كنت أحب كعك الزنجبيل والكراميل في هاتيك الأيام ، أما هذه الايام فأكرهها . . .

بيرتشيخين : مفهوم . . . ياعم تيرينتي ! هل نذهب لتناول جرعة من البيرة ؟

تيتيريف : ليست لديّ رغبة . . .

بيرتشيخين : سأذهب وحدي اذن . الحانة هي المرح ، والبساطة . أما هنا ، فالمرء قد يموت من الكآبة بينكم ، وهذا القول ليس في صالحكم . أنتم لا تفعلون شيئاً . . . ولا تريدون شيئاً . . . ماذا لو لعبنا بالورق ؟ لعبة القاشوش ؟ فنحن أربعة . . . (ينظر تيتيريف الى بيرتشيخين ويبتسم .) لا تشعرون برغبة في ذلك ؟ كما تهوون . . . اذن وداعاً ! (فيما هو

يقترب من تيتيريف يأتي بحركة من يده دلالة على اغتباق الشراب .) هل تأتي ؟

تيتيريف : كلا . . .

(يأتي بيرتشيخين بحركة يائسة من يده ، ويدلف خارجاً . صمت . تسمع الأنغام المنفردة الخافتة التي تعزفها تاتيانا على البيان ، وهي تقرأ النوتات ، في وضوح جلي . يصغي بيوتر من حيث اضطجع على الاريكة ، ويبدأ يصفر اللحن . ينهض تيتيريف ويجوس أرض الغرفة . وراء الباب المؤدي الى المدخل يسقط شيء ما حديدي : دلو أو أنبوب سماور محدثاً ضجة ، يسمع صوت ستيبانيدا يقول : «الى أين ، يأخذك الشيطان» . . .)

تاتيانا (تسترسل في عزفها) : ما أطول غياب نيل . . .

بيوتر : لا أحد يأتي . . .

تاتيانا : أتنتظر يلينا ؟

بيوتر : أنتظر أي انسان . . .

تيتيريف : لن يأتي أحد لرؤيتكم . . .

تاتيانا : أنت دائماً عبوس . . .

تيتيريف : لن يأتي أحد فليس لديكم ما تعطون . . .

بيوتر : هكذا تكلم تيرينتي الملهم . . .

تيتيريف (في أصرار) : أفلم يخطر لكما ان ذلك «الساقط» ، تاجر الطيور السكير ، كائن حي ، روحاً وجسداً ، في حين أنكما ، وأنتما على عتبة الحياة بعد ، أصبحتما شبه ميتين ؟

بيوتر : وأنت ؟ ما هو تقديرك لنفسك ؟
تاتيانا (تنهض عن مقعد البيان) : ايها السادة ! كفى ! سبق ان قيل الشيء ذاته ! تحدثتما في هذا الموضوع من قبل . . .
بيوتر : يروقني أسلوبك ، يا تيرينتي خريسانفوفيتش . . . وأنا أحب الدور الذي تلعبه – دور القاضي الذي يحاكمنا جميعاً . . . لكنني أود ان أعرف : فيم اختيارك هذا الدور بالذات ؟ أنت تتحدث دائماً وكأنك ترتل مدائح للراحل . . .
تيتيريف : ليست ثمة مثل هذه المدائح . . .
بيوتر : الامر سيان . ما أردت أن أقول هو أنك لا تحبنا . . .
تيتيريف : جداً . . .
بيوتر : شكراً على هذه الصراحة .

(تدخل بوليا)

تيتيريف : هنيئاً لك !
بوليا : بم تضيف يا ترى ؟
تاتيانا : اهانات . .
تيتيريف : بل الحقيقة . . .
بوليا : أريد الذهاب الى المسرح . . . هل يأتي أحدكم معي ؟

تيتيريف : أنا . . .
بيوتر : ماذا يعرضون الليلة ؟
بوليا : «الشباب الثاني» . . . ألن ترافقينا أيضاً ، يا تاتيانا فاسيلييفنا ؟
تاتيانا : كلا . . . يخال لي اني لن أذهب الى المسرح هذا الشتاء . فقد مللته . أنا لا أطيق كل تلك الدرامات بما يتراكم فيها من طلقات وصيحات وبكاء . انها تثير أعصابي وتغيظني . (يدق تيتيريف بأصبعه على أحد مفاتيح البيان ، فتنطلق منه نغمة حزينة خفيفة) كل شيء مزيف . والحياة تسحق الناس دون ضجيج أو صراخ . . . ودون عبرات . . . ودون أن يحسّ أحد بذلك . . .
بيوتر (مكتئباً) : انهم يمسرحون عذابات الحب ، لكن أحداً لا يهتم بمأساة الانسان الممزق بين الواجب والرغبة . . .

(يتابع تيتيريف ، مبتسماً ، الضرب على مفاتيح الصوت الجهير .)

بوليا (تبتسم في خجل) : أما أنا فمجنونة بالمسرح . خذوا دون سيزار ده بازان ، ذلك النبيل الاسباني . . . انه رائع في منتهى الروعة ! انه بطل حقيقي . . .
تيتيريف : هل أشبهه ؟
بوليا : اوه ! ماذا تقول ! على الاطلاق !

تيتيريف (يطلق ضحكة قصيرة) : يا للأسف !
تاتيانا : يضجرني الاصغاء الى الممثلين وهم يمثلون عن الحب على المسرح . الحب في الحياة الحقيقية لا يشبه ذلك أبداً ! . .
بوليا : حسناً ، أنا ذاهبة . . . هل ستأتي ، يا تيرينتي خريسانفوفيتش ؟
تيتيريف (يكف عن ضرب المفاتيح) : لن أذهب بعدما قيل لي اني لا أشبه نبيلاً اسبانياً . . .

(تخرج بوليا ضاحكة)

بيوتر (يراقبها وهي تخرج) : ما هو النبيل الاسباني بالنسبة اليها ؟
تيتيريف : انها ترى فيه انساناً صحياً . . .
تاتيانا : ملابسه جميلة . . .
تيتيريف : ومزاجه مرح . . . الناس المرحون طيبون على الدوام . . . والأوغاد يندر أن يكونوا مرحين .
بيوتر : عطفاً على نظريتك هذه لا بدّ أنك أعظم وغد على وجه البسيطة . . .
تيتيريف (يضرب على مفاتيح البيان ، من جديد ، فتدوي أنغاماً ثرية عذبة) : أنا مجرد سكير . أتعرفون لماذا تمتلئ روسيانا بالسكارى ؟ يلائم المرء ان يكون سكيراً . وهم يحبون السكارى عندنا ويكرهون المبتكرين والناس الجسورين . ذلكم أنه أسهل ان

تحبّ شيئاً صغيراً لا قيمة له من أن تحبّ شيئاً عظيماً وصالحاً . . .

بيوتر (يجوس أرض الغرفة) : روسيانا . . . روسيانا . . . ما أغرب وقع هذه الكلمة ! ما أغرب وقع هذه الكلمة ! هل روسيا لنا حقاً ؟ هل هي لي ؟ هل هي لك ؟ ومن «نحن» ؟ ما «نحن» ؟

تيتيريف (يغني) : نحن طيور حرة . . .

تاتيانا : يا ترينتي خريسانفوفيتش ! كفّ عن الضرب على البيان ، فعزفك أشبه بأجراس لحن جنائزي !

تيتيريف (يستمر في العزف) : انني أعزف لحناً ينسجم والمزاج العام . . .

(تخرج تاتيانا غاضبة الى الباب المؤدي الى المدخل)

بيوتر (متأملاً) : اجل . . . كفّ حقاً عن هذا الضرب ، فهو يثير الأعصاب . . . يخيّل اليّ أنه حين يقول الفرنسي أو الانكليزي : فرنسا ! أو انكلترا ! فان هذه الكلمة تعني بالنسبة اليه شيئاً ملموساً ، شيئاً محسوساً ومفهوماً . . أما حينما أقول أنا – روسيا – فهذه الكلمة لا تعني شيئاً بالنسبة لي . وليست لديّ القدرة على تضمينها أي مضمون واضح . (صمت . يستمر تيتيريف في الضرب على مفاتيح البيان .) ثمة كلمات كثيرة نستخدمها بتأثير العادة ، دون أن نفكر فيما وراءها من معنى . . . الحياة . . . حياتي . . .

ما الذي يختبئ وراء هاتين الكلمتين من معنى ؟ . .
(يذرع أرض الغرفة في صمت . تيتيريف يضرب على مفاتيح البيان في عذوبة ، فيملأ الغرفة أنغاماً حزينة ، فيما هو يلاحق بيوتر بابتسامة متجمدة على وجهه .)
أي شيطان دفعني الى الاشتراك في تلك الاضرابات الطلابية ! ذهبت الى الجامعة لأدرس ، وهذا ما كنت أفعله . . . أرجوك ، كفّ عن هذا الرنين ! . . لم أكن واعياً أن أي نظام للحكم يحول بيني وبين دراسة القانون الروماني — لم أكن أشعر بذلك حقاً ، اذا أردنا أن نكون صريحين . غير أنني كنت أشعر بضغط زملائي . . وقد خضعت له . وهكذا ضاع من عمري سنتان . . . أجل ! وهذا ما أسميه العنف ! العنف بحقي — أليس كذلك ؟ كنت أحلم أن أنهي دراستي ، وأصبح محامياً ، وأحصل على عمل ، وأطالع ، وأدرس الحياة — وبكلمة : أن أعيش !

تيتيريف (يكمل في سخرية) : في سبيل اسعاد والديك ، وخير الكنيسة والوطن ، مثلما يليق بخادم مطيع للمجتمع . . .

بيوتر : المجتمع ؟ هذا هو الشيء الذي أمقته ! فهو لا يبرح يزيد من متطلباته من الفرد دون أن يمنحه فرصة للتطور بصورة صحيحة ودون عوائق . . . المجتمع ، بلسان رفاقي ، صرخ في وجهي : على المرء أن يكون ، قبل أي شيء آخر ، مواطناً ! حسناً ، كنت مواطناً . . . لعنة الله عليهم . . . لم تكن بي رغبة . . . ولم أكن

مرغماً على الخضوع لمتطلبات المجتمــع ! أنا فرد ! والفرد حر . . . اسمع ! كفّ عن هذا . . . عن هذا الرنين الملعون . . .

تيتيريف : اني أصاحبك . . . أيها البورجوازي المحترم الذي كان مواطناً – الى متى ؟ – نصف ساعة ؟

(صخب وراء الباب المؤدي الى المدخل)

بيوتر (مغتاظاً) : لا . . لا تسخر مني !

(يتابع تيتيريف ، وقد ألقى على بيوتر نظرة متحدية ضربه على مفاتيح البيان . يدخل نيل ، ويلينــــا ، وشيشكين ، وتسفيتاييفا ، وفي اثرهم تاتيانا .)

يلينا : ما معنى هذا القرع الجنائزي ؟ عمت مساء ، أيهــا الدب الرهيب ! مساء سعيداً ، أيهــا المدعي العام العتيد ! ماذا تفعلان هنا ؟

بيوتر (مقطباً) : نهرف في الحديث .

تيتيريف : أعزف لحــن الوداع للرجل الذي ارتحــل عن الحياة قبل أن تأتي ساعته . . .

نيل (الى تيتيريف) : اسمع ! هلا أسديتني خدمة ؟ (يهمس في أذنه شيئاً . يومئ تيتيريف برأسه .)

تسفيتاييفا : اه ، ايها السادة ! كان التمرين رائعاً !

يلينا : كان ينبغي أن ترى كيف كان الملازم بيكوف يغازلني

بعنف هذه الليلة ، ايها المدعى العام !

شيشكين : صاحبك بيكوف حمار . . .

بيوتر : ما الذي يجعلـــك تظنين أني أبدي اهتماماً بمن يغازلك وكيف يفعل ذلك ؟

يلينا : اوه ! انت خارج عن طورك ؟

تسفيتاييفا : بيوتر فاسيلييفيتش خارج عن طوره دائماً .

شيشكين : هذه حالته الروحية الطبيعية . . .

يلينا : يا تانيتشكـــا ! وهل أنت ، أيضاً ، في حالتـــك الطبيعية ؟ حزينة مثل ليلة خريفية ؟

تاتيانا : نعم . أنا مثلما قلت . . .

يلينا : أما أنا فأحسّ أني أطير من الفرح ! لماذا ترونـــي دائماً أطير من الفرح أيها السادة ؟

نيل : لا أستطيع جواباً عن هذا . فأنا أيضاً أشعر بالمرح على الدوام !

تسفيتاييفا : وأنا كذلك ! . .

شيشكين : أنا لست دائماً ، ولكن . . .

تاتيانا : . . . طوال الوقت .

يلينا : أهذه محاولة للهزل ، يا تانيتشكا ؟ ما أروعـــك ! أخبرني ، أيها الدب ، فيما أنا أمرح مرحاً على الدوام ؟

تيتيريف : يا للطيش المجسّد !

يلينا : هكذا ! حسناً ! سأذكرك بهذه الكلمات حينما تعترف بحبك لي !

نيل : لا أمانع في الحصول على شيء آكلـــه . . . عليّ أن أذهب الى العمل بعد فترة قصيرة . . .

تسفيتاييفا : وستعمل الذيل بطوله ؟ يا للمسكين العزيز !
نيل : الليل والنهار معاً . . . يفضل أن أذهب الى المطبخ وأتوسل بستيبانيدا . . .
تاتيانا : سأطلب اليها أن تطعمك . . . (تخرج برفقة نيل .)
تيتيريف (الى يلينا) : لحظة ! أيجب عليّ أن أقـــع أسير هواك ؟
يلينا : أجل ، يجب ، أيها الرجل الجسور ! أجل ، يجب ، أيها المسخ النكد ! يجب ، يجب !
تيتيريف (يتراجع الى الخلف) حاضر . . . لن يصعب علـــيّ ذلك . . . فقد كنت مرة أحب فتاتين وامرأة متزوجة في وقت واحد . . .
يلينا (تواصل التقدم نحوه) : وماذا نجم عن ذلك ؟
تيتيريف : لا شيء . . .
يلينا (بصوت خافت ، وهي تومئ بعينيها ناحية بيوتر) : ماذا حدث بينكما ؟

(يضحك تيتيريف . يتحدثان هامسين .)

شيشكين (الى بيوتر) : إسمع يا اخ ! هلا اعطيتني روبلاً لثلاثة أيام ؟ فقد تمزق حذائي . . .
بيوتر : خذ . . . صرت مديناً لي بسبعة روبلات . . .
شيشكين : لم أنس هذا . . .
تسفيتاييفا : بيوتر فاسيلييفيتش ! لِمَ لا تشتـــرك في مسرحياتنا ؟
بيوتر : لا أستطيع التمثيل . . .

شيشكين : أتعتقد أننا نستطيعه ؟
تسفيتاييفا : في مقدورك على أقل تقدير أن تحضر تمريناتنا . فالجنود يستدعون اهتماماً كبيراً . بينهم واحد يدعى شيركوف – مضحك الى أبعد الحدود ! ساذج وبريء ، له ابتسامة خجول لطيفة جداً . . . لكنه لا يفهم شيئاً . . .
بيوتر (يراقب يلينا من طرف عينه) : كيف تجدين ما يبعث على الاهتمام في شخص لا يفهم شيئاً ؟ هذا أمر يفوق مداركي !
شيشكين : ليس شيركوف هو الشخص الوحيد . . .
بيوتر : لا أرتاب في أن الفرقة بأسرها على هذا الغرار . . .
تسفيتاييفا : كيف يمكن أن تقول هذا ؟ لا أفهم . ما الذي يجعلك على هذه الصورة ؟ أهذا ما تسميه أرستقراطية ؟
تيتيريف (يتحدث فجأة في صوت عال) : أنا لا أعرف ان أشفق . . .
يلينا : صه !
بيوتر : وكما هو معروف لديكم ، فأنا فرد من الطبقة الوسطى .
شيشكين : وهذا ما يعسر فهم موقفك تجاه عامة الناس . . .
تيتيريف : لم يشفق أحد عليّ قط . . .
يلينا (بصوت خافت) هلا عرفت ان على المرء ان يقابل الشر بالخير ؟

تيتيريف : ليس لديّ ما أقابل به . . .
يلينا : آه ! هدئ صوتك ! . .
بيوتر (يرهف سمعه الى ما يتبادله تيتيريف ويلينا من حديث) : لكنّ هناك شيئاً لا أفهمه : فيم تدعونّ العطف على عامة الناس ؟
تسفيتاييفا : نحن لا ندّعي . فنحن نقاسمهم ما يتوفر لدينا . . .
شيشكين : بل هذا الأمر ليس سبباً . . . فنحن نشعر بالسرور لأننا بينهم . . . فهم صادقون لا يتكلفون . . . وثمة شيء يريح الأعصاب فيهم كالهواء في الغاب . . . عشاق الكتب من أمثالنا يحتاجون الى ملء رئاتهم بهواء عليل بين فترة وأخرى . . .
بيوتر (في اصرار وضيق مكظوم) : تحبون خداع أنفسكم . . . ثمة حوافز لا تعترفون بها تدفعكم الى التعويض على هؤلاء الجنود . وذلك شيء سخيف اذا عذرتم صراحتي ! البحث عن الهواء العليل بين الجنود . . . هذا . . . أستميحكم العذر . . .
تسفيتاييفا : ليس بين الجنود وحسب ! فنحن نقدم عروضنا المسرحية في مستودع السكك الحديد أيضاً ، كما تعرف . . .
بيوتر : الأمر سيان . ما أقوله هو أنكم تخدعون أنفسكم حين تسمون جلبتكم وضجيجكم عملاً حيوياً ، وتؤمنون أنكم تساعدون على رقي الفرد . . . وما شابه ذلك . . . انكم لا تفعلون أكثر من خداع أنفسكم .

غداً يحضر ضابط أو رئيس للعمال ويعطي هذا «الفرد» الذي تنادون به لطمة على فكه . تنتزع من رأسه كل ما حشرتم فيه – ان كنتم حقاً قد حشرتم فيه شيئاً . . .

تسفيتاييفا : من المؤسف ان يسمعك المرء تقول مثل هذه الأمور !

شيشكين (مكتئباً) : اجل . . . هذا الكلام غير مناسب . . . وليست هي المرة الأولى التي أسمعك تنطـــق بهذه الأمور ، وفي كل مرة أسمعها أزداد منها نفوراً . . . سيأتين يوم نتحدث فيه أنت وأنا حديثاً حاسماً ، يا بيوتر – ونتفارق الى الأبد !

بيوتر (في برودة وبطء) : أنا خائف من هذا اللقاء ! ولكنني تواق اليه . . .

يلينا (في حمية) : ما هذا الذي يجعلك تتظاهر بهذا الشكل ؟ ايها السادة ! لماذا يريد أن يعتبره الناس خبيثاً ؟

بيوتر : من أجل التميز كما أظن .

تسفيتاييفا : طبعاً ! هو يريد أن يبدو متميزاً عن الآخرين . جميـــع الرجال يحاولون ان يبدوا متميزين في حضرة النساء . بعضهم يتظاهرون أنهم متشائمون ، وآخرون أنهم على غرار مفيستوفيل . بينا هم في الحقيقة مجرد كسالى . . .

تيتيريف : كلمة مختصرة واضحة . ومعبرة جداً !

تسفيتاييفا : تريدني أجامل الرجال ؟ لسوف تنتظر طويلاً اذن ! انا أعرفهم اطيب معرفة !

تيتيريف : انك تعرفين الأمر أفضـــــل مما أعرفـــه أنا .

وبالمناسبة ، ان كنت تعرفين كثيراً ، فلعلك تعرفين ما يلي : هل ينبغي على المرء أن يقابل الشر بالخير ؟ وبكلمات أخرى ، هـــل تعتبرين الخير والشر عملـــة متساوية في القيمة ؟

تسفيتاييفا : أنت تلوي الأمور دائماً بصورة متناقضة !

شيشكين : مهلاً ، لا تقاطعيه ! هذا ممتع . أنا ، أيهـــا السادة ، أحب أن أصغي الى تيتيريف ! فهو يحشر بين الفينة والفينة في رؤوسكم فكرة جديدة مقلقــة . . . بينما نحن جميعاً نفكر – اذا قلنا الصراحة – أفكاراً عادية جداً – مسطحة وممسوحة كالعملات القديمة . . .

بيوتر : أنت في غاية الكرم . تضفي على الآخرين فضائلك الخاصة . . .

شيشكين : هيا ، هيا ، علينا ان نقول الحقيقة يا أخ ! ينبغي أن نكون صادقين حتى في التفاهات ! أما بالنسبة الي ، فأنا أعترف صراحة أني لم أعبر قط عن أيـــة فكـــرة أصيلة ، ولكم أتوق الى ذلك أيها السادة !

تيتيريف : لقد فعلت ذلك لتوّك !

شيشكين : (في حماسة) : ما هذا ؟ ألا تكذب ؟ أتعني ذلك حقاً ؟

تيتيريف : حقاً يا أخ ! لقد نطقت بواحدة ، وسأتركك تخمن بنفسك ماهيتها .

شيشكين : لا ريب أنهـــا كانت مصادفـــة أفلتت بمحض الصدفة . . .

تيتيريف : لا يمكن أن يكون الانسان أصيلاً عن عمـــد .

جرّبت أنا ذلك . . .

يلينا : أسمعنا ماذا تريد أن تقول عن الخير والشر ، أنت ، يا معذّبنا ، أنت .

شيشكين : هيا ، ولتطلقنّ أبخرة الفلسفة !

تيتريف (يتخذ وضعاً مسرحياً) : أيها المحترمون من أصحاب القائمتين ! ! تخطؤون كثيراً حين تقولون انه يجب أن تقابلوا الشر بالخير . الشر صفة وراثية فيكم ، ولذلك فهو قليل القيمة . والخير شيء اكتسبتموه بأنفسكم ، ودفعتم فيــــه ثمناً غالياً جداً ، ولذلـــك صار نادراً وعزيزاً وأحب الى قلوبكم من أي شيء آخر على وجه هذه البسيطة . ومن هنا النتيجة أنه ليس ثمة منفعـة أو جدوى بالنسبة لكم من مقابلة الشر بالخير . أقول لكم : الخير يجب أن يقابل بالخير وحده . أبداً لا يجوز أن تقابلوا أكثر مما حصلتم عليه ان كنتم لا تريدون ان توقظوا في الآخرين غريزة المرابي . الانسان مخلوق جشع . اذا أخذ مرة أكثر مما هو له فلسوف يطالب بعدئذ بالمزيد باستمرار . وكذلك لا ينبغي أن تعطوه أقل من حقـــــه لأنكم ان غالطتموه الحساب مرة – وتذكروا أن الانسان لا ينسى الاساءات ! – فلسوف يعلن افلاسكم . ولسوف يفقد كل احترام لكم ومـــن بعد ، وبدلاً من مقابلة الخير الذي تستأهلون ، سوف يعرض عليكم الصدقات . راعوا الدقة في مقابلة الخير بالخير ، أيها الأخوة ، لان أحداً على الأرض ليس أكثر مدعاة للأسى والاشمئزاز من ذلك الذي يعرض عـــلى

جاره صدقة ! أما حين تتلقون الشر فردوّه أضعافاً مضاعفة ! كونوا أسخياء بقوة في ردّ الشر الذي يبتليكم به جاركم ! واذا طلبتم كسرة من خبز فأعطاكم حجراً فاهدموا على رأسه صخرة ! (يبدأ تيتيريف خطبته في غبطة خفيفة ، ويزداد حديثه جدية كلما انطلق فيه ، وينتهي منه في نبرات قوية ملتهبة . وحين يصمت يبتعد في خطوات ثقيلة . يرين الصمت على الجميع . ويسيطر الوجوم عليهم ، ويشعرون بما في كلماته من صدق .)

يلينا (في عذوبة) : لا بدّ أنك قاسيت من الناس عنتاً رهيباً . . .

تيتيريف (مكشراً عن أسنانه) : ولكنني عامر بالأمل المرح أنهم ، في الوقت المناسب ، سيقاسون مني . . . او بالأحرى سيقاسون من أجلي . . .

نيل (يدخل وفي يديه قصعة وشريحة من خبز ، يتحدث وهو يراقب القصعة بعينه كيلا يهرق ما في داخلها . تدخل تاتيانا وراءه) : كل ذلك فلسفة ! ان لديك ، يا تانيا ، عادة سيئة في التفلسف بخصوص الأمور التافهة — المطر ، أو أصبع مجروح ، أو مدفأة تطلق دخاناً . حين أسمع الفلسفة تهدر على مثل هذه الأمور التافهة أجدني مرغماً على التفكير أن الثقافة تسبب أذى عظيماً لبعض الناس . . .

تاتيانا : أنت شديد الفظاظة ، يا نيل !

نيل (يجلس الى المنضدة ويشرع في الطعام) : لا شأن لهذا بفظاظتي ! اذا ضجرت فابدئي عملاً ما فالمرء الذي يعمل لا يجد للضجر وقتاً . اذا كانت حياتك في البيت غير سعيدة فاذهبي الى الريف وعلّمي الأطفال هناك . أو اذهبي الى موسكو وادرسي . . .

يلينا : نالت جزاءها ! هلا وبخت هذا الحقير أيضاً . (تشير الى تيتيريف)

نيل (يرميه بنظرة جانبية) : نموذج آخر ! هيراقليطس الثاني . . .

تيتيريف : سويفت الثاني اذا أذنت !

نيل : هذا كثير عليك !

بيوتر : كثير جداً !

تيتيريف : كم يطيب لي ان أسمعكم تسموني هكذا . . .

تسفيتاييفا : أنت تحب الاطايب كثيراً !

نيل (دون أن يرفع عينيه عن القصعة) : هيا ، لا تغضب . وبالمناسبة ، هل . . . هل بوليا هنا ؟ أو بالأحرى أين ذهبت ؟

تاتيانا : الى المسرح . لماذا ؟

نيل : لا شيء ، كنت أسأل فحسب .

تاتيانا : أتحتاج اليها في أمر من الأمور ؟

نيل : كلا . لا أحتاج اليها . أعني ليس في هذه اللحظة ، أما عموماً فأنا . . . أنا . . . أحتاج اليها دائماً . أوه ، يا للعنة ! تورطت في الكلام !

(يبتسم الجميع عدا تاتيانا)

تاتيانا (في اصرار) : لماذا ؟ ما حاجتك اليها ؟

(يتابع نيل طعامه متجاهلاً سؤالها)

يلينا (تخاطب تاتيانا في نبرات سريعة) : فيم كان يوبخك ؟ أخبريني !

تسفيتاييفا : أجل . هذا يبعث على الاهتمام !

شيشكين : أحب أسلوبه في التوبيخ . . .

بيوتر : وأحب أنا . . . أسلوبه في التهام الطعام . . .

نيل : كل ما أفعله ، فأنا أفعله جيداً . . .

يلينا : هيا ، يا تانيا ، أخبرينا !

تاتيانا : ليست بي رغبة . . .

تسفيتاييفا : انها لا تريد القيام بشيء ابداً !

تاتيانا : وكيف تعرفين ؟ لعلّ عندي رغبة جامحة في . . . الموت .

تسفيتاييفا : هه ! اعاف السمع لهذا !

يلينا بررر ! لا أحب التحدث عن الموت !

نيل : ماذا يمكن أن يقول المرء عن الموت قبل أن يموت ؟

تيتيريف : ياله من فيلسوف حقيقي !

يلينا : فلنذهب الى غرفتي أيها السادة ! هيا بنا ! لا بدّ وان السماور يغلي من زمان . . .

شيشكين : هذا هو المطلوب . . . قدح من الشاي ! وأرجو

أن يكون معه شيء يؤكل ؟

يلينا : دون ريب !

شيشكين (يشير الى نيل) : رؤيته تفعمني غيرة ، أنـــا الخاطئ !

نيل : ليس هنالك ما يستثير غيرتك - فلقد التهمت كــل ما هو موجود ! وسأذهب برفقتكم - فلديّ اكثر من ساعة من الزمن لا عمل لي فيها . . .

تاتيانا : ألا يفضل أن تستريح قليلاً قبل الذهاب الى عملك ؟

نيل : لست أحتاج ذلك . . .

يلينا : بيوتر فاسيلييفيتش ! هل تأتي معنا ؟

بيوتر : اذا سمحت لي بذلك . . .

يلينا : بكل سرور ! هات ذراعك !

تسفيتاييفا : قفوا أزواجــاً ! نيــل فاسيلييفيتش ، تعال معي . . .

شيشكين (الى تاتيانا) : وأنت معي .

تيتيريف : يقولون ان هنالك نساء أكثر من الرجال في العالم ، ولكنني عشت في عديد من مدن هذا البلد ولم أجـد ، مرة واحدة ، امرأة واحدة تركت لي . . .

يلينا (ضاحكة ، وهي تتجه الى الباب وتغني) :

Allons, enfants de la patri-i-i-e!*

---

* بالفرنسية في الاصل . وتعني : هيا بنـــا ، أبناء الوطن ! **الناشر** .

شيشكين (يدفع بيوتر في ظهره) : هيا ، تحرك بسرعة ، يا ابن الوطن ! . .

(يخرجون في جلبة ، وهم يغنون ويضحكون . تبقى الغرفة خاوية لحظات . وينفتح باب غرفة الوالدين فتدلف منه أكولينا ايفانوفنا . تتثاءب وتطفىء المصابيح . من داخل الغرفة يدفء صوت الرجل العجوز يتلو صلواته بصوت رتيب . تتعثر المرأة العجوز في الظلمة بالمقاعد وهي تشق طريقها الى حجرتها)

ستار

الفصل الثاني

(المشهد ذاته)

ظهيرة يوم خريفي . بيسيمينوف جالس الى المنضدة . تاتيانا تراوح وتغادي في الغرفة على مهل دون أن يندّ عنها صوت . بيوتر يقف عند القوس بين الغرفتين يمدّ بصره عبر النافذة .

بيسيمينوف : هذه ساعة كاملة وأنا أتحدث فيها اليكما ، يا ولدّي العزيزين ، لكن كلماتي فيما يبدو لا تجد لها في قلبيكما صدى . أحدكما يقف وقد أدار لي ظهره ، والأخرى تتمشى في غدوٍ ورواح كأنها غراب على سور .

تاتيانا : سوف أتخذ لنفسي مقعداً . (تجلس .)

بيوتر (يلتفت الى والده) : حدثنا صراحة : ماذا تبغي منا ؟

بيسيمينوف : أريد أن أعرف ماهيتكما . أما أنت فأودّ أن أعرف أي نوع من البشر أنت .

بيوتر : رويدك ! فسأجيبك في الوقت المناسب . سترى وتفهم ، لكن دعني أنهي دراستي أولاً .

بيسيمينوف : هه ، الدراسة . حسناً هيا وادرس ! ولكنك لا تفعل . أنت تهمل من حواليك . وتعلمت أن تشمخ بأنفك حيال كل شيء ، بيد أنك لم تتعلم قواعد السلوك . فقد طردوك من الجامعة . أتظنهم فعلوا ذلك ظلماً ؟ أبداً . الطالب هو طالب ، وليس من شأنه

أن يحدد كيف ينبغي أن تكون الأمور . اذا راح كل طالب في العشرين من العمر يحاول ان يقر نظامه فلسوف يتشوش كل شيء ، ولا يبقى في هذه الدنيا مكان للناس العقلاء المعقولين . عليك أن تتعلم أولاً ، وحين تغدو في عملك خبيراً يحين الحين لتبدأ انتقاداتك . والى أن يأتي ذلك الوقت فلكل انسان الحق في أن يقول «بخ !» لانتقاداتك . لا أقول هذا تشفياً ، بل أقوله من أعماق قلبي لأنك ابني ، لحمي ودمي ، وما شابه ذلك . أنا لن أقوله لنيل ، بالرغم من أنني بذلت كثيراً من الجهد معه ، فهو وان يكن ابني بالتبني ، لكن دمه يختلف عن دمي . وكلما كبر كلما ابتعد عني . أعلم أنه خلق ليكون وغداً – ممثلاً أو شيئاً من هذا القبيل . . . ولعله يغدو اشتراكياً . حسناً ، فليصر اشتراكياً . هذا ما يستحقه !

أكولينا ايفانوفنا (تطل من الباب وتقول في صوت ذليل شاك) : ألم يحن وقت الطعام ، يا أبي ؟

بيسيمينوف (في حدة) : أخرجي من هنا ! لا تدسي أنفك فيما لا يخصك . (تغلق أكولينا ايفانوفنا الباب . تنظر تاتيانا الى والدها نظرة موبخة ، وتنهض على قدميها ، وتروح تتجول في الغرفة من جديد .) أرأيتما ؟ أمكما لا تجد لحظة هدوء – فهي أبداً آخذة أهبتها لتحميكما – تخشى أن أجرح شعوركما . لا أريد ان أجرح أحداً . ولكنكما جرحتما مشاعري ، جرحتماها حتى الصميم . فأنا أسير في بيتي باحتراس ، فكأن الأرض

مفروشة بزجاج مكسور . وكفّ أصدقائي القدامى عن زيارتي ، فهم يقولون : نال ولداك ثقافة رفيعة ونخشى أن يسخرا من أناس بسطاء من أمثالنا ! انتما سخرتما منهم أكثر من مرة ، مما ضرجني ذلك خجلاً . لقد هجرني أصدقائي جميعاً ، فكأن الابناء المثقفين طاعون . أنتما لا تبديان بأبيكما اهتماماً ، ولا تخاطبانه قط بكلمة واحدة رقيقة ، ولا تخبرانه أبداً عما يجول في ذهنيكما ، ولا تفضيان له بمشاريعكما ألبتة . أنا أشبه برجل غريب بالنسبة اليكما . ومع هذا فأنا أحبكما ! أجل ، أحبكما ! أتفهمان معنى هذا – ان تحب شخصاً ؟ طردوك من الجامعة ، فتعذبت أنا من جراء ذلك . بلا مبرِّر تذوي تاتيانا ، العانس ، وأنا يتملكني الأسى لذلك . بل لا أدري ماذا أقول للناس . فهل ابنتي تاتيانا أسوأ من الاخريات اللواتي تزوجن ولديهن كل ما يجب ان يكون ؟ أريد أن أراك رجلاً ، يا بيوتر – وليس طالباً . أنظر الى ابن فيليب نازاروف – لقد أنهى دراساته ، وتزوج بفتاة لها بائنة طيبة ، وحصل على عمل راتبه ألفان في السنة ، ولسوف ’ينتخب عاجلاً عضواً في مجلس بلدية المدينة . . .

بيوتر : أنتظر ، لسوف أتزوج بدوري عندما يحين الاوان .

بيسيميئوف : أنا لا أشك في هذا ! أنت على استعداد للزواج غداً ، لكن ممن ؟ من امرأة طائشة خليعة ! اضف الى ذلك انها أرملة ! يا للاسف !

بيوتر (منفجراً) : ليس لك الحق ان تنعتها بهذه الصفات !

بيسيمينوف : أنعتها بماذا ؟ بأرملة ؟ أم بخليعة ؟

تاتيانا : أبتاه ! أرجوك ، أرجوك ! كف عن هذا الموضوع ! بيوتر ، ابرح الغرفة أو اصمت ! أنا أسكت ، فلماذا لا تفعل أنت مثلي ؟ اسمعوا ! أنا لا أفهم شيئاً . حين تتحدث ، ياوالدي ، يخال لي أنت محق ! وأنت محق من دون ريب . أنا أشعر بذلك ، صدقني ! ولكن ما هو حق بالنسبة اليك ليس هو حق بالنسبة الينا – بيوتر وأنا . ألا ترى ذلك ؟ ان لنا وجهات نظرنا الخاصة – رويدك ، يا أبي ، لا يأخذنك الغضب ! كل منا على حق يا ابتاه . . .

بيسيمينوف (ينتفض واثبا) : هذا كذب ! واحد منا فحسب على حق ! أنا على حق ! كيف يمكن أن تكونا على حق ؟ أريني كيف ! أثبتي ذلك !

بيوتر : لا تصح ، يا أبي ! أنا أقول ذلك أيضاً . أنت على حق ، ولكن طريقة رؤيتك للأمور طريقة ضيّقة جداً بالنسبة الينا . لقد كبرنا بالنسبة اليها مثلما كبرنا فضاقت علينا ثيابنا . انها تضايقنا ، تخنقنا . وان كل ما كان يشغل بالك وأسلوبك في الحياة لا يناسبنا . . .

بيسيمينوف : طبعاً ، لا يناسبكما ! من تحسبوا انفسكم ؟ مثقفين . أما أنا ؟ فأنا أحمق . وأنتم . . .

تاتيانا : ليس الأمر على هذا الغرار ، يا أبتاه . . . ما تقول ليس . . .

بيسيمينوف : أجل ، هو على هذا الغرار . هو على هذا الغرار بالضبط ! زملاؤكما يحضرون لرؤيتكما – والبيت يضجّ بالصخب فلا يقوى المرء حتى على النوم ليلاً . (الى بيوتر) وأنت تغازل تلك المرأة التي تسكن هنا أمام باصرتيّ . (الى تاتيانا) وأنت متجهمة الوجه دائماً وأنا وأمكما ننكمش في زاوية . . .

أكولينا ايفانوفنا (تندفع في الغرفة وتصيح في اسى) : آه ، يا أحبائي ! وكأنني . . . هيا ، يا عزيزي ، أتراني شكوت قط ؟ أنا في الزاوية ، أو هنالك في الحظيرة ، شريطة ألا يدب بينكم اختصام ! لا تهبوا في وجوه بعضكم بعضاً ، يا أحبائي !

بيسيمينوف (يمسك بها باحدى يديه ويدفعها عنه بالأخرى) : أغربي من هنا ، أيتها العجوز ! فهما لا يحتاجان اليك . هما لا يحتاجان أياً منا ! فهما أكثر منا ذكاء ، نحن غريبان عنهما .

تاتيانا (مزمجرة) : يا للعذاب ! يا للعذاب !

بيوتر (وقد أشحبه اليأس) : ألا ترى ، يا أبتاه ، أن هذا سخيف ! سخيف بصورة مقيتة ! على حين فجأة ، ومن دون أي سبب . . .

بيسيمينوف : على حين فجأة ؟ أبداً ! ليس على حين فجأة . منذ أعوام كثيرة وهذا ينخر في فؤادي !

أكولينا ايفانوفنا : أتركه على سجيته ، يا بيتيا ، ولا تناقشه ! يا تانيا ! اشفقا على أبيكما !

بيسيمينوف : سخيف ؟ أبداً ، أيها الأحمق ! ليس سخيفاً ، بل مرّوعاً ! على حين فجأة – الأب والولدان – جميعهم على حق ! حيوانان ، هذه حصافتكما !

تاتيانا : بيوتر ، أخرج من الغرفة ! إهدأ ، يا أبي – إهدأ ، أرجوك .

بيسيمينوف : ليس فى قلوبكما أية شفقة ! تعصران منا الحياة . بماذا تفخران ؟ ماذا فعلتما كيما تفخران به ؟ أما نحن ، فنحن قد عشنا ! وعملنا . وبنينا البيوت – من أجلكما . ارتكبنا المعاصي – كثيراً من المعاصي ، كل ذلك من أجلكما !

بيوتر (صائحاً) : هل طلبت منك ذلك يوماً ؟

أكولينا ايفانوفنا : بيوتر ! وحقّ الله . . . !

تاتيانا : أخرج من الغرفة ، يا بيوتر ! أنا لا أطيق ذلك ! سأرحل ! (تتهالك على مقعد مرهقة .)

بيسيمينوف : آها ! تهربان من الحقيقة ! مثلما يهرب الشيطان من البخور . صحا ضميركما آخر الأمر !

نيل (يفتح الباب على مصراعيه ويقف عند المدخل . لقد رجع من العمل لتوه . وجهه قذر ملوث بالتراب والهباب . ويداه قذرتان أيضاً . يرتدي جزمة تصل حتى ركبتيه ملطخة بالوحل ، ومعطفاً قصيراً مشدوداً بحزام يلتمع بالاوساخ والشحوم . يمد يده خلال حديثه .) : أعطوني عشرين كوبيكاً بسرعة أدفعها للحوذي ! (ينهي ظهوره المفاجئ وصدى صوته الهادئ الصراخ في الغرفة في

الحال ، ويروح الجميع يحدقون فيه في صمت . يلحظ الأثر الذي أحدثه حضوره فيخمن السبب بسرعة . يقول وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة موبخة) : مرة اخرى ! شجار جديد !

بيسيمينوف (صائحاً في حدة) : انت ، ايها الكافر ! اين تحسب نفسك ؟

نيل : كيف ، أين أنا ؟

بيسيمينوف : قبعتك ! اخلع قبعتك !

أكولينا ايفانوفنا : كيف تفعل هذا في الحقيقة ؟ تندفع في غرف البيت بهذه الثياب القذرة ! كيف تفعله !

نيل : عجلوا وأعطوني عشرين كوبيكاً !

بيوتر (في صوت خافت وهو يناوله النقود) : ارجع الى هنا بأقصى سرعة . . .

نيل (مبتسماً) : تريد مساعدة مني ؟ موقف صعب ، هـا ؟ سأرجع حالاً !

بيسيمينوف : ها هو ! هذا واحد آخر يفعل كل شيء في نوبات وانتفاضات ، يحشون رأسه أفكاراً غريبة . ولا يكنّ احتراماً لأي انسان في الوجود . . .

أكولينا ايفانوفنا (تحاكي نبرته) : صحيح ما تقول ! مشاكس ، هذا ما هو عليه ! أسرعي ، يا تانيا ، اذهبي . . . الى المطبخ . . . اذهبي الى المطبخ واخبري ستيبانيدا أن تجلب طعام الغداء . . .

(تخرج تاتيانا)

بيسيمينوف (في ابتسامة جافة) : والى أين ستبعثين ببيوتر ؟ آخ منك ، أيتها العجوز الغبية ! انت غبية حقاً . هل تحسبينني وحشاً ؟ ألا ترين أن الأمر ليس بسبب أني قاس ، بل بسبب أني قلق . . . قلق عليهما . ليس الغضب ما يدفعني الى الصراخ على هذه الوتيرة ، بل الآلام التي تحز في روحي . ففيم تظلين تبعدينهما عني ؟

أكولينا ايفانوفنا : أنا أعرف ، ياعزيزي . أرى كيف هي الأمور ، ولكنني أشفق عليهما ! أنت وأنا عجوزان . نحن كما نحن ، أنت وأنا . ما حاجتهما الينا ؟ يا الهي ! اي فائدة لهما منا ؟ أما هما فأمامهما الحياة بطولها ! وكذا جميع الضربات التي سيتلقياها من الغرباء ذانك الحبيبان المسكينان !

بيوتر : لا أرى سبباً لاثارة القلق في نفسك ، يا أبتاه . لقد أقحمت هذه الفكرة في ذهنك . . .

بيسيمينوف : أنا خائف ! خائف من الأيام . فهي أيام سيئة ! الأشياء جميعاً تتهاوى . تتحطم . والحياة جيشان ! وأنا خائف عليك . ماذا لو . . . ؟ فمن يأخذ بيدنا في شيخوختنا اذن ؟ أنت الذراع الوحيدة التي نعتمد عليها . أنظر الى نيل هذا . . . أنت تراه على حقيقته ! وتيتيريف أيضاً . فان له الريش ذاته ! حذار منهما معاً ! فهما يكرهاننا ! فحذار !

بيوتر : هراء ! لن يصيبني مكروه . سأنتظر فترة أخرى

وعندها أكتب الى الجامعة وأطلب اعادتي اليها .

أكولينا ايفانوفنا : عجّل في ذلك ، يا بيتيا ، كيما يطمئن أبوك . . .

بيسيمينوف : أنا أثق فيك ، يا بيوتر ، حين تتحدث على هذا المنوال . . . في جدية وحكمة . أثق عندها أنك ستقضي حياتك ليس أسوأ مما قضيت حياتي . وفي أحيان أخرى . . .

بيوتر : فلنطوين هذا الموضوع ! كفاية ! فنحن نكرره ونكرره على الدوام !

أكولينا ايفانوفنا : يا حبيبيي العزيزين !

بيسيمينوف : وهنالك تاتيانا أيضاً ! أه ! الافضل ان تترك مدرستها ! فماذا جنت منها ؟ التعب وحده . . .

بيوتر : انها في حاجة الى الراحة حقاً .

أكولينا ايفانوفنا : اوه ! دون ريب ، دون ريب !

نيل (وقد أبدل ثيابه فارتدى قميصاً أزرق ، ولكنه لم يغتسل بعد) : متى سنتغدى ؟

(ينصرف بيوتر بسرعة الى الباب المؤدي الى المدخل فور رؤيته نيل)

بيسيمينوف : كان يحسن أن تغسل بوزك قبل أن تسأل عن الطعام .

نيل : بوزي ليس كبيراً – أستطيع غسله في لحظات . ولكنني جائع كالذئب ! مطر بارد وريح وقاطرة قديمة

معطوبة – ذقت فيها الامرّين الليلة الماضية ! لقد خارت قواي ! أود ان أحمل رئيس قسمنا على ان يقوم بجولة في هذه القاطرة وفي مثل هذا الجو . . .

بيسيمينوف : كفى ثرثرة ! أرى أنك أصبحت تتحدث بمزيد من الحرية عن رؤسائك . حذار ، والا ساءت الأمور !

نيل : لن تسوء بالنسبة اليهم .

أكولينا ايفانوفنا : الأب لا يتحدث عنهم ، بل هو يفكر فيك .

نيل : آه ، يفكر فيّ .

بيسيمينوف : أجل ، أفكر فيك !

نيل : آه . . . . ه !

بيسيمينوف : لا تتأوه ! بل اسمعني .

نيل : انني أسمع .

بيسيمينوف : أنت متغطرس .

نيل : أنا متغطرس منذ زمن طويل ؟

بيسيمينوف : لا أسمح لك بالتحدث معي بهذا اللسان السليط !

نيل : أنا عندي لسان واحد (يمدّ لسانه) . اتحدث به مع الجميع . . .

أكولينا ايفانوفنا (وهي تلوّح بيديها) : يا لك من عديم الحياء ! فكّر فيمن تخرج له لسانك !

بيسيمينوف : رويدك ، يا أم ، مهلاً ! (تخرج أكولينا ايفانوفنا وهي تهز رأسها لائمة) . أنت يا فتى جدّ ذكي ! يروقني أن أتحدث معك قليلاً .

نيل : بعد الغداء ؟

بيسيمينوف : كلا ، الآن !

نيل : يفضل ان تتحدث بعد الغداء ! صدقني أنني مرهق وجائع والبرد ينخر عظامي . هلاّ أجلت الحديث من فضلك . ثم . . . ماذا تستطيع ان تقول لي ؟ أنت تبحث عن شجار ، وأنا لا يروقني الشجار معك . بل افضل أن . . . حسناً . . . أخبرني صراحة أنك لا تطيقني ، وأنني سوف . . .

بيسيمينوف : فليخطفنّك الشيطان ! (يذهب الى غرفته ، ويغلق الباب وراءه بشدة واحكام .)

نيل (مغمغماً) : حسن ! اني أفضل رفقة الشيطان على رفقتك . . . (يتمشى في الغرفة مدندناً بينه وبين نفسه . تدخل تاتيانا .) هل تشاجرتم مرة أخرى ؟

تاتيانا : لا يمكن أن تتصور . . .

نيل : بلى ، أتصور جيداً جداً . مشهد مأسوي من ملهاة لا نهاية لها : «لا هنا ولا هناك» .

تاتيانا : سهل عليك الحديث على هذه الشاكلة ! ففي مقدورك التنحي جانباً .

نيل : في مقدوري ان أدفع هذا الهراء جانباً . وما أسرع أن أطرحه كله الى الابد . فأنا أحاول الانتقال الى عمل ميكانيكي في الورشة . فلقد سئمت وتعبت من قيادة قطارات البضائع ليلة بعد أخرى ! كان الأمر يختلف لو كانت قطارات ركاب – سريعة – تطير في الهواء ، بأقصى سرعة الى الأمام ! أما هذه – فتزحف بطيئة وليس الى جانبك غير الوقاد ! شيء ممل ! أنا أحب

أن أعيش بين الناس . . .

تاتيانا : ومع ذلك فأنت تهرب منا .

نيل : صفحك عني ، لكن أي انسان كان يود أن يهرب منكم ! أنا أعشق الحياة ، والضجة ، والصخب ، والعمل ، والناس المرحين البسطاء ! أتحسبين أنكم تعيشون ؟ أنتم تتعلقون فحسب بجوانب الحياة ، ولسبب مجهول توالون الأنين والشكوى . . ممن ولماذا ومن أجل اي شيء ؟ هذا الامر يتجاوز ادراكي !

تاتيانا : يتجاوزه حقاً ؟

نيل : حقاً ! حينما يرى المرء نفسه مستلقياً بصورة غير مريحة ينقلب على جنبه الآخر ، أما حين يجد الحياة غير مريحة فهو لا يفعل أكثر من التشكي والأنين . فلِمَ لا يبذل جهداً للانقلاب على الجنب الآخر ؟

تاتيانا : قال أحد الفلاسفة مرة ان الحمقى وحدهم يجدون الحياة بسيطة !

نيل : يبدو أن الفلاسفة يعرفون عن الحماقة أموراً كثيرة . أنا لا أعتبر نفسي حكيماً . غير أنني أجد الحياة معكم كئيبة بصورة لا تطاق ، ولا أعرف لماذا . قد يكون ذلك لانه يروق لكم ان تتذمروا على الدوام . وفيم ذلك ؟ ومن سيساعدكم ؟ لا أحد . ليس هنالك من يقوى على ذلك ، و . . . الأمر لا يستأهل هذا لو وجد ذلك الانسان .

تاتيانا : ما الذي يجعلك على مثل هذه الجلافة ، يا نيل ؟

نيل : أتسمين هذا جلافة ؟

تاتيانا : قل : قسوة . اعتقد انك قد أصبت بالعدوى من تيتيريف ، هذا الذي يكره الجميع لسبب من الأسباب .

نيل : ليس الجميع (مطلقاً ضحكة قصيرة) هل خطر لك مرة أن تيتيريف يشبه الفأس ؟

تاتيانا : الفأس ؟ ماذا تقصد ؟

نيل : فأساً حديداً عادية لها مقبض خشبي .

تاتيانا : كلا . لا تمزح ، أرجوك لا تمزح . أود ان اقول لك . . . يسرني التحدث اليك ، فأنت طاهر ، بيد أنك قليل . . . قليل الاكتراث . . .

نيل : بماذا ؟

تاتيانا : بالناس . بي مثلاً .

نيل : هم . . . ليس بالجميع . . .

تاتيانا : بل بي . . .

نيل : أنت ؟ كذا (يجنحان الى الصمت . نيل يتفحص مقدمة حذائه . تاتيانا تشخص اليه منتظرة شيئاً ما .) أنت ترين ، فأنا . . . أنت . . . (تاتيانا على وشك ان تندفع اليه لكنه لا ينتبه اليها .) أنا . . . أحترمك جداً . . . وأحبك ولكنني لا أرى فيم ينبغي أن تكوني معلمة مدرسة . أنت لا تحبين عملك . انه يضجرك وينهك قواك . والتدريس عمل عظيم ! فالأطفال هم نساء المستقبل ورجاله . ويجب عليك أن تحبيهم وتعرفي قدرهم . يجب أن تحبي أي عمل اذا شئت أن تؤديه بصورة جيدة . خذيني مثلاً . . . أنا أحب أن أعمل في طرق الحديد . يفتنني أن أهوي بالمطرقة على

كتلة حمراء لا شكل لها من الحديد لاذعة خبيثة . . . فأجد متعة شديدة في الضرب عليهـــا ! تروح تنفث بصقات نارية لافحة محاولــة أن تعمي عيني وأن تطير من بين يدي . انها تتنفس ، انها حية ، مرنة ، وأنت تهوي بضرباتك القوية عليها ،وتصنع منهـا ما يحلو لك .

تاتيانا : يجب أن يكون المرء قوياً للقيام بهذا العمل .

نيل : وماهراً .

تاتيانا : اسمع يا نيل . . . ألا تشعر احياناً بالشفقة . . .

نيل : على من ؟

يلينا (وهي تدخل) : لم تتناولوا غداءكم بعد ، أليس كذلك ؟ حسن . أرجوكما ان تذهبا معي ! يجب أن تريا الكعكة التي خبزت ! أين المدّعي العام ؟ كعكة رائعة حقاً !

نيل (يقترب من يلينا) : أنا ذاهب ! لسوف ألتهم كعكتك الرائعة كلها . أنا أموت جوعاً ، وهم لا يعطونني مـا آكل عن قصد ! غضبوا مني لسبب أو آخر .

يلينا : هذا بسبب من لسانك ، فيما يخال لي . تعالـــي ، يا تانيا !

تاتيانا : ينبغي أن أخبر أمي أولاً . (تخرج .)

نيل : كيف عرفت أني أخرجت لساني للرجل العجوز ؟

يلينا : ماذا تقول ؟ لم أعرف شيئاً ! ماذا حدث ؟

نيل : في هذه الحال لن أخبرك شيئاً . أفضل ان تخبرينـــي عن كعكتك الرائعة .

يلينا : لسوف أعرف ما حدث هنا ! أما الكعكة – فقد علمني

صنعها سجين حكم بجريمة قتل . أجاز له زوجي المساعدة في المطبخ . كان رجلاً نحيلاً يثير الرثاء . . .

نيل : زوجك ؟

يلينا : ماذا تقول يا سيدي المحترم ! كان زوجي يبلغ ١٢ فيرشوك * طولاً ، فضلاً عن متر ونصف .

نيل : أكان فتى واطئاً بهذا القدر ؟

يلينا : صه ! وكان له شاربان بهذا الطول . (تشير بأصابعها .) ثلاثة فيرشوك طولاً في كل جانب . . .

نيل : أبداً لم أسمع من قبل عن مزايا انسان تقاس بفيرشوك !

يلينا : واأسفاه ! لم يكن له من مزايا غير شاربيه !

نيل : يا للحسرة ! واصلي حديثك عن الكعكة . . .

يلينا : كان السجين طاهياً ، وقد قتل زوجته . ولكني كنت معجبة به جداً . أنه قتلها ضمن ما . . .

نيل : ضمن ما كان يفعله . . . فاهم ذلك !

يلينا : أغرب عن وجهي ! لست أريد الحديث معك ! (تظهر تاتيانا عند المدخل تراقبهما . يدخل بيوتر من باب آخر .) أيها المدعي العام ! تعال ، وتذوّق كعكتي !

بيوتر : بمنتهى السرور !

نيل : عنفه والده اليوم لعدم اظهاره الاحترام الواجب .

بيوتر : أوه ، كفى !

---

* فيرشوك مقياس روسى قديم للطول وهو يساوي ٤,٤ سم . **الناشر** .

نيل : أنا مندهش كيف يجرؤ على زيارتك قبل الحصول على إذن أولاً .

بيوتر (ينظر الى باب غرفة والديه ويقول في عصبيـــة) : فلنذهب اذا كان ذلك مقررا !

تاتيانا : إسبقوني . سألحق بكم سريعاً . . .

(نيل وبيوتر ويلينا يخرجون . تتجه تاتيانا الى غرفتهـــا . يناديها صوت أكولينا ايفانوفنا من غرفة العجوزين في ذلك الوقت .)

أكولينا ايفانوفنا : تانيا !

تاتيانا (تقف وترفع كتفيها متضايقة) : ماذا ؟

أكولينا ايفانوفنا (عند المدخل) : تعالي ! (في شبه همس) هل ذهب بيتروشا * لرؤية تلك المرأة من جديد ؟

تاتيانا : أجل . وسأذهب بدوري .

أكولينا ايفانوفنا : بلوى ! ستوقعه هذه الطائشـــة في شباكها ! أحسّ بذلك في نخاعي ! هلاّ نصحت له ! أخبريه أن ينأى عنها . أخبريه انها ليست اهلاً له ! فهي لا تملك أكثر من ثلاثـــة آلاف وراتب زوجهـــا التقاعدي . أعرف ذلك حق المعرفة !

تاتيانا : لا تتدخلي في هذا الموضوع ، يا أماه ! فيلينا لا تبدي شيئاً من الاهتمام ببيوتر .

---

* اسم التدليل من بيوتر . **الناشر** .

أكولينا ايفانوفنا : انها تفعل ذلك عامدة ! عامدة أقول لك ! كيما تلهبه حباً ! انهـا شيطانة تتصنع عدم الاهتمام به ، ولكنها في الوقت ذاته تراقبه مثلما يراقب القط فأرة .

تاتيانا : أه ! وما علاقتي أنا بذلك ؟ ما شأني وذلـك ؟ أخبريه أنت اذا طاب لك ، لكن دعيني وشأني ! أنا متعبة ، أفلا ترين ذلك ؟

أكولينا ايفانوفنا : لا ضرورة أن تحدثيه الآن . استلقي ، يا عزيزتي ، واستريحي . . .

تاتيانا (في شبه صراخ) : لا مكان أستريح فيه ! انني متعبة حتى البقية الباقية من عمري . . . حتى البقية الباقية من عمري ! هل تسمعين ؟ متعبة منكم . متعبـة من كل شيء ! (تسرع الى باب المدخـل . تخطو أكولينـا ايفانوفنا خطوة وكأنها تود ايقافها ، ولكنهـا تأتي بيديها حركة يائسة ، وتقف في مكانها فاغرة فاهـا في حيرة .)

بيسيمينوف (يتطلع عبر الباب) : شجار جديد ؟

أكولينا ايفانوفنا (منتفضـة) : كلا . لا شـيء . . . لا شيء . . .

بيسيمينوف : فهي ماذا ؟ هل أغلظت لك في القول ؟

أكولينا ايفانوفنا (في عجلة) : كلا ! ما الذي يدفعك الى هذا الظن ؟ قلت ان الوقت حان لتناول الغداء ، وقالت انها لا تريد أن تأكل ، فسألتها لماذا ، فأجابت . . .

بيسيمينوف : أنت لا تقولين الحقيقة ، أيتها الأم .

أكولينا ايفانوفنا : ولكنني أقول الحقيقة ، فعلاً !

بيسيمينوف : يا للأكاذيب التي تروين في مصلحتهما ! أنظري في عينيّ . لا تستطيعين ، أليس كذلك ؟ آخ ! (تقف أكولينا ايفانوفنا صامتة امام زوجها مطرقة رأسها ، ويقف هو صامتاً يمسّد لحيته في تفكير . يزفر متنهداً .) أخطأنا حين علـّمناهما .

أكولينا ايفانوفنا (في لطف) : ليس الأمر هكذا ، أيها الأب ! فبسطاء الناس في هذه الأيام ليسوا أفضل من المثقفين . . .

بيسيمينوف : ليس من المناسب أن يعطي المرء أولاده أكثر مما حصل عليه هو نفسه . وأكثر ما يحزنني هو أنهما لا يملكان حزماً ولا أية شخصية . يجب على الانسان ان يملك شيئاً يجعله يختلف عن الآخرين . وهما لا يملكان مثل هذا الشيء . فليس لهما شخصية ! خذي نيل مثلاً – انه صفيق ، وغد ، ولكن له شخصيته ! انه خطير ، ولكنك تستطيعين فهمه . (يرسل زفرة عميقة .) يوم كنت يافعاً أحببت الاناشيد الكنسية كما أحببت أن أجمع الفطر من الغابات . فهل هنالك شيء يحبه بيوتر ؟

أكولينا ايفانوفنا (في تنهيدة خجلى) : لقد ذهب الى المرأة المستأجرة . . .

بيسيمينوف : هكذا اذن ! ويلها ! سأرينّها ! (يدخل تيتيريف يبدو عليه النعاس والتجهم أكثر من ذي قبل . يحمل في احدى يديه زجاجة من الفودكا ، وفى

الأخرى قدحاً .) عدت اليه من جديـــد ، يا تيرينتي خريسانفوفيتش ؟

تيتيريف : الليلة الماضية ، بعدما انتهت صلاة الغروب . . .

بيسيمينوف : ما السبب ؟

تيتيريف : ليس هناك سبب . هل سيجهز الغداء فوراً ؟

أكولينا ايفانوفنا : حالما أعد المائدة . (تشرع في اعدادها .)

بيسيمينوف : يا للأســـف الشديـــد ، يا تيرينتـــي خريسانفوفيتش . رجل ذكي مثلـــك يدمر نفســـه بالشراب !

تيتيريف : أنت على خطأ ، أيها البورجوازي المحترم جداً ! ليس الشراب ما يدمرني ، بل الافراط في الطاقة . قوة فائضة جداً – تلك مصيبتي !

بيسيمينوف : ليس هنالك قوة فائضة . . .

تيتيريف : تخطئ أيضاً ! القوة غير مفيدة في هذه الايـام . المكـر والاحتيـال هما المطلـــوب فـي هذه الأيام . المراوغة . على المرء أن يكون مراوغاً كالثعبان . (يشمر عن ساعديه عارضاً عضلاته .) أنظر الى هذا : ضربة واحدة وتتحطم المنضدة قطعاً صغيرة . لكن في الحياة ما من شيء أقوم به . في مقدوري أن أقطع الأخشاب بهذه اليد ، ولكنني عاجز عن الكتابة بها مثلاً ، ومن الحماقة أن أحاول ذلك . ماذا تراني فاعل بمثل هذه القوة العظيمة ؟ الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أفعله بها هو أن أعرضها في سيرك السوق – أرفع الاثقال واحطم السلاسل الحديد – الخ . . . لكنني كنت طالباً

مرة ، وطالباً متفوقاً – ولهذا طردوني من المعهـــد اللاهوتي . كنت طالباً ، وأنا لا أريد الآن أن انقلب الى مادة معروضة على الناس من أمثالك يحدقون فيها في رضى هادئ . أريد الجميــع أن يحدقــوا فيّ في اضطراب جيّاش . . .

بيسيمينوف : أنت رجل خبيث . . .

تيتيريف : الحيوانات في مثل حجمي لا تكون خبيثة – أنت لا تفقه شيئاً في علم الحيوان . الطبيعة شديدة الذكاء . فلو أضافت الى حجمي الكبير شيئاً من الشر ، فكيف يمكن أن تجد لنفسك مهرباً مني ؟

بيسيمينوف : لم أكن لأحاول ذلك . أنا في بيتي .

أكولينا ايفانوفنا : يفضل ان تصمت ، أيها الأب .

تيتيريف : صدقت ! أنت في بيتك . العالم بأسره هو بيتك . أشدته بنفسك . ولهذا فليس هنالك متسع لي فيه ، أيها البورجوازي المحترم جداً !

بيسيمينوف : انت تحيا عبثاً . . . لا فائدة منك . ولو كنت تريد . . .

تيتيريف : لا أريد ان أريد . فأنا أكره ذلك . وأجد أنه من الأفضل أن أشرب وأدمر نفسي عن أن أحيا وأعمل لك ولأمثالك ايها البرجوازي . أتستطيـع أن تتخيلني غير مخمور ، أنيق الملبس ، أخاطبك باللغة الذليلة التي يخاطبك بها خادمك المطيع ؟ كلا ، لا تستطيع . . . (تدلف بوليا الى الغرفة ، وحينما تقع عيناهـــا على تيتيريف تتقهقر متراجعة . يراها هو ، فيبتسم ابتسامة

عريضة ، ويهز رأسه ويمدّ لها يده) يا مرحباً ، لا يستبدنّ بك الخوف . لن أقول كلمـــة أخرى لأني أعرف كل شيء !

بوليا (مرتبكة) : ماذا ؟ لا يمكن أنك عرفت . . .

أكولينا ايفانوفنا : أنت ! اذهبي وقولي لستيبانيدا أن تحضر الحساء . . .

بيسيمينوف : حان الوقت . . . (الى تيتيريف) يؤنسني حقاً الاصغاء اليك وأنت تطلق أفكارك ، خاصة حين تكون هذه الأفكار عن نفسك . أنظر اليك – لابدّ لي مـــن القول انه مشهد مخيف ! حالما تشرع في التفاصح أميّز جميع نقاط الضعف فيك . . . (يقهقـــه في هدوء وحبور)

تيتيريف : أنت تروق لي أيضاً . فأنت نصف حصيف ونصف أحمـــق ، نصف طيب ونصف شرير ، نصف صادق ونصف كاذب ، نصف شجـــاع ونصف جبـــان . وباختصار ، أنت بورجوازي نموذجي ! وجدت فيـــك الحقارة تجسيداً مثاليـــاً ، وهي قوة ينحني أمامهـــا الابطال أنفسهم – قوة تعيش وتزدهر . . . فلنشربنْ اذن قبل حساء الملفوف ، أيها الخلد المحترم !

بيسيمينوف : رويدك ريثما يحضرونه . لكن ، فيـــم هذه الخشونة ؟ لا ينبغي أن تجرح شعور الناس من دون سبب . يجب أن تعبر عن رأيك في تواضع ولطف حتى يسعدهم الاصغاء اليك . فليس هنالك من يروقـــه

الاصغاء الى الاهانات ، ما لم يكن مغفلاً !

نيل (داخلاً) : هل جاءت بوليا ؟

تيتيريف (في ابتسامة مقتضبة) : جاءت . . .

أكولينا ايفانوفنا : وما شأنك بهذا ؟

نيل : (الى تيتيريف ، متجاهلاً سؤالها) : عدت اليه ثانية ؟ لقد أخذت تكثر منه . . .

تيتيريف : أن تشرب الفودكا أفضل من أن تشرب الدم البشري ، خاصة في هذه الآونة حيث أصبح الدم الانساني هزيلاً جداً ورديئاً جداً وعديم الطعم . الدم الثري الطيب صار قليلاً جداً . فقد امتصوه بأكمله . . .

(تدخل ستيبانيدا حاملة سلطانية الحساء ، وبوليا حاملة طبق اللحم)

نيل (يتجه الى بوليا) : مرحباً . هل جوابك جاهز ؟

بوليا (بصوت خافت) : ليس هنا ، أمام الجميع .

نيل :سخافة ! ممّ نخاف ؟

بيسيمينوف : عمّن تتحدث ؟

نيل : عني . وعنها .

أكولينا ايفانوفنا : ماذا هناك ؟

بيسيمينوف : لست أفهمك .

تيتيريف (في ضحكة مقتضبة) : أنا أفهم . (يصب لنفسه قدحاً من الفودكا ويشرع في الشراب .)

بيسيمينوف : ماذا هناك ؟ ماذا حدث ، يا بيلاغيا * ؟
بوليا (مرتبكة في صوت خافت) : لا شيء . . .
نيل (يجلس الى المائدة) : انه سر – لغز !
بيسيمينوف : ان كان سراً فامضيا وتهامسا به في احدى الزوايا ، وليس هنا أمام الجميع . تسخران منا في وجوهنا ! هذا يكفي ليطرد الانسان من بيته ! جميع هذه الاشارات السرية ، والهمسات ، والمؤامرات ، وأنا جالس هنا فاغراً فمي كالأبله . من تحسبني ، يا نيل ؟
أكولينا ايفانوفنا : حقاً ، يا نيل ، فالأمر . . .
نيل (في هدوء) : أنت والدي بالتبني . ولكن لا ضرورة للغضب وتهويل الأمور . فلم يحدث شيء خاص . . .
بوليا (ناهضة من المقعد الذي جلست عليه للتو) : نيل . . . فاسيلييفيتش . . . عرض عليّ . . . أخبرني الليلة الماضية . . . سألني . . .
بيسيمينوف : ماذا سألتها ؟ ماذا ؟
نيل (في هدوء) : لا تخيفها . . . سألتها ان كانت تقبلني زوجا . . .

(يحدق بيسيمينوف ، وقد توقفت ملعقته في الهواء ، في نيل وبوليا في دهشة وارتياب . وتتصلب أكولينا ايفانوفنا . يشخص تيتيريف في الفراغ وهو يطرف عينيه في بطء .

---

* الاسم الكامل لبوليا . **الناشر** .

ترتعش يده الموضوعة على ركبته ارتعاشاً متشنجاً . تنكس بوليا رأسها .)

نيل (مواصلاً حديثه) : وقالت انها ستعطيني الجواب هذا النهار . هذا كل شيء . . .

تيتيريف (ملوحاً بيده) : بسيط للغاية ، لا شيء غيره . . .

بيسيمينوف : هكذا . . . اذن . الأمر في الحقيقة بسيط جدا ! (في مرارة) وعصري جداً . . . على آخر طراز ! وبعد . ماذا أستطيع ان اقول !

أكولينا ايفانوفنا : انت كافر ! أنت شاب طائش ! كان يفضل ان تحدثنا عنه أولاً . . .

نيل (في أسى) : يا لها من زلة لسان !

بيسيمينوف : دعيه وشأنه ، أيتها الأم ! فهذا لا يعنينا في شيء ! تناولي غداءك ولا تقولي شيئاً . وأنا لن أقول شيئاً أيضاً . . .

تيتيريف (وقد انتشى سكراً) : أما أنا فسأقول . . . أو يفضل أن أمسك لساني حالياً . . .

بيسيمينوف : اجل . . . يحسن أن يمسك الجميع ألسنتهم . ولكنني لا أستطيع الامتناع عن القول انك تجحد بالخبز والملح ، يا نيل وبكل ما صنعت من اجلك . فأنت ، دائماً ، ترتب أمورك خلسة على هذا المنوال . . .

نيل : لقد سددت لك جميع ما صنعت من أجلي عن طريق العمل ، وسأتابع التسديد ، ولكني لا أرغب في الانحناء لرغباتك . أردت أن تزوجني تلك المرأة الغبية

المسماة سيدوفا لانها تملك بائنة قدرها عشرة آلاف روبل . فماذا أفعل بها ؟ أنا أحب بوليا . وقد أحببتها طويلاً ، ولم أحاول اخفاء ذلك . دائماً عشت صريحاً واضحاً وسأظل كذلك ، وليس لديك ما تلومني عليه وما تغضب عليّ بسببه .

بيسيمينوف (متحفظاً) : هكذا . هكذا ! عظيم . . . حسناً ، اذن ، اذهبا وتزوجا . ولن نقف في طريقكما . لكن ، لعلك تخبرنا على حساب من ستعيشان ؟ أخبرنا ان لم يكن ذلك سراً .

نيل :سنعمل . أنتقل الى الورشة . وهي . . . هي ستجد لنفسها عملاً ايضاً . ولسوف تظل أنت تتلقى مني ثلاثين روبلاً شهرياً مثلما كنت أدفع لك .

بيسيمينوف : ان غداً لناظره قريب . فما أسهل صرف الوعود !

نيل : خذ مني ايصالاً بذلك اذا رغبت . . .

تيتيريف : أيها البورجوازي ، خذ منه ايصالا ! خذه !

بيسيمينوف : ليس هنا أحد يطلب منك التدخل في هذا . . .

أكولينا ايفانوفنا : يا لك من ناصح رائع !

تيتيريف : خذه منه ، على أية حال ! لكنك لن تفعل – فضميرك واهن ، ولن تجرؤ على هذا . . . أعطه الايصال من تلقاء نفسك ، يا نيل ، واكتب فيه : اني ، الموقع أدناه ، أتعهد أن أدفع في كل شهر . . .

بيسيمينوف : أستطيع أن آخذه منه . ان لي الحق كما أظن ، فقد أطعمته وأسقيته ، وألبسته ، وأنعلته

منذ كان في العاشرة من عمره . وهو الآن في السابعة والعشرين . . . هكذا . . .

نيل : ألا يحسن أن نسوي حساباتنا فيما بعد ؟

بيسيمينوف : يمكن هذا . (منفجراً) لكن تذكر شيئاً واحداً ، يا نيل . من الآن فصاعداً أنت وأنا عدوان ! أبداً لن تغيب عن بالي هذه الاهانة — أبداً ، ليس في مقدوري ان أغفر لك الاهانة . تذكر ذلك !

نيل : أية اهانة ؟ لم تكن تنتظر في أن أتزوجك أنت ، أليس كذلك ؟

بيسيمينوف (وقد أثاره الغضب فلم يسمع ما قال نيل له) : تذكر ! تسخر على هذا الغرار ممن أطعمك وأسقاك ! وتعمل في السر . حتى دون أن تسأل وتشاور (الى بوليا) وأنت ! أنت الوديعة الصغيرة الهادئة ! فيم تنكسين رأسك ؟ ليس لديك ما تقولين ؟ ما ؟ أتعرفين انني استطيع ان افعل بك ما . . .

نيل (ناهضاً) : لا تستطيع أن تفعل بها شيئاً ! كفّ عن الصراخ ! انا السيد في هذا البيت أيضاً . طوال عشر سنوات ظللت أعمل وأعطيك أجري كله . كثيراً من عملي وضعت هنا ! (يدق بقدمه على الأرض ويشير الى الجدران حوله بحركة واسعة من ذراعه .) الانسان الذي يعمل هو السيّد . . .

(خلال حديث نيل تنهض بوليا وتخرج . تلتقي بيوتر وتاتيانا عند المدخل . يتطلع بيوتر الى الغرفة ويختفي ، وتقف تاتيانا مستندة الى دعامة الباب .)

بيسيمينوف (يحملـــق في نيل بعينين) : ما هذا ؟ أنت ، السيد ؟

أكولينا ايفانوفنا : تعال ، أيها الأب . هيا بنا من فضلك ! (تهز قبضتها في وجه نيل .) ويلك ، يا نيل ! (باكية) ستحصل على ما كنت تبحث عنه !

نيل (في اصرار) : الانسان الذي يعمل هو السيد ، فلا تنس ذلك !

أكولينا ايفانوفنا (تحاول أن تسحب زوجها وراءها) : تعال ، أيها العجوز ، تعال ! ليسامحهم الله . لا تتكلم ، ولا تصرخ ، فليس ثمة من يصغي الينا .

بيسيمينوف (يستسلم لها) : حسناً ! ابق هنا ايها السيد ! سنرى من هو السيد ! سنرى !

(يدخل بيسيمينوف وزوجته الى غرفتهما . يتمشى نيـــل في الغرفة مضطرباً . في مكان بعيد في الشارع يرتفع صوت أرغن يدوي)

نيل : هذا أنا فعلتها ! أي شيطان دفعني الى فتح فمـــي لأسألها ، أنا الغبي ! لا أقوى أبداً على أن أضغط سري في جوانحي — فكل شيء يزل عن لساني رغمـاً عني ! يا للاسف . . .

تيتيريف : لا بأس ! مشهد صغير يبعث على الاهتمام الكبير ، استفزني السرور مما راقبت وسمعت . شيء لا بأس به ! لا تقلق ، أيها الاخ ! فأنت موهوب . في مقدورك ان تلعب دور البطل . والأبطال مطلوبون في اللحظـــة

الراهنة . صدقني ! في زماننا يجب تقسيم الناس جميعاً الى طبقتين : الأبطال ، يعني الحمقى ، والأنذال ، يعني الاذكياء . . .

نيل : لماذا الزمت بوليا بمثل هذا المشهد المقرف ؟ لقد أرعبتها فيما يتراءى لي . بيد أنها ليست ممن يرتعبون بسهولة . هي أكثر استعداداً للغضب . . . تفو !

(حينما تسمع تاتيانا ، وقد وقفت عند المدخل ، اسم بوليا تصيبها رعشة . يكف الارغن اليدوي عن ارسال ألحانه .)

تيتيريف : سهل جداً أن تقسم الناس الى حمقى وأوغاد . فالعالم يعج بأوغاد لا حصر لهم ! وأذهانهم تعمل مثل أذهان الحيوانات يا أخي ! فهم لا يعرفون غير القوة – قوة ليست من صنف قوتي أنا – ليست القوة التي في صدري أو ذراعي ، لكن قوة الدهاء . . . فذهن الحيوان مكر كله .

نيل (دون أن ينصت اليه) : علينا الآن أن نسرع بيوم الزواج . فهذا أفضل . هي لم تعطني جوابها بعد ، ولكني أعرفه سلفاً ، فهي حبيبتي العزيزة ! لكم أكره هذا الرجل ! وهذا البيت ! والحياة هنا – المتعفنة حتى مخ عظامها ! جميع الناس الذين يعيشون هنا غير طبيعيين . أنهم لا يشعرون أنهم ، هم أنفسهم ، من جعلوا الحياة على ما هي عليه – جعلوها مقتصرة على التفاهات ، جعلوها سجناً ، عذاباً ، لعنة . وكيف

صنعوها على هذا الغرار شيء يفوق ادراكي ، ولكنني أمقت كل مَنْ يفسد الحياة . . .

(تقوم تاتيانا بخطوة واحدة الى الأمام . تتوقف ثم تتجه دون أن يندّ عنها صوت الى الصندوق فتجلس على زاويته . تتكوّر على نفسها ، فتبدو صغيرة وأكثر مدعاة للشفقة منها في أى وقت مضى .)

تيتيريف : الحمقى هم الذين يجعلون الحياة اكثر جمالاً . وهم ليسوا كثيرين ، وما يبحثون عنه لا يبحثون عنه من أجل أنفسهم فقط ، بل في الغالب من اجل الآخرين . وهم مغرمون بالتفكير في مشروعات تحقق السعادة العامة وغير ذلك من الهراء . وهم يحاولون أن يكتشفوا بدايات الأشياء ونهاياتها . وبكلمة واحدة : هم يقومون بحماقات . . .

نيل : (متأملاً) : نعم ، حماقات ! أنا أقوم بحماقات كثيرة . . . . وهي أكثر رشداً مني . وهي ، أيضاً ، تحب الحياة ، ولكن حبها من نوع هادئ ساكن . ستكون حياتنا معاً رائعة ، هي وأنا . كلانا شجاع ، وحين نريد شيئاً نحققه من دون ريب . وهي تذكرني بـ . . . طفل وليد . (يضحك .) ستكون حياتنا معاً رائعة ، هي وأنا !

تيتيريف : الأحمق يقضي حياته بأسرها يتساءل ما الذي يجعل الزجاج شفافاً ، لكن الوغد يأخذ الزجاج ويصنع منه زجاجة . . .

(يتردد من جديـــد صوت الارغن اليدوي ، قريباً جداً هذه المرة ، يكاد أن يكون تحت النافذة .)

نيل : ذهنك لا تشغله غير الزجاجات !

تيتيريف : لا ، بل الحمقى . فالأحمق يتساءل أين تكون النار قبل أن تشتعـــل ، أين تذهب حين تنطفئ ، ولكن الوغد يجلس الى جانب النار يتدفأ . . .

نيل (مستغرقاً في التفكير) : اجل . . . يتدفأ . . .

تيتيريف : وفي الواقع فان كلاً منهما أحمق ، لكن حماقـــة أحدهما جميلة وبطولية ، بينا حماقة الآخر دنيئـــة حقيرة . وطريق كل منهمـــا تختلف عن طريق الآخر ، ولكن الطريقين تؤديان الى مكان واحد : القبر . ليس غير القبر ، يا صديقي . . . (يضحك . تهزّ تاتيانـــا رأسها بهدوء .)

نيل (الى تيتيريف) : ماذا أصابك ؟

تيتيريف : أنا أضحك . . . الحمقـــى الذين يبقون أحياء ينظرون الى أخيهم الميت ويسألون أنفسهم أين تراه رحل . أما الأوغاد فيرثون أملاك المرحوم ببساطـــة ويواصلون حياتهم الدافئة المريحـــة الشبعى . . . (يضحك .)

نيل : لقد سكرت حقاً . أفلا يحسن أن تذهب الى غرفتك ؟

تيتيريف : غرفتي ؟ ليس لي غرفة .

نيل : كفّ عن الحماقة . هل أوصلك اليها ؟

تيتيريف : لن تكون مساعدتي في مقدورك ، يا صديقي . فأنا

لا أنتسب الى المتهِمين ولا الى المتهَمين . أنا صنف نسيج وحدي . أنا الدليل المادي على الجريمة ! لقـــد فسدت الحياة ! فهي رسن سيئ صغير جداً بالنسبة الى اللائقين من الناس . برجوازيوك الصغار تبروهـــا واغتصبوها ، وغدت الآن ضيقة ضيقة . وهذا أنا ، الدليل المادي على حقيقة أن الرجل اللائق لا مكان لديه يعيش فيه ، وليس لديـــــه ما يعيش به أو مـــن أجله . . .

نيل : تعال ، تعال !

تيتيريف : ارفع يديك عني ! أتخاف أن أتهاوى ؟ لقد هويت منذ زمن بعيد ، أيها الاحمق ! وكنت على وشك النضال للوقوف على قدميّ من جديد ، ولكنك جئتني ، ودون قصد منك صرعتني من جديد ! دون ان تلاحظ هذا . لا بأس ! سر ! تابع خطواتك . فأنا لا أشكو . . . أنت معافى وقوي ، وتملك الحق في الذهاب الى حيث تريد . أما أنا ، الساقط ، فأتبعك بنظرة تشجيع . تابع طريقك !

نيل : عمّ تهذي ؟ يبدو لي هذيانـــك باعثاً على الاهتمام ، ولكني لا أميز له رأساً من ذنب .

تيتيريف : لا تحاول ! ليس الحاجة في ذلك ! من المستحسن ألا تستوعب بعض الأمور . فاستيعابهـــا لا قيمـــة له . . . سر ! تابع سبيلك !

نيل : حسناً ، سأذهب . (يخرج الى باب المدخـــل دون أن يلحظ تاتيانا التي تكورت في الزاوية .) .

تيتيريف : (ينحني له) : أطيب تمنياتي ، أيها اللص ! لقد سرقتني آخر أمل دون أن تدري . فليأخذه الشيطان ! (يتجه الى المنضدة حيث ترك زجاجته ، وفي هذه الأثناء يقع نطره على تاتيانا) ومن يمكن أن تكون هذه ؟

تاتيانا (في عذوبة) : أنا . . .

(يكف الأرغن اليدوي عن العزف فجأة)

تيتيريف : أنت ؟ هـــم . . . وقـــد خطر لي . . . خيّل اليّ . . .

تاتيانا : لا ، بل أنا . . .

تيتيريف : مفهوم . لكن . . . لماذا أنت ؟ ولماذا هنا ؟

تاتيانا (في عذوبة ، لكن في صوت واضح المقاطع) : لأنـــه ليس لدي مكان أعيش فيه ، وما أعيش به او مـــا أعيش من أجله . . . (يتجه تيتيريف اليها متمهـــلاً وفي صمت .) لست أدري لماذا أنا متعبـــة حتى هذه الدرجة ولماذا أشعر بالضجر حتى اليأس ! ان لي من العمر ثمانيـــة وعشرين عاماً فحسب . وأنـــا أشعر بالخجل – أشعر بخجل مخيف – لأنني ضعيفة وتافهة . أحسّ بالخواء في داخلي ، فكل شيء قد جفّ ، احترق في قلبي ، وصار مؤلماً جداً . لم ألحظ قط كيف حصل ذلك – كيف جاء هذا الخواء وسيطر عليّ . لكن ، فيم أقول لك هذا ؟

تيتيريف : لست افهم . . . فأنا جد سكران . . . لا أفهمك

على الاطلاق . . .

تاتيانا : لا أحد يحدثني كما أشتهي . بالأسلوب الذي أشتهي ان يحدثوني به . رجوت أن يفعل هو ذلك . وانتظرت زمناً طويلاً – دون أن أفوه بحرف واحد . وجاءت اثناء ذلك هذه المشاجرات كلها ، والتفاهات ، والحقارات والمضايقات – فخنقني ذلـك كله . سحقني تماماً . شيئاً بعد شيء . والآن لا أملك القدرة على الاستمرار بالعيش . حتى انه لا يوجد في يأسي شيء من قوة . أنا خائفة . الآن – على حين فجأة – أنا خائفة .

تيتريف (يهز رأسه ، يبتعد عنها ناحية الباب ، وحين يفتحه يلتفت اليها ويقول بلسان ثقيل) : اللعنـــة على هذا البيت ! لا شيء غير اللعنة . . .

(تنهض تاتيانا وتسير متماهلة الى غرفتهـــا . يبقى المسرح ساكناً خاوياً برهة من زمن . تدخل بوليا بخطوات سريعة غير مسموعة يتبعها نيل . يمضيان الى النافذة صامتين ، فيمسك لها نيل يدها ويخاطبها في صوت خافت)

نيل : اغفري لي ما حدث هذا النهار . كان ذلك مني حماقة وجنوناً . فأنا لا أعرف كيف أطبق فمي وأنا الراغب في الكلام !

بوليا (في صوت شبـــه مهموس) : الأمر سيان . . . الامر سيان حالياً ! ماذا يعنيني منهم ؟ الآمر سيان بالنسبة اليّ . . .

نيل : أعرف أنك تحبينني . أرى ذلك . بل لن أسألك . أنت مضحكة جداً ! قلت البارحة : سأخبرك في الغداة ، يجب أن أتروّى في الأمر ! أنت مضحكة جداً ! فيم ستتروّين ، ترى ؟ أنت تحبينني ، أليس كذلك ؟

بوليا : نعم ، نعم ! أحببتك منذ زمن طويل !

(تتسلل تاتيانا من باب غرفتها وتقف وراء الستار متنصتة .)

نيل : ستكون حياتنا رائعة معاً ، سترين ! أنت رفيق طيب جداً – لا تخشين الفقر – وتتغلبين على مصاعبك دائماً . . .

بوليا (في بساطة) : ممّ أخاف وأنا معك ؟ حتى لوحدي لست ضعيفة . أنا هادئة فقط .

نيل : وعنيدة . أنت قوية ، ليس من يقوى عليك . حسناً ، أنا سعيد . عرفت أن الأمر سيكون على هذا الغرار ، وأنا سعيد الى أبعد الحدود !

بوليا : عرفت ذلك ، أنا أيضاً .

نيل : حقاً ؟ عرفته حقاً ؟ جيداً . . . نعمة هي الحياة ، أليس كذلك ؟

بوليا : أجل ، يا صديقي العزيز . انها لكذلك ، يا رجلي الطيب .

نيل : ما أروع كلماتك . . . ما أجمل وقعها على الأذن !

بوليا : لا اطراءات من فضلك . لكن يجب أن نذهب . يجب ان نذهب . قد يأتي أحدهم . . .

نيل : فليأتوا جميعاً .

بوليا : لا ، لا ، يجب أن نذهب ! تعال ، قبلني مرة أخرى ! (يقبلها ، ثم تتخلص من بين ذراعيه وتركض مجتازة تاتيانا دون أن تلمحها . ولكن نيل ، الذي يتبعهـــا وابتسامة على شفتيه ، يشاهدهـــا فيتوقف مذهولاً متضايقاً . تشخص اليه في صمت بعينين ميتتين ، وعلى شفتيها بسمة صغيرة شوهاء)

نيل (في احتقار) : تتنصتين ؟ تختلسين النظر من ثقب الباب ؟ تباً لك ! (يخرج مسرعاً . تبقى تاتيانا واقفـــة كمن تحوّل حجراً . يترك نيل باب المدخل مفتوحاً ، فيتسرب منه صوت بيسيمينوف الخشن قائلاً : «ستيبانيدا ! من دلق هذا الفحم ؟ أعمياء أنت ؟ اجمعيه !»)

ستار

الفصل الثالث

(الغرفة ذاتها)

الوقت صباحاً . ستيبانيدا تمسح الغبار عن الاثاث .

أكولينا ايفانوفنا (تغسل ادوات الشاي) : ليس ثمة كثرة من الدهن في لحم هذا النهار ، فخذيه من لحم البارحة المشوي وضعيه في حساء الملفوف . هذا يخلع عليه مظهراً جيداً ويبدو دسماً ، أتسمعين ؟

ستيبانيدا : أسـ . . . .مع .

أكولينا إيفانوفنا : وعندما تقلين لحم العجل لا تسرفي في الزبدة . فقد ابتعت خمسة ارطال يوم الأربعاء ، والبارحة وجدت أنه ما تبقى إلا اقل من رطل . . .

ستيبانيدا : واذن فقد استهلكت . . .

أكولينا ايفانوفنا : اعلم انها استهلكت . فاني أرى كمية كبرى منها على شعرك . انه مترع مثل صفيحة القطران عند الفلاح . . .

ستيبانيدا : أبداً . فأنا أدهن شعري بزيت قنديل الايقونات – ألا تشمين رائحته ؟

أكولينا إيفانوفنا : كفى ! (صمت) إلى أين ارسلتك تاتيانا هذا الصباح ؟

ستيبانيدا : إلى الصيدلية لشراء قليل من ماء النشادر .

قالت اشتري لي بما يعادل عشرين كوبيكاً . . .

أكولينا إيفانوفنا : أعتقد أن الصداع عاودهـــا . (تتنهـد) فهي تمرض دائماً . . .

ستيبانيدا : زوجوها . . . فسرعان ما تشفى إذن . . .

أكولينا إيفانوفنا : ليس من السهل أن تزوجي بناتـــك في هذه الأيام – خاصة المثقفات منهن . . .

ستيبانيدا : قدمي لها بائنة كبيرة فيأخذهـــا رجـــل ما ، وبثقافتها . . .

(يطل رأس بيوتر لحظة من باب غرفته ثم يختفي)

أكولينا إيفانوفنا : لن أرى ذلك اليوم السعيد . . . فتانيا لا ترغب في الزواج . . .

ستيبانيدا : أنها لراغبة . . . كيف لا ترغب وهي في مثل هذه السن ؟

أكولينا إيفانوفنا (زافرة) : اوخ . . خ . . . من كان لدى تلك المرأة في الطابق الأعلى ليلة البارحة ؟

ستيبانيدا : المعلم . . . الأحمر الشعر .

أكولينا إيفانوفنا : هذا الذي هربت منه زوجته ؟

ستيبانيدا : هو بالذات ! ثم ذلك المحصّل – النحيل الأصفر الوجه . . .

أكولينا إيفانوفنا : أعرفه ! إنه زوج أبنة أخي بيمينوف ، التاجر . وهو مريض بالسل .

ستيبانيدا : هكذا . . . يبدو عليه ذلك . . .

أكولينا إيفانوفنا : وهل كان مرتل الجوقة هنالك ؟
ستيبانيدا : أجل ، وكان بيوتر فاسيلييفيتش هنالك . ظلّ مرتل الجوقة ينشد اغنياته . . . ويرفع عقيرته حتى الساعة الثانية صباحاً . كان يخور مثل الثور .
أكولينا إيفانوفنا : ومتى رجع بيتيا ؟
ستيبانيدا : كان النور قد انبلج حين فتحتُ له الباب .
أكولينا إيفانوفنا : اوخ ! اوخ !
بيوتر (داخلاً) : أسرعي ، يا ستيبانيدا ، أنهي ما تفعلين واخرجي . . .
ستيبانيدا : سأنهيه حالاً . . . انا نفسي راغبة ان أنهيه بأسرع وقت . . .
بيوتر : إذن أقلي من الثرثرة واكثري من العمل . . . (تبربر ستيبانيدا وتخرج .) أماه ! كم مرة ابتهلت إليك ان تقللي من حديثك معها . لا يجدر بك أن تفعلي ذلك – تناقشين شؤونك الخاصة مع الطاهية . . . وتسألينها عن . . . عن . . . مختلف الأمور ! لا يليق بك ان تفعلي ذلك ! فهل تفهمين هذا اخيراً ؟
أكولينا إيفانوفنا (متضايقة) : وهل يتعيَّن عليّ أن أسألك مع من أستطيع أن أتحدث ؟ إذا كان ابني لا يريد أن يحدثني ، أو يحدث والده أيضاً ، فلا بأس في أن أتحدث مع الطاهية . . .
بيوتر : لكن ، ألا ترين أنها ليست لك نداً ؟ فأنت لن تسمعين من فمها غير الأقاويل !

أكولينا إيفانوفنا : وماذا تراني أسمع منك ؟ لقد مرّ على وجودك في البيت ستة أشهر حتى الآن ، ولم تمض منها ساعة واحدة مع أمك . لم تخبرها كلمة واحدة عن موسكو ، أو عن اموركِ فيها . . .

بيوتر : لكن ، اسمعي . . .

أكولينا إيفانوفنا : وإذا تحدثت ، فكلامك يؤلمني جداً . . . أنا لا أسمع منك غير «لا تفعلي هذا» و«لا تفعلي ذاك» . أنت تعلّم وتوبخ وتسخر من أمك المسكينة وكأنها تلميذة ! (يلوح بيوتر بيده في يأس ويخرج بسرعة الى باب المدخل . تصرخ أكولينا إيفانوفنا في إثره .) أرأيت ؟ كم كان حديثك قصيراً ! (تنشج ، وتمسح عينيها بطرف مئزرها .)

بيرتشيخين (يدخل الغرفة مرتدياً معطفاً قصيراً ممزقاً شُدَّ من وسطه بقطعة من حبل ، تبرز من ثقوبه قطع من القطن القذر . ينتعل صندلاً من لحاء الشجر ، ويضع على رأسه قبعة من الفراء .) : ما الذي يبكيك ؟ أقال بيتروخا شيئاً يؤلمك ؟ لقد مرق بجواري مثل طائر الخطّاف . بل لم يقل لي كيف حالك ! هل ابنتي بوليا هنا ؟

أكولينا إيفانوفنا (زافرة) : هي في المطبخ تقطع الملفوف . . .

بيرتشيخين : ما أروع النظام وسط الطيور ! ما أن تنبت أرياش صغارها حتى تطير حيثما تشاء من دون أي وعظ من أبويها . ألم تبق لي جرعة من الشاي ؟

أكولينا إيفانوفنا : وأنت تسلك سلوك الطيور في حياتك ، أليس كذلك ؟

بيرتشيخين : بالضبط ! وما أروع ذلك ! أنا لا أملك شيئاً ولا أقف في طريق أحد . كما لو كنت أعيش في الهواء بدلاً من أن أمشي على الأرض .

أكولينا إيفانوفنا (في احتقار) : ولذلك لا يكنُّ لك الناس أي احترام . خذ شايك . . . إشرب . . . ولكنه بارد ، وخفيف بعض الشيء . . .

بيرتشيخين (يحمل القدح صوب الضوء) : خفيف . ولكننا نقدم شكرنا لكل شيء صغير ! لو أنه كان ثقيلاً فقد يستنفد قواي . أما بخصوص احترام الناس – فانا لا أرجوهم ان يحترموني . . . أنا لا أحترم احداً بدوري . . .

أكولينا إيفانوفنا : ومن ذا يحتاج إلى احترامك أنت ؟ لا احد . . .

بيرتشيخين : عظيم ! لقد رأيت أن الناس ، وهم يحصلون على خبزهم اليومي على الأرض ، يتخاطفونه من أفواه بعضهم بعضاً . أما طعامي أنا فأحصل عليه من فوق ، من الهواء ، من الطيور السماوية ، فان شغلي لنقي !

أكولينا إيفانوفنا : حسناً ، هل سيتم الزفاف قريباً ؟

بيرتشيخين : زفاف من ؟ زفافي ؟ الوقوقة التي يمكن أن تكون شريك حياتي لا تطير إلى غاباتنا بعد ، تلك المحتالة ! يبدو لي انها تحضر بعد فوات الأوان : وسوف أموت قبل أن تصل إلى هنا . . .

اكولينا ايفانوفنا : كفى هراء واخبرني صراحة : متى تزفها ؟
بيرتشيخين : أزفُّ من ؟
أكولينا إيفانوفنا : ابنتك ! وكأنك لا تعلم !
بيرتشيخين : ابنتي ؟ حينما يطيب لها ، إذا كان لديها إنسان أزفها اليه . . .
أكولينا إيفانوفنا : أكانا يخططان لذلك من طويل زمن ؟
بيرتشيخين : ماذا ؟ من ؟
أكولينا إيفانوفنا : دعك من المراوغــة ! لا ريبة أنهــــا أخبرتك . . .
بيرتشيخين : تخبرني بماذا ؟
أكولينا إيفانوفنا : بالزفاف . . .
بيرتشيخين : زفاف مَنْ ؟
أكولينا إيفانوفنا : تباً لك ! رجل عجوز مثلك يجب أن يخجل من تمثيل دور الأبله !
بيرتشيخين : مهلك ! لا تغضبي . . . ماذا يدور في خلدك ؟
أكولينا إيفانوفنا : ليست لي رغبة في الحديث معك . . .
بيرتشيخين : لكنك تتحدثين ، وتفعلين ذلك منذ فترة طويلة دون أن توضحي الأمور . . .
أكولينا إيفانوفنا (في جفوة وحسد) : متى تزف بيلاغيــا إلى نيل ؟
بيرتشيخين (يشب مشدوهاً) : ماذا ؟ بوليا إلى نيل ؟ أصحيح هذا ؟
أكولينا إيفانوفنا : أتعني حقاً أنها لم تخبرك ؟ شباب شطار ! حتى والدها !

بيرتشيخين (جذلان) : هل أنت جادة ؟ لا ريب أنك تمزحين ؟ نيل ؟ لله در الأمور ! أهذا صحيح فعلاً ؟ يا للنسناسين ! يا لبوليا من فتاة ! لكن ، أواثقة أنت أنك لا تخدعينني ؟ عظيم ! وكنت أنا أقول في نفسي إن نيل ينوي الزواج من تاتيانا . وربي ! كل الأمور كانت تدل على ذلك . . .

أكولينا إيفانوفنا (في غضب) : وكأننا نزوج تاتيانا من نيل ! نحن لا نحتاج الى هذا المشاكس . . .

بيرتشيخين : نيل ؟ ماذا تقولين ! لو كان لدي عشر بنات لأغمضت عيني وأعطيتهن جميعاً لنيل ! نيل ؟ وهو . . . وهو قادر وحده على أن يطعم مائة فم ! نيل ؟ هُوْ ، هُوْ !

أكولينا إيفانوفنا (ساخرة) : حين أنظر اليك اقول في نفسي : يا لهذا الحمو الذي سيحصل نيل عليه ! انه لحمو لطيف جداً !

بيرتشيخين : حمو ! هُوْ ، هُوْ ! هذا الحمو لا يريد أن يكون عالة عليه أو على أي كان ! ان ساقيّ ترقصان من ذاتهما ! أنا الآونة حرّ مثل عصفور ! سوف أحيا الآن على هواي ! ولن تقع عين أحد عليّ من الآن فصاعداً ! وسأطيرنّ إلى الغابات — وداعاً ، أيها الناس جميعاً ! يا لبوليا من فتاة ! حدث ان كنت أفكر أحياناً : ماذا سيكون مصير ابنتي ؟ وكان ذلك يؤلمني ، يؤلمني حقاً . لقد أنجبتها الى هذا العالم ، وهذا كل ما استطعت أن أمنحها إياه ! أما الآن ؟ الآن أذهب حيثما يروقني !

أذهب إلى آخر الأرض أبحث عن طائر النار !

أكولينا إيفانوفنا : إلى حيث تذهب ؟ الناس لا يديرون حين يعترض الحظ سبيلهم . . .

بيرتشيخين : الحظ ؟ أفضل حظ يمكن أن أحصل عليه هو أن أذهب حيثما يروقني . . . ولسوف تكون بوليا سعيدة . لا ريب أنها ستكون سعيدة ! مع نيل ؟ يا للفتى القوي المرح البسيط ! عقلي يثب من الغبطة وقلبي تغني فيه القبرات ! هل عرفت الدنيا عجوزاً محظوظاً مثلي ؟ (يضرب بالقدم على الارض كأنه يرقص) ترا - لا - لا ! ترا - لا - لا ! لقد حصلت بوليا على نيل ، هورّاه !

بيسيمينوف (يدخل الغرفة . لا يبرح مرتدياً معطفه وحاملاً قبعته في يده .) سكرت مرة أخرى !

بيرتشيخين : سكرت من الفرحة ! أسمعت عن بيلاغيا ؟ (يضحك جذلان .) لسوف تتزوج من نيل ! ها ؟ رائع ، أليس كذلك ؟

بيسيمينوف (في قسوة وبرودة) : هذا لا يعنينا . . . سنأخذ ما يخصنا ، على أية حال . . .

بيرتشيخين : وكنت أحسب دائماً أن نيل راغب في الزواج من تاتيانا . . .

بيسيمينوف : م . . . اذ . . ا ؟

بيرتشيخين : وحق الله ! كان واضحاً أن تاتيانا كانت تسعى إلى ذلك - كانت تنظر اليه بالعين الواحدة مرة . . وبالعين الثانية مرة أخرى - أنت تعرف كيف

يفعلن ذلك على العموم . . وما شابه ذلك . . ما ؟
ثم على حين فجأة . . .

بيسيمينوف (في هدوء وفي حقد) : إليك ما سأعالنك بـه ، أيها الرجل الطيب : قد تكون أحمق ، ولكن الوقت قد حان لتفهم أنه من المخزي أن تقول مثل هذه الأشياء عن فتاة . هذا أولاً . (يرفع صوته شيئاً فشيئاً اثناء كلامه .) لا يهمني أبداً إلى من تتطلع ابنتك ، أو كيف تتطلع إليه ، او مَنْ يتطلع اليها وكيف ، أو أي صنف من الفتيات هي ، ولكنني أقول شيئاً واحداً : إذا تزوجت نيل فلا ردّها الله ، لأنه لا فائدة من أي منهما ، ومن الآن فصاعداً سأبصق عليهما معاً ، رغم أن كلاً منهما غارق حتى ركبتيه في الدين لي . وهذا ثانياً . واليك آخر شيء : قد تجمعنا ، أنا وأنت ، قرابة بعيدة ، لكن أنظر إلى نفسك – فمن أنت ؟ متشرّد ، هذه هي حالك ! من أذن لك أن تدخل الى غرفة نظيفة وأنت في هذه الحال ؟ في هذه الخرق المهلهلة ، والصندل الفلاحي ؟

بيرتشيخين : ماذا دهاك ، يا فاسيلي فاسيلييفيتش ؟ ماذا تقول يا أخ ؟ أهي المرة الأولى التي أجيء فيها إلى هنا بهذه الحال ؟

بيسيمينوف : أنا لم أحص عدد هذه المرات ، وليس في نيتي أن أفعل ذلك . ولكني أعرف شيئاً واحداً : أنت لا تحترم رب هذا البيت إذا جئت إلى هنا على هذا الغرار . مرة أخرى أقول مَنْ أنت ؟ شحاذ ، لا شيء ، خرقة

مهلهلة . . . أسمعتَ ما اقول ؟ هذا ثالثاً : واخيراً : اخرج من هنا !

بيرتشيخين (مذهولاً) : فاسيلـــــــي فاسيلييفيتش ! ماذا فعلتُ ؟ ماذا . . .

بيسيمينوف : أخرج من هنا ! ولا تحاول ان تلفّ . . .

بيرتشيخين : أفق لنفسك ! فأنا لم أؤذ . . .

بيسيمينوف : حقاً ؟ ! أخرج قبل أن . . .

بيرتشيخين (في أسف ولوم ، وهو يخرج) : أوه ، أيهـــا العجوز ! إني اشفق عليك حقاً ! وداعاً !

(يشد بيسيمينوف قامته ويذرع أرض الغرفة صامتاً متجهم الوجه في خطوات قاسية ثقيلة . تراقبه أكولينا إيفانوفنـــا خلسة وهي تغسل آنية الشاي . ترتعش يداها وتهمهم بينها وبين نفسها)

بيسيمينوف : بماذا تهمسين ؟ رقية ؟

أكولينا إيفانوفنا : انني أصلي ، أيها الأب ، أصلي . . .

بيسيمينوف : إسمعي . . . يبدو أني لن أصبح رئيساً * هذه المرة ! يبدو ذلك واضحاً ، عليهم اللعنة !

أكولينا إيفانوفنا : ما هذا ؟ يا إلهي ، كيف يكون ذلــك ؟ لماذا ؟ لعلك . . .

بيسيمينوف : لعليّ ماذا ؟ ان فيدكا دوسيكين ، كبير جمعية

---

* المقصود هنا رئيس اتحاد الحرفيين . **الناشر** .

صانعي الأقفال ، يسعى إلى أن يكون الرئيس . ذلك الولد المغرور ! ذلك الجرو !

أكولينا إيفانوفنا : قد لا ينتخبونه . لا تبتئس بعد . . .

بيسيمينوف : لسوف ينتخبونه . واضح أنهم سيفعلون . حين وصلت إلى هنالك كان جالساً في مجلس الادارة يتشدق ويقول : الأيام صعبة . ويقول : جميعنا ينبغي أن نتكاتف . ويقول : كل شيء يجب أن نقوم به نحن جميعاً ، التعاونيات ، هذا ما يجب أن نفعل . ويقول : وهذه المصانع التي تسيطر على السوق . نحن الحرفيين لا يمكن أن نعمل فرادى . ولكنني قلت : اليهود هم سبب البلاء ! اليهود هم الذين يجب أن نحدّ من نشاطهم ! يجب أن نقدم شكوى ضدهم إلى المحافظ . . . نخبره فيها كيف يضيقون الخناق علينا نحن الروس ، ونطلب إليه أن يعمل على طردهم . (تفتح تاتيانا الباب في هدوء وتترنح في طريقها إلى غرفتها .) فابتسم دوسيكين ابتسامته تلك ، وقال : وماذا نفعل بأولئك الروس الذين هم أسوأ من اليهود ؟ واتضح لي من كلماته الحذرة المختلفة أنه كان يغمز من قناتي . تظاهرت أني لم أفهم ، لكني تبينت قصده جيداً ، ابن الحرام ! أصغيت قليلاً ، ثم تنحيت جانباً . وهمست في نفسي : رويدك فحسب ! سأردُّ لك الصاع صاعين ! وعندها جاءني ميخائيل كريوكوف صانع الأفران ، وقال : يبدو أن دوسيكين سوف يصير الرئيس ، وصرف عني نظرته خجلان . كنت على

وشك ان اقول له : ماذا تفعل يا يهوذا الاحول !

يلينا (تدخل الغرفــة) : صباحك سعيد ، يا فاسيلـــي فاسيليييفيتش ! صباحك سعيد ، يا أكولينا إيفانوفنا !

بيسيمينوف (في برودة) : آه ، هذه أنت ؟ أدخلي . مـــا وراءك ؟

يلينا : جئت أدفع أجرة غرفتي .

بيسيمينوف (في مزيد من التهذيب) : حسن جداً . كم معـك هنا ؟ خمسة وعشرون روبلاً ؟ أنت مدينة لي بَعْدُ بأربعين كوبيكاً ثمن لوحين مـن الزجـاج في نافـــذة المدخل ، و . . . لنقل عشرين كوبيكاً ثمن المفصلــة التي كسرتها طاهيتك في سقيفة الاحطاب .

يلينا (مطلقة ضحكة قصيرة) : يا لك من رجـــل دقيـق ! تفضل . . . لكنني سأعطيك ورقة ثلاثـــة روبلات . فلست أحمل عملة صغيرة .

أكولينا إيفانوفنا : لقد أخذت مني كيساً من الفحم – أعني طاهيتك هي التي أخذته .

بيسيمينوف : وكم ثمنه ؟

أكولينا ايفانوفنا : الفحم ؟ خمسة وثلاثون كوبيكاً للكيس .

بيسيمينوف : وهذا يعني ان المجموع هو خمسة وتسعـون كوبيكاً . الباقي روبلان وخمسة كوبيكات – تفضلي ! أما بخصوص الدقة فقد أصبت ، يا سيدتي العزيزة . الدقة هي التي تجعل العالم يدور . فالشمس نفسهـا تشرق وتغيب بدقة مثلما هو مقدَّر لها منذ بدايـــة العالم ،وما دامت الدقة هي القانون في السماء ، فمن

الواجب بكل تأكيد أن تكون القانون على الأرض . خذي نفسك مثلاً . . . فأنت دائماً تسددين الأجرة بانتظام ، وفي الموعد المحدد . . .

يلينا : أنا لا أحب أن أكون مدينة .

بيسيمينوف : شيء جدير بالثناء ! ولهذا يثق بك كل الناس .

يلينا : حسناً ، وداعاً ! يجب أن أنصرف .

بيسيمينوف : احتراماتي . (ينظر في اثرها ثم يقول) ما أجملها ، هذه الشيطانة ! ومع ذلك يطيب لي أن أقذف بها خارجاً !

أكولينا إيفانوفنا : تفعل حسناً اذن ، أيها الأب .

بيسيمينوف : حسناً ، ومن ناحية أخرى ، فطالما هي مقيمة هنا تتاح لنا مراقبتها . أما إذا انتقلت ، فلا بدّ أن بيوتر سيتردد عليها ، ويسهل عليها عندئذ أن توقعه في حبائلها بعيداً عن أعيننا . ويجب ألا يغيب عن بالك أنها تدفع الأجرة في مواعيدها ، وهي تسدد بكل طيبة خاطر مقابل كل ما تُلف في غرفتها . هكذا ! اما بيوتر . . . فهذا شيء خطر وخطر جداً . . .

أكولينا إيفانوفنا : لعله لا يفكر في الزواج منها . لعله يريد فقط . . . أنت تعرف .

بيسيمينوف : لو أتيح لنا التيقّن من ذلك ما شغل بالنا شيء وما بقي هنالك ما يثير قلقنا . يحسن أن نبقيه هنا في البيت بدلاً من التردد على بيوت الدعارة . (تدفُ من غرفة تاتيانا أنـّة خشنة)

أكولينا إيفانوفنا (في صوت خافت) : ماذا ؟
بيسيمينوف (في صوت خافت مثلها) : ما هذا ؟
أكولينا إيفانوفنا (في همس وهي تتلفت حواليها في قلق كمن يصغي الى شيء ما) : هنالك وراء باب المدخل . . . أليس كذلك ؟
بيسيمينوف (في صوت عال) : لا بدّ أنها القطة .
أكولينا إيفانوفنا (مترددة) : هنالك شيء أردت أن أفضي به إليك ، أيها الأب . . .
بيسيمينوف : حسناً ، هاتي قوليه .
أكولينا إيفانوفنا : ألا تظن أنك كنت قاسياً نوعاً ما على بيرتشيخين هذا النهار ؟ فهو إنسان طيب .
بيسيمينوف : إذا كان طيباً فلن يتمكن منه الغضب ، وإذا غضب فلن نفقد شيئاً كثيراً . معرفتنا به لا تشرفنا كثيراً (يتردد الأنين مرة أخرى – أعلى منه قبلاً .) من هذا ؟ أيتها الأم . . .
أكولينا إيفانوفنا (مرتبكة) : لست أدري . . . حقاً . . . ماذا يمكن أن يكون . . .
بيسيمينوف (يندفع ناحية غرفة بيوتر) : أثمة شيء هنا ؟ بيوتر !
أكولينا إيفانوفنا (تندفع وراءه مذعورة) : بيتيا ! بيتيا . . . بيتيا . . .
تاتيانا (تصرخ في صوت أجش) : أنقذوني ! أماه ! أنقذيني ! أنقذيني ! (يندفع بيسيمينوف وأكولينا إيفانوفنا من غرفة بيوتر إلى غرفة تاتيانا صامتين ، ويترددان عند

الباب لحظة كأنهما لا يجرؤان ان يدخلا ، ثم يدخلان من الباب في وقت واحد . تقابلهما صرخات تاتيانا .)
أو – و – وه ، لكم يحرقني ! كم يؤلمني ! اسقوني ! اسقوني ! أنقذوني !

أكولينا إيفانوفنا (تندفع خارج الغرفة تفتح باب المدخل وتصرخ) : يا ربي ! أيها الطبيبون ! بيتيا ! (يدف من غرفة تاتيانا صوت بيسيمينوف الاجش قائلاً : «ماذا أصابك ، يا ابنتي ؟ ماذا بك ؟ ماذا أصابك ، يا ابنتي ؟»)

تاتيانا : ماء ، فأنا أموت . كل ما في داخلي يحترق . آه ، يا ربي !

أكولينا إيفانوفنا : أسرعوا ! إلينا ! يا ربي !

بيسيمينوف (من داخل الغرفة) : اسرعي ، استدعي الطبيب .

بيوتر (يدخل راكضاً) : ما الأمر ؟ ماذا حدث ؟

أكولينا إيفانوفنا (تمسك به من ردن سترته وتلهث) : تانيا . . . تموت !

بيوتر (يتخلص من قبضتها) : اتركيني ! اتركيني . . .

تيتيريف (يرتدي معطفه وهو يدخل) : ماذا هنالك ، حريق ؟

بيسيمينوف : الطبيب ! أسرع وراء الطبيب ، يا بيوتر ! اعرض عليه خمسة وعشرين روبلاً !

بيوتر (يندفع خارجاً من غرفة تاتيانا مخاطباً تيتيريف) : الطبيب ! أسرع باستدعاء الطبيب ! قل له . . . تسممت . امرأة صبية . النشادر . عجل ! عجل .

(يركض تيتيريف إلى باب المدخل)

ستيبانيدا (تدخل مهرولة) : يا إلهي ! يا إلهي !
تاتيانا : بيتيا ! إني أحترق ! إنـي أموت ! ولا أريـد أن أموت ! أريد ان اعيش ! اسقيني !
بيوتر : كم شربت ؟ ومتى فعلت ذلك ؟ قولي !
بيسيمينوف : ابنتي ! ابنتي الصغيرة !
أكولينا إيفانوفنا : أهلكت نفسك ، يا حمامتي الصغيرة !
بيوتر : إذهبي ، يا أماه . خذيها من هنا ، يا ستيبانيدا . إذهبي ، أقول لك ! (تركض يلينا إلى غرفة تاتيانا .) أخرجي أمي . . .

(تدخل امرأة عجوز وتقف عند باب المدخل تسترق النظر إلى الغرفة وتهمهم لنفسها)

يلينا (تتأبط ذراع أكولينا إيفانوفنا وتخرج معها من غرفـة تاتيانا ، وتغمغـم) : لا بأس ، لا تجزعـــي ، الأمـر بسيط . . .
أكولينا إيفانوفنا : كنزي ! ابنتي الحبيبة ! ماذا فعلتْ لك ؟ كيف أراني أسأت اليك ؟
يلينا : هذا الأمر سيزول . وسيكون كل شيء على ما يرام عندما يأتي الطبيب . آه ! يا للمصيبة !
المرأة العجوز (تأبطت ذراع أكولينا ايفانوفنا الأخرى) : لا تحزني يا سيدة ! هنالك مصائب أفجع ! آه يـــا

مسكينة ! سائق التاجر سيتانوف مثلاً – رفسه الحصان في خاصرته . . .

أكولينا إيفانوفنا : يا حبيبتي ، يا غاليتي . ماذا أفعل الآن ؟ ابنتي الوحيدة ! (يخرجونها)

(تختلط صيحات تاتيانا بصوت والدها الأجش وكلمات بيوتر العصبية الحادة . ينقلب كرسي . وتسمع قعقعة صحون ، وصرير نوابض سرير ، ووسادة تسقط على الأرض بلطف . تركض ستيبانيدا عدة مرات خارجة من الغرفة ، شعرها مبعثر وفمها مفتوح وعيناها ناتئتان ، لتختطف قدحاً أو صحناً من الخوان ، تكسر في كل مرة شيئاً ما وتختفي من جديد . تشاهد في باب المدخل وجوه مشدوهة ، لكن أحداً لا يجرؤ على الدخول . ينطلق عبر الباب فتى ، مساعد دهان ، ويختلس النظر إلى غرفة تاتيانا ويعود أدراجه راكضاً ، معلناً في همس عال : «إنها تموت !» . الأرغن اليدوي في الشارع يعزف لحناً ، سرعان ما ينقطع صوته . تنساب من باب المدخل همهمة خفيضة : «هل قتلها ؟» . «أبوها ؟» . «لقد حذّرها . . . انتبهي ، أيتها الفتاة» . «على رأسها» . «أتعرف بماذا ؟» . «هذا كذب – لقد ذبحت نفسها» . وصوت امرأة يستفسر : «هل هي متزوجة ؟» . أحدهم يطقطق بشفتيه في شفقة)

المرأة العجوز (تخرج من غرفة الوالدين ، تختطف أثناء عبورها كعكة محلاة عن المنضدة وتخفيها تحت شالها ، ثم تقترب من باب المدخل) : هس ! إنها تموت !

صوت رجل : ما اسمها ؟
المرأة العجوز : ليزا .
صوت امرأة : ما الذي جعلها تفعل ذلك ؟
المرأة العجوز : منذ يوم انتقال العذراء قال لها : «ليزا» ، وقال . . .

(حركة بين الحشد . يدخل الطبيب وتيتيريف . يتجه الطبيب مباشرة الى غرفة تاتيانا دون أن يخلع قبعته أو معطفه . ينظر تيتيريف عبر باب الغرفة ويبتعد عنه عابساً . تتردد من غرفة المريضة أنات وأصوات وأصداء أناس يتكلمون . وينطلق من غرفة بيسيمينوف عويل أكولينـــا إيفانوفنـــا وصراخها : «دعيني ! دعيني أذهب إليها !» . يرتفع من بين الأصداء الخفيضة وراء باب المدخل أصوات متميزة تقول : «رجل رزين . . . إنه مرتل الجوقة ! غير صحيح ! أجل هو نفسه . من جوقة كنيسة يوحنا المعمدان»)

تيتيريف (يتجه ناحية الباب) : ماذا تفعلون هنا ؟ انصرفوا ، جميعكم ! هيا !
المرأة العجوز (عند الباب) : تحركـــوا ، أيهـا الطيبـون ، تحركوا . لا شأن لكم بهذا .
تيتيريف : من أنت ؟ ماذا تريدين ؟
المرأة العجوز : أنا يا محترم بائعة خضار – بصل أخضر ، وخيار . . .
تيتيريف : وبعد ؟ ماذا تفعلين هنا ؟

المرأة العجوز : كنت في سبيلي إلى بيت سيمياجينا . . . إنها اشبينة ولدي . . .

تيتيريف : وبعد ؟ أقول ماذا تفعلين هنا ؟

المرأة العجوز : كنت مارة وسمعت ضجة ، فحسبت أن النار اشتعلت . . .

تيتيريف : وماذا ؟

المرأة العجوز : ودخلت . دخلت ألقي نظرة على المشكلة .

تيتيريف : اخرجي من هنا . انصرفوا جميعاً ! اخرجوا من هنا !

ستيبانيدا (تخرج من الغرفة راكضة تخاطب تيتيريف) : جئنا بدلو من الماء . . . عجل ! (يطلُّ من الباب شيخ أشيب اللحية معصوب الوجه بمنديل ، ويغمز لتيتيريف قائلاً : «يا سيدى ! لقد سرقتُ كعكة من منضدتكم» . يجتاز تيتيريف باب المدخل وهو يدفع الناس الى الشارع . صخب وجلبة . صبي يصيح : «آي !» . أحدهم يضحك ، وآخر يقول موبخاً : «كفَّ عن دفعي !») .

تيتيريف (دون ان يظهر) : الى الشيطان ! هيا !

بيوتر (يمدّ رأسه من الباب) : هدوءاً ! (يلتفت إلى الغرفة .) إذهب ، يا أبتاه . فأمي تحتاج إليك . إذهب ! (ينادي ناحية باب المدخل .) لا تدخلوا أحداً !

(يخرج بيسيمينوف من غرفة تاتيانا مترنحاً . حين يقترب من المنضدة يتهالك على مقعد ويجلس يحدّق ببلادة في الفضاء

أمامه عدة لحظات ، ثم ينهض ويدلف إلى غرفته حيث يسمع منها صوتا أكولينا إيفانوفنا ويلينا .)

أكولينا إيفانوفنا : وكأنني لم أكن أحبها ! وكأنني لم أكن أرعاها جيداً !
يلينا :هوّني عليك . . . يا عزيزتي . . .
أكولينا إيفانوفنا : أيها الأب ! يا غا . . .

(لم تسمع نهاية الجملة نتيجة إغلاق الباب . الغرفة الكبيرة خاوية الآن . من اليسار تتسلل أصوات مكتومة من غرفة بيسيمينوف ، ومن اليمين أنين تاتيانا ، وحديث خافت ، ولغط قصير يحدثه أولئك الذين يلازمونها . يحضر تيتيريف دلواً من الماء ، ويضعه عند باب غرفة تاتيانا ، وينقر على الباب بأصبعه في لطف . تفتح ستيبانيدا الباب وتأخذ الدلو ، ثم تخرج إلى الغرفة الكبيرة وهي تمسح العرق عن وجهها .)

تيتيريف : ماذا ؟
ستيبانيدا : لا بأس .
تيتيريف : أهذا ما يقوله الطبيب ؟
ستيبانيدا : اجل . لكن . . . (تلوح بيدها يائسة .) لقد أمر بمنع أبيها وأمها من الدخول .
تيتيريف : أهي أحسن حالاً ؟
ستيبانيدا : من يدري ؟ لقد كفت عن الأنين . وجهها أخضر اللون ، وعيناها كبيرتان بهذا القدر ! وهي ترقد ساكنة

كالأموات . (تهمس موبخة .) قلت لهم ذلك . كم مرة قلت لهم أن يزوجوها ! قلت أن يزوجوها ! لكنهم لم يعيروني أذناً صاغية ، وإليك ما أصابهم ! لكأن الفتاة يمكن ان تبقى في حالة سليمة حتى هذه السن من دون زوج ! ثم هي لا تؤمن بالله . لا تصلي ولا ترسم اشارة الصليب . وإليك ما حدث !

تيتريف : أمسكي لسانك ، أيها الغراب !

يلينا (داخلة) : كيف حالها ؟

تيتريف : لست أدري . يبدو أن الطبيب يعتقد أنها ليست في خطر .

يلينا : يا للضربة التي نزلت بأبيها وأمها ! لكم أرثي لهما !

(يهز تيتيريف كتفيه في صمت)

ستيبانيدا (تهرول خارجة من الغرفة) : يا إلهي ! لقد نسيت الفرن !

يلينا : ما الذي حدا بها إلى ذلك ؟ ماذا جرى ؟ يا لتانيا المسكينة ! يبدو انها تشعر بآلام كبيرة . (تقطب وجهها وتهز كتفيها .) إنه يؤلم جداً ؟ جداً جداً ؟

تيتريف : لست أدري . ماء النشادر شيء لم أشربه قط .

يلينا : كيف تجرؤ على المزاح فى مثل هذه الحال ؟

تيتريف : أنا لا أمزح .

يلينا (تقترب من غرفة بيوتر وتختلس النظر من الباب) : هل بيـ . . بيوتر فاسيلييفيتش . . . في غرفتها بعد ؟

تيتيريف : لا بدّ أنه في غرفتها . إن لم يخرج منها .
يلينا (متفكرة) : أتخيّل كيف كان ذلك يؤثر فيه ! (صمت .)
فكلما أنا . . . إذا صدف أن شاهدت شيئاً من هذا القبيل فأنا . . أكره البلايا !
تيتيريف (مبتسماً:) عاطفة محمودة !
يلينا : أتفهم ما قصدت إليه ؟ احسُّ أني اريد أن اتناولها وأسحقها تحت قدمي . . . أسحقها حتى الموت !
تيتيريف : ماذا ؟ البلايا ؟
يلينا : أجل ! أنا لا أخافها . أنا أكرهها ! هذا ما أقصده ! يعجبني ان أعيش حياة مرحة متنوعة ، أن يكون حولي كثير من الناس . فأنا أعرف كيف أجعل الحياة سارة سهلة بالنسبة إليّ والى من يحيطون بي .
تيتيريف : أمر محمود كثيراً !
يلينا : وثمة أمر آخر – سأعترف لك به : فأنا قاسية القلب إلى حد مخيف ! ولا أحب الناس الذين تخيم عليهم التعاسة ، وهنالك دائماً أناس تعساء ، مهما بذلت في سبيلهم ! لو وضعت الشمس على رؤوسهم بدلاً من قبعة – وأي شيء أروع من هذا ؟ – فيظلون يزفرون ويشتكون : «آه ، يا لتعاستي ! يا لوحدتي ! ليس من يحبني ! الحياة مملة معتمة ! آه ! أوه ! أوو !» . وحيثما التقيت مثل هذا المرء فأنا أحس برغبة شريرة في أن أجعله أكثر تعاسة منه قبلاً . . .
تيتيريف : يا سيدتي العزيزة ! لسوف أعترف لك أنا الآخر : لا أطيق أن أسمع النساء يتفلسفن ، أما عندما

أسمعك تتفلسفين أنت فتراودني رغبة في تقبيل يديك .

يلينا (في دلال ومكر) : يدي فقط ؟ وحينما أتفلسف فقط ؟ (مستدركة .) لكن ، يا إلهي ! ماذا تراني أفعل ؟ أمزح . . . وألهو ، بينما هناك . . . إنسان يتعذب . . .

تيتيريف (يومئ ناحية غرفة بيسيمينوف) : وهنالك أيضاً من يتعذب . وأنت أينما تشيرين بإصبعك تجدين من يتعذب ! هذه هي عادته . . .

يلينا : ولكنه يتعذب فعلاً . . .

تيتيريف : دون ريب .

يلينا : وعلينا أن نرثي له اذن .

تيتيريف : ليس دائماً . بل ربما أبداً . لعل من الأفضل أن نساعده من أن نرثي له .

يلينا : أنت لا تستطيع مساعدة الجميع . ان لم تشفق عليهم أنت لا تستطيع مساعدتهم . . .

تيتيريف : يا سيدتي العزيزة ! إليك كيف أنظر إلى الأمر : العذاب تولده الرغبة ، وهنالك نوعان من الرغبة في الانسان – رغبة جديرة بالاحترام ورغبة غير جديرة به . والمرء يجب ان يمدّ بالمساعدة لإشباع الرغبات التي تجعله سوياً وقوياً والتي ، حين تسمو به ، ترفعه فوق مستوى الحيوان . . .

يلينا (دون أن تصغي اليه) : قد يكون ذلك . قد يكون . . . لكن ، ماذا يحدث هناك ؟ لعلها نامت ؟ يا للهدوء ! إنهم يتهامسون . والعجوزان أيضاً ذهبا . . .

إنهما يختبئان في ركنهما . يا للغرابة ! على حين فجأة . . . ضجيج ، وصخب ، وصيحات ، وأنين ! ومن بعد ، على حين فجأة – هدوء شامل ، وليس من يأتي حركة .

تيتيريف : هكذا هي الحياة ! الناس يصيحون إلى أن يهدهم التعب ، فيخلدون إلى الراحة بعدئذ . وحين يستريحون يباشرون الصياح من جديد . هنا ، في هذا البيت ، يخيم الصمت على كل شيء بسرعة كبيرة – صيحات الألم وضحكات المرح على حدّ سواء . وكل هزة هنا تشبه ضربة بالعصا تنهال على بركة من الطين . والصيحة الأخيرة هي دائماً صيحة الحقارة ، ساحرة هذا البيت . هي التي تملك الكلمة الأخيرة هنا دائماً ، سواء كانت كلمة الظفر أم كلمة الضغينة . . .

يلينا (متفكرة) : كانت الحياة أمتع يوم كنت في السجن حيث كنت اعيش هنالك ! كان زوجي مقامراً . وكان يسكر أيضاً ، وما أكثر ما يخرج إلى الصيد . وكانت بلدتنا صغيرة نائية وكان سكانها من . . . من التافهين . وكنت أملك كثيراً من أوقات الفراغ ، ولكنني لا أذهب إلى أي مكان ولا أجتمع بأي كان غير المساجين . وكانوا يحبونني . هم ظرفاء فعلاً حين تتعرف بهم عن كثب ! ظرفاء وبسطاء إلى حدّ بعيد ، صدقني ! حين كنت أنظر اليهم أحياناً ما كنت أستطيع أن أصدق أن هذا لص وان ذاك قاتل وان ثالثاً قد ارتكب شيئاً ما . قلت مرة لواحد من القتلة : «صحيح أنك قتلت شخصاً ؟»

فقال : «أجل ، يا سيدتي يلينا نيقولاييفنا ، لقد قتلت . ما فعلتُ فعلتُ !» وتراءى لي أنه – أن ذلك القاتل – حمل وزر غيره على عاتقه ، وأنه كان مجرد حجر ألقى به سواه . هذا ما فكرت ! أشتريت لهم كتباً ، وحرصت على أن يكون هنالك ورق للعب والدومينو في كل زنزانة . وكنت أعطيهم تبغاً وقليلاً من الخمرة . وحين كانوا يخرجون للتنفس فهم يلعبون بالكرة والقضبان الخشبية . كانوا أشبه بالأطفال والله ! وحين كنت أقرأ عليهم قصصاً مسلية كانوا يضجون بالضحك – كالأطفال . واشتريت لهم طيوراً مغردة وأقفاصاً ووضعت واحداً منها في كل زنزانة . وأحبوا طيورهم مثلما أحبوني . وكانوا يحبون أن أرتدي ثياباً زاهية – بلوزة حمراء أو بلوزة صفراء . كانوا يعشقون الألوان البراقة المرحة ! صدقني ! وكنت أرتدي من أجلهم مثل هذه الثياب عن قصد . (تزفر .) كانت الحياة حلوة معهم ! وانقضت ثلاث سنوات دون أن أشعر بها . وحين قتل الحصان زوجي لم أبكه بقدر ما بكيت لأنه لا بدّ لي من مغادرة السجن . حزنت كثيراً ! وكان المساجين آسفين أيضاً . (تتلفت حواليها في الغرفة .) وهنا في هذه المدينة حياتي أسوأ . . . هنالك شيء – شيء مشؤوم في هذا البيت . ليس الناس من هم سيئون ، بل شيء آخر . لكن ، إسمع ، لقد استسلمت للأسى – ونال مني

البؤس . هذان نحن نتحدث هنا ، أنت وأنا ، في حين أن امرأة قد يطويها الردى في تلك الغرفة .

تيتيريف (في هدوء) : ولسنا آسفين عليها .

يلينا (في سرعة) : ألا تأسف ؟

تيتيريف : كلا . ولا أنت تأسفين .

يلينا (بصوت خافت) : كلا ، أنت على حق . قد يكون هذا خطئاً ، أنا أعرف ، غير أنني لا أشعر بذلك . يحدث هذا أحياناً : أنت تعرف أن هذا الشيء خطأ ، بيد أنه لا يلوح كذلك . اسمع . . . فأنا أشفق عليه — على بيوتر فاسيلييفيتش — أكثر مما أشفق عليها . أشفق عليه عموماً . فهو بائس ههنا ، أليس كذلك ؟

تيتيريف : الجميع هنا بائسون .

بوليا (تدخل) : السلام ع . . .

يلينا (تثب على قدميها وتسرع نحوها) : هس ! صه ! أتعرفين ما جرى ؟ تناولت تانيا السم !

بوليا : م . . ا ذ . . ا ؟

يلينا : أجل ، تناولته . الطبيب وأخوها موجودان لديها الآن .

بوليا : أهي تموت ؟ هل ستموت ؟

يلينا : لا أحد يدري .

بوليا : فيم فعلت ذلك ؟ هل قالت ؟

يلينا : لست أدري . لا أظن ذلك .

بيوتر (يطل برأسه المشعث من الباب) : يلينا نيقولاييفنا ، لحظة من فضلك . (تسرع يلينا إليه)

بوليا (إلى تيتيريف) : لماذا تنظر إليّ على هذا المنوال ؟
تيتيريف : كم مرة طرحت عليّ مثل هذا السؤال ؟
بوليا : هذا شيء طبيعي - اذا ظللت ترمقني بمثل هذه النظرة الخاصة ، لماذا تفعل ذلك ؟ (تتجه ناحيته وتتحدث في صرامة) أتحسبني مسؤولة عن هذا ؟
تيتيريف (يضحك ضحكة مبتسرة) : أ تشعرين بما يشبه الذنب ؟
بوليا : أشعر أني أكرهك أكثر وأكثر - هذا ما أشعر به ! لكن قل لي ، كيف حدث ذلك ؟
تيتيريف : البارحة تعرضت لهزة صغيرة ، ولما كانت ضعيفة سقطت اليوم . هذا كل شيء !
بوليا : هذا ليس صحيحاً !
تيتيريف : ما هو غير الصحيح ؟
بوليا : أعرف هذا الذي تلمح اليه ، ولكنه ليس صحيحاً ! إن نيل . . .
تيتيريف : أهو نيل ؟ ما علاقة نيل بذلك ؟
بوليا : لا شيء . وليست لي علاقة أنا الأخرى . لا علاقة لأي منا أنت . . . كلا ! أعرف أنه يتبادر إلى ذهنك أنها خطيئتنا ، لكن ما العمل ؟ أنا أحبه وهو يحبني . وقد بدأ ذلك منذ زمن بعيد !
تيتيريف (في رزانة) : أنا لا ألومك على الإطلاق . أنت . . . أنت تتهمين نفسك بشيء ما ، وهذا ما يجعلك تحاولين تبرير نفسك امام اول مَن تقابلين . فيم تفعلين ذلك ؟ أنا . . . احترمك كثيراً . من كان يقول لك

مراراً وتكراراً – بصورة دائمـــة وفي اصرار – أن تخرجي من هذا البيت في أسرع وقت ، أن تبتعدي عنه وانه ثمة شيء مؤذ هنا يسمّم روحـــك ؟ انا الذي قلت .

بوليا : اذن ؟

تيتيريف : لا شيء . أردت أن أقول فحسب إنك لو عملت بنصيحتي لما كنت تعانين مما تعانين منه الآن . هذا كل شيء !

بوليا : حسناً . لكن ، كيف استطاعت أن تفعل مثـــل هذا الأمر ؟ هل حياتها في خطر ؟ ماذا شربت ؟

تيتيريف : لا علم لي .

(يخرج بيوتر والطبيب من الغرفة)

بيوتر : أرجو أن تذهبي وتساعدي يلينـــا نيقولاييفنـــا ، يا بوليا .

تيتيريف (إلى بيوتر) : كيف حالها ؟

الطبيب : لأمر بسيط ! لو لم تكن المريضة عصبية لمـــا حدثت أية نتائج سيئة . فقد شربت كمية قليلـــة – وأحرقت المرىء قليلاً وتسرب شيء من النشادر إلى معدتها ، ولكنها لفظته فوراً .

بيوتر : أنت متعب ، يا دكتور . فتفضل بالجلوس . . .

الطبيب : شكراً ستشعر بوعكة خلال أسبوع تقريباً . كانـــت

لدي حالة طريفة قبل أيام : فقد شرب أحـد الدهانين السكارى قدحاً من الطلاء بدلاً من الجعة . . .

(يفتح بيسيمينوف باب غرفته ويقف هنالك دون أن ينطق بكلمة ، محدقاً في الطبيب في تساؤل كئيب .)

بيوتر : اطمئن ، يا أبتاه . فليس هنالك خطر !

الطبيب : نعم نعم ! ليس ثمـــة خطر ، لا تذعر ! في غضون يومين أو ثلاثة أيام ستقف على قدميها من جديد .

بيسيمينوف : أحقاً تقول ؟

الطبيب : أؤكد لك ذلك !

بيسيمينوف : لك شكري ! إذا كان ما تقول حقاً ، إذا كان صحيحاً ما تقول من أنه ليس ثمة خطر ، فأنا أجزي لك مزيد الشكر ! بيوتر . . . تعال . . . إلى هنا .

(يذهب بيوتر إليـــه . يتراجع بيسيمينوف الى باب غرفته . يسمع من هناك صدى همسات ورنين نقود .)

تيتيريف (إلى الطبيب) : وماذا حدث للدهان ؟

الطبيب ؛ إيه ؟ ماذا ؟

تيتيريف : الدهان . . . ماذا حدث له ؟

الطبيب : هو ؟ لا شيء . تحسنت صحته . هم . يخيل إليّ أننا التقينا سابقاً ، أليس كذلك ؟

تيتيريف : محتمل .

الطبيب ؛ ألم تكن . . . اهه . . . مرة نزيل المستشفـــى مصاباً بالحمى التيفية ؟

تيتيريف : صحيح !

الطبيب (مسروراً) أرأيت ؟ كنت واثقاً أني شاهدتك من قبل . رويدك . . . كان ذلك في الربيع الماضي . أليس كذلك ؟ ويخال لي أني أذكر اسمك ولقبك . . .

تيتيريف : وأنا أذكرك .

الطبيب حقاً ؟

تيتيريف : أجل . حين كنت أتماثل للشفاء سألتك أن تزيد نصيبي من الطعام ، فقطبت وجهك وقلت : «كن ممتناً لما يُعطى لك . إن أمثالك من المتشردين والسكارى كثيرون» . . .

الطبيب (في ارتباك) : كيف هذا ! لكن ذلك . . . ذلك . . . عفوك ، لكن أنت . . . اسمك . . . إذن ، أنا الدكتور نيقولاي ترويروكوف ، و . . .

تيتيريف (يقترب منه) : وأنا تيرينتي بوغوسلوفسكي سكير بالوراثة وفارس الزجاجة الخضراء . (يتراجع الطبيب من أمامه .) لا تخف ، فلن أؤذيك . (يمر تيتيريف الى جواره متجهاً صوب باب المدخل . يراقبه الطبيب في ارتباك ، يروّح وجهه بقبعته . يدخل بيوتر .)

الطبيب (يتلفت وراءه وينظر الى باب المدخل) : الا انني يجب أن أذهب . الى اللقاء ! فهناك من ينتظرونني . إذا شكت ألماً كرروا لها القطرات . لكنه لن يكون هنالك ألم شديد . الى اللقاء ! أوه . . . إذن . . . ذلك الرجل الغريب الذي كان هنا لتوّه . . . هل هو . . . من . . . أقربائكم ؟

بيوتر : كلا ، هو مستأجر عندنا .

الطبيب : كذا ! عظيم ! انه غريب جداً ! طاب نهاركم ! شكراً لكم ! (يرافقه بيوتر الى الخارج . يدخل بيسيمينوف وأكولينا إيفانوفنا قادمين من غرفتهما ، ويتجهان على أطراف أصابعهما ، وفي حذر ، ناحية باب غرفة تاتيانا .)

بيسيمينوف : رويدك . لا تدخلي . ليس ثمة صوت . قد تكون نائمة . لا يجوز أن نوقظها . (يقود أكولينا إيفانوفنا ناحية الصندوق في الركن .) هذه هي الامور ، يا أمّ ، لقد عشنا لنرى يوم العيد ! ستنطلق الأقاويل والثرثرة في البلدة الآن ، ولن يكون لها انتهاء !

أكولينا إيفانوفنا : أيها الأب ! ماذا بك ؟ ماذا تقول ؟ فليثرثروا ما طاب لهم . فليقرعوا الأجراس بهذا النبأ حسبنا ان تبقى حية !

بيسيمينوف : أجل ، أنا أعرف . . . هذا صحيح ! ولكنك . . . يا للخسارة ! انت لا تفهمين الأمر ! لقد لحق بنا العار انا وانت !

أكولينا إيفانوفنا : العار ؟ لماذا ؟

بيسيمينوف : أن تحاول ابنتك الانتحار بالسم ! فاهمة ؟ هل آذيناها ؟ زعلناها ؟ هل كنا قساة معها ؟ اما هم فسوف يقولون عنا ما يشاؤون . لست أبالي ، أستطيع أن أحتمل كل شيء في سبيل أولادي ، لكن فيم يترتب عليّ ذلك ؟ ماذا فعلت لينوبني ذلك ؟ هذا ما أحب أن أعرفه . أولادي ! هم يعيشون

صامتين . ماذا في قلبيهما ؟ لست أدري . ماذا يدور في خلدهما ؟ لا يمكنني أن أخمّن ! وهذا ما يحزُ في نفسي !

أكولينا إيفانوفنا : أنا أعرف . وهو يحزُ في نفسي أيضاً . فأنا أمهما في نهاية المطاف . اليوم بطوله استنفد نفسي في سبيلهما ، ولا أتلقى منهما كلمة شكر واحدة . أنا أعرف ! لا أبالي كثيراً بذلك إذا كانا في صحة جيدة وسعادة ، أما أن يقع ما وقع !

بوليا (تخرج من غرفة تاتيانا) : انها تستسلم للنوم . الزموا الهدوء في كلامكم . . .

بيسيمينوف (ناهضاً) : كيف حالها ؟ هل يمكن أن ندخل ونراها ؟

أكولينا إيفانوفنا : ماذا لو دخلت في هدوء ؟ والدها وأنا فقط . . .

بوليا : أمر الطبيب ألا يراها أحد .

بيسيمينوف (متشككاً) : وكيف تعرفين هذا ؟ فأنت لم تجتمعي بالطبيب .

بوليا : أخبرتني بذلك يلينا نيقولاييفنا .

بيسيمينوف : أهي هنالك في الغرفة ؟ ما رأيك في هذا ؟ الغرباء يرونها وأبواها ممنوعان . شيء مدهش حقاً .

أكولينا إيفانوفنا : سنتناول الطعام في المطبخ بحيث لا نسبب لها ازعاجاً ، ابنتي الغالية ! وغير مسموح لي باختلاس نظرة واحدة إليها ! (تخرج الى باب المدخل وهي تلوّح بيدها في يأس . تقف بوليا مستندة إلى الخوان محدقة

في باب غرفة تاتيانا . حاجباها مقطبان ، وشفتاها منطبقتان ، وجسدها مشدود . يجلس بيسيمينوف الى المنضدة كمن ينتظر شيئاً .)

بوليا (في لطف) : هل كان والدي هنا هذا النهار ؟

بيسيمينوف : أنت لا تسألين عن والدك . فما يهمك منه ؟ أعرف أنا عمن تسألين . (تنظر إليه بوليا في انشداه .) أجل كان والدك هنا . . . في ثيابه الرثة القذرة ، مجرداً من كل ما يخلع عليه ذرة من اللياقة . ومع هذا عليك أن تحترميه باعتباره والدك .

بوليا : أنا أحترمه . فيم تنبئني بذلك ؟

بيسيمينوف : لكي تعرفيه . والدك أفاّق ، ومع هذا من واجبك الخضوع لمشيئته . هل تعرفون انتم الشبان قيمة الأب ؟ أنتم الشبان جميعاً عاطلون من أي شعور . أنظري إلى نفسك – فتاة فقيرة ، لا تملكين سقفاً . من المفترض أن تكوني متواضعة ، أن تكوني لطيفة ورقيقة مع الجميع ، وبدلاً من هذا تحاولين أن تتفلسفي كما تشائين وان تحاكي المثقفين . هكذا . والآن ستتزوجين ، بينما في تلك الغرفة فتاة كادت تفقد حياتها . . .

بوليا : ماذا تقصد ؟ فيم تقول مثل هذا الكلام ؟

بيسيمينوف (في اضطراب مَنْ فقد الترابط في أفكاره فغضب) : فكري في الأمر . حاولي أن تفهمي . لهذا السبب أنا أقول هذا الكلام ، كيما تفهمي ! من أنت ؟ شيء ، ومع هذا . . . ستتزوجين ! اما ابنتي . . .

فيم وقوفك هنا ؟ اذهبي الى المطبـــخ ! اصنعي أي شيء ! سأتولى أنا المراقبة ، فاخرجي أنت ! (تنظر بوليا اليه في حيرة ، وتستدير للانصراف .) لحظة ! أنا . . . أنا . . . كنت قاسيـــاً مع أبيـــك هذا النهار . . .

بوليا : لماذا ؟

بيسيمينوف : ليس هذا من شأنك ! اذهبي . . . اخرجي !

(تخرج بوليا مشدوهة . يتحرك بيسيمينوف في هدوء ناحية باب غرفة تاتيانا ، ويفتحه قليلاً ليسترق النظر من خلاله . تخرج يلينا وتبعده عن الباب)

يلينا : لا تدخل . يبدو أنها نائمة !

بيسيمينوف : هم . في مقدوركم جميعاً أن تزعجونا كمـــا تستطيعون ، هذا لا يهمكم ، ولا نملك نحن الحق في ازعاجكم .

يلينا (مشدوهة) : ماذا تقول ؟ انها مريضة !

بيسيمينوف : أعرف . . . أعرف كل شيء . (يخرج الى باب المدخل . تهزُّ يلينا كتفيها وهي تلاحقه بنظراتها . ثم تخطو إلى النافذة ، وتجلس على الأريكة ، وتشبك يديها وراء رأسها ، وتستغرق في أفكارها . تلهو على شفتيها بسمة ، وتغلق عينيها حالمة . يدخل بيوتر كئيبـــاً مشوش الهندام . ينفض رأسه كمن يريد أن يتخلص من شيء . يتوقف حين يرى يلينا)

يلينا (دون أن تفتح عينيها) : من هنا ؟

بيوتر : فيم تبسمين ؟ غريب أن أرى أحداً يبتسم الآن ، بعد كل ما جرى .

يلينا (تنظر إليه) : غضبان ؟ تعبان ؟ يا للصبي المسكين ! لكم أرثي لك !

بيوتر (يجلس على الكرسي الى جانبها) : أنا نفسي أشعر بالرثاء على نفسي .

يلينا : يجب أن ترحل إلى مكان ما .

بيوتر : أعرف ذلك . حقاً ، ما الذي يبقيني هنا ؟ هذه الحياة ترهقني الى حد بعيد .

يلينا : كيف تتمنى أن تعيش ؟ أخبرني ! ما أكثر ما طرحت عليك هذا السؤال دون أن تعطيني عنه جواباً .

بيوتر : صعب أن أكون صريحاً .

يلينا : معي أنا ؟

بيوتر : حتى معك أنت . أنى لي أن أعرف رأيك فيّ ؟ او كيف تتقبلين ما قد أقول لك ؟ يخيل إليّ أحياناً أنك . . .

يلينا : أنني ماذا ؟

بيوتر : أنك طيبة . . .

يلينا : انني اضمر لك كثيراً من الطيبة يا صبيي !

بيوتر (في حمية) : أنا لست صبياً ! كلا ! لقد أطلت التفكير . فاسمعي ، واخبريني بصدق — أتثير اهتمامك كل هذه الهموم الصاخبة لنيل ، وشيشكين ، وتسفيتاييفا ، وجميع الآخرين من أصحاب الأصوات الطنانة ؟ كل تلك القراءات المشتركة بأصوات عالية للكتب المفيدة وتلك

المسرحيات التي يقدمونها للعمال مما يعتقد انه أسلوب معقول لتزجية الوقت ونشاطاتهم الصاخبة كلها . . . هل هي نشاطات لها أهميتها حقاً ؟ هل هي جديرة أن يكرس المرء لها حياته كلها ؟ ما رأيك ؟

يلينا : أنا جاهلة ، عزيزي ! ولا أستطيع أن أحكم ، فانا لا أعرف . . . وأنا امرأة طائشة . وهم يبدون لطفاء في نظري – نيل وشيشكين والآخرون جميعاً . هم مرحون متألقون ودائماً يقومون بعمل من الأعمال . وأنا مغرمة بالناس المرحين . فأنا نفسي مرحة . لكن ، فيم تسأل ؟

بيوتر : لأنهم يثيرون أعصابي ! إن كانوا يستلذون هذه الحياة وتناسبهم فليعيشوها ! فلا اعتراض لديّ على ذلك . أنا لا أعترض على أحد ، مقابل ان لا يعترض على الطريقة التي أعيش بها . لماذا يمنحون عملهم أهمية خاصة ؟ فيم يسمونني جباناً وأنانياً . . .

يلينا (تلمس رأسه بيدها) : لقد عذبوك . . . واتعبوك . . .

بيوتر : أبداً ، هذا غير صحيح . أنا متضايق فحسب . إن لي الحق في أن أعيش كما أهوى أنا ! أفلا أملك هذا الحق ؟

يلينا (تعبث بشعره) : هذا سؤال صعب أيضاً ، بالنسبة إليّ . انني أعرف امراً واحداً وهو انني أعيش كما أهوى ، وأتصرف حسب رغباتي ، ولا يستطيعنّ أحد ان يقنعني بالذهاب إلى الدير . لن أذهب إلى هناك

أبداً ! واذا أرغموني على ذلك هربت أو القيت بنفسي في النهر . . .

بيوتر : أنت تقضين معهم من الوقت أكثر مما تقضين برفقتي . ويعجبونك أكثر مما أعجبك أنا ! أنا أحس ذلك . لكن ما وددت أن أقول لك – وبمقدوري أن أقول هذا ! – أنهم براميل فارغة .

يلينا (مشدوهة) : هم ماذا ؟

بيوتر : براميل فارغة . هنالك اسطورة عن براميل فارغة . . .

يلينا : أعرفها . ولكن . . . هل أنا ايضاً . . . يعني أنا برميل فارغ ايضاً ؟

بيوتر : أوه كلا ! أما أنت فلا ! أنت تنبضين حياة . أنت تنعشين المرء مثل جدول !

يلينا : كذا ! أيعني هذا أنني باردة في نظرك ؟

بيوتر : أرجوك لا تمزحي ! هذه اللحظة . . . ولكنك تضحكين . لماذا ؟ أمضحك أنا ؟ أريد أن أعيش ، أعيش كما يطيب لي ، وكما أراه مناسباً !

يلينا : ولِمَ لا تفعل ؟ من يمنعك ؟

بيوتر : من ؟ هنالك شخص – أو شيء ! كلما فكرت أن أعيش وحيداً مستقلاً هيأ لي أن شخصاً يقول إن هذا غير جائز لي !

يلينا : ضميرك ؟

بيوتر : وما شأن الضمير بهذا ؟ أنا لست راغباً في أقتراف

جريمة . أريد فقط ان أكون حراً . . . أريـــد ان أقول . . .

يلينا (تنحني نحوه) : هذه الاشياء لا تقال بهذه الطريقة ! ينبغي قولها ببساطة اكثر ! ولســوف أساعدك ، يا صغيري المسكين ، بحيث لا تختلط عليك هذه الأمور البسيطة .

بيوتر : انت تعذبينني بالمزاح ، يا يلينا نيقولاييفنا ! هذه قسوة منك ! ما أريد أن أقول هو : هذا أنا ، أعري روحي أمامك !

يلينا : ليس هذا ما يجب ان تقوله !

بيوتر : قد أكون رجلاً ضعيفاً . فالحياة أقوى مني كثيراً ! وأنا احسّ وضاعة ما يحدق بي ، ولكني عاجز عـــن تبديله أو ان ادخل شيئاً فيه . أريد أن أرحل ، وأن أعيش وحيداً . . .

يلينا (تأخذ رأسه في يديها) : ردد ورائي ما أقول : أنـــا أحبك !

بيوتر : اجل ، اجل ! ولكنك تهزلين !

يلينا : كلا ، أنا لا أهزل ، بل أنا أتحدث بجدّية مطلقة . لقد قررت منذ زمن طويل أن أتخذك زوجاً ! قد لا يكون هذا امراً طيباً ، ولكنني أريده بصورة مرعبة .

بيوتر : ما أسعدني ! أحبك مثل . . . (يسمع أنين تاتيانا وراء الجدار . يثب بيوتر ويتطلع حواليه في ارتباك . تنهض يلينا بدورها في هدوء . يقول بيوتر بصوت خافت .) أهذه تانيا ؟ وهذان نحن ها هنا . . .

يلينا : (تمر به متجهة الى غرفة تاتيانا) : نحن لا نرتكب إثماً .

صوت تاتيانا : ماء ! أعطوني ماء !

يلينا : أنا قادمة . (تبتسم لبيوتر وتذهب . يقف بيوتر ممسكاً رأسه بيديه محدقاً أمامه في حيرة . ينفتح باب المدخل وتقف أكولينا إيفانوفنا عند المدخل .)

أكولينا إيفانوفنا (في همسة مرتفعة) : بيتيا ! بيتيا ، أين أنت ؟

بيوتر : هنا .

أكولينا إيفانوفنا : تعال وتناول طعامك .

بيوتر : لا اريد . لن آتي .

يلينا (تخرج من غرفة تاتيانا) : انه ذاهب الى غرفتي .

(تلقي عليها أكولينا إيفانوفنا نظرة مستاءة ، وتخرج .)

بيوتر (يندفع ناحية يلينا) : ما أفظع ما حدث ! هناك هـي تضطجع أما نحن . . . نحن . . .

يلينا : هيا . ما وجه الفظاعة فى هذا ؟ حتى في المسرح يقدمون دائماً شيئاً خفيفاً بعد المسرحية الثقيلة . أما في الحياة الحقيقية فنحن أحوج ما نكون الى ذلك .

(يلتصق بيوتر بها فتتأبط ذراعه وتقوده خارجاً)

تاتيانا (تئن بصوت خشن) : لينا ! لينا !

(تدخل بوليا راكضة)

ستار

الفصل الرابع

(الغرفة ذاتها)

المساء . مصباح على المنضدة يرسل ضوءه في الغرفة . بوليا تهيئ أدوات الشاي . تاتيانا التي لا تزال مريضة مضطجعة على الكنبة في الركن بعيدة عن متناول ضوء المصباح . تسفيتاييفا تجلس على الكرسي الى جوارها .

تاتيانا (في رقة وعتاب) : أتحسبين أنني لا أريد أن أواجه الحياة بمرح وجرأة مثلك ؟ لكم أريد ذلك . . . ولكنني لا أستطيعه ! ولدت دون إيمان فى قلبي . وتعلمت أن أفكر .

تسفيتاييفا : أنت تفكرين يا عزيزتي أكثر من اللازم . وعليك الاعتراف ان الامر لا يستأهل من المرء ان يكون ذكياً لمجرد التفكير حسب . أليس كذلك ؟ بلى التفكير شيء طيب ، لكنه يترتب أن يكون لدى المرء شيء من الخيال أيضاً . وإلا كانت حياته مملة وعبثاً لا يطاق . ينبغي أن يكون قادراً على تكوين رؤيا عن المستقبل . . . ولو من حين الى حين على أقل تقدير .

(تبتسم بوليا في حنان وتأمل وهي تصغي الى تسفيتاييفا في انتباه)

تاتيانا : وماذا هنالك في المستقبل ؟
تسفيتاييفا : أي شيء تريدين أن تنعمي برؤيته !
تاتيانا : ولكن . . . لا بدّ أن يكون لديك خيال واسع !
تسفيتاييفا : بل يجب أن يكون لديك الإيمان .
تاتيانا : الإيمان بماذا ؟
تسفيتاييفا : بالحلم الذي تحلمين . اسمعي . . . عندما أنظر في عيون تلاميذي أروح أفكر : هذا نوفيكوف – حينما ينهي المدرسة سيذهب الى الثانوية وبعدها الى الجامعة – وقد يغدونّ طبيباً كما يبدو لي ! إنه تلميذ مجتهد ، طيب وجدّي ، وله جبين عريض . وهو قريب من قلوب الناس . ولطيف . لسوف يعمل جادّاً ، دون أن يخطر له الربح في بال ، وسيحبه الناس ويحترمونه كثيراً ، وهذا ما أنا واثقة منه ! وذات يوم ، وهو يستعيد ذكريات طفولته ، سيتذكر كيف أن معلمته تسفيتاييفا أصابته في أنفه حين كانت تلاعبه في الفرصة . أو لعله لا يتذكر . فالأمر سيان ! ولكنه سيتذكر دون ريب . فهو يحبني كثيراً . كما أن هنالك كلوكوف المهلهل الثياب القذر الوجه الشارد الذهن . انه كثير الجدل مشاكس شيطان . هو يتيم – يعيش مع عمه الحارس الليلي . وهذا فقير جداً ، ولكنه فتى عزيز النفس جسور ! أظن أنه سيصير صحفياً عندما يكبر . آه لو تعرفين عدد الأولاد الظرفاء في صفي ! وأنا على الدوام أفكر من غير قصد في مستقبلهم والدور الذي سوف يلعبون في الحياة . ما أمتع أن أتصور كيف

سيعيش تلاميذي . شيء تافه ، يا تانيا ، لكنك لا تتصورين مقدار السعادة التي يمنحنيها !

تاتيانا : وأنت ، أين أنت نفسك ؟ قد يكون لتلاميذك مستقبل برّاق في انتظارهم ، أما انت فأين تكونين يومها ؟

تسفيتاييفا : أتشيرين أني قد أكون غدوت في القبر ؟ أبداً ! عزمت أن أعيش حياة مديدة !

بوليا (تتنفس الكلمات في رقة ولطف) : ما أعذبكِ ، يا ماشا ! ما أطيبك . . .

تسفيتاييفا (تبتسم لبوليا) : أخذتْ العصفورة الصغيرة تغرد . . . أنا لست عاطفية ، يا تانيا ، لكنني حين أفكر في المستقبل ، في أناس المستقبل ولون الحياة التي سيعيشون ، تطفح في جوانحي أحاسيس عذبة حزينة – كأن يوماً خريفياً منعشاً يشرق في قلبي . . . تعرفين ما أعنيه بهذا القول ، ذلك حين تشرق في السماء الصافية شمس وديعة ، ويشف الهواء ويسكن ، ويسبغ الوضوح على الأفق البعيد – فالجو منعش وليس بارداً ؛ مشمس وليس حاراً .

تاتيانا : أحلام ! أحلام ! بالمناسبة ، أنا أعتقد انكم جميعاً ، أنت ونيل وشيشكين والآخرون ، من ذلك الصنف الذي يقدر أن يعيش فعلاً على الأحلام ، أما أنا فلا استطيع .

تسفيتاييفا : رويدك ، فهي ليست مجرد أحلام . . .

تاتيانا : لم يبدُ لي أبداً أي شيء حقيقياً . لا شيء . فيما عدا أن هذا الشخص هو أنا ، وهذه الجدران . حين

8*

أقول «نعم» أو «لا» ، فلا أقول ذلك عن اقتناع ، بل أقول لمجرد أن أجيب فحسب . والله ! وأحيانا حين أقول «كلا» افكر بيني وبين نفسي فوراً : أكنت على صواب ؟ أفما كان يجب أن أقول «نعم» ؟

تسفيتاييفا : أنت تستمتعين بذلك . إمعني الفكر في نفسك : أفلست مفتونة حتى درجة ما بهذا «الازدواج في الشخصية» ؟ أو لعلك خائفة من أن تضعي ايمانك في أي شيء . فالايمان يتطلب مسؤوليات .

تاتيانا : لست أدري . . . صدقيني لست أدري . اهديني الى ايمانك . فأنتم تهدون الآخرين . (تضحك في رقة .) أَرثي لأولئك الذين يصدقونكم . فانتم تخدعونهم ! فالحياة كانت دائماً وستظل الى الأبد كما هي الآن – دامسة خانقة !

تسفيتاييفا (باسمة) : أحقاً ؟ قد لا يكون هذا ؟

بوليا (كمن تخاطب نفسها) : لن يكون !

تاتيانا : ماذا قلتِ ؟

بوليا : قلت لن يكَون هذا !

تسفيتاييفا : عظيم ، أيها العصفور الصغير الوديع !

تاتيانا : واحدة أخرى من المؤمنين المساكين ! لكن اسأليها لماذا لن يكون هذا ؟ وما الذي سيبدلها ؟ اسأليها . . .

بوليا (تقترب منهما في هدوء) : المشكلة هي ان . . . الحياة في الوقت الراهن ليست ملكاً للجميع ! فليلون من الناس يعيشون حقاً . والغالبية فيهم لا يجدون وقتاً

لذلك . الوقت الوحيد الذي يملكون هو في سبيل العمل . . . الحصول على لقمة العيش . أما حينما هم أيضاً . . .

شيشكين (يدخل مسرعاً) : مرحباً للجميع ! (الى بوليا) مساؤك سعيد ، يا ابنة الملك دونكان ذهبية الشعر !

بوليا : ماذا ؟ أي ملك ؟

شيشكين : أها ! ضبطتك ! من الواضح انك لم تقرئي اذن هايني الذي تركته لديك قبل أسبوعين . طاب مساؤك ، يا تاتيانا فاسيلييفنا !

تاتيانا (تمدّ له يدها) : ليس لديها وقت للكتب الآن . فلسوف تتزوج .

شيشكين : حقا ؟ تتزوج ؟ ممن ؟

تسفيتاييفا : من نيل .

شيشكين : نيل ! في هذه الحال بمقدوري حتى ان أهنئك ، ولكنني بصورة عامة لا أرى شيئاً حكيماً في الزواج ، وما يتبع ذلك من أمور . فالزواج في الظروف الراهنة . . .

تاتيانا : أوه ، أسكت ! ارحمنا ! فلطالما سمعنا وجهات نظرك في هذا الموضوع .

شيشكين : حسناً سأسكت ! فليس لديّ وقت ، على أية حال . (الى تسفيتاييفا) هل تأتين معي ؟ عظيم ! أين بيوتر ؟

بوليا : فوق .

شيشكين : هِم . . . كلا ، لن أذهب إليه ! أخبريه أنت ،

يا تاتيانا فاسيلييفنا ، أو أنت ، يا بوليا ، أنني فعلتها من جديد . . . وأن . . . الدروس لدى بروخوروف شاغرة .

تسفيتاييفا : من جديد ؟ أنت سيىء الحظ حقاً !

تاتيانا : هل تشاجرتما ؟

شيشكين : في الحقيقة . . . ليس تماماً ! حاولت أن أكون مهذباً . . .

تسفيتاييفا : ما هو السبب ؟ أما كنت نفسك مسروراً من بروخوروف ؟

شيشكين : نعم ! كنت كذلك ، اللعنة على كل شيء ! وفي الحقيقة أنه افضل من كثيرين . هو ليس غبيّاً ، لكنه متبجح بعض الشيء ، وثرثار ، وعموماً . . . (ينفجر فجأةً .) هو حيوان !

تاتيانا : أشك في أن يؤمن بيوتر لك تلميذاً آخر بعد هذا . . .

شيشكين : اجل . . ل . قد يستبدّ به الغضب مني .

تسفيتاييفا : ماذا حدث بينك وبين بروخوروف ؟

شيشكين : أتتصورين ذلك ؟ لقد تبين أنه معادٍ للساميّة !

تاتيانا : وما شأنك في ذلك ؟

شيشكين : ولكن هذا لا يليق ! لا يمكن ان ينطوي رجل مثقف على مثل هذه المشاعر ! وعموماً فهو برجوازي ، هذه حقيقته ! اليك هذه القصة على سبيل المثال : شرعت خادمته تداوم على مدرسة الأحد . رائع ! هو نفسه ألقى عليّ خطبة طويلة مملة عن فائدة هذه

المدارس – رغم أني لم أطلب منه ذلك ! بل لقد تباهى بأنه واحد من مؤسسي هذه المدرسة . حسناً ، لقد رجع ذاتَ يومٍ أحدٍ الى البيت ، و – يا للهول ! – فتحت له الباب المربية بدلاً من الخادمة . سأل أيـن هي الخادمة ؟ فأجابته : في المدرسة . هكذا اذن ! واذا به منع الخادمة من الذهاب الى المدرسة ! ما رأيك في هذا ؟

(تهزّ تاتيانا كتفيها ولا تقول شيئاً)

تسفيتاييفا : وجميع تلك الخطب التى كان يلقيها !

شيشكين : ان بيوتر يؤمن لي عموماً طلاباً من الجهلة ، كأنه يسخر مني .

تاتيانا (في جفوة) : ان لم يُخطئني الظن فقد كنتَ مسروراً من الصراف . . .

شيشكين : فعلاً . كان عجوزاً طيباً ، ولكنه من هواة جمع النقود ! كان على الدوام يدسُّ قطعاً نحاسية تحت أنفي ويهذي عن القياصرة والأباطرة والفراعنة في عرباتهم الحربية . ملِلْتُ منه حد انني لم استطع بعد تحمل ذلك ، وعالنته ذات يوم قائلاً : «اسمع ، يا فيكينتي فاسيليفيتش ، ان كل هذا الاشياء محض تفاهات في نظري ، وان أي حجر في الطريق اكثر قدماً من قطعك النقدية» . فأثار ذلك غضبه . قال : «أترمي الى أني أضعت خمس عشرة سنة من حياتي على أشياء

تافهة ؟» فأجبته بالايجاب ، وحين دفع حسابي استنزل نصف روبل . إحتفظَ به لمجموعته على ما أظن . ولكن ذلك قليل الشأن . أما هذه القضية مع بروخوروف فأنا . . . هِمْ . . . (في كآبة .) ان لي خُلقاً سيئاً ! (في عجلة) ماريا نيكيتيشنا ، لقد أزف أوان ذهابنا ! هيّا بنا !

تسفيتاييفا : أنا على استعداد . وداعاً ، يا تانيا ! غداً هو يوم الأحد ، وسآتي لرؤيتك صباحاً .

تاتيانا : أشكرك . أشعر فعلاً أني نوع من العشب الزاحف تحت اقدامكم – فما فيّ شيء جميل أو نافع – بل إني أحول دون الناس الذين يسيرون ، اذ أتشبث بهم . . .

شيشكين : َهه ْ ! يا للفكرة المرعبة !

تسفيتاييفا : من المؤلم أن يسمعك المرء تقولين مثل هذا الكلام ، يا تانيا .

تاتيانا : رويدك . اسمعي لقد عرفت . . . عرفت منطق الحياة القاسي : ليس بمقدور ذلك الذي لا يستطيع الايمان بشيء ، ان يعيش ، بلى . . . وليس عليه الا ان يموت !

تسفيتاييفا (باسمة) : حقاً ؟ ولكنه قد لا يموت !

تاتيانا : أنت تسخرين مني . أليس لديك شيء أفضل تفعلينه ؟ أهناك حاجة الى الضحك مني ؟

تسفيتاييفا : هذا غير صحيح ، يا عزيزتي ، فأنا في الحقيقة لا أسخر منك ! مرضك هو الذي يجعلك تقولين مثل

هذا الكلام – مرضك وتعبك ولست انت . . . حسناً ،
وداعاً ! ولا تحسبي أننا أشرار وغلاظ قلوب . . .

تاتيانا : اذهبوا ! وداعاً !

شيشكين (الى بوليا) : حسناً ، متى تشرعين في قراءة هايني ؟ أوه ، لقد نسيت ، فأنت ستتزوجين . هِمْ ! كان في مقدوري أن أقول شيئاً أو شيئين ضد هذا ، لكن . . . وداعاً ! (ينصرف في اثر تسفيتاييفا . صمت .)

بوليا : يخال لي أن صلاة الغروب ستنتهي قريباً . هل أطلب جلب السماور ؟

تاتيانا : لا أحسب أن والديَّ سيشربان الشاي . لكن افعلي ما تشائين . (صمت) في الماضي كان الصمت يثقل على أعصابي ، أما الآن فأنا مسرورة من ان السكون يسود بيتنا .

بوليا : أما حان وقت تناولك الدواء ؟

تاتيانا : كلا . كان الجو في بيتنا الايام الاخيرة صخباً وضجيجاً كثيراً . ما أصخب شيشكين هذا . . .

بوليا (تقترب منها) : انه انسان لطيف حقاً .

تاتيانا : طيب القلب ، لكنه ليس ذكياً .

بوليا : انه طيب ، ولديه جرأة . ما ان يرى شيئاً غير عادل حتى يقف ضده . أرأيت كيف اهتم بحادثة الخادمة ، فمَنْ يهتم بحياة الخادمات وغيرهن من الناس الذين يعملون لدى الأثرياء ؟ اما أبدى أحدهم اهتماماً فهل يجرؤ هذا ان يقف الى جانبهم ؟

تاتيانا (دون أن تنظر الى بوليا) : قولي لي ، يا بوليا . . .

ألست خائفة من الزواج من نيل ؟

بوليا (مشدوهة وفي هدوء) : لماذا أخاف ؟ لست خائفة طبعاً .

تاتيانا : لماذا ؟ لوكنت مكانك لانتابني الخوف – أقول لك هذا لأني أحبك ! فأنت لست مثله . أنت فتاة بسيطة ، أما هو فما أكثر ما قرأ من كتب ! هو مثقف . وقد يضجر منك . هل فكرت في هذا ، يا بوليا ؟

بوليا : كلا ، أنا أعرف أنه يحبني .

تاتيانا (في مضض) : لا يمكن للمرء أن يعرف ذلك . . .

(يدخل تيتيريف حاملاً السماور)

بوليا : شكراً لك ! سأحضر الحليب . (تخرج .)

تيتيريف (وجهه منتفخ بتأثير الشراب) : في طريقي عبر المطبخ أوقفتني ستيبانيدا وطلبت الي قائلة : «يا سيدي المحترم ! احمل السماور ! وسأعطيك لقاء ذلك شيئاً من الخيار المخلل ومرق المخلل حين تحتاج اليه . . .» . فاستجبت للاغراء ، أنا الشره .

تاتيانا : هل حضرت صلاة الغروب ؟

تيتيريف : كلا ، لم أذهب هذا اليوم . كنت أعاني صداعاً . كيف حالك ، أتشعرين بتحسن ؟

تاتيانا : لا بأس ، لك شكري . يطرحون علي هذا السؤال عشرين مرة يومياً . سأشعر بمزيد من التحسن لو كان هذا البيت أقل ضجيجاً . فهذا الهرج والمرج يثيرانني

قليلاً – فالجميع يصرخـــون ويتراكضون . ووالدي يعنف نيل على الدوام ، وأمي تطلــق زفراتهـــا دون توقف ، وأنا أستلقي هنا أراقبهم جميعاً ، عاجزة عن رؤية أي معنى لما يسمونه – جميعهم – الحياة .

تيتيريف : كلا ، هذا شأن يثير الفضول ! أنا شخص غريب ، ولا أشارك في شؤون هذه الأرض – بل أعيش بدافع من الفضول – ومع هذا أجد أن الحياة طريفة جداً .

تاتيانا : أنت فيما أعرف لا تطالبها بشيء . فما هي الطرافة التي تجدها هنا ؟

تيتيريف : الناس يضبطون أنفسهم لغرض ان يحيوا . وأنا أحب أن أسمع الموسيقيين في المسرح وهم يضبطون أبواقهم وكماناتهم . عندها تلتقطين نغمات صائبـــة كثيرة – وأحياناً جملة موسيقية لطيفة . وتستبد بــك رغبة متسارعة في معرفة – أية معزوفة سيلعبون ، ومن هو العازف المنفرد ، وما هي المقطوعة الموسيقية . والشيء ذاته يحدث هنا – فالناس يضبطون أنفسهم .

تاتيانا : قد يكون هذا صحيحاً على المسرح . يدخل قائـــــد الفرقة ، يلوّح بعصاه ، فيبدأ الموسيقيون يعزفون شيئاً قديماً مبتذلاً خالياً مــن كل شعور ، وبصورة سيئة . أما هنا ؟ . . . أمـا هؤلاء . . . فمـــا الذي يستطيعون أن يقدموا ؟ لا أعرف .

تيتيريف : سيقدمون نغماً صارخا كما أظن . . .

تاتيانا : سنرى . (صمت . يشعل تيتيريف غليونه .) لماذا تدخن الغليون بدلاً من الدخينة ؟

تيتيريف : هذا أنسب لي . أني جوّاب أفاق . أقضي معظم أيام السنة في الترحال . وعما قريب سأرحل – حالما يحلّ الشتاء .
تاتيانا : الى أين ؟
تيتيريف : لست أدري . فالأمر سيان .
تاتيانا : ستتجمد حتى الموت في مكان ما حين تكون سكران .
تيتيريف : أنا لا أشرب مطلقاً حين أنطلق على الطريق . وماذا لو تجمدت حتى الموت ؟ من الأفضل أن يتجمد المرء وهو يسير من أن يتعفن وهو قابع لا يأتي حركة .
تاتيانا : أنت تلمّح اليّ ، أليس كذلك ؟
تيتيريف (يشب مهلوعاً) يا الهي الطيب ، أبداً ! كيف يخطر لك هذا في بال ! فلست وحشاً !
تاتيانا (باسمة) : لا يقلقنّك الأمر . فلست أبالي . لقد فقدت الاحساس بالألم . (في مرارة .) الجميع يعرفون ذلك . نيل ، وبوليا ، ويلينا ، وماشا – يتصرفون جميعاً كالأغنياء الذين يلتهمون النُقل دون أن يلقوا بالاً الى أحاسيس المستعطي الذي يراقبهم .
تيتيريف (يقطب وجهه ويتحدث من خلال أسنانه المطبقة) : لماذا تهينين نفسك على هذا المنوال ؟ يجب ان تحترمي نفسك . . .
تاتيانا : حسناً . . . فلنتحدث في موضوع آخر ! (صمت) حدثني عن نفسك قليلاً . فأنت لا تتحدث أبداً عن نفسك . لماذا ؟
تيتيريف : الموضوع كبير جداً ، ولكنه لا يثير اهتماماً .

تاتيانا : بالعكس ! أخبرني ما يلـــــي : لماذا اخترت هذا الأسلوب الغريب في الحياة ؟ أنت تبدو لي ذكيـــاً موهوباً . فما الذي أصابك في الحياة وجعلـــك على هذا الشكل ؟

تيتيريف (مكشراً عن أسنانه) : ما الذي أصابني ؟ انها قصة طويلة مملة لو شئت أن أسردها عليك بكلماتـــــي الخاصة .

خرجت افتش عن فرحتي
فعدت بلا فرحة أو حذاء
تعرّيت ، والله ، من بدلتي
ومن كلّ امنية أو رجاء

هذا التوضيح جميل جداً بالنسبة الى حالتي رغـــم قصره . ويجب أن أضيف ان الانسب في روسيـــا ، والاهدأ ، بالنسبة للمرء ان يكون سكيـــراً جوابَ آفاقٍ ، عن ان يكون صاحياً شريفاً مجتهداً . (يدخـل بيوتر ونيل .) وحدهم القساة الأصلاب كالسيـــف يستطيعون أن يشقوا لأنفسهم دربــاً في هذه الحياة . آه ، يا نيل ! أين كنت ؟

نيل : في المحطة . لقد ربحت لتوّي معركة وحققتُ انتصاراً باهراً . ان رئيسنا الأحمق . . .

بيوتر : أعتقد انهم سوف يطردونك من العمل عما قريب . . .

نيل : فأجد لنفسي عملاً آخر .

تاتيانا : إسمع ، يا بيوتر . لقد تشاجر شيشكين مـــع

بروخوروف ، ولم يجرؤ أن يخبرك بذلك بنفسه و . . .

بيوتر (مغتاظاً) : اللعنة ! شيء فظيع ! ذلك يضعني في موقف صعب امام بروخوروف الآن . ويحرمني أخيراً امكانية مساعدة زميل آخر .

نيل : لا تغضب قبل الاوان ! فأنت تجهل من هو على حق ومن هو على خطأ ؟

بيوتر : أنا عارف !

تاتيانا : شيشكين لا يعجبه ان يكون بروخوروف معادياً للسامية .

نيل (ضاحكاً) : آه ياله من ديك عزيز مشاكس !

بيوتر : هذا يلائمك بالطبع . فأنت ، أيضاً ، لا تحترم وجهات نظر الاشخاص الآخرين . يا لكم من متوحشين !

نيل : مهلاً ! هل تستطيع أنت نفسك احترام المتعصبين ضد اليهود ؟

بيوتر : أنا ليس لي أي حق لآخذ بتلابيب أي انسان بسبب من أفكاره ، مهما يكن شكل هذه الأفكار !

نيل : أما أنا فآخذ بها . . .

تيتيريف (يجيل بصره بهدوء في الطرفين المتنازعين) : هيا ، وافعل ذلك !

بيوتر : من . . . من أعطاك هذا الحق ؟

نيل : الحقوق لا تعطى ، بل تؤخذ . على الانسان أن ينتزع حقوقه بنفسه اذا لم يكن يريد أن ينسحق تحت عبء الالتزامات . . .

بيوتر : ولكن اسمع ! . . .

تاتيانا (في سأم) : يبدأ الشجار اذن ! يا لهذا الشجار الذي لا نهاية له ! أفلا تمجّانه ؟

بيوتر (يكبح جماح نفسه) : آسف ، فلن أفعل ذلك ثانيــة ! حقاً فلقد وضعني شيشكين في . . .

تاتيانا : أعرف . فهو أحمق !

نيل : انه فتى رائع ! لن يسمح لأحد أن يدوس على أصابــع رجليه ، ولكنه أول من يفعل ذلك بالآخرين ايّـــاً كانوا ! ما أروع ان يملك المرء هذا القدر من الكرامــة الانسانية . . .

تاتيانا : تقصد هذا القدر من التصرف الصبياني ؟

نيل : كلا . أقصد ما قلت . ولكن ذلك شيء رائع ، حتى ان كان تصرفاً صبيانياً !

بيوتر : سخف .

نيل : لا . عندما يلقي امرؤ لآخر لقمة خبز لديه لمجرد أن اليد التي نفحته بها لم تكن على مزاجه . . .

بيوتر : من يفعل ذلك لا يعضه الجـــوع بنابـــه . أعرف أنك ستنكر ذلك . فأنت نفسك مثله — صبياني ايضاً همك الدائم ان تظهر لوالدنا انك لا تشعر نحوه بايــة ذرة من الاحترام . ففيم تفعل ذلك ؟

نيل : وفيم لا أفعل ذلك ؟

تيتيريف : يا ولدي ! الأصول تقضي أن يكذب الناس . . .

بيوتر : وما فائدة ذلك ؟ أخبرني .

نيل : لن يفهم أحدنا الآخر ، أنت وأنا . ففيم أخبرك ؟ كل ما

يقوله أبوك أو يفعله يقرفني .

بيوتر : قد يكون كذلك بالنسبة الي أيضاً ، غير أنني أكبح جماحي فلا أظهره ، أما أنت فتثير أعصابه دائماً . ونحن ندفع ثمن ذلك – أنا وشقيقتي . . .

تاتيانا : كفاكما ! هذا امر ممل !

(ينظر نيل اليها ، ويتجه الى المنضدة)

بيوتر : أيقلقك حديثنا ؟

تاتيانا : انه يضجرني ! فالشيء ذاته يتكرر ويتكرر !

(تدخل بوليا حاملة جرة فيها حليب ، ترى الابتسامة الحالمة على وجه نيل . تنظر الى المتفرجين وتقول)

بوليا : انظروا اليه . يا له من سعيد !

تيتيريف : لماذا تضحك ؟

نيل : كنت أتذكر لسعات اللسان التي جلدت الرئيس بها . ان حياتنا لمتعة !

تيتيريف : (في صوت خشن عميق) : آمين !

بيوتر (يهز كتفيه) : دهشة ! هل يولد المتفائلون عميانا أم ماذا ؟

نيل : ليس مهماً ان اكون متفائلاً او غير هذا ولكن العيش يعجبني ! (ينهض ويجوس أرض الغرفة .) متعة كبيرة أن تعيش على هذه الأرض !

تيتيريف : صحيح . هذا مثير للفضول !
بيوتر : ممثلان هزليان – اذا كنتما مخلصين في هذا !
نيل : أما أنت ف . . . لا أعرف كيف أصفك ؟ أعرف – وهذا ليس سراً على أحد – أنك عاشق ، وأن مَنْ تهواها تهواك أيضاً . أفلا يكفي هذا ليعطيك الرغبة في الرقص والغناء ؟ أفلا يكفي هذا ليبعث فيك الشعور بالفرحة ؟
(تنظر بوليا في فخار الى الجميع من وراء السماور . تنقلب تاتيانا على الأريكة محاولة رؤية وجه نيل . يبتسم تيتيريف وهو ينفض الرماد عن غليونه .)
بيوتر : أنت تنسى شيئاً ما . اولاً : أن الطلاب غير مسموح لهم بالزواج ؛ ثانياً أني مضطر أن أخوض معركة ضارية مع والديّ ؛ وثالثاً . . .
نيل : يا الهي الطيب ! ما هذه الاقوال ؟ لم يبق أمامك غير شيء واحد ، أن تهرب ! أهرب الى الصحراء .

(تبتسم بوليا)

تاتيانا : انت تتساخف ، يا نيل !
نيل : أنت مخطئ ، يا بيوتر ! فالحياة شيء عظيم حتى اذا لم تكن عاشقاً ! حتى اذا كنت تسوق قاطرة خردة في ليلة خريفية تحت عاصف الريح والمطر – أو في الشتاء في عاصفة ثلجية مزمجرة ، والدنيا كلها عتمة ، والثلج يتكدس ويحجزك عن العالم . من المرهق ان تعمل في مثل هذه الليلة – هذا صعب وحتى خطر ! ومع هذا فان

لذلك سحره الخاص ! رغم كل شيء ! والشيء الوحيد الذي لا يحمل فتنة في نظري هو أن الخنازير من الحمقى واللصوص هم من يهيمن علي وعلى الناس الشرفاء الاخرين . لكن الحياة ليست في صالحهم بكاملها ! لسوف يندثرون . لسوف يختفون مثلما تختفي القروح من الجسد المعافى . ليس هنالك جدول حركة لا يقبل التغيير !

بيوتر : سمعت هذه الخطابات منك بما فيه الكفاية ! رويدك فترى ما تخبئ الحياة لك من جواب !

نيل : سأجعلها تجيبني الاجابة التي أطلبها . لا تحاول اخافتي ! أنا أقرب الى الحياة وأعرف أفضل منك أن الحياة صعبة ، وأنها أحياناً قاسية الى درجة رهيبة ، وأن قوة غاشمة فظة تسحق الناس سحقاً . أعرف هذا كله ، وهو لا يروق لي . انه يستثيرني ! لا أريد ذلك التنظيم للحياة ! أعرف ان الحياة أمر جادّ ، ولكنها غير منسقة . أعرف ان تنسيقها سيتطلب كل قواي وقدراتي . وأعرف أيضاً أني لست بطلاً - أنا لست أكثر من مجرد انسان شريف قوي . ومع هذا أقول : رويدك فحسب ! لسوف ننتصر في النهاية ! وستنصرف قوة روحي كلها الى اشباع رغبتي في القاء نفسي في اعماق خضم الحياة - أدفعها هنا وهناك ، أقولبها ، أساعد على شيء وأعرقل شيئاً آخر . . . هذه هي فرحة الحياة !

تيتيريف (يضحك ضحكة قصيرة) : هنا المعنى الاعمق

للعلم ! هنا مغزى الفلسفة كلها ! وأية فلسفة أخرى عليها اللعـ . . . نة !

يلينا (عند الباب) : فيم هذا الصراخ والتلويح بالأيدي ؟

نيل (يندفع صوبها) : ستفهمينني يا سيدتي ! كنت اغني الآن ترنيمة للحياة ! أخبريهم كم هي الحياة ممتعة !

بوليا (في عذوبة) : انها ممتعة !

يلينا : أهنالك من لديه ريبة في ذلك ؟

نيل (الى بوليا) : اواه ، يا صغيرتي الوديعة !

يلينا : هيا ، ممنوع الغزل في حضرتي !

بيوتر : وحده الشيطان يعرف ما أصابه ! لكأنه سكران . . .

(تلقي تاتيانا رأسها على مسند الكنبة وترفع يديها في بطء وتغطي وجهها بهما)

يلينا : لحظة ! كنتم تزمعون تناول الشاي ؟ وأنا جئت أسألكم أن تشربوه عندي . حسناً ، اذن ، سأشربه لديكم . فالجوُّ لديكم لطيف هنا . (الى تيتيريف) أنت وحدك ، ايها الغراب العجوز الحكيم ، تبدو لي منقبضاً . فما الأمر ؟

تيتيريف : أنا مرح مثل الآخرين ، ولكنني أحب أن أكون هادئاً حين أمرح وأكون صاخباً حين أحزن .

نيل : مثل جميع الكلاب الكبيرة الذكية الكئيبة .

يلينا : لم أرك مطلقاً مرحاً أو كئيباً – ولكن متفلسفاً

فقط . اسمعوا أيها السادة ، إسمعي يا تانيا - انه يعلمني الفلسفة ! البارحة قرأ عليّ محاضرة طويلة عما يسمى قانون الأساس الكافي . خسارة ! لقد نسيت الكلمات التي تعبر عن هذا القانون المدهش ! ما هي هذه الكلمات ؟

تيتيريف : (مبتسماً) لا يوجد شيء دون اساس لان الاساس يوجد . . .

يلينا : أتسمعون ؟ أنظروا الأشياء الحكيمة التي أتعلمها ! لا أظن أحداً منكم سمع أن هذا القانون يمثل - يمثل هي كلمة فلسفية حقيقية بالضبط ! يمثل شيئاً مثل . . . مثل السن لأن له جذورا أربعة . ألست على صواب ؟

تيتيريف : لا أجرؤ أن أجادلك . . .

يلينا : تماماً ! حاول ذلك فحسب ! ان الجذر الأول ، أو لعله ليس الأول - هو الأساس الكافي لحضور - يعني المادة في الشكل . أنا مثلاً : أنا مادة إتخذت - ليس من دون أساس - شكل إمرأة ، ولكن - وهذه المرة من دون اي أساس - محرومة من الوجود . الوجود خالد ، لكن المادة في الشكل تظهر على الأرض ، ثم - تتلاشى ! ألست على حق ؟

تيتيريف : لا بأس ، ماشي . . .

يلينا : وخلاف ذلك أعرف أن هنالك أشياء مثل العلاقات السببية ، والمسلّمات والاستدلالات ، لكن ما هي هذه الأشياء هو أمر نسيته ! واذا لم أصبح صلعاء من

هذه الحكمة كلها فانني سأصبح ذكية ! أما المشكلة الاكثر أهمية وحكمة في كل هذه الفلسفة فهي : لماذا تعلّمني الفلسفة ، يا تيرينتي خريسانفوفيتش ؟

تيتيريف : أولاً ، لأنني أمتلئ سروراً حين أنظر إليك . . .

يلينا : أشكرك على ذلك ! ثانياً ربما من غير الممتع . . .

تيتيريف : ثانياً ، لأن المرء لا يكذب حينما يتفلسف ، فالفلسفة هي مجرد اختراع للمخيلة . . .

يلينا : لم أفهم شيئاً ! بالمناسبة ياتانيا ! كيف حالك ؟ (دون أن تنتظر جواباً) بيوتر . . . فاسيلييفيتش ، ماذا يضايقك ؟

بيوتر : نفسي .

نيل : وكل ما حولك ؟

يلينا : اسمعوا ، أشعر برغبة عارمة في الغناء ! لكم هو مؤسف أن اليوم هو السبت ، وأن صلاة الغروب لم تنته بعد ! (يدخل **بيسيمينوف** وأكولينا ايفانوفنا .) آه ، ها قد جاء ألتّقيّان ! انعمتما مساء !

بيسيمينوف (في جفوة) : مساءاً سعيداً . . .

أكولينا أيفانوفنا (بالنبرة ذاتها) : مساء سعيداً ، يا سيدتي ! لكنه سبق أن تبادلنا التحية هذا النهار .

يلينا : آه ، صحيح ! غاب ذلك عن بالي . . . وكيف . . . كيف كانت الكنيسة ؟ هل كانت حارة ؟

بيسيمينوف : نحن لا نذهب الى الكنيسة لنقيس درجة الحرارة .

يلينا (مرتبكة) : آه ، طبعاً . لكنني . . . ليس هذا ما قصدت . أردت أن أسأل إن كانت مزدحمة بالمصلين ؟

أكولينا إيفانوفنا : لم نحص عدد الناس ، يا سيدتي .

بوليا (إلى بيسيمينوف) : هل تريدان شاياً ؟

بيسيمينوف : سنتعشى أولاً . إذهبي وهيئي لنا شيئاً ، أيتها الأم . (تخرج أكولينا إيفانوفنا وهي تنخر من انفها . الجميع صامتون . تنهض تاتيانا وتساعدها يلينا في الوصول إلى المنضدة . يأخذ نيل مكان تاتيانا على الأريكة . بيوتر يراوح في الغرفة ويغادي . تيتيريف وقد جلس إلى البيان يراقب الجميع مبتسماً . بوليا أمام السماور . بيسيمينوف يجلس على الصندوق في الركن .) يدهشني كيف غدا الناس لصوصاً ! قبل فترة ، حين كنت والأم في طريقنا الى الكنيسة ، وضعت لوحاً من الخشب عند البوابة – فوق الوحل . وحينما رجعنا كان اللوح قد إختفى . سرقه أحد اللصوص . لقد تفشى الفساد في الناس . (صمت .) في الماضي كان عدد اللصوص أقل – وكانت السرقات تقع على الطرق العامة حيث الناس كانوا اكبر نفوساً . فكانوا يخجلون أن يثقلوا ضمائرهم بأشياء تافهة . (صوت غناء وعزف على الاكورديون يدفان من الشارع .) أتسمعون ؟ غناء . عشية السبت ، وهم يغنون . (يقترب الغناء ويتميز فيه صوتان .) لا ريبة أنهم العمال . أسرعوا إلى الحانة فور الانتهاء من عملهم ، لينفقوا اموالهم على الخمر ، وهؤلاء هم يمزقون حناجرهم . (يُسمع الغناء

قرب النافذة ، يقرّب نيل وجهه من زجاجها ويتطلّع إلى الشارع .) سيعيشون على هذا الغرار عاماً آخر — او عامين في أبعد الحدود ، وينتهي كل شيء ! ويغدون متشردين ، او لصوصاً . . .

نيل : يبدو أنه بيرتشيخين . . .

أكولينا ايفانوفنا (عند الباب) : العشاء جاهز ، أيها الأب .

بيسيمينوف (ناهضاً) : بيرتشيخين واحد آخر من أولئك الذين لا فائدة تُرجَى منهم . (يخرج)

يلينا (تشيعه بنظراتها) : تناول الشاي في غرفتي اكثر راحة . . .

نيل : شيء ممتع حديثك مع الشيوخ .

يلينا : أنا . . . هو يربكني . فهو لا يحبني ، وهذا شيء مزعج . . . بل مؤلم ! وفيم تراه لا يحبني ؟

بيوتر : حقاً هو طيب القلب ، ولكنه عزيز النفس جداً .

نيل : وجشع نوعاً ما وخبيث نوعاً ما . . .

بوليا : صه . لا ينبغي أن تقولوا مثل هذا الكلام بحق انسان خلف ظهره . هذا لا يليق !

نيل : كلا . لا يليق أن يكون المرء جشعاً .

تاتيانا (في جفوة) : أقترح أن نترك بحث هذا الموضوع . قد يأتي والدي في أية لحظة . وهو لم يعنّف أحداً طوال الأيام الثلاثة الأخيرة . . كان يحاول أن يكون لطيفاً مع الجميع . . .

بيوتر : وذلك ليس سهلاً عليه . . .

تاتيانا : يجب أن نقدّر ذلك : فهو شيخ . وليست غلطته

إن كان وُلد قبلنا بسنوات وهو لا يرى الأمور مثلما نراها نحن . (في غضب) يا للناس من قساة ! لكم نحن قساة أجفياء يعلموننا أن يحب أحدنا الآخر ، ويقولون لنا : كونوا ودعاء ولطفاء . . .

نيل (يحاكي نبرة صوتها) : كيما يركبوا ظهورنا ويسوقونا . . .

(تنفجر يلينا ضحكاً . بوليا وتيتيريف يبتسمان . بيوتر يتجه إلى نيل كمن يريد أن يقول شيئاً . تهز تاتيانا رأسها مؤنبة)

بيسيمينوف (يدخل ويلقي نظرة عدوانية إلى يلينا) : بيلاغيا ! والدك في المطبخ . إذهبي واخبريه أن . . . أن . . . يعود في وقت آخر ، حينما يكون . . . . يكون . . .صاحياً . هكذا ! قولي له أن يمضي إلى البيت . . . او ما شابه !

(تخرج بوليا – ويتبعها نيل)

بيسيمينوف (في اثر نيل) : حم . . حم . . وأنت اذهب بدورك . والق نظرة على . . . حميك المقبل . . . و . . . (يصمت فجأة ، ويجلس إلى المنضدة .) فيم هذا الصمت ؟ أرى الجميع يغلقون افواههم بمجرد ظهوري في الغرفة .

تاتيانا : نحن لا نتحدث كثيراً في غيابك أيضاً .

بيسيمينوف (يشزر يلينا بنظره) : فيمَ كنتم تضحكون ؟

بيوتر : لا شيء . . . على وجه الخصوص . إن نيــــل . . .

بيسيمينوف : نيل ! إنه سبب كل شيء . كنت أعرف هذا .

تاتيانا : هل أصبّ لك قدحاً من الشاي ؟

بيسيمينوف : أجل .

يلينا : دعيني ، يا تانيا ، أفعل ذلك . . .

بيسيمينوف : لا تزعجي نفسك . ستفعل ذلك ابنتي .

بيوتر : لا أرى فارقاً فيمن يصب لك الشاي . فتانيا معتلــــة الصحة .

بيسيمينوف : أنا لا أسألك رأيك في هذا الموضوع . إذا كان الغرباء أقرب إليك من أهلك . . .

بيوتر : أبتاه ! ألا تخجل من نفسك ؟

تاتيانا : ها قد بدأنا ! بيوتر ، يفضل أن تمسك لسانــك .

يلينا (تغتصب ابتسامة) : أهنالك مبرر لكل هذا . . .

(يفتح الباب على مصراعيه ويدخل بيرتشيخين ثمِلاً قليلاً)

بيرتشيخين : فاسيلي فاسيليفيتش ! لقد جئت أنــــا إلى هنا . . . انت خرجتَ من هناك . . . وها أنا أتبعــك الى هنا . . .

بيسيمينوف (دون أن ينظر إليه) : حسناً ، إجلس ، طالمــا أنك هنا . واشرب الشاي .

بيرتشيخين : أنا لا أريد شاياً ! إشربه لصحتك . جئت للحديث معك .

بيسيمينوف : حديث ؟ هراء !

بيرتشيخين : هُراء ، أليس كذلك ؟ (يضحك) أنت رجل غريب ! (يدخل نيل ويقف مستنداً الى الخوان محدقاً في بيسيمينوف في قسوة) منذ أربعة أيام وأنا أفكر في المجيء اليك . . . . و . . . . حسناً ، هأنذا هنا !

بيسيمينوف : طيب اذن . . .

بيرتشيخين : لا ، ليس طيباً ! يا فاسيلي فاسيلييفيتش ! انت رجل ذكي ، وكذا أنت ثري ، ولكن . . . ولكنني جئت قاصداً ضميرك !

بيوتر (يقترب من نيل ويتحدث في صوت خفيض) لماذا تركته يدخل إلى هنا ؟

نيل : دعه وشأنه ! فهذا ليس من شأنك .

بيوتر : أنت دائماً تثير المشاكل .

بيرتشيخين (يطغى صوته على صوت بيوتر) : أنت رجل شيخ ايضاً ، أعرفك منذ ز . . . زمان طويل !

بيسيمينوف (غاضباً) : ماذا تبغي مني ؟

بيرتشيخين : أخبرني ، لماذا طردتني من بيتك منذ أيام ؟ لقد فكرت وفكرت ولكني لم أفهم لماذا . فاخبرني لماذا ، يا أخي . لقد جئت إليك من دون حقد - بل بحب يعمر قلبي .

بيسيمينوف : وضباب في رأسك !

تاتيانا : بيوتر ، ساعدني على النهوض – كلا ، ادع بوليا .
(يخرج بيوتر)

بيرتشيخين : خذ بوليا مثلاً . ابنتي العزيزة ، ذلك الطير الطاهر . أبسببها طردتني ؟ أليس كذلك ؟ لأنها أخذت من تاتيانا فتاها ؟

تاتيانا : يا للحماقة ! يا للوضاعة !

بيسيمينوف (ينهض على مهلة) : حذار ، يا بيرتشيخين ! لو قلت ذلك ثانية فلسوف . . .

يلينا (الى نيل في صوت خافت) : أخرجه ! سيتشاجران .

نيل : لا أريد اخراجه .

بيرتشيخين : أنت لن تطردني مرة أخرى ، يا فاسيلي فاسيلييفيتش ! لن يكون لذلك سبب . بوليا فتاة طيبة وأنا أحبها ، غير انني لا أستحسن ما فعلت – لا ، يا أخي ، لا أستحسن لماذا أخذت شيئاً يخص سواها ؟ هذا أمر رديء . . .

تاتيانا : لينا ، انني عائدة الى غرفتي . (تساعدها يلينا وتمسك بذراعها . يمران بجوار نيل فتقول تاتيانا له في صوت خافت) اخجل من نفسك ! أخرجه !

بيسيمينوف (يتمالك نفسه جاهداً) : اخرس ، يا بيرتشيخين ! اجلس واخرس ، وان لم تستطع ذلك فإذهب الى بيتك . . .

(تدخل بوليا يتبعها بيوتر .)

بيوتر (الى بوليا) : انتظري ، تمالكي نفسك . . . ارجـوك !
بوليا : فاسيلي فاسيليفيتش ! لماذا طردت والدي آخر مرة كان هنا ؟

(يشخص بيسيمينوف صامتاً اليها في صرامة ثم يجول بأنظاره بين الحاضرين)

بيرتشيخين (يهز أصبعه) : صمتاً ، يا ابنتي ! ولا كلمة ! كان يجب أن تفهمي . لقد تناولت تاتيانا السم ، لماذا فعلت هذا ؟ . . . أترين ؟ أترى يـا فاسيلـي فاسيلييفيتش ؟ – اني أدين الجميع ها هنا كما ينبغي ويجب ! كمـا يقتضـي الضميـر والحقيقـة وبكل بساطة . . .
بوليا : رويدك ، يا أبي .
بيوتر : لحظة يا بوليا . . .
نيل : لا تتدخل أنت .
بيسيمينوف : أما أنت ، يا بوليا ، فأنت وقحة . . .
بيرتشيخين : هي ؟ أوه ، لا ، هي . . .
بيسيمينوف : اخرس انت ! يبدو أنني أضعت النهى . منزل مَنْ هذا المنزل على أية حال ؟ من هو السيد هنـا ؟ من يقول هذا خطأ وهذا صواب ؟
بيرتشيخين : أنا ! سأدين كل شيء . . . الجميع ، كـلاً حسب دوره ، لا تأخذي ما هو ليس لك . هذا اولاً ! واذا أخذته يجب أن ترديه . هذا ثانياً !

بيوتر (الى بيرتشيخين) : اسمع ! كفّ عن الثرثرة وتعال الى غرفتي . . .

بيرتشيخين : أنا لا أحبك ، يا بيوتر ! أنت فتى فارغ . ومتكبر جداً . ولا تعرف شيئاً أيضاً . ما هي شبكة المجاري ؟ آها ! كانوا يستوضحونني يا اخ . . . (يشده بيوتر من ردنه) ارفع يديك عني ! لا تلمسني !

نيل (الى بيوتر) : لا تلمسه . دعه وشأنه !

بيسيمينوف (الى نيل) : ماذا تفعل هنا ؟ تؤجج البغضاء ها ؟

نيل : أريد أن أعرف القصد من هذا كله . ما هو ذنب بيرتشيخين ؟ لماذا طردته ؟ وما علاقة بوليا بالامر ؟

بيسيمينوف : هل تستجوبني ؟

نيل : وماذا اذا فعلت ذلك ؟ أنت كائن بشري مثلي .

بيسيمينوف (غاضباً) : لا ، أنت لست كائناً بشرياً ، أنت . . . أنت سم ! أنت وحش !

بيرتشيخين : هس ! فلنتكلم في هدوء ، وفي عدالة . . .

بيسيمينوف (الى بوليا) : وأنت ، أنت ، أيتها الحقودة . . . المتسوّلة !

نيل (من خلال أسنانه) :كفّ عن الصراخ ، أنت !

بيسيمينوف : ما هذا ؟ أخرج أيها الثعبان ! تنقلب عليّ أنا الذي أطعمك من عرق جبيني . . .

تاتيانا (من غرفتها) : ابتاه ! يا بابا !

بيوتر (الى نيل) : أرأيت ؟ هل حصلت على ما كنت تريد ؟ تبّاً لك ! اخجل من نفسك !

بوليا (بصوت خافت) : حذار أن تصرخ في وجهي ! فأنا لست أمة عندك . ليس بوسعك ان تهين الجميع . أخبرني لماذا طردت أبي من البيت ؟

نيل (في هدوء) : أخبرني أنا الآخر . فهذا ليس بيت مجانين . وعلى المرء ههنا ان يجيب عن أفعاله .

بيسيمينوف (في مزيد من الهدوء ، متمالكاً نفسه) : أخرج ، يا نيل ! أخرج قبل أن يقع خطْب ما . لا تنس . . . أنا مَنْ أطعمك . أنا من ربيتك .

نيل : لا تؤنبني بلقمة خبزك ! لقد دفعت لك من عملي ثمن كل ما أكلت .

بيسيمينوف : لقد أكلت روحي ، أيها الجاحد !

بوليا (تمسك يد نيل) فلنخرج من هنا !

بيسيمينوف : اذهبي . . . ازحفي أيتها الأفعي . أنت الملومة . كل ما حدث أنت مسؤولة عنه . لقد لدغت ابنتي . والآن تأخذينه يا ملعونة . بسببك أنت صارت ابنتي . . .

بيرتشيخين : فاسيلي فاسيلييفيتش ! على رسلك ! بعدالة !

تاتيانا (تصرخ) : هذا ليس صحيحاً ، يا أبتاه ! بيوتر ، لماذا تصمت ؟ (تظهر عند باب غرفتها وتترنح إلى داخل الغرفة باسطة ذراعيها في وهن) لا تسمح بهذا يا بيوتر ! يا إلهي الطيب ! تيرينتي خريسانفوفيتش ! أخبرهم . . . قل لهم . . . نيل ! بوليا ! بحق الله ، اخرجا ! إذهبا ! لماذا يحدث كل هذا . . . (تمتلىء الغرفة بحركات مضطربة . ينهض تيتيريف في بطء

مكشراً عن أسنانه . يتراجع بيسيمينوف أمام إبنته . يمسك بها بيوتر من ذراعها يساعدها ويتطلع حواليه مذهولاً)

بوليا : تعال !

نيل : حسناً ! (إلى بيسيمينوف) نحن ذاهبان . إذن ! يؤسفني أن ينتهي الأمر بكل هذا الضجيج .

بيسيمينوف : أخرج ! أخرج ! وخذها معك !

نيل : سأذهب ، ولن أعود .

بوليا (في صوت عال مرتجف) : هل يعقل ان تتّهمني بمثل هذا الأمر وتلومني بسبب تانيا ؟ هل أنا مسؤولة ! أنت عديم الحياء . . .

بيسيمينوف (ثائراً) : أأنت ذاهبة ؟ !

نيل : لا تصرخ !

بيرتشيخين : لا تغضبا ، يا ولديّ . يجب أن نكون حليمين . . .

بوليا : وداعاً ، تعال ، يا أبتاه !

نيل (الى بيرتشيخين) : هيا بنا !

بيرتشيخين : لا ، لا أريد أن أذهب معكما ! أنا لي طريقي . . . أنا أسير لحالي . وحيداً . تيرينتي ، اني أقف وحيداً ! ليس لي ضلع في هذا الأمر .

تيتيريف : هيا إلى غرفتي .

بوليا : تعال ، تعال قبل أن تُطرد من جديد .

بيرتشيخين : لا ، لن أذهب . تيرينتي ، لا مكان لي بينهم . أنا أفهم . . .

بيوتر (الى نيل) : إذهبا إذن . . . اللعنة عليكما !
نيل : أنا ذاهب . . . وداعاً . . . ولكنك . . . يا لــــــــك من . . .
بوليا : نحن ذاهبان . . .

(يخرجان)

بيسيمينوف (يصيح في إثرهما) : ستعودان . . . ستعودان زاحفين !
بيوتر : كفى ، يا أبتاه . كفى . . .
تاتيانا : ياأبتاه ! لا تصرخ ، يا عزيزي . . .
بيسيمينوف : إنتظرا . . . مهلاً . . .
بيرتشيخين : حسناً ، لقد ذهبا الآن ، عظيم ! فليذهبا !
بيسيمينوف : كان بودّي أن أقول لهما قبل الوداع رأيــــي فيهما ، ذينك الشقيين ! أطعمتهما ، أسقيتهمــــا . . (إلى بيرتشيخين) وأنت ، أنت أيها الشيطان العجوز ! أنت أيها الأحمــق ! لقـــــد جئـت إلى هنــا وبدأت ثرثرتك . . . وراء ماذا تسعى ؟ وراء ماذا ، أنــــا أسألك ؟
بيوتر : كفى ، يا أبي !
بيرتشيخين : فاسيلي فاسيلييفيتش ! لا تصرخ في وجهــي . أنا أحترمك ، أيها الرجل الغريب ! أنا أحمق ، هذا صحيح ، ولكني أفهم مَنْ يمضي إلى أين . . .
بيسيمينوف : (يتهالك على الأريكة) : لقد تاهت أفكاري .

أنا لا أفهم أمراً . ماذا حدث ؟ هذا يشبه حريق مفاجئ في صيف قائظ . . . لقد ذهب أحدهم . . . قائلاً إنه لن يعود . يقولها بكل بساطة ! هكذا . . . لا ، لا أستطيع أن أصدقه . . .

تيتيريف (الى بيرتشيخين) : فيم وقوفك هنا ؟ وفيم تتكلم ؟

بيرتشيخين : كيما أوضح الامور . طريقتي بسيطة في النظر الى الأمور يا أخ . . . واحد إثنان ! وهذا كل شيء . إنها إبنتي ، أليست كذلك ؟ حسناً جداً . هذا يعني أنها ملزمة . . . (يصمت فجأة) كنت أباً سيئاً بالنسبة إليها ، فهي ليست ملزمة إذن . فلتحيا عمرها كما يحلو لها ! أما تانيا فأشعر بالاسف من أجلها . أشعر بالأسف من اجلك ياتانيا ! أشعر بالأسف من أجلكم جميعاً يا إخوان ! يا للاسف ! اذا أردتم الحقيقة فأنتم جميعاً حمقى !

بيسيمينوف : إخرس أنت . . .

بيوتر : هل ذهبت يلينا نيقولاييفنا ، يا تانيا ؟

يلينا (من غرفة تاتيانا) : أنا هنا ! إني أهيئ الدواء .

بيسيمينوف : رأسي في دوامة . لا أفهم شيئاً من شيء . أذهب نيل حقاً على هذا الغِرار ؟

أكولينا ايفانوفنا (تدخل مضطربة) : ماذا حدث ؟ نيل و بيلاغيا في المطبخ . . .كنت في المخزن . . .

بيسيمينوف : هل ذهبا ؟

أكولينا ايفانوفنا : كلا ، فهما يدعوان بيرتشيخين . تقول

بيلاغيا : أخبري أبي . . . وترتجف شفتاها . . . ونيل يزمجر مثل كلب غاضب . ماذا حدث ؟

بيسيمينوف (ناهضاً) : سأذهب الآن إليهما . . .

بيوتر : لا تذهب ، يا أبتاه ! لا تفعل ذلك .

تاتيانا : أبتاه ، أرجوك لا تفعل !

بيسيمينوف : لا أفعل ماذا ؟

أكولينا ايفانوفنا : ما الأمر ؟

بيسيمينوف : أتفهمين . . . نيل راحل . دون رجعة .

بيوتر : وماذا في هذا ؟ إنه يرحل . جيّد جداً ! فيم تحتاجه ؟ لسوف يتزوج . يريد أن يعيش في أسرة خاصة به .

بيسيمينوف : خاصـــــة به ! من أنا إذن ، هل أنا غريب بالنسبة إليه ؟

أكولينا ايفانوفنا : لماذا تنفعل ، أيها الأب ! ألله معه ! ليذهب . . . ان لدينا ولدينــــا نرعاهمـــا . (الى بيرتشيخين) ماذا تنتظر ؟ اذهب إليهما !

بيرتشيخين : طريقهما ليست طريقي .

بيسيمينوف : كلاّ . . . ليس الأمر في هذا . فليرحل إن كان يبغي الرحيل ولكن أرأيتموه كيف يرحل ؟ كيف ينظر اليّ ؟

(تخرج يلينا من غرفة تاتيانا)

تيتيريف (يمسك بيرتشيخين من ذراعه ويقوده ناحية الباب) : هيا بنا نشرب كأساً ، أنت وأنا .

بيرتشيخين : هيا بنا يا مزمار الله ! انت جاد حقاً . . .

(يخرجان)

بيسيمينوف : كنت أعرف أنه سيرحل عنا ذات يوم ، لكن أيرحل المرء بهذه الطريقة ؟ أما هي . . . هذه . . . فكم صرخت ! تلك ألفتاة الخادمة الحقيرة ! سأذهب الآن لألقنهما . . .

أكولينا ايفانوفنا : كفى ! دعهما ، أيها ، الأب ! فهما غريبان عنا ! فيم تشغل نفسك بهما ؟ لقد ذهبا – وانتهى الأمر !

يلينا (تخاطب بيوتر في رقة) : تعال معي .

تاتيانا (الى يلينا) : وأنا أيضاً . خذيني معك !

يلينا : تعالي . . . هيا بنا .

بيسيمينوف (وقد سمع دعوتها) : إلى أين ؟

يلينا : إلى غرفتي . . .

بيسيمينوف : من دعوت ؟ بيوتر ؟

يلينا : نعم . . . وتانيا أيضاً . . .

بيسيمينوف : تانيا لا دخل لها ! أما بيوتر فلا حاجة له للذهاب اليك !

بيوتر : لكن ، يا والدي ، أنا لست طفلاً . سأذهب أو لا أذهب ، حسبما أنا . . .

بيسيمينوف : أنت لن تذهب !

10*

اكولينا ايفانوفنا : يا بيتيا ! لا تعانـد والدك . إسمع ! لا تعانده . . .
يلينا (ثائرة) : عن إذنك ، يا فاسيلي فاسيلييفيتش ! . . .
بيسيمينوف : لا ، بل أنا أطلب عفوك . . . حتى ولو كنتم من المثقفين ، ولو كنتم فقدتم كل وازع مـن ضمير ، وكل إحترام لأحد . . .
تاتيانا (في صوت هستيري) : أبتاه ! كفى !
بيسيمينوف : إمسكي لسانك ! إذا رسنـك ليس في يدك فاسكتي . . . مهلاً ، إلى أين تذهبين ؟

(تتجه يلينا ناحية الباب)

بيوتر (يسرع وراءها ويمسك يدها) : إنتظري ! لحظـة ! ينبغي أن نوضح الأمر . . . ألآن . . . وفي الحال !
بيسيمينوف : ينبغي أن تسمعوني . . . إعملوا معروفـاً واسمعوني مرة . أعطوني فرصـة لأفهم ما يجري ؟ (يدخل بيرتشيخين مرحاً مبتسماً يتبعـه تيتيريف وهو يبتسم أيضاً . يقفان عند الباب ويتبادلان النظرات . يغمز بيرتشيخين ناحيـة بيسيمينوف ويلوح بيده في إستخفاف) الكل ينصرفون على مزاجهم ! ولا احد منهـم يشرح سبب ما يفعل . . . ينصرفـون عبثـاً بصورة مؤلمة ومشوهة ! إلى أين بوسعك ان تذهب يا بيوتر ! أنت . . . من أنت ؟ كيف تريـد أن تعيش ؟ وماذا تريد أن تفعل ؟ (أكولينا ايفانوفنا تشهق في هدوء .

يقف بيوتر ويلينا وتاتيانـا جنباً إلى جنب مشكلين جماعة متكاتفة ازاء بيسيمينوف ، وحين يقول : «إلى أين بوسعك أن تذهب» تبتعد تاتيانـا ذاهبـة إلى المنضدة حيث وقفت أمهـا . يومئ بيرتشيخين إلى تيتيريف – يهز رأسه ويلوح بيديه كما لو كان يطرد سرباً من العصافير .) إن لي الحق أن أستوضح . فما برحت أنت صغيراً أحمق ! طوال ثمانية وخمسين عاماً ظللت أنهك قواي في سبيل ولديّ . . .

بيوتر : سمعت هذا من قبل ، يا أبي . مائة مرة . . .

بيسيمينوف : كفى ، إخرس !

أكولينا ايفانوفنا : آه ، بيتيا ! بيتيا !

تاتيانا : أواه يا أماه . . . أنتِ لا تفهمين شيئاً !

(تهز أكولينا إيفانوفنا رأسها)

بيسيمينوف : ولا كلمة ! ماذا بوسعـك أن تقول؟ ماذا بوسعك أن تستند إليه ؟ لا شيء !

بيوتر : أنت تعذّبني ، يا أبي . ماذا تبغـي مني ؟ ماذا تريد ؟

أكولينا ايفانوفنا (تصرخ فجأة) : مهلاً ! أنا أيضاً لي قلب يشعر . أنا أيضاً لي الحق الكلام ! يا ولدي الحبيب ! ماذا تفعل ؟ ماذا تريد أن تفعل ؟ إنّني أكلّمك أنت !

تاتيانا : هذا فظيع ! مثل منشار مثلوم . (إلى أمها .) أنت تمزقينني إرباً – جسداً وروحاً .

أكولينا ايفانوفنا : أمك . . . منشار مثلوم ؟ أمك ؟
بيسيمينوف : رويدك ، أيتها العجوز ! ها هو . . . دعيه يتكلم .
يلينا (الى بيوتر) : كفى اذن ! لم اعد احتمل المزيد بعد . سأرحل .
بيوتر : لحظة واحدة ، بربّك ! سيتّضح كل شيء حالاً .
يلينا : هذا مستشفى للمجانين ، و . . .
تيتيريف : إرحلي ، يايلينا نيقولاييفنا ! فليذهبوا إلى الجحيم . . . جميعهم !
بيسيمينوف : أنت أيها السيد – أنت . . .
تاتيانا : ألن ينتهي هذا ؟ إذهب ، يا بيوتر !
بيوتر (في صوت يشبه صرخة) : أبتاه ! أنظر ! أماه ! هذه هي عروستي !

(صمت . تنصب العيون على بيوتر . ثم تهز أكولينا إيفانوفنا يديها وتنظر في رعب إلى زوجها . يميل بيسيمينوف إلى الوراء بكل جسده فكأن أحداً دفعه ، ويطرق برأسه على صدره . تطلق تاتيانا زفرة عميقة وتخطو في تؤدة ناحية البيان ، وقد تهاوت ذراعاها إلى جانبيها)

تيتيريف (بصوت خافت) : اختار اللحظة المناسبة .
بيرتشيخين (يخطو متقدماً) : هذا كل شيء إذن ! هذا هو الأمر . ألطيور كلها تطير ! هيا ، أيها الفتيان ! طيروا من أقفاصكم كالطيور في عيد العذراء !

يلينا (تخلّص يدها من قبضة بيوتر) : دعني ! فأنا لا أطيق . . .

بيوتر (مهمهماً) : وضح كل شيء الآن . وفوراً بشكل نهائي .

بيسيمينوف (ينحني أمام ولده) : شكراً لك ، يا بنيّ ، على هذا النبأ الطيب !

أكولينا إيفانوفنا (دامعة العينين) : أهلكت نفسك ، يا بيتينكا ! فهي ليست لك نداً .

بيرتشيخين : هي ؟ ليست ندّ لبيوتر ؟ ماذا تقولين ، أيتها العجوز ؟ ماذا يساوي هو ؟

بيسيمينوف (يخاطب يلينا في بطء) : شكراً لكِ أيضاً ، أيتها السيدة ! لقد انتهى الآن ! عليه ان يكمل دراسته ، . . . أما الآن . . . إنها براعة منك ! ولكني توقعت هذا الأمر. (في حقد .) تهانيّ على هذا الصيد ! يا بيتكا ! لن تنال بركتي ! وهكذا أقتنصته ، أليس كذلك ؟ تسللت واقتنصته ، أيتها القطة الملعونة !

يلينا : كيف تجرؤ !

بيوتر : أبتاه ! هل فقدت صوابك !

يلينا : كلّا ! لحظة ! أجل ، هذا صحيح ! أجل ، أنا أخذته منك بنفسي ! أنا بنفسي . . . وأنا بنفسي قلت له . . . أجل ، فعلت ذلك ! أنا التي عرضت عليه الزواج ! أتسمع هذا ، أيها البوم العجوز ؟ أتسمع ؟ أنا التي إنتزعته منكم ! شفقة عليه ! لقد عذبتموه ! أنتم لستم من البشر ، أنتم نوع من صدأ يأكل الناس ! كان حبكم هلاكاً بالنسبة اليه ! أنتم تظنون –

أواه ، وأنا أعلم ما تظنون ! – تظنون أني فعلت ذلك من أجلي ؟ حسناً ، ظنوا ما طابت لكم الظنون ! آه ! لكم أكرهكم !

تاتيانا : لينا ! لينا ! ماذا تقولين ؟

يلينا : إسمعوا ، قد لا يجمعنـــا عقد زواج . . . لسوف يسعدك ذلك ، ها ؟ بلى ، هذا جائز جداً ! لا تذعر قبل الأوان ! لسوف أعيش معه وحسب – من دون عقــد زواج . لكنني لن أعيده إليكم ، لن أعيده ! لن يكونوا بوسعكم أن تعذبوه من الآن فصاعداً ! لن يكون ذلك ! ابداً لن يعود إليكم ! أبداً ! أبداً !

تيتيريف : مرحى ، أيتها المرأة ، مرحى !

أكولينا ايفانوفنا : أيتها السموات الرحومة ! أيها الأب ، ماذا يحدث ؟ أيها الأب . . .

بيوتر (يدفع يلينا ناحية الباب) : إذهبي . هيا أذهبي .

(تخرج يلينا وتشدّ بيوتر وراءها .)

بيسيمينوف (يتطلع حواليه حائراً) : هكذا ؟ (بصوت مرتفع سريع .) نادوا الشرطة ! (يضرب الأرض بقدميــه .) لتخرج هي من بيتي ! غداً بالذات ! تباً لها !

تاتيانا (تقترب من والدها) : أبتاه ! ما لك ؟

بيرتشيخين (مذهولاً عاجزاً عـــن الفهـــم) : فاسيلـــي فاسيلييفيتش ! عزيزي ! ما الأمر ؟ فيم صراخـــك ؟ يجب أن تفرح . . .

تاتيانا (تقترب من والدها) : **أصغ . . .**

بيسيمينوف : أنتِ ! أنتِ لا تزالين هنا ! لِمَ لا تذهبين أيضاً ؟ هيّا اذهبي أيضاً ! ليس هنالك مكان تذهبين اليه ؟ ليس هنالك من تذهبين معه ؟ أضعت فرصتك ، أليس كذلك !

(إرتدّت تاتيانا عنه ، وأسرعت خطواتها إلى البيان . أكولينا ايفانوفنا – مرتبكة تدعو الى الرثاء – تندفع إليها)

بيرتشيخين : كفى يا فاسيلي فاسيلييفيتش ، فكرّ في الأمر ! لن يتابع بيوتر دراسته بعد الآن – فيم يفعل ذلك ؟ (يحدق بيسيمينوف في وجـــه بيرتشيخين ببلادة ويهز رأسه .) لديه ما يكفي من المال يعيش به – لقد إدخرته أنت . وزوجته ممتازة ، وهذا انت تصيـــح وتزمجر ! ثب الى رشدك أيها العجوز الغريب !

(ينفجر تيتيريف ضاحكاً)

أكولينا ايفانوفنا (باكية) : تركونا جميعاً ! رحلوا جميعاً !

بيسيمينوف (يتطلع حواليـــه) : صمتاً ، يا أم ! لســوف يعودان . لن يجرؤا على الذهاب ! وأين يذهبان ؟ (إلى تيتيريف .) فيم تكشيرتـك هذه ، أيهـــا الطاعون

الملعون ؟ أخرج من بيتي أنت أيضاً ! غداً بالذات أخرج ! هنا عصابة كاملة منكم . . .

برتشيخين : فاسيلي فاسيليفيتش !

بيسيمينوف : أغرب عن وجهي ، أيها المتشرد البائس !

أكولينا ايفانوفنا : تانيا ! يا ابنتي المباركة ! يا ابنتي البائسة ! ماذا سيحدث ؟

بيسيمينوف : كنت تعرفين كل شيء ، يا إبنتي ! تعرفين ذلك من زمن طويل ولم تقولي عنه كلمة واحدة ! مؤامرة ضد أبيك ، أليس كذلك ؟ (تلوح على وجهه فجأة نظرة من الرعب) . أتعتقدين بأنه لن يهجرها — تلك المرأة ؟ يتزوج من مومس ! إبني أنا ! أوه ، اللعنة عليكم جميعاً ! يا لكم من بائسين ومفسدين !

تاتيانا : أتركوني ! لا تحملوني على ان أكره . . .

أكولينا ايفانوفنا : إبنتي الحبيبة ! يا إبنتي التعيسة ألحظ ! لقد عذبوك ! عذبونا جميعاً ، لماذا فعلوا ذلك ؟

بيسيمينوف : من فعل ذلك ؟ إنه ذلك الشقي السافل نيل ! هو الذي أفسد ولدنا ! وهو الذي أساء الى إبنتنا ! (يلمح تيتيريف واقفاً إلى جانب الخوان .) ماذا تفعل هنا ، أيها الصعلوك ؟ لماذا أنت باق هنا ؟ أخرج من بيتي !

برتشيخين : فاسيلي فاسيليفيتش ! ما ذنبه هو ؟ لقد فقدت صوابك أيها العجوز !

تيتيريف (في وقار) : لا تصرخ ، أيها العجوز ! ليس لديك

القدرة على ايقاف ما ينقضُّ عليك . لكن ، لا تخف ، فلسوف يعود ولدك .

بيسيمينوف (في عجلة) : وكيف . . .كيف تعرف هذا ؟

تيتيريف : لن يتركك طويلاً . لقد ارتفع الى فوق بعض الوقت لأنهم جروه إلى هناك ولكنه سيهبط من جديد . وما أن تطويك المنية حتى يبدل حظيرتك هذه قليلاً ، وينقل الأثاث فيها ويعيش مثلما كنت أنت تعيش — هادئاً ، مرتاحاً ، عاقلاً .

بيرتشيخين (الى بيسيمينوف) : أرأيت ؟ يالك من رجل غريب سريع الغضب ! هو يرجو لك الخير ، ويقول كلمات لطيفة ليهدئك ، وأنت تصيح في وجهه ! انه رجل حكيم ، تيرينتي هذا ، يا أخ . . .

تيتيريف : لسوف يعيد ترتيب الأثاث ويعيش واثقاً أنه قام بواجبه جيداً تجاه الحياة والانسان . فلقد جبل على صورتك ومثالك .

بيرتشيخين : كقطرتين من الماء !

تيتيريف : يشبهك تماماً — فهو أحمق بقدر ما هو جبان .

بيرتشيخين (الى تيتيريف) : مهلاً ، ما هذا الذي تقول ؟

بيسيمينوف : واصل كلامك ولا تشتم . كيف تجرؤ على ذلك !

تيتيريف : سيغدو في وقته جشعاً ، قاسي القلب ، متغطرساً مثلك . (يحدّق بيرتشيخين في وجه تيتيريف متسائلاً ، محاولاً أن يستوعب ما إذا كان يؤاسي العجوز أم يشتمه . يبدو على وجه بيسيمينوف أيضاً عدم الفهم ،

ولكن حديث تيتيريف يثير إهتمامه) . ولسوف يكون بائساً في آخر الأمر مثلما أنت بائس الآن . الحياة تسير قدماً ، أيها العجوز ، ومَن لا يستطيع مواكبتها سيجد نفسه وحيداً .

بيرتشيخين : هكذا إذن ! أتسمع ؟ ذلك يعني ان كل شيء هو كما ينبغي أن يكون ، وهذا أنت تشخر وتخور !

بيسيمينوف : اياك عني !

تيتيريف : وكذلك لن يرحموه ، ولدك المسكين البائس . لسوف يسألونه بكل صراحة في وجهه ، مثلما أنا أسألك الآن : من أجل ايّ شيء عشت ؟ وأي خير فعلت ؟ ولسوف يكون ، مثلك الآن ، عاجزاً عن الجواب .

بيسيمينوف : هكذا . . . ذلك ما قلته الآن إذن . . . أنت دائماً تتحدث بطلاوة ! لكن ، فتش في روحك ، فماذا أنت واجد فيها ؟ كلاّ ! لا أصدق كلمة مما تقول أنت . و . . . هيا ، إرحل من المسكن ! فقد اكتفيت منكم . انت أيضاً فعلت هنا الكثير مما أساء إليّ . . .

تيتيريف : آه لو كنت أنا الفاعل حقاً ! لكنه للاسف لست أنا (يخرج) .

بيسيمينوف (يهز رأسه) : حسناً . . . سنحتمل إذن ! سننتظر . . . إحتملنا فترة طويلة ولسوف نحتمل فترة أخرى ! (يدلف الى غرفته) .

أكولينا ايفانوفنا (تركض وراء زوجها) : أيها الآب ! يا رَجلي ألعزيز ! يا لنا من تعساء ! لماذا فعل أولادنا

بنا هذا ؟ ماذا فعلنا لننال ذلك ؟ (تدلف الى غرفتها . يقف بيرتشيخين وسط الغرفة ، يطرف بعينيـــــه فى تساؤل وعدم فهم . وتاتيانا ، وقد جلست على مقعد البيان ، تنظر حواليها بوحشية . يتسرب من غرفـــة بيسيمينوف حديث خافت .)

بيرتشيخين : تانيا ! تانيا ! (لا تعيره تاتيانا التفاتاً) . تانيا ! ما سبب هذا . . . هذا الهروب ، وهذا البكاء — ما السبب ، ايه ؟ (ينظر الى تاتيانـــا ويتنهد .) طيور غريبة ! (ينظر الى باب غرفة بيسيمينوف ، ثم يتجه الى باب المدخل هازاً رأسه .) حسناً . سأذهب الى تيرينتي . . . طيور غريبة !

(تنهار تاتيانا في بطء ، مسقطة ذراعيها على مفاتيح البيان ، معتمدة رأسها بين يديها . ينطلق في الغرفة نغم عالٍ متنوع اللحن من عدة مفاتيح معاً . ويخمد الصوت تدريجياً .)

ستار

الى قسطنطين بتروفيتش بياتنيتسكي
م . غوركي

الحضيض

مشاهد في اربعة فصول

بدأ غوركي بكتابة هذه المسرحية في ديسمبر ١٩٠٠ . وجرى اول عرض لهـا في ١٨ ديسمبـر ١٩٠٢ ، في مسرح موسكو الفني .

الشخصيات

ميخائيل ايفانوفيتش كوستيليوف ، ٤٥ عاماً ، صاحب دار للسكنى .
فاسيليزا كاربوفنا ، ٢٦ عاماً ، زوج ميخائيل .
ناتاشا ، ٢٠ عاماً ، شقيقتها .
ميدفيديف ، ٥٠ عاماً ، عمها ، شرطي .
فاسكا (فاسيا) بيبيل ، ٢٨ عاماً .
أندري ميترينتش كليش ، ٤٠ عاماً ، صانع أقفال .
آنا ، ٣٠ عاماً ، زوج أندري .
ناستيا ، ٢٤ عاماً ، عاهرة .
كفاشنيا ، امرأة في حوالي الأربعين تبيع ال«بلميني» .
بوبنوف ، ٤٥ عاماً ، صانع قبعات .
البارون ، ٣٣ عاماً .
ساتين | في حوالي
الممثل | الاربعين
| من العمر
لوكا ، ٦٠ عاماً ، أفّاق .
أليوشكا ، ٢٠ عاماً ، اسكافي .
كريفوي زوب | حمالان
التتري |
عدة أفّاقين صامتين لا أسماء لهم .

KMH

الفصل الأول

قبو اشبه ما يكون بالكهف ، سوّد الدخان سقفه المقبّب وتساقط الجص في بعض نواحيه . النور ينبثق من المتفرجين وينحدر من اعلى الى اسفل من نافذة مربعة الشكل تقوم الى اليمين . وثمة فاصل رقيق يفصل الزاوية اليمنى من المسرح الى غرفة تخصّ بيبيل ، وبالقرب من بابها تنتصب دكـة خشبية لبوبنوف . مدفأة روسية ضخمة تشغل الزاويـة اليسرى . والى اليسار باب في حائط حجري يؤدي الى المطهى حيث تعيش كفاشنيا ، والبارون ، وناستيـا . . . سرير عريض قائم خلف ستار من خرقة قطنية وسخة ، ملتصقـاً بالحائط بين المدفأة وذلـك الباب . ودكك من الأخشاب تصطف على طول الجدران . وفي مقدمة المسرح كتلة خشبية كبيرة عليها ملزمة حديديـة وسندان صغير . وخلف هذا السندان ، على كتلة مماثلة لكن أوطأ ، يقبع كليش وهو يجرّب ادخال بعض المفاتيح في قفل عتيق بين يديه . وقد تبعثرت على الأرض حواليه حلقتان معدنيتان تضمان مفاتيح شتى من مختلف القياسات ، وسماور محطم من الصفيـح ، ومطرقة ومبارد . أما وسط المسكن فتشغله طاولة كبيرة ، ومقعدان خشبيان ، وكرسي لا مسند له ، وجميعها قذرة غير مدهونة . كفاشنيا تجلس الى الطاولة منهمكـة في شؤون السماور ، والبارون يمضغ قطعة من الخبز الاسود ، وناستيا تجلس على كرسي لا مسند له مرتفقة المائدة تقرأ كتابـاً

ممزقاً . صوت آنا يدندن من خلف ستـــــار السرير وهـــي تسعل . بوبنوف متربع على دكته وبين ركبتيه قالب خشبي لقبعة ، يحاول أن يضع عليه عدة شرائط من بنطال مفتق عتيق ويفكر في اسلوب تفصيل القبعة ، والى الأمام منه علبة كارتون ممزقة لحفظ القبعة فيها حافات القبعات وقطع مـــن المشمع وقصاصات قماش . ساتين الذي أفاق لتوّه يضطجع على دكته يدمدم . الممثل يسعـــــل ويتململــــــل على ظهر المدفأة * ، لا يراه النظارة .

الوقت صباح يوم من ايام
الربيع الاولى .

البارون : ثم ماذا ؟

كفاشنيا : وقلت له : لا ، يا عزيزي ، إبعد عني وانت تريد ان تفعل ذلك . وقلتُ : سبـــــق لي فجرّبت هذا الشيء ، فلن أعقد الزواج مرة ثانية حتى ولا لقاء مائة سرطان نهري مشوى !

بوبنوف (الى ساتين) : فيم تزمجر هكذا ؟

(ساتين يدمدم من جديد)

---

* المدفأة الروسية مبنية بشكل متسع بحيث يكفي سطحها لاستخدامه كسرير . **(المترجم)** .

كفاشنيا : وقلت أيضاً : أنا ، المرأة الحرة الطليقة ، صاحبة نفسي ، أذهب وأسجّل نفسي في جـــواز شخص آخر كيما أصبح أمـــة رجل ما — لا وحياتـــك ! لا ! أبداً ! وان يكن أميراً أميركياً نفسه لن أتزوجه أبداً !

كليش : هذا كذب صراح !

كفاشنيا : ما . . . ا . . ذا ؟

كليش : هذا كذب فاضح . لسوف تتزوجين أبرام !

البارون (يختطف كتاب ناستيـــا ويقرأ العنوان) : «الحب القاتل» (يضحك)

ناستيا (تمد يدها لتأخـــذ الكتاب) : هات ، ُردّه اليّ ! تعال ! كفى هذراً !

(البارون ينظر اليها ويغيظها بتلويح الكتاب في الفضاء)

كفاشنيا (الى كليش) : أنت تيس عجـــوز أحمر الشعر ، وتقول : كذب صراح ! كيف تجرؤ على اهانتي هكذا ؟ !

البارون (يضرب ناستيا بالكتاب على رأسها) : أنت حمقاء ، يا ناستيا !

ناستيا (تختطف منه الكتاب) : أعطنيه !

كليش : يا للسيدة الرائعة ! لكنـــك ستتزوجين أبرام في الحال ! هذا كل ما تنتظرين !

كفاشنيا : نعم ، بالطبع ! وكيف لا ! تلك الطريقــة التي ُسقْتَ بها زوجتك الى شبه الموت . . .

كليش : اخرسي يا كلبة عجوزة ! ليس هذا من شأنك !

كفاشنيا : أو – هو ! لستَ تحبُ سماع الحقيقة !
البارون : لقد شرعا في القتال ! ناستيا ، أين أنت ؟
ناستيا (دون أن ترفع رأسها) : ماذا ؟ اتركني !
آنا (تطل برأسها من خلف الستار) : بدأ النهار ! فبحق الله . . . لا تصيحوا . لا تتشاجروا !
كليش : ها هي بدأت عويلها !
آنا : يتكرر هذا في كلّ نهار . دعوني أمت في طمأنينة وراحة على الأقل !
بوبنوف : الضجيج لا يعرقل الموت . . .
كفاشنيا (تذهب صوب آنا) : كيف تقوين على الحياة مع هذا العفريت ، يا حبيبتي المسكينة ؟
آنا : اتركيني وشأني . اذهبي عني .
كفاشنيا : وَيْ ! يا للصابرة ! أصدرك أكثر راحة اليوم ؟
البارون : كفاشنيا ! حان وقت الذهاب الى السوق !
كفاشنيا : دقيقة واحدة فقط! (الى آنا) أفلا تريدين بعض «البلميني» * الحارة الطيبة ؟
آنا : لا أريدها . . . شكراً . أيفيدني اكلها ؟
كفاشنيا : جرّبيها فقط . طيبة حارة ، وستخفف من حدة سعالك . سأترك لك منها في هذا الطاس فتأكلينها وقتما تشعرين برغبة في ذلك . هيا يا سيدي ! (الى

---

* بلميني – نوع من فطائر صغيرة جداً باللحم . ياكلونها مسلوقة . **الناشر** .

كليش) بر ـــرـــر ! يالـــك من غول ! (تخرج الى المطهي) .
آنا (وهي تسعل) : أواه ، يا رب !
البارون (يدفع رأس ناستيا بلطف) : دعيك من هذا ، أيتها الحمقاء !
ناستيا (مجمجمة) : اتركني . . . انا لا أزعجك .

(البارون يصفر لحناً ، وهو يخرج في أعقاب كفاشنيا) .

ساتين (ينهض نفسه في دكته) : من ضربني ليلة البارحة ؟
بوبنوف : وأي فارق في ذلك عندك ؟
ساتين : لا فارق . لكن ، لماذا ضربوني ؟
بوبنوف : أكنت تلعب الورق ؟
ساتين : نعم .
بوبنوف : اذن ، لهذا السبب ضربوك . . .
ساتين : يا للأوغاد !
الممثل (يطل برأسه من سطح المدفأة) : سيضربونـك حتى الموت في يوم من الأيام .
ساتين : أنت حمار .
الممثل : لماذا ؟
ساتين : لأنه لا يمكن قتل المرء مرتين .
الممثل (بعد فترة صمت) : لا أفهم . . . لماذا لا يمكن هذا ؟
كليش (الى الممثل) : اهبط عن هذه المدفأة ورتّب المكان . لماذا انت مرتخ حتى هذا الوقت ؟

الممثل : ليس هذا من شأنك .

كليش : مهلاً حتى تجيء فاسيليزا . وسترينك من شأن مَنْ هذا !

الممثل : الى قاع الجحيم ، فاسيليزا هذه ! هو دور البارون في التنظيف اليوم . يا بارون !

البارون (داخلاً من المطهى) : لا وقت عندي للتنظيف . فأنا ذاهب الى السوق صحبة كفاشنيا .

الممثل : ليس هذا من شأني . في استطاعتك المضي ولو الى الاشغال الشاقة ، لكنه دورك في مسح الأرض . فلن أعمل بدلاً عن الآخرين .

البارون : فلتذهب أنت الى الجحيم ! لسوف تمسح ناستيا الأرض . هاي ، أنت ، أيها «الحب القاتل» ! استيقظي ! (يختطف الكتاب منها)

ناستيا (وهي تنهض) : ماذا تريد ؟ أعطنيه ! يا لك من مشاكس ! وتسمّي نفسك سيداً . . .

البارون (يناولها الكتاب) : امسحي الأرض عني ، يا ناستيا . اتفقنا ؟

ناستيا (تمضي الى المطهى) : آه ، طبعاً ! . . هذا هو المطلوب !

كفاشنيا (على باب المطهى ، موجهة الحديث الى البارون) : تعال ! سينظفون المكان من دونك . هاي ، أنت ، أيها الممثل ! انهم يرجون ذلك منك ، فكن لطيفاً . ذلك لن يقصف ظهرك !

الممثل : َهه ْ . . دائماً أنا . لست أفهم لماذا . . .

البارون (يدخل من باب المطهى وعلى كتفيه نير خشبي تتدلى منـــه سلّتان تحويان جرّتين مستورتين بخروق) : الحِمْلُ أثقل من المعتاد اليوم .

ساتين : ذلك يستحق أن توُلد باروناً . . .

كفاشنيا (الى الممثل) : هيا أنت ، لا تنس ان تمسح الأرض ! (تخرج عِبْرَ الممرّ ، وتفسح مجالاً للبارون للانطلاق قبله)

الممثل (يهبط عـــن المدفأة) : استنشاق الغبار يؤذيني . (بفخـــر واعتزاز) لقد تسمّم جسمـي بالكحـــول . (يستغرق في التأمل وهو جالس على دكته .)

ساتين : جسمك . . . العطونة . . .

آنا : أندري ميتريتش . . .

كليش : ماذا تبغين الآن ؟

آنا : لقد تركت لي كفاشنيا بعض البلميني . خذها وكلها . .

كليش (يتجه نحوها) : وأنت ؟ أفلا تريدينها ؟

آنا : كلا . فيم آكل ؟ بيد أنك رجل عامل . أنـــت تحتاج الى طعام .

كليش : أخائفة أنت ؟ لا تخافي . فمن يعلم . . . لربما . . .

آنا: هيا كلها ! فأنا سيئة الحال . . . أحسب أن ذلك لن يتأخر بعد الآن .

كليش (مبتعداً عنها) : لا تبالي . قد تتحسّن صحتك . . . ذلك يحدث أحياناً . (يذهب الى المطهى)

الممثل (بصوت عال ، وكأنما استفاق بغتة) : البارحة قال لي

الطبيب في العيادة : تسمّم جسمك بالكحول تماماً . هذا ما قال لي .
ساتين (مبتسماً) : العطونة .
الممثل (باصرار) : ليس عطونة ، بل الجسم . . .
ساتين : سيقمبر * . . .
الممثل (ملوّحاً بيده في اتجاهه) : بلاهة ! لكنني أتحدث جاداً . بلى ، اني جاد ! اذا تسمّم جسمي ، من المؤذي اذن أن أمسح الأرض ، أن أستنشق ذلك الغبار . . .
ساتين : ماكروبيوتيك * * . . . هه !
بوبنوف : ما هذا الذي تدمدم به ؟
ساتين : كلمات . ثم هنالك تلك . . . الصورية .
بوبنوف : وما معنى هذا ؟
ساتين : لا أدري . لقد نسيت .
بوبنوف : اذن فيمَ قلتَ ذلك ؟
ساتين : لمجرد القول ، ليس غير . لقد سئمتُ من سائر تلك الكلمات التي يستعملها البشر ، يا أخي . سئمت من سائر كلماتنا ! سمعتها جميعاً أكثر من ألف مرة !

---

* قبيلة المانية قديمة كانت تعيش على ضفاف نهر الراين . **الناشر** .

* * علم عن اطالة الحياة . من مؤسسيه الطبيب الالماني هوفيلاند (١٧٦٨ـ١٨٣٦) وكان عنوان كتابه المترجم الى الروسية والمكرس لاطالة الحياة هو «ماكروبيوتيك» . **الناشر** .

الممثل : يقولون في «هملت» : «كلمـــات ، كلمـــات ، كلمات !» . تلك مسرحية رائعة ! مثّلت فيهـــا دور حفّار القبور .

كليش (يدخل من باب المطهى) : ومتى ستبدأ بتمثيل دور ماسح الأرض ؟

الممثل : وما شأنك بهـذا ! (يضرب صدره) «أوفيليـــا ! اذكريني في ابتهالاتك !»

(من مكان بعيد تدفُ جلبة أصوات ، وصراخ ، وصفير أنفار من الشرطة . يجلس كليش للعمـــل ،مثيراً ضجيجاً خشناً بمبرده)

ساتين : أحب الكلمات الشاذة الغريبة ، المستعصية عـــلى الفهم . عندما كنت صبياً ، أعمل في مكتب للبرق ، طالعتُ كثيراً .

بوبنوف : أكنت عامل برق أيضاً ؟

ساتين : نعم . (يطلق ضحكة صغيرة .) هناك بعض الكتب الرائعة . وكمية عظيمة من الكلمات الغريبـــة المثيرة للفضول . كنت ذات يوم شخصاً رفيع الثقافة . هل تعرف ذلك ؟

بوبنوف : سمعتهُ مئات المرات . وماذا اذا كنت كما تقول ؟ لا أهمية لهذا ! خذني ، أنا ، مثلاً . لقد كنت فرّاء مرة ، أملك دكاناً خاصة بي . وكانت يداي مغرقتين في الصفرة دائماً من جرّاء صبغ الفراء – يداي وذراعاي جميعاً ، حتى المرفقين تماماً . وكنت أعتقد أنهمـــا

سيبقيان صفراوين على ذلك الغرار حتى يوم وفاتي .
وحسبت أني سأموت بتينيك الذراعين الصفراوين .
أنظر اليهما الآن . وسختان تماماً ، ليس غير . َهه ْ !

ساتين : حسنا ، وماذا في ذلك ؟

بوبنوف : لا شيء . هذا كل شيء .

ساتين : ما كان مغزى حديثك بالضبط ؟

بوبنوف : لا شيء على وجه التعيين . تلك كانت مجرد فكرة .
يتضح أنك مهما دهنتَ الخارج وصبغته بعناية ،
فسرعان ما يمحَّي كلّه . يمحَّي بأجمعه . َهه ْ !

ساتين : آه ، لكم تؤلمني عظامي !

الممثل (يجلس محتضناً ركبتيه) : الثقافة لا تعني شيئاً ،
الاهم هو الموهبة . تعرفت مرة الى ممثل لا يتمكن من
قراءة دوره الا بتهّجي المقاطع ، وعندما يمثل كان
المسرح يهتز ويموج من فرط اعجاب النّظارة .

ساتين : بوبنوف ، أقرضني خمسة كوبيكات !

بوبنوف : لا أملك سوى كوبيكين .

الممثل : أقول لك أن الموهبة هي ما تحتاج اليه لتصير
ممثلاً . والموهبة تعني الأيمان بنفسك ، بكفاءتك .

ساتين : أعطني خمسة كوبيكات وسأؤمن بأنك نابغة عبقرى ،
بطل ، تمساح . أنك ضابط شرطة . كليش ، أعطني
خمسة كوبيكات !

كليش : اذهب الى الشيطان ! في الجوار كثيرون من أمثالك .

ساتين : فيمَ الشتم والتجديف ؟ أدري أنك لا تحمل كوبيكاً
واحداً ملكاً حلالاً لك .

آنا : أندري ميتريتش . . . من الصعب أن أتنفّس . . .
الجو خانق .

كليش : وماذا تتوقعين مني أن أفعل اذن ؟

بوبنوف : افتح باب الممرّ .

كليش : عظيم ! أنت تتربّع هنالك في العالي على دكتك ، وأنا أتجوّر على الأرض ههنا . هيا نتبادل مكانينا ، وافتحِ الباب على هواك . اني أحسّ البرد والباب مغلق .

بوبنوف (بهدوء) : لست أنا من يريد الباب أن يُفتح . تلك زوجتك تطلب ذلك .

كليش (باكتئاب) : هناك أشياء لا حصر لها في استطاعة المرء أن يطلبها .

ساتين : يا لراسي كيف يطن ويدوّي ! لمَ ينبغي للناس أن يؤذوا بعضهم بعضاً على الراس ؟

بوبنوف : ليس على الراس فحسب ، بل على كل المساحة الباقية من البدن . (ينهض) أنا ذاهب لابتياع قليل من الخيطان . تُرى ، ما الذي يعوق صاحب الدار وزوجته عن المجيء حتى الآن هذا اليوم ؟ لعلهما ماتا . (يخرج)

(آنا تسعل . ساتين يضطجع بدون حراك ويداه تحت راسه)

الممثل (يتطلع حوله بصورة بائسة ثم يتقدم من آنا) : أحالتك سيئة ؟

آنا : الجو خانق جداً .

الممثل : سأصحبك الى الممرّ خارجاً ، اذا شئتِ . هيــا انهضي . (يساعدها على النهوض ، ثم يلقــي بعض الأسمال على كتفيها ، ويقودها الى الخارج .) تعالي ، تعالي . . . تابري ! أنا الآخر مريض . . . متسمّم بالكحول .

كوستيليوف (على عتبة الباب) : أخارجان في نزهة ؟ مــا أجمل الاثنين ، الحمل والنعجة !

الممثل : تنحّ عن الطريق ! أفلا ترى ان مريضين يسيران !

كوستيليوف : تفضل سر . . . (يهمهم بلحن كنسي من خلال أنفه ، ويرنو بريبة في أرجاء المسكن ، وينحي رأسه الى اليسار وكأنما يرهف السمع الى شيء ما في غرفة بيبيل . كليش يخشخش بمفاتيحه في خبث ، ويشتغل بمبرده في صرير ، وهو يراقــب حركات سيد الدار من تحت حاجبيه المنخفضين) أيصرّ حديدك ؟

كليش : ماذا ؟

كوستيليوف : أقول : أيصرّ حديــدك ؟ (صمت .) هم — م . . . والآن ، ماذا كنت أريد أن أسأل ؟ (يتحدث بسرعة بصوت مخفوض) هل جاءت زوجي الى هنا ؟

كليش : لم أرها .

كوستيليوف (يسترق الخطا في اتجاه الباب المؤدي الى غرفة بيبيل) : أنت تشغل مساحة واسعة عندي لقاء روبلين اثنين في الشهر ! سرير وبقعة تجلس فيهــا أيضاً . هِمْ — م . . . هذه البقعة تستحق خمسة روبلات على

الأقل ، وشرفي ! يجب أن نضيف عليها نصف روبل آخر .

كليش : أضف اليها أنشوطة واخنقني حتى أموت ! تَقِفُ على عتبة الموت ، وما تبرح تتصوَّر كيف تبتز نصف روبل آخر !

كوستيليوف : وفيمَ أخنقك ؟ مَنْ يستفيد من هذا ؟ استمرَّ على العيش حسب هواك ، وليكن اللّه في عونك . لكنني سأضيف هذا النصف روبل الزائد على كل حال . سوف أشتري قليلاً من الزيت لقنديل أيقونتي ، وأحرقه أمام الصورة المقدسة ، ذبيحة تكفير عن خطاياي ، وخطاياك أيضاً . فأنت لا تفكر في خطاياك أبداً ، آه ، انك انسان خبيث ، يا أندريوشكا ! ولقد يبست زوجتك بسبب من دناءتك وحقارتك . ليس من يستلطفك ، وليس مَنْ يحترمك . أبداً يصرّ حديدك هذا ، ضارباً على أعصاب الجميع دون تفريق . . .

كليش (يصيح) : هل جئت الي لتسمّم حياتي ليس غير ؟

(ساتين يزمجر بصوت عال)

كوستيليوف (ينتفض) : الرحمة ، أيها الرجل الطيب . . .

الممثل (يدخل) : لقد أقعدتها خارجاً في الممرّ ، ولففتها جيداً .

كوستيليوف : ان بين جوانحك قلباً حنوناً ، يا أخي . ذلك شيء حسن . ولسوف يضاف الى حسابك .

الممثل : متى ؟
كوستيليوف : في العالم الآخر ، يا أخي . هنالك كل شيء بحساب ، وكل عمل مهما يكن صغيراً .
الممثل : لعلك تكافئني على لطفي ههنا بالضبط ، وفي الحال .
كوستيليوف : كيف أفعل ذلك ؟
الممثل : بأن تشطب نصف ما لَكَ عليّ من دين .
كوستيليوف : وَيْ ! وَيْ ! انك لا تزال تمزح يا عزيزي كأنما القلب الطيب يكافأ بالمال ! الطيبة أرفع النعم والبركات ! لكن الدَّيْن دين ، وهذا يعني أن وفاءه واجب . أما ذلك اللطف الذي أظهرته تجاه رجل عجوز مثلي ، فيجب الا تبحث عن مكافأة عليه !
الممثل : انك محتال ، ايها العجوز ! . . (يدلف الى المطهى)

(ينهض كليش ويخرج الى الممر)

كوستيليوف (الى ساتين) : المصرصر هذا . . . لقد هرب . وَيْ ، وَيْ ! انه لا يحبني .
ساتين : ومن يستطيع سوى الشيطان أن يحبك ؟
كوستيليوف (هازلاً) : يا لك من مولع بالشتائم ! أما أنا ، فأحبكم جميعاً حباً جماً . أنا اعرف يا اخوتي الساقطين المساكين التعســـاء . . . (فجأة ، وبسرعـــة). . . فاسكا – أهو في البيت ؟
ساتين : اذهب وانظر .
كوستيليوف (يتجه الى الباب ويقرعه) : فاسيا !

(يظهر الممثل على باب المطهى يمضغ شيئاً)

بيبيل : من هناك ؟
كوستيليوف : انا . انا يا فاسيا .
بيبيل : ماذا تريد ؟
كوستيليوف (يتحرك مبتعداً) : إفتح الباب .
ساتين (دون أن يتطلّع الى كوستيليوف) : سيفتح الباب ، فاذا هي هنالك .

(الممثل ينفخ بمنخره)

كوستيليوف (في صوت مخفوض ، قلقاً) : ماذا ؟ من هناك ؟ ماذا قلتَ ؟
ساتين : أتخاطبني ؟
كوستيليوف : ماذا قلتَ ؟
ساتين : لا شيء على التعيين . كنت أحدث نفسي .
كوستيليوف : حذار ، يا أخي ! ولكن للنكتة حدودها . . . اجل ! (يقرع الباب بشدة .) فاسيا !
بيبيل (يفتح الباب) : حسناً ؟ فيم جئت تزعجني ؟
كوستيليوف (يلقي نظرة الى داخل الغرفة) : أنا . . . أنت ترى . . . أنت . . .
بيبيل : هل أتيت بالمال ؟
كوستيليوف : لي عمل معك .
بيبيل : هل أتيت بالمال ؟

كوستيليوف : أي مال ؟ لحظة .

بيبيل : الروبلات السبعة ثمن الساعة . أين هي ؟

كوستيليوف : أية ساعـــة ، يا فاسيـــا ؟ . . يا الهي ، أنت . . .

بيبيل : عظيم ما تقول ! شاهدنا بعض الناس ، وأنا أبيعك الساعة نهار البارحة لقاء عشرة روبلات – دفعتَ من أصل ثمنها ثلاثة ، وتبقى عليك سبعة . هاتها ! فيم وقوفك ههنا تطرف بعينيك ؟ انك تدب في الجوار وتخب مزعجاً الجميع ومقلقاً راحتهم عوضاً عن السعي وراء عملك !

كوستيليوف هُسْ – سْ – سْ ! لا تغضب ، يا فاسيا ! فالساعة . . . انها . . .

ساتين : ساعة مسروقة !

كوستيليوف (في صرامة) : انا لا آخذ أشياء مسروقة ! كيف تجرؤ . . .

بيبيل (يمسك به من كتفيه) : فيمَ جئت تزعجني ؟ ماذا تريد ؟

كوستيليوف : لا أريد شيئاً . سأذهب . . . اذا كنتَ على هذا الغرار .

بيبيل : أخرج من هنا ، وجئني بالمال !

كوستيليوف (مغادراً) : يا لهؤلاء البشر الأفظاظ ! وي ، وي !

الممثل : انها مهزلة حقيقية !

ساتين : حسناً ، فهذا ما أحب .

بيبيل : ماذا كان يفعل هنا ؟

ساتين (ضاحكاً) : أفلا يمكنك تخمين ذلك ؟ يفتش عن زوجته . لمَ لمْ تضربه حتى الموت ، يا فاسيا ؟ !

بيبيل : لا أريد ان أدمر حياتي من أجل مثل هذا الخنزير !

ساتين : إفعل هذا بدهاء ، وعندها تستطيع الزواج من فاسيليزا . . . ستصبح سيّدنا .

بيبيل : لا نعمة في هذا ! لانكم ستبددون ملكيتي كلها على الخمرة في الحانة وستبيعوني أنا أيضاً هناك بسبب من طيبة قلبي . (يجلس على أحدى الدكات) ذلك الشيطان العجوز ! لقد بعثني من رقادي . وكنت غارقاً في أمواج حلم بديع ! كنت أصطاد ، فأمسكت بسمكة كبيرة من سمك الكركي ! أنت لا تجد سمكة بمثل حجمها الا في الحلم ! كانت هنالك في آخر الخيط ، وأنا أشد الصنارة ، وأخاف أن تنكسر العصا ، فهيأت الشبكة . . . وفكرت أن الوقت قد أزفّ الآن للامساك بها .

ساتين : تلك لم تكن سمكة كركي . تلك كانت فاسيليزا .

الممثل : لقد اصطاد فاسيليزا منذ أمد بعيد .

بيبيل (غاضباً) : اذهبا الى الجحيم ، وخذاها معكما !

كليش (يدخل من الممر) : يا للصقيع الشيطاني !

الممثل : لماذا لم تُدخل آنا ؟ لسوف تتجمد من البرد خارجاً .

كليش : أخذتها ناتاشكا الى المطبخ .

الممثل : لسوف يطردها ذلك العجوز .

كليش (يجلس وراء عمله) : فتعيدها ناتاشا الى هنا .

ساتين : فاسيلي ! أقرضني خمسة كوبيكات !

الممثل (الى ساتين) : خمسة كوبيكات ! فاسيا ! أعطنا عشرين كوبيكاً ! . .

بيبيل : الأفضل أن أسرع وأعطيهما ذلك ، والا طلبوا روبلاً كاملاً ! خذا !

ساتين : جبل طارق ! إن اللصوص أروع الناس على وجـــه البسيطة !

كليش (مكتئباً) : المال يأتيهم في سهولة ويسر ! وهم لا يعملون .

ساتين : كثيرون يحصلون على المال في سهولـــة ، لكـن القليلين يعطونه بسهولة . العمل ؟ جِدْ لي عملاً يكون انجازه باعثاً عـــلى السرور ، ولعلني أقوم به اذن . وَيْ ! ربما ! عندما يبعث العمل على السرور ، تكون الحياة اذن فرحة حقيقية ! وعندما يكون العمل واجباً ، تكون الحياة عبودية اذن ! (الى الممثل) تعال ، أنت يا ساردنابالوس ! فلنذهب !

الممثل : فلنذهب ، يا نبوخذنصّر ! لسوف أشرب كأربعين ألف سكّير !

(يخرجان)

بيبيل (يتثاءب) : كيف حال زوجك ؟

كليش : لن يطول الأمر كما يبدو .

(فترة صمت)

بيبيل : أني أراقب حياتك – عبثاً تعمل .
كليش : وما العمل ؟
بيبيل : لا شيء .
كليش : وكيف أطعم نفسي ؟
بيبيل : الناس الآخرون يتدبرون أمرهم .
كليش : من ؟ هؤلاء الذين هنا ؟ هل هم أناس ؟ صعاليك ! انذال ! انني عامل ، ويخجلني مجرّد النظر اليهم . انني أعمل منذ نعومة اظفاري . أفتظنني لن أخرج من هنا ؟ لسوف أفعل ذلك حتماً . قد أسلخ الجلد عن بدني بأكمله ، ولكنني سأتسلل خارج هذا المكان . انتظر فقط . سوف تموت زوجتي قريباً . انني لم أقطن هذا المكان الا منذ سته شهور ، ولكنها تبدو في عينيّ ست سنوات .
بيبيل : لستَ أفضل الآخرين فلا حاجة للتفوّه بمثل هذا الكلام .
كليش : لستُ أفضل ! هم عديمو الشرف ، عديمو الوجدان !
بيبيل (بلا مبالاة) : وما جدواهما – الشرف والوجدان ؟ لست تستطيع أن تلبس الشرف والوجدان في قدميك عوضاً عن حذائيك . أولئك الذين يملكون القوة والسلطة يحتاجون ، وحدهم ، الى الشرف والوجدان .
بوبنوف (داخلاً) : بر – ر – – ر ! . . لقد تجلّدت !
بيبيل : بوبنوف ! هل فيك وجدان ؟
بوبنوف : ما هذا ؟ وجدان ؟

بيبيل : أجل .

بوبنوف : وما حاجتي اليه ؟ لست ثرياً .

بيبيل : هذا رأيي ايضاً . الأغنياء وحدهم يحتاجون الى الشرف والوجدان . لكن كليش ههنا يزعق ويصيح . انه يقول أننا عديمو الوجدان . . .

بوبنوف : ماذا ينوي ؟ أن يستعير وجداناً ؟

بيبيل : كلا ، فهو يملك الكثير منه .

بوبنوف : وهكذا فهو يعرضه للبيع ؟ اذن ، لن يجد زبوناً في هذا المكان . لو أنه كارتون متحطم لأشتريته . . . وذلك اذا باعني اياه بالدين فقط .

بيبيل (بلهجة واعظة) : أنت أحمق غبي ، يا اندري ! يستحسن أن تصغي الى ساتين فيما يتعلق بالوجدان . أو حتى الى البارون .

كليش : ليس لدي ما اتحدث عنه معهما .

بيبيل : انهما يفوقانك ذكاء . . . حتى اذا كانا سكرانين .

بوبنوف : الانسان السكران والحكيم في وقت واحد تتضاعف قيمته .

بيبيل : يقول ساتين : كلّ انسان يريد أن يكون للغير وجدان ، لكن ليس مَنْ يريد وجداناً خاصاً به . هذا صحيح .

(تدخل ناتاشا ، يتبعها لوكا وفي احدى يديه عصا ، يتدلى كيس على ظهره ، وقد ربط الى حزامه قصعة من الصفيح وغلاّية للشاي)

لوكا : السلام عليكم ، أيها الناس الشرفاء !
بيبيل (يمسّد شاربيه) : آه ، ناتاشا !
بوبنوف (الى لوكا) : كنا شرفاء فيما غبر من الزمان .
ناتاشا : هذا نزيل جديد .
لوكا : سواء عندي ، فأنا أحترم اللصوص النشّالين أيضاً . ان للبرغوث مزاياه في اعتقادي . فالبراغيث جميعاً سوداء ، وهي جميعاً تقفز قفزاً . هذه هي الامور . أين سيكون مكاني ، يا عزيزتي ؟
ناتاشا (تشير الى باب المطهى) : هنالك ، يا جدّاه .
لوكا : شكراً لك ، يا بنيّتي . اذا قلتِ هنالك ، فالى هنالك أذهب اذن . كل بقعة دافئة تصلح مأوى للرجل العجوز .
بيبيل : لقد جئتنا بعجوز يثير الاهتمام يا ناتاشا .
ناتاشا : انه أكثر مثارا للاهتمام منكم ! أندري ! زوجك قابعة في مطبخنا . فتعال خذها بُعَيْدَ هُنيهات .
كليش : حسناً . سآتي .
ناتاشا : يجب أن تعاملها بمزيد من اللطف الآن . . . ترى أن الأمر لن يطول .
كليش : أعرف ذلك .
ناتاشا : لا يكفي أن تعرف . يجب أن تفهم ! فالمرء خائف من الموت على كل حال .
بيبيل : أنا لست بخائف .
ناتاشا : حقاً ! يا لها من شجاعة !

بوبنوف (صافراً) : الخيوط رميم !

بيبيل : بشرفي أنا لست بخائف . أنا مستعد للموت هذه اللحظة بالذات ! هيا تناولي تلك السكين واغرزيها في قلبي . وسوف أموت من غير أن أئنّ . لسوف أكون مسروراً اذن ، لان يداً نقية أصابتني .

ناتاشا (وهي خارجة) : الاحرى لك ان تكذب امام غيري .

بوبنوف (وهو يمط كلماته) : الخيوط رميم .

ناتاشا (على باب الممر) : لا تنس زوجتك ، يا أندري .

كليش : لن أنسى .

بيبيل : اليك هذه الفتاة !

بوبنوف : انها رائعة .

بيبيل : لماذا هي . . . هكذا معي ؟ تطردني على الدوام . لسوف تضيع نفسها اذا بقيت ههنا .

بوبنوف : ستضيع بسببك .

بيبيل : لماذا بسببي ؟ فأنا . . . أرثي لها .

بوبنوف : مثلما يرثي الذئب للحمل .

بيبيل : هذا كذب ! أنا أرثي لها رثاء شديداً . فمن العسير عليها أن تعيش هنا . أرى ذلك بنفسي .

كليش : ويلك حين تقبض عليـــك فاسيليزا وأنت تثرثر معها .

بوبنوف : فاسيليزا ؟ ليست ممن يُعطون مقابل لا شيء . . تلك امرأة كاسرة !

بيبيل (يضطجع على الدكة) : اذهبا الى الشيطان معاً ! زوجان من الأنبياء !

كليش : لسوف ترى . انتظر فقط .
لوكا (يغني في المطبخ) : يا ظلام الليل . . . ضاعت الدرب في العتمة . . .
كليش (يخطو الى الممر) : فيم تنبح وتعول ؟ هذا واحد آخر !
بيبيل : أشعر بالضجر . عجيب كيف يشتدّ بي السأم من حين لآخر ؟ أنا احيا ، يوماً بعد يوم ، كل شيء على ما يرام . وفجأة ، تبدو وكأنما القشعريرة دبّت في أوصالي . فأشعر بضجر شديد .
بوبنوف : الضجر ؟ هه !
بيبيل : الضجر وشرفي !
لوكا (يغني) : آه — ه ! ولا ممرّ على مرمى البصر !
بيبيل : هاي ! أيها العجوز !
لوكا (يطل من الباب) : أتناديني أنا ؟
بيبيل : أنت بالذات ! كفّ عن الغناء .
لوكا (يدخل) : أفلا يروقك ؟
بيبيل : قد يروقني لو كان جيداً .
لوكا : تقصد أنه غناء غير جيد ؟
بيبيل : بلى أقصد ذلك .
لوكا : أمر عجيب ! ولقد كنت أحسب أن لي صوتاً جيداً . هذا ما يقع دائماً : يحدّث المرء نفسه — أفلست أفعل ذلك حسناً الآن ؟ ثم يأتي بعضهم ويقول انه رديء .
بيبيل (ضاحكاً) : بالضبط ! هذا صحيح !

بوبنوف : قلت لتوّك انك ضجران حتى الموت ، وهذا أنت تضحك الآن .
بيبيل : وما شأنك انت بهذا ايها الغراب الاسود !
لوكا : من يستشعر الضجر ؟
بيبيل : أنا . أنا الذي أستشعر ذلك .

(يدخل البارون)

لوكا : أمر عجيب ! هنالك فتاة قابعة في المطبخ تقرأ في كتاب وتبكي . صدقوني ! فالدموع تتدحرج على وجنتيها . قلت لها : «ما هذا ، يا عزيزتي ؟» فقالت : «أرثي له !» . فقلت : «من هو ؟» . فقالت : «هنا في هذا الكتاب» . والآن ، ما الذي يحمل المرء على تزجية وقته بمثل هذه الأشياء ؟ أحسب أنه الضجر ، كما هي حالك .
البارون : انها حمقاء .
بيبيل : ايها البارون ! هل شربت شايك ؟
البارون : نعم . ثم ماذا ؟
بيبيل : أتود مني أن أقدم لك نصف زجاجة ؟
البارون : بالطبع . ثم ماذا ؟
بيبيل : إركع على اربعتك وانبح ككلب .
البارون : أبله ! أتحسب أنك تاجر غني ؟ أم أنك سكران ليس غير ؟
بيبيل : هيا وانبح ! هذا سيسلّيني . أنت من الاسياد ،

ويوماً ما لم تكن تعتبر البشر من أمثالنـــا مخلوقات بشرية او ما شابه .

البارون : حسناً ، ثم ماذا ؟

بيبيل : وبعد ؟ وها أنا الآن أطلب اليك النباح ككلب ، ولسوف تفعل ذلك . هل تفعل ؟

البارون : طبعاً ! أنت أبله ! لا أدري على أية غبطة ستحصل من ذلك . وأنا نفسي أدرك أنني أصبحت أسوأ منك تقريباً . فقد كان احرى بك أن تحملني على الركوع على أربع عندما كنت أتفوق عليك .

بوبنوف : هذا صحيح !

لوكا : وأنا أقول أيضاً : جيد !

بوبنوف : ما فات قد فات ، ولم يبق سوى ريش الدجاج . ليس بينكم أسياد ههنا . . . لقد غُسلت الأصباغ جميعاً ، ولم يتبق غير العراة .

لوكا : وبكلمة أخرى ، الجميع متساوون . لكن ، هل كنت باروناً حقيقة ، يا رجُلي الطيب ؟

البارون : ما هذا ؟ مَنْ أنت ، أيها العفريت ؟

لوكا (ضاحكاً) : لقد رأيت كونتاً . وشاهدت أميراً . لكنني لم أشاهد باروناً من قبل قط ، وبارونـــاً جربان أيضاً .

بيبيل (ضاحكاً) : بارون ! أنت تخجلني !

البارون : حان الوقت لتَعْقل ، يا فاسيا !

لوكا : يا اللّه ! عندما أنظر اليكم ، يا اخوتي ، والحياة التي تعيشون — هم—م—م . . .

بوبنوف : نحن نصحو على الآهات ، وننام على الأنّات – هذه هي الحياة التي نحيا .

البارون : كنا نعيش بصورة أفضل ذات مرة . ويْ ، أذكر أني كنت أستيقظ صباحاً ، فتُقدّم اليّ القهوة في فراشي . القهوة بالحليب ! هذا ما كان !

لوكا : اننا كائنات بشرية ، جميعنا ، ولا فرق كيف نتظاهر ، ولا فرق كيف نوحي للآخرين : لقد وُلدنا كائنات بشرية ، وكائنات بشرية سنموت . والناس يزدادون حكمة ، في رأيي ، ويصيرون أبعث على الاهتمام . وكلما ساء عيشهم ، كلما ازدادت رغبتهم في عيش أفضل . ان الكائنات البشرية جماعة عنيدة المراس !

البارون : من أنت ، أيها العجوز ؟ ومن أين جئت ؟

لوكا : أنا ؟

البارون : هل أنت حاج ؟

لوكا : جميعنا حجّاج على هذه الأرض . وقد سمعت بعضهم يقول ان أرضنا هذه ما هي الا حاجّة في السماوات .

البارون (بحدّة) : فليكن ما يكون ، انما أنت – هل تحمل جواز سفر ؟

لوكا (بعد صمت) : ومن أنت ، أجاسوس أنت ؟

بيبيل (فرحاً) : حسناً قلت ، أيها العجوز ! لقد أفحمك هذه المرة ، أنت أيها البارون !

بوبنوف : أجل . لقد أوقف سيدنا العظيم عند حدّه !

البارون (مرتبكاً) : وما أهمية ذلك ؟ كنت أمزح ، أيها

العجوز ! فأنا الآخر لا أملك واحدة من تلك الوثائق أبداً .

بوبنوف : كذّاب !

البارون : هذا يعني أن لديّ بعض الأوراق . . . الا أنها غير صالحة .

لوكا : جميع هذه الأوراق سواء . ليس فيها ورقة صالحة .

بيبيل : بارون ! لنذهب الى الحانة .

البارون : انني مستعد دائماً ! حسناً ، الوداع ، أيها الشيخ ! يا لك من محتال !

لوكا : كل شيء ممكن الحدوث يا عزيزي . . .

بيبيل (على الباب المؤدي الى الممر) : حسناً ، هيا بنا اذا أردت الذهاب ! (يخرج ، فيهرول البارون خلفه .)

لوكا : هل كان باروناً حقيقياً ذات مرة ؟

بوبنوف : من يدري ؟ انه من الذوات حقيقة . وحتى الآن قد يفعل شيئاً على حين غرة يدلّك على أنه من الذوات . يبدو أنه لم ينس عاداتهم بعد .

لوكا : الانتماء الى الذوات أشبه بمرض الجدري – قد يبرأ المرء منه ، لكن آثاره تبقى .

بوبنوف : انه حسن على وجه الاجمال – قد يلبط في بعض الاحيان . . . كما بشأن جواز سفرك .

أليوشكا (يدخل سكران ، يصفر ويعزف على الأكورديون بين يديه) : هاي ، يا سكّان الدار !

بوبنوف : ما بالك تصرخ ؟

أليوشكا : اعذرني . اغفر لي . فأنا مهذّب .

بوبنوف : أبدأت تشرب من جديد ؟
أليوشكا : أفعل ما أشاء ! لقد طردني الشرطي ميدياكين من نقطة الشرطة قبل برهة قائلاً : «اياك أن أمسك برائحة منك في الشارع مرة ثانية . . . ولا أضأل رائحة !» هذا ما قال لي . لكنني انسان له شخصيته ! ورئيسي يزمجر في وجهي . لكن ، ما هو الرئيس ؟ تفو ، تفو ! مجرد لا شيء ! انه سكّير ، رئيسي ذاك . وأنا انسان لا يهتم بأي شيء كان . أنا لا أريد شيئاً ! حاول ان تجبرني على أن افعل شيئاً ! (تدخل ناستيا من المطهى .) أعرض عليّ مليوناً – فأرفضه ! هل تظن أني أسمح لزميلي وهو سكير أن يأمرني أنا الرجل الطيب ؟ أبداً وحياتك ! (ناستيا تراقب أليوشكا ،وهي تقف قرب الباب ، وتهزّ رأسها .)
لوكا (بلطف) : يا للورطة التي وقعت فيها ، يا فتى !
بوبنوف : هذه حماقة البشر .
أليوشكا (يرتمي على الأرض) : هأنذا ، كلوني ! لست أريد شيئاً ! انني فتى يائس ! برهنوا لي من هم أفضل مني ! ولِمَ أنا أسوأ من الآخرين ؟ برهنوا لي ! قال لي ميدياكين : «سأحطم حنكك ان مسكت بك في الشارع» ! لكنني سأخرج اليه ! سأخرج وأتمدّد في وسط الشارع – هيا ، مروا من فوقي ! لست أريد شيئاً !
ناستيا : يا للفتى التعس ! في طراوة عمره ، وقد تلوّى وتعقّد على هذا الشكل . . .

أليوشكا : (يلمحها ، فينهض على ركبتيه) . يا آنسة !
ما دماوزيل ! بارليه فو فرانسيه ... بريسكورانت...
لقد شربت !

ناستيا : (في همسة عالية) : فاسيليزا !

فاسيليزا (تفتح الباب بسرعة ، وتخاطب أليوشكا) : أنت
هنا ثانية !

أليوشكا : مرحباً تفضلي . . .

فاسيليزا : لقد انذرتك الا تظهر في هذه الأرجاء ، أيها
الجرو . . . وها أنت هنا ثانية !

أليوشكا : فاسيليزا كاربوفنا ! . . سأعزف لك لحناً
جنائزياً . . . أتودّين ذلك مني ؟

فاسيليزا (تدفعه من كتفه) : أخرج من هنا !

أليوشكا (يتحرك في اتجاه الباب) : تمهلي قليلاً ! اللحن
الجنائزي ! لقد تعلمته حديثاً ! انه لحن جديد ! تمهلي
قليلاً ! لا يمكن أن تفعلي ذلك !

فاسيليزا : سأريك انْ كنت أفعله أم لا ! لسوف أثير
الشارع بأسره ضدّك ، أيها الكافر ! ما زلت صغيراً
بعد حتى توشي بي !

أليوشكا (يركض خارجاً) : انني ذاهب !

فاسيليزا (الى بوبنوف) : لا تدعني ألمحه هنا مرة ثانية ،
أتسمع ؟

بوبنوف : أنا لست كلب حراسة .

فاسيليزا : لا يعنيني مَنْ انت ! انما لا تنس أنك تعيش
هنا بفضل رحمتي . بكم أنت مدين لي ؟

بوبنوف (ساكن الجأش) : لم أحسب ذلك .
فاسيليزا : حسناً ، سأحسب أنا لك !
أليوشكا (يفتح الباب ويصيح) : فاسيليزا كاربوفنا ! أنا لست خائفاً منك . لست خا – ئفاً ! (يختفي .)

(لوكا يضحك)

فاسيليزا : وأنت ، من عساك تكون ؟
لوكا : عابر طريق حاج .
فاسيليزا : أتطلب مأوى ليلة ، أم اقامة طويلة ؟
لوكا : سألقي نظرة فيما حولي أولاً .
فاسيليزا : جواز سفرك !
لوكا : اذا شئت . . .
فاسيليزا : أعطنيه !
لوكا : لسوف أسلمه . . . في جناحك الخاص بالذات .
فاسيليزا : عابر طريق . . آخر ! احرى بك ان تقول انك صعلوك . هذا أقرب الى الحقيقة . . .
لوكا (يصعّد زفرة حرّى) : آه ، كم انت متذمرة يا ستي . . .

(فاسيليزا تتجه الى باب غرفة بيبيل)

أليوشكا (يطل برأسه من باب المطهى ويهمس) : هل ذهبت ؟ ها ؟

فاسيليزا : (تلتفت اليه) لا تزال انت هنا ؟

(أليوشكا يختفي وهو يصفر . ناستيا ولوكا يضحكان)

بوبنوف (الى فاسيليزا) : ليس هو هنا .
فاسيليزا :من ؟
بوبنوف : فاسيا .
فاسيليزا :أسألتك أين هو ؟
بوبنوف : هذا واضح لي . انك تشمّين جميع الزوايا .
فاسيليزا : أنا ألقي نظرة لأرى هل كل شيء على ما يرام ، أفهمت ؟ لِمَ لم تمسح الأرض حتى الآن ؟ كم مرة أمرتكم أن تحافظوا على نظافة هذا المكان ؟
بوبنوف : اليوم دور الممثل في المسح .
فاسيليزا : لا يهمني دور مَنْ ! اذا قدم مفتش الصحة وأوقع غرامة بي ، فسوف أرمينّ بكم الى الطريق جميعاً !
بوبنوف (في هدوء) : ومن أين ستعيشين وقتذاك ؟
فاسيليزا : نظفوا المكان حتى لا تبقى ذرة غبار على الأرض ! (تتجه صوب المطهى ، وتخاطب ناستيا .) فيم واقفة ههنا وبوزك منتفخ متورّم ؟ لماذا جمدت كالتمثال — هيا امسحي الأرض ! أرأيت ناتاشا ؟ هل كانت هنا ؟
ناستيا : لا أدري . لم أرها .
فاسيليزا : بوبنوف ! أكانت أختي هنا ؟
بوبنوف (يشير الى لوكا) : لقد جاءت به .
فاسيليزا : وذلك الآخر — أكان في الدار ؟

بوبنوف : فاسيا ؟ نعم . لكن ناتاشا تحدثت الى كليش وحده .

فاسيليزا : لم أستوضحك مع من تحدثت ! القذارة في كل مكان ! فظاعة ! أخ انتم عصبة خنازير ! نظّفوا هذا المكان . هل تسمعونني ؟ (تخرج بسرعة .)

بوبنوف : هذه المرأة ملأى بالوحشية !

لوكا : انها امرأة صارمة .

ناستيا : كل انسان ينتهي الى الوحشية اذا عاش مثل هذه الحياة . ألا فاربط أي انسان حي الى زوج كزوجها . . .

بوبنوف : ليست محكمة الوثاق .

لوكا : وهل تظلّ دائماً متفجرة ثائرة هكذا ؟

بوبنوف : دائماً . لقد جاءت لرؤية عشيقها ، ولم يكن هنا .

لوكا : فتملكها الغيظ اذن . (يتنهد .) يا اللّه ، يا اللّه ، يا اللّه ! ما أكثر الناس الذين يحاولون أن يسوسوا أرضنا هذه . ويهدّد بعضهم البعض بأشياء مخوفة ، ورغم ذلك لا وجود للنظام في الحياة ولا للنظافة فيها .

بوبنوف : انهم جميعاً يريدون النظام ، لكن يعوزهم العقل لذلك . ورغم كل هذا ، فلا بدّ أن تمسح الأرض . ناستيا ! لمَ لا تمسحينها ؟

ناستيا : آه بلى ، طبعاً . ماذا تظنني ، خادمة بيتك ؟ . . (بعد برهة صمت .) لسوف أسكر هذا النهار . . . سكرة مجنونة !

بوبنوف : هذا يعني شيئاً على الأقل .
لوكا : لماذا تريدين أن تسكري ، يا فتاتي ؟ لقد كنت ، للحظة خلت ، تبكين وتنوحين ؛ وها أنت الآن تقولين انك تريدين أن تسكري !
ناستيا (متحدية) : سأسكر وأعاود البكاء والنواح من جديد . هذا كل شيء !
بوبنوف : ليس هو بالشيء الكثير .
لوكا ؛ ولكن ما هو السبب ؟ حتى البثرة لهـــا سببهـــا الخاص . . .

(ناستيا تهز رأسها في سكون)

لوكا : هكذا . . . يـــا الله ، يا الله ، يا الله ! ماذا سيحل بكم أيها السادة البشر ؟ سأمسح الأرض لكم . أين المكنسة ؟
بوبنوف : خلف الباب في الممر .

(لوكا يخرج الى الممر)

بوبنوف : ناستيا !
ناستيا : ماذا ؟
بوبنوف : فيم تنقضّ فاسيليزا على أليوشكا هكذا ؟
ناستيا : هو يخبر الجميع بأن فاسيا قد زهق منها ، وأنه

يريد ان ينبذها من أجل ناتاشا . سوف أذهب من هذا المكان – أنتقل الى مكان آخر .

بوبنوف : ما هذا ؟ الى أين ؟

ناستيا : سئمت من كل هذا . انا زائدة ههنا .

بوبنوف (في هدوء) : انت زائدة في كل مكان . وكل الناس على وجه الارض هم زائدون ايضاً . . .

(ناستيا تهز رأسها ، تنهض ، وتخرج الى الممر على مهلها . يدخل ميدفيديف ، يتبعه لوكا حاملاً المكنسة)

ميدفيديف : لا أظن أني أعرفك .

لوكا : وهل تعرف البقية كلهم ؟

ميدفيديف : من المفروض فيّ أن أعرف جميع الناس القاطنين في منطقتي . لكنني لا أعرفك .

لوكا : ذلك لأن الأرض بأسرها لا تقع ضمن منطقتك ، أيها العم . فما تزال بقية صغيرة منها في غير هذه البقعة . (يخرج الى المطهى .)

ميدفيديف (يتجه الى بوبنوف) : صحيح ان منطقتي ليست كبيرة جداً . لكنها أسوأ من أية منطقة كبيرة . في هذه اللحظة ، وقبل أن أختم نوبتي ، نقلت الاسكافي أليوشكا الى مركز الشرطة . أتتصور ذلك ؟ يضطجع على الأرض وسط الشارع ، ويعزف على الأكورديون ، ويعوي : لست أريد شيئاً ! لا أتوق الى شيء ! وتمرّ

الخيول الى جانبه ، وكل وسائل المرور . . . وقد يصدمه شيء أو يدهسه . يا له فتى مشاكساً ! لكنني نقلته للتو الى هناك تماماً . أنه يحب الشغب والعراك .

بوبنوف : هل ستأتي لشوط داما ، هذه الليلة ؟

ميدفيديف : أجل . هم – م . . . وماذا عن فاسيا ذاك ؟

بوبنوف : لا شيء على التعيين . فهو كعادته أبداً .

ميدفيديف : وبمعنى آخر . . . حيّ ويعيش ؟

بوبنوف : لم لا ؟ ليس ثمة سبب يدعوه لئلا يعيش .

ميدفيديف (بارتياب) : أتظن ذلك ؟ (يخرج لوكا الى الممر حاملاً سطلاً .) هم – م . . ثمة شيء من القيل والقال يدور حول فاسيا ! . . ألم تسمعه ؟

بوبنوف : أسمع الشيء الكثير من القيل والقال .

ميدفيديف : عنه وعن فاسيليزا . يبدو . . . هل لاحظتَ شيئاً ؟

بوبنوف : أي شيء مثلاً ؟

ميدفيديف : . . . أي شيء . على العموم . . . لعلك تعرف وتكذب عليّ . فالجميع يعرفون . (بحدة) اياك والكذب الآن !

بوبنوف : وما يدعوني الى الكذب ؟

ميدفيديف : صحيح ما تفعل ! آخ منهم هؤلاء الكلاب ! يقولون ان فاسيا وفاسيليزا . . . أنت تعرف . لكن ماذا يهمني من ذلك ؟ لست والدها – أنا عمها فقط . لماذا يهزأون مني ؟ (تدخل كفاشنيا .) ماذا

جرى للبشر مؤخراً – يضحكون من كل شيء . آه ، هذه أنت ! عدْت أخيراً !

كفاشنيا : آه ، يا عزيزي العسكري ! عاد يضايقنـــي في السوق ، يا بوبنوف ! يريدني ان أتزوّجه .

بوبنوف : هيا . فيمَ التردّد ؟ فلديه المال ، وهو مـــن فوارس الفرسان !

ميدفيديف : أنا ؟ هُوْ – هُوْ .

كفاشنيا : آه يا أشيبي ! داو جراحي ! لقد جرّبت ذلـــك مرة ، يا عزيزي ! الزواج ، بالنسبـــة الى المرأة ، أشبه بالقفز الى حفرة في الجليد . فاذا هي فعلت ذلك مرة ، لن تنساه أبداً . . .

ميدفيديف : صَهْ ، أمسكي لسانك – فالأزواج مختلفون .

كفاشنيا : لكنني ، أنا نفسي ، لم أتغير . حينما نفق نصفي العزيز – ولتلتهمه نيران الجحيم ! – جلست مغتبطة هناك طيلة نهار كامل منطوية على ذاتي : جلست هناك أحاول أن أصدق حظّي الطيب . . .

ميدفيديف : اذا كان زوجك يضربك من دون سبب معقول ، فيجب أن تسرعي الى الشرطة وتشكي أمرك اليها .

كفاشنيا :شكوت الأمر الى اللّه ثمانية أعوام . بيد أنه لم يساعدني !

ميدفيديف : ممنوع ضرب الزوجات في هذه الأيام . فالقانون صارم في هذه الأوقات . القانون والنظام ! لا يجوز ضرب كائن من كان دون سبب معقول – فقط من أجل حفظ النظام .

لوكا (يقود آنا الى الغرفة) : وصلنـــــا والحمد لله ! لمَ تفعلين هذا ؟ كيف تسيرين لوحدك ، وأنت على مثل هذا الضعف الشديد ؟ أين مكانك هنا ؟

آنا (تدله عليه) : شكراً لك ، يا جدّي .

كفاشنيا : اليكم امرأة متزوجة . أنظروا اليها !

لوكا : انها لامرأة مسكينة ضعيفة جداً . كانت تدبّ عبـــر الممر ، تتشبث بالحائط وتئن . لا يجوز أن تسمحوا لها بالخروج هكذا لوحدها أبداً .

كفاشنيا : أغفر لنا ذلك الاهمال ، يا سيدي الطيب . يبدو أن وصيفتها غائبة ، تتنزه الاونة .

لوكا : ما هذا ؟ تحولين الأمر الى نكتة ! لكن كيف يمكن أن تهملوا انساناً هذا الاهمال ؟ ان لكل امرئ قيمـــة ، مهما يكن حاله .

ميدفيديف : يجب مراقبتهـــا دائماً . ماذا لو ماتت على حين بغتة ؟ سيكون ذلك مزعجاً جداً . راقبوها اذن !

لوكا : أنت على حق ، يا سيد شاويش .

ميدفيديف : حسناً ، رغم انني . . . لم أصبح شاويشـــاً بعد . . .

لوكا : حقاً ؟ لكن هيئتك هيئة الابطال .

(ضجة وصخب في الممر . يُسمع صدى صيحات مخنوقة .)

ميدفيديف : مشاجرة ؟

بوبنوف : ليبدو أن الأمر كذلك .

كفاشنيا : سأذهب وأرى .

ميدفيديف : لا بدّ أن أذهب أيضـــاً . . . آه ، يا لهذه الواجبات ! لا أستطيع أن أفهم لماذا يجب أن نفرّق بين الناس الذين يتقاتلون ! لسوف يقلعون عن القتال من تلقاء أنفسهم حينما يتعبون . من الأفضل أن نتركهم يمزقون بعضهم بعضاً على هواهم . لسوف يتذكرون ذلك ، فلا يسرعون الى القتال في المرة التالية .

بوبنوف (ينهض عن دكته) : تحدّث عن مثل هذه الأمور الى رئيسك .

كوستيليوف (يفتح الباب ، ويصيح) : أبرام ! تعال بسرعة ! فاسيليزا تريد قتل ناتاشا . أسرع !

(يهرع كفاشنيا وميدفيديف وبوبنوف الى الممر . يهز لوكا رأسه ويتأثرهم بأنظاره)

آنا : آه ، يا الهي ! يا لناتاشا المسكينة !

لوكا : من يتقاتل ؟

آنا : صاحبتا الدار . وهما شقيقتان !

لوكا (يدنو من آنا) : وفيم تتقاتلان ؟

آنا : لا شيء على وجه الخصوص . كثرة من القوة والطاقة .

لوكا : ما اسمك ؟

آنا : آنا . اني أرنو اليك طوال الوقت – أنت تذكرنـــي . . . بوالدي لشدة رقتك ولطفك .

لوكا : لقد عجنوني كثيراً . هذا ما يجعلني على هذا القدر من الرقة . (يطلق ضحكة ملعلعة)

ستار

الفصل الثاني

(المشهد ذاته)

الوقت مســـــاء . ساتين وكريفوي زوب والبارون والتترى يلعبون الورق وهم جالسون على الدكة بالقرب من المدفأة ، وكليش والممثـــــل يتفرجان . بوبنوف وميدفيديف يلعبان الداما على دكة الأول . لوكا جالس جنب آنا . الدار مضاءة بقنديلين ، أحدهما مثبت في الحائط قريبا من لاعبي الورق ، والآخر موضوع على دكة بوبنوف .

التتري : ألعب مرة أخرى . هذا كل ما ألعب . . .
بوبنوف : زوب ! غنِّ لنا ! (يغني)

في كل صباح تشرق الشمس وتغرب . . .

كريفوي زوب (يشترك في الغناء) :

والعتمة ما برحت تخيّم في زنزانتي . . .

التتري (الى ساتين) : خلّط الورق ، خلّطه جيداً . فنحن نعرف كيف تلعب .
بوبنوف وكريفوي زوب (معاً) :

وحراس السجن ، في الليل والنهار ،
آه ــ ه !
يراقبون نافذة زنزانتي . . .

آنا : ضرب . . . اهانات . . . لا شيء آخر . . . هذا كل ما رأيتُ . . . كل ما عرفت .

لوكا : آه ، يا عزيزتي المسكينة ، لا تكتئبي !

ميدفيديف : هاي ، الى أين تتحرك ؟ انتبه !

بوبنوف : هِمْ ــ مْ . حسناً . . .

التتري (يهز قبضته في وجه ساتين) : لماذا تخبئ الورق ؟ اني أراك ! أنت ، يا ملعون !

كريفوي زوب : كفى ، يا حَسَنْ ! لسوف يخدعوننا على أية حال . بوبنوف ، واصل الأغنية !

آنا : لم أحصل قط على كفايتي من الطعام . أحصيت دائماً كل كسرة من خبز . . . وارتعشت دائماً من الخوف . . . وكنت أخشى أن آكل أكثر من الشخص الآخر . . . ولم يتوفر لي أبداً من الثياب سوى الأسمال المهترئة . هذه هي حياتي التعيسة . لماذا ؟

لوكا : أيتها الصبية الصغيرة المسكينة ! هل أنت تعبة ؟ سيكون كل شيء على ما يرام .

الممثل (الى كريفوي زوب) : ارم الشب ــ الشب الذي معك ، لعنة اللّه عليك !

البارون : ونحن معنا الملك !

كليش : هما يربحان دائماً .

ساتين : هذه عادتنا .
ميدفيديف : ملكة !
بوبنوف : وعندي أيضاً . فما قولك ؟
آنا : وهذي أنا أموت . . .
كليش : هل ترى ؟ أترك اللعب ، يا أمير ، أترك اللعب ، أقول لك !
الممثل : ألا يدرك ذلك من غير نصيحتك ؟
البارون : حذار ، يا أندري ، والا أرسلتك طائراً الى الجحيم !
التتري : هيا . وزّع من جديد . امتلأت الجرة ماء وتحطمت . وهذه هي حالي .

(كليش يهز رأسه ويمضي الى بوبنوف)

آنا : أفكر طوال الوقت : يا اللّه العزيز ، هل سيستمر مثل هذا العذاب في العالم الآخر أيضاً ؟ هنالك أيضاً ؟
لوكا : لن تتعذبي هنالك ، يا حلوتي . اضطجعي في هدوء . ولن تتعذبي ابداً . لسوف تنالين راحة عظيمة هنالك . اصبري فترة أخرى فقط . ينبغي لكل امرئ أن يصبر . . . ويتحمل الحياة على طريقته الخاصة . (ينهض ويدلف الى المطهى بخطوات قصيرة سريعة .)
بوبنوف (يغني) :

احرسوا نافذتي كما تشاؤون . . .

كريفوي زوب :

فلن أهرب ابدأ !

(في نغم واحد مؤتلف)

ورغم حنيني القاتل الى حريتي
آه ـ ه !
فالاغلال تجبرني على البقاء !

التتري (يصيح) : آها ! يضع ورقة في كـُم سترته !
البارون (في شيء من الارتباك) : أين تريدني أن أضعها — فوق أنفك ؟
الممثل (باقتناع) : أنت مخطئ ، أيها الأمير . أبداً لم يقدم امرؤ . . .
التتري : اني أراك ! انت تغش ! لن ألعب !
ساتين (يجمع الورق) : كفى ، يا حسن . كنت تعرف أننا نغش . لماذا لعبت معنا ؟
البارون : خسر اربعين كوبيكاً وأثار ضجة كما لو كانت ثلاثة روبلات ! ويسمي نفسه أميراً تترياً !
التتري (في لهفة) : لا بدّ أن يكون اللعب شريفاً .
ساتين : لماذا ؟
التتري : ماذا تعنى بـ«لماذا» ؟
ساتين : هذا ما قلت — لماذا ؟

التتري : ألا تعرف ؟
ساتين : لا أعرف . هل تعرف أنت ؟
(التتري يبصق في غضب ، بينا يسخر الآخرون منه)
كريفوي زوب (في لطف) : أنت عجيب ، يا حَسَنْ ! أفلا تفهم أنهم اذا حاولوا ان يعيشوا بصورة شريفة ، فسوف يموتون جوعاً في ثلاثة أيام ؟
التتري : وماذا يهمني هذا ؟ يجب أن تعيش بصورة شريفة .
كريفوي زوب : انه يضرب على الوتر القديم ذاته ! هيا ، قوموا بنا نشرب الشاي . بوبنوف !

آه ، اغلالي . . .

بوبنوف :

يا حارستي الحديد . . .

كريفوي زوب : هيا يا حسن ! (يخرج ، وهو يغني)

ولا اقوى على تحطيمها او فكها . . .

(التتري يهز قبضته في وجه البارون ، ثم يتبع رفيقه الى الخارج)

ساتين (ضاحكاً ، يخاطب البارون : مرة ثانية ، يا صاحب

السعادة ، يبدو أنك غرقت في حفرة عميقـــة المهوى .
وَيْ ، رجل مثقف ، ولا تعرف كيف تدسّ ورقة في كم سترتك !

البارون (موسّعا ما بين يديه) : كيف يمكن ان يراها ، بحق الشيطان !

الممثل : لا موهبة . ولا ايمان بنفسك . بدون هذا -- لا شيء اطلاقاً . فشل واخفاق .

ميدفيديف : عندي ملكة وعندك ملكتان . . .

بوبنوف : وملكة واحدة تكفي اذا كانت ذكية . . . دورك !

كليش : أنت خسرت ، يا أبرام ايفانيتش !

ميدفيديف : دع عنك هذا . . . هل تسمع ؟ اخرس !

ساتين : الأرباح -- ثلاثة وخمسون كوبيكاً !

الممثل : ثلاثة كوبيكات منها تعود اليّ . لكن ما حاجتي الى ثلاثة كوبيكات ؟

لوكا (يدخل من باب المطهى) : حسناً ، لقد سلبتم التتري ، وستسعون وراء الفودكا الآن ؟

البارون : تعال معنا !

ساتين : أحب أن أعرف ما تكون عليه حالك وأنت سكران .

لوكا : لن أكون أفضل مني في حال صحوي .

الممثل : هيا بنا ، أيهـــا الشيخ ! سأتلو عليـــك بعض القصائد .

لوكا : ما هذا ؟

الممثل : شعر . ألا تعرف ؟

لوكا : شعر ! وماذا أفعل بالشعر ؟

الممثل : قد يكون مسلياً . لكن قد يكون أيضاً محزناً .

ساتين : حسناً ، أيها الشاعر ، أقادم أنت ؟(يخرج بصحبة البارون .)

الممثل : اني قادم . لسوف ألحق بكما ! أصغ الى هذا ، أيها العجوز . انه من قصيدة . أوه . . . لا أذكر مطلعها . لا أستطيع أن أتذكر ! (يحكّ جبهته)

بوبنوف : عظيم ! ههنا ربحتُ ملكتك . إلعب !

ميدفيديف : كان يجب الا ألعب هكذا . . . اللعنة !

الممثل : من قبل ، حين لم يكن جسمي قد تسمّم بالكحول بعد ، كانت ذاكرتي قوية جيدة ، أيها العجوز . أما الآن . . . خلاص يا أخي ! انتهى كل شيء بالنسبة اليّ الآن . كنت دائماً أهزّ المسرح بهذه الأبيات – تصفيق هائل . وأنت لا تدري ماذا يعني التصفيق ، يا صديقي . . . التصفيق كالفودكا ! وقد اعتدت الخروج الى المسرح والوقوف هكذا (يتخذ وقفة خاصة .) كنت اقف هكذا . . . . و . . . . (يصمت .) لا أستطيع أن أتذكر كلمة . ولا كلمة واحدة . وتلك كانت قصيدتي الأثيرة . . . هذا سيئ جداً ، أليس كذلك ، أيها الشيخ ؟

لوكا : انه سيئ طالما أنها القصيدة الأثيرة لديك . ان روح المرء كلها في الشيء الاثير لديه .

الممثل : شربت روحي ، أيها الشيخ . وهلكت . ولمَ هلكت ؟ لأني لا أؤمن بنفسي . أنا انتهيت .

لوكا : ماذا تقول ؟ كل ما يجب أن تفعل هو أن تتناول دواء .

فهم يشفون الناس من الادمان هذه الأيام . اسمع ما أقول ! يشفونهـــم من دون أجر . . . لقد فتحوا مستشفى خاصة ، حيث يداوونهم بغير مقابل . ذلك لأنهم يدركون أن السكّير مخلوق بشري هو الآخر ، ولشدّ ما يسرّون مع ذلك عندمـــا ، هو ، يريد أن يتداوى ! إذهب الى هناك اذن . اذهب وجرّب ذلك ، إذهب .

الممثل (مفكراً) : الى أين ؟ أين تقع هذه المستشفى ؟

لوكا : انها – في مدينة . . . ماذا يسمونها ؟ اسمها غريب . انتظر . . . لسوف أخبرك باسمها عـلى كل حال . وفي هذه الأثناء هيئْ نفسك . أترك الفودكا . واحزم أمرك وإصمد . ومن بعد تذهب للمعالجة ، وتبدأ الحياة مرة ثانية من جديد . ألن يكون ذلك رائعاً ؟ مرة ثانية من جديد . هيا اتخذ قراراً فقط . الصبر اولاً ، ثم العلاج في المستشفى .

الممثل (مبتسماً) : مرة ثانية من جديد . كل شيء من البداية . ذلك رائع . وَيْ . . . مرة ثانيـــة من جديـــد . (يضحك.) بالطبع ! أأستطيع ذلك ؟ ! أأستطيـــع ذلك ؟ ما رأيك ؟

لوكا : طبعاً تستطيع ! الانسان يقوى على كل شيء ، اذا اراده بصورة كافية .

الممثل (وكأنه استفاق فجأة) : أنت انسان غريب ! حسناً ، وداعاً في الوقت الحاضر ! (صافراً) وداعاً ، أيها الشيخ العزيز ! (يخرج)

آنا : جدّاه !
لوكا : ما الأمر ، يا عزيزة ؟
آنا : حدثني .
لوكا (يقترب منها) : حسناً ، فلنثرثر قليلاً .

(كليش يلتفّ حوله ، ثم يدبّ صوب زوجته في سكون ، يرنو اليها ويقوم بعدة حركات بيديه ، وكأن ثمة شيئاً يريد التصريح به)

لوكا : ما بالك ، يا أخي ؟
كليش (بصوت مخفوض) : لا شيء . (يتجه نحو باب الممر على مهله ، يقف في جواره لحظات ، ثم يخرج على غير انتظار)
لوكا (يتبعه بعينيه) : موقف صعب على رجلك .
آنا : ليس في مقدوري أن أفكر فيه الآن .
لوكا : هل كان يضربك كثيراً ؟
آنا : ضرباً رهيباً . وبسببه انتهيت الى هذه الحال .
بوبنوف : كان لزوجتي عشيق مرة . وكان ذلك النذل يلعب الداما بصورة رائعة .
ميدفيديف : هم - م . . .
آنا : حدثني ، يا جدّ . . . اني في حال سيئة جداً .
لوكا : ليس هذا بذي بال . فهو أمر طبيعي قبل الموت ، يا حمامتـــي . ستسير الأمور على أحسن ما يرام ، يا محبوبتي . تعلقـــي بأهداب الأمـــل فقط . لسوف

تموتين ، وسيخيم السكون والسلام عليك . ولن تخافي شيئاً بعد ذلك البتة ، ولن تريدي شيئاً ، بل تضطجعين فقط هناك في سلام ودعة . الموت رحيم بنا نحن الفانين المساكين . وهو يزيل جميع الغضون . ولهذا يقولون : انه راحة أبدية . وتلك هي الحقيقة ، يا حبوبتي ، اذ أين يترجى المرء الحصول على السلام في هذا العالم ؟

(يدخل بيبيـــل ، سكران ، يلوح أشعث المظهر ، مكتئب المزاج . يقتعد دكة قرب الباب ، ويقبـــع ساكتاً لا يأتي حركة)

آنا : لكن هنالك ، في ذلك العالـــم الآخر ، هل سنقاسي العذاب والآلام ، هناك أيضاً ؟

لوكا : لن يكون هناك شيء . لا شيء ألبتـــة . صدقيني . السلام والطمأنينة ، ولا شيء آخر . ولسوف يستدعونك أمام الرب ويقولون : أنظر ، يا سيد ، انها خادمتك المخلصة آنا قد جاءت اليك .

ميدفيديف (بقسوة) : كيف تعرف ماذا سيقولون هناك ؟ أنت ذكي حقاً .

(يرفع بيبيل رأسه ويصغي حينما يسمع صوت ميدفيديف .)

لوكا : حين أقول شيئاً ، فلا بدّ أني أعرفه ، ايها السيد الشاويش . . .

ميدفيديف (وقد هدأ) : هم — م . . . ربما . ذلـــك من

شأنك . ولكنني لست شاويشاً . لم أصبح شاويشاً بعد .

بوبنوف : وثبة مضاعفة .

ميدفيديف : اللعنة عليك !

لوكا : ويرنو اليك الرب بلطف وحنو ، ويقول : اني أعرف آنا طبعاً ! وسيقول : هيا ، قودوا عزيزتنا آنا الى الفردوس رأساً – هذا ما سيقول . فلتسترح قليلاً . فأنا أعرف ما لقيت في حياتها من عناء . وأعرف كم هي متعبة . . . فلتُصِبْ آنا السلام والطمأنينة الآن .

آنا (لاهثة) : أواه ، جدّاه . جدي العزيـــز . . . لو يكون الأمر كما تقول فقط ! لو أن . . السلام والطمأنينة . . ولا أحسّ شيئاً . . .

لوكا : لن تشعري بشيء ، يا حلوتي . لا شيء على الاطلاق . صدقيني . يجب أن تموتي الآن مسرورة فرحة ، لا يراودك الخوف أبداً . الموت ، صدقيني ، أب حنون علينا ، نحن أولاده .

آنا : لكن . . . ربما . . . ربما تتحسن صحتي ؟

لوكا (بابتسامة قصيرة) : ولماذا ، يا عزيزتي ؟ كي تتعذبي من جديد ؟

آنا : كي أعيش . . . ولو قليـــلاً فقط . . . فترة أخرى فقط . فترة أخرى فقط . ما دمت قلت انه لن يكون شقاء هناك أبداً . . . فأستطيع تحمّل ذلك ههنا . . . أستطيع ذلك !

لوكا : لن يكون هنالك شيء على الاطلاق . كل ما . . .

بيبيل (ينهض) : أنت على حق . . . لكن ربما – كنت على ضلال وخطأ !

آنا (تنتفض) : يا الهي !

لوكا : ما هذا ، يا فتاي الجميل ؟

ميدفيديف : من يزعق ؟

بيبيل (يتجه صوبه) : أنا ! ماذا اذا زعقت ؟

ميدفيديف : لا مبرّر لزعيقك ، هذا كل ما في الأمر ! على المرء أن يتصرّف في هدوء .

بيبيل : أحمق ! وأنت عمهما ! هو – هو !

لوكا (الى بيبيل ، بصوت مخفوض) : كفاك زعيقاً ، أسمعت ؟ المرأة تموت . وفي وسعك أن ترى لون الأرض على شفتها منذ الآن . إهدأ !

بيبيل : احتراماً لك ، يا جدي . أنت انسان حصيف ، يا جدي . أنت تكذب بصورة جميلة . . ومن الغبطة أن يصغي المرء الى خرافاتك . هيا ، تابع أكاذيبك . ذلك حسن . فليس في هذا العالم أشياء كثيرة تبعث على السرور .

بوبنوف : أصحيح انها تموت ؟

لوكا : من الواضح انها لا تمزح .

بوبنوف : وذلك يعني انتهاء سعالها . انها تسعل سعالاً مزعجاً . وثبة مضاعفة .

ميدفيديف : تفو ! أخذك الشيطان !

بيبيل : أبرام !

ميدفيديف : من قال انك تستطيع مناداتي باسمي الأول .

بيبيل : أبرام ! هل ناتاشا مريضة ؟
ميدفيديف : وما شأنك في هذا ؟
بيبيل : قل لي : هل ضربتها فاسيليزا بقسوة ؟
ميدفيديف : ليس هذا من شأنك . تلك مسألة عائلية . من أنت حتى تدس أنفك ؟
بيبيل : فلأكن من أكون . ولكني اذا أردت فانتم لن ترون ناتاشا ثانية !
ميدفيديف (يترك الداما) : ماذا تُمخرق ؟ عمّن تثرثر ؟ تريد ان تكون ابنة أخي . . . آخ منك ايها اللص !
بيبيل : قد أكون لصاً ، ولكنك لم تضبطني !
ميدفيديف : انتظر فقط! سأضبطك تماماً ، وعاجلاً !
بيبيل : اذا ضبطتني فسيكون ذلك نهاية عشكم هذا . أفتظنني أحتفظ بفمي مغلقاً أبكم أمام المحقق ؟ سوف يكشف الذئب عن مخالبه . سوف يسألني : من علّمك أن تسرق ودلّك أين تسرق ؟ ميشكا كوستيليوف وزوجته ! من يشتري حاجياتك المسروقة ؟ ميشكا كوستيليوف وزوجته !
ميدفيديف : أنت كذاب . ولن يصدقك أحد !
بيبيل : لسوف يصدقونني لأن تلك هي الحقيقة ! ولسوف أزجّ بك في القضية ، أنت الآخر . . هَه ! لسوف أدمركم جميعاً ، يا أولاد الزنا ! لسوف ترون !
ميدفيديف (خائفاً) : كذاب ! أنت كذاب ! ماذا ألحقت بك من سوء حتى الآن ؟ وأنت ترمي بنفسك عليّ مثل كلب مجنون !

بيبيل : ماذا صنعت معي من «حسنات» حتى الآن ؟
لوكا : هكذا !
ميدفيديف (الى لوكا) : لماذا تنقنق ؟ وما شأنك في ذلك ؟ تلك مسألة عائلية !
بوبنوف (الى لوكا) : لا تدسّ أنفك ! فالأنشوطة لا تُجدل لي ولك .
لوكا (في لطف) : اني لا أفعل شيئاً . أقول فقط اذا لم يحسن المرء لجاره فهو يسيىء اليه اذن .
ميدفيديف (دون أن يدرك قصده) : حذار ! نحن هنا ، نحن جميعاً نعرف بعضنا جميعاً ، انما أنت – من أنت ؟
(يسرع الى الخارج ، وقد أرسل شخيراً غاضباً)
لوكا : فارس الفرسان غاضب فيما يلوح . يا سلام ! ان مشاكلكم هنا ، أيها الأخوة ، معقّدة جداً ، كما أرى !
بيبيل : لقد هرول ليتشكى لفاسيليزا .
بوبنوف : انها حماقات ، يا فاسيلي . لقد أصبحت شجاعاً اكثر من اللازم ! احذر جيداً ! حسن أن تكون شجاعاً عندما تذهب الى الغابات سعياً وراء الفطر ، انما لا معنى لشجاعتك ههنا . سيقتلعون رأسك في برهة وجيزة .
بيبيل : لا ، لن يجسر أحد على منازلة شاب منحدر من ياروسلافل بيديه العاريتين ! ان كانوا يريدون قتالاً ، فليكن لهم ما يريدون !
لوكا : أفلا تظن من الأفضل أن تغادر هذا المكان ، أيها الفتى ؟

بيبيل : الى أين ؟ تعال ، قل لي الى أين .

لوكا : حسناً ، الى سيبيريا مثلاً .

بيبيل : أنت تمزح ! لا ، شكراً . لسوف أنتظر حتى يرسلوني هم الى سيبيريا من غير تكاليف .

لوكا : أصغ الى نصيحتي ، وإذهب الى هناك ، وهنالك تجد الدرب القديمة التي يجب أن تسلكها . هم في حاجة الى أمثالك هناك .

بيبيل : لقد استبانت لي دربي منذ زمن بعيد . لقد عاش والدي معظم حياته في السجن ، وأمرني أن أقتدي به . وقد أطلقوا عليّ منذ طفولتي الباكرة لقب اللص ، أو ابن اللص . .

لوكا : سيبيريا مكان رائع ، أرض ذهبية . اذا كان المرء قوياً ، وكان يحمل رأساً جيداً فوق كتفيه ، فسوف يعيش هانئ البال كما في بيته ، مثله مثل الخيار في بيت زجاجي .

بيبيل : لماذا تروى دائماً مثل هذه الأكاذيب ، أيها الشيخ ؟

لوكا : ايه ؟

بيبيل : هل أصبت بالصمم ! قلت لماذا تروي دائماً الأكاذيب !

لوكا : وما هي الأكاذيب التي رويتها ؟

بيبيل : كل ما تقوله كذب . كل شيء خير بالنسبة اليك : هذا المكان وذلك المكان . . . حزمة أكاذيب . لماذا تسردها ؟

لوكا : صدقني الآن ، وانطلق الى هناك ، وانظر بنفسك .

وعندئذ ستشكرني على ذلك . ما معنى أن تبقى ههنا ؟ ولم تقلق هكذا وتضطرب طلباً للحقيقة ؟ فكر فقط — قد تكون الحقيقة فأساً يهوي على عنقك .

بيبيل : ذلك سواء بالنسبة الي ّ . اذا كانت فأساً ، فلتكن فأساً .

لوكا : فتى أبله ! ما جدوى ان تقتل نفسك بيدك انت ؟

بوبنوف : عمّا تتجادلان هكذا ؟ لا أدري . . . وخلف أية حقيقة تسعى ، يا فاسكا ؟ ولماذا ؟ أنت تعرف الحقيقة جيداً من تلقاء نفسك . الجميع يعرفونهـــا ويفعلون ذلك .

بيبيل : اقلع عن نعيقك فليخبرني . أعرني سمعك ، أيها الشيخ — هل اللّه موجود ؟

(لوكا يبتسم ، لكنه لا يتفوه بحرف)

بوبنوف : الناس مثل شظايا من الخشب طافية على وجـــه النهر . . . يشيدون دارا . . . ويرمون الشظايـــا جانباً .

بيبيل : حسناً ، أثمة إله ؟ تكلم .

لوكا (في هدوء) : هو موجود ان كنت تؤمن به ، وهو غير موجود إذا كنت لا تؤمن به . كـــل ما تؤمن به هو وحده موجود .

(بيبيل يرمق العجوز في دهشة صامتة)

بوبنوف : سأذهب لتناول شايي . هيا بنــا . لنذهب الى الحانة ؟ هاي !

لوكا (الى بيبيل) : فيم تحملق ؟

بيبيل : لا شيء . اسمع . أنت تعني . . .

بوبنوف : اذن ، سأذهب وحدي . (يصل الى الباب فيلتقي فاسيليزا .)

بيبيل : وبمعنى آخر ، فأنت . . .

فاسيليزا (الى بوبنوف) : هل ناستيا هنا ؟

بوبنوف : كلا . (يخرج .)

بيبيل : هه !لقد أتت .

فاسيليزا (تقترب من آنا) : أما برحت على قيد الحياة ؟

لوكا : لا تزعجيها .

فاسيليزا : وأنت ماذا تفعل هنا ؟

لوكا : أستطيع أن أذهب . . . اذا طلبت مني ذلك !

فاسيليزا (تدنو من باب غرفة بيبيل) : فاسيا ، ثمة أمور أودّ أن أبحثها معك .

(لوكا يمضي الى الباب المؤدي الى الممر ، يفتحه ثم يقفله بعنف . ومن ثم يتسلق بحذر احدى الدكك ومن بعد الى ظهر المدفأة)

فاسيليزا (من غرفة بيبيل) : فاسيا . . . تعال الى هنا .

بيبيل : لا رغبة لي في هذا .

فاسيليزا : ما الأمر ؟ علام أنت ناقم ؟

بيبيل : أشعر بالسآمة . مللت من هذه الأمور كلها .

فاسيليزا : مللت مني أيضاً ؟
بيبيل : أجل ، أنت أيضاً . .

(فاسيليزا تشدّ وشاحها على صدرها وتذهب الى ناحية سرير آنا ، تنظر بانتباه من وراء الستائر ، ثم تعود نحو بيبيل)

بيبيل : حسناً . . هاتي ما يدور في ذهنك .
فاسيليزا : وماذا عساني أقول ؟ لا أستطيع أن أجبرك على حبي ، أضف الى ذلك أن الاستجداء ليس من طبيعتي . أشكرك لاخباري بالحقيقة .
بيبيل : أية حقيقة ؟
فاسيليزا : أنك مللت مني . أو لعل ذلك ليس صحيحاً ؟

(يحملق بيبيل فيها صامتاً)

فاسيليزا : (متقدمة نحوه) : الى ماذا تنظر ؟ أفلا تعرفني ؟
بيبيل (متنهداً) : انت جميلة جداً ، يا فاسيليزا . (تضع يدها على كتفه ولكنه يدفعها عنه .) بيد أنك لم تكسبي قلبي قط . لقد عشت معك وكل ما عدا ذلك . ولكني لم أحبك قط .
فاسيليزا (بصوت منخفض) : هكذا اذن ! حسناً . . .
بيبيل : حسناً ! وليس بيني وبينك ما نتكلم عنه ! لا شيء على الاطلاق . اذهبي عني !
فاسيليزا : أوقعت في حب غيري ؟
بيبيل : وما شأنك أنت ؟ اذا وقعت فعلاً فلن أطلب معونتك للحصول عليها .

فاسيليزا (بلهجة ذات مغزى) : مؤسف جداً . ربما «تمكنت» من مساعدتك في الحصول عليها .

بيبيل (متشككاً) : الحصول على من ؟

فاسيليزا : أنت تعلم . فما معنى التظاهر ؟ لقد تعودت أن أتكلم بصراحة ، يا فاسيلي . . . (مخفضة صوتها) لن أنكر ذلك — فأنت جرحت شعوري . لكأنك ضربتني بسوط من دون سبب أو مبرر . قلت انك تحبني ، ثم بغتة . . .

بيبيل : ليس بغتة . مضى على ذلك وقت طويل . أنت بلا قلب ، يا امرأة . يجب أن يكون للمرأة قلب . نحن الرجال وحوش ، وينبغي لكنّ . . . ينبغي لكنّ أن تروضننا وتعلمننا . . فهل علمتني شيئاً في يوم من الأيام ؟

فاسيليزا : عفا اللّه عما سلف . أعلن أن الانسان لا يملك من أمر نفسه شيئاً . اذا لم تعد تحبني فسأتقبل ذلك . هذا ما سيكون . . .

بيبيل : اذن انتهى ما بيننا الآن ! واننا نفترق بسلام دون أية فضائح . هذا حسن !

فاسيليزا : لا ! انتظر لحظة ! لا تنس أني ترجيت دائماً ، عندما كنت أعيش معك ، أن تساعدني على طرح هذا النير عن عنقي . حسبت أنك ستساعدني على التخلص من زوجي ، من عمي ، من كل هذه الحياة ، ولربما لم أحبك أنت كما أحببت هذا الرجاء ، هذه الفكرة التي

راودتني . أفهمت ؟ كنت أنتظرك كي تنتزعني بعيداً عن هذا كله .

بيبيل : لستِ مسماراً ، ولستُ كمّاشة . . . أنا أيضاً حسبت أن امرأة بمثل حذقك - فأنت حاذقة . . . أنت امرأة ثاقبة الفكر . . .

فاسيليزا (تميل اليه مقتربة منه) : فاسيا ، تعال - وليساعد كل منا الآخر .

بيبيل : كيف ؟

فاسيليزا (خافضة الصوت ، ولكن بعزم) : شقيقتي . . . أنا أعرف أنك تحبها .

بيبيل : وهذا ما يدفعك الى ضربها بوحشية ؟ حذار ، يا فاسيليزا ! ارفعي يديك عنها !

فاسيليزا : مهلاً ! لا تغضب . في وسعنا تدبير الأمور في هدوء وسكينة ، من غير جنون أو خبل . ما رأيك في أن - تتزوجها ؟ لسوف أعطيك مالاً بالاضافة - ثلاثمائة روبل . واذا حصلتُ على غيرها ، فسأعطيك اياها أيضاً .

بيبيل (يتحرك مبتعداً) : مهلاً ! كيف هذا ؟ وما وراء ذلك ؟

فاسيليزا : ساعدني على التخلّص من زوجي . أبعد تلك الأنشوطة عن عنقي .

بيبيل (يصفر في لطف) : هذه هي القضية اذن ! أو - هو ! أنت حاذقة ! حقاً ! زوجك في القبر ، وعشيقك في السجن ، وأنت . . .

فاسيليزا : فاسيا ! لماذا السجن ؟ لا تفعل ذلك بنفسك ،

استأجر انساناً آخر يقوم بهذا العمل ، ولنفرض أنك فعلت ذلك بنفسك ، فمن عساه يعرف ؟ ناتاشا . . . فكر في الأمر ملياً . . . ستحصل على المال . . . وتذهب الى جهة ما . . . وسأكون حرة الى الأبد . . . أما شقيقتي – فمن الأفضل بالنسبة اليها أن تفرّ من وجهي . يصعب عليّ أن أراها طوال الوقت ! هي آلمتني بسببك ، وأنا لا أقوى على كبح زمام نفسي . فأعذبها . وأضربها . أضربها حتى أبكي ، أنا نفسي ، شفقة عليها . . . ولكنني أضربها مع ذلك ، وسأظلّ أضربها .

بيبيل : أنت وحش ! وتتبجّحين بوحشيتك !

فاسيليزا : لا أتبجّح ، بل أقول الحقيقة . فكّر في الأمر ، يا فاسيا . . . طرحوك في السجن مرتين على حساب زوجي . . . على حساب نهمه وشرهه . انه يمتص دمي كالعلق – وهو يمتصه منذ أربع سنوات . أي صنف من الأزواج هذا الزوج ؟ ولا يني يعتصر ناتاشا ، ويعذّبها ، ويدعوها مستعطية . انه السمُّ بالنسبة الى الجميع .

بيبيل : يا لك مكّارة داهية !

فاسيليزا : كل شيء واضح كضوء النهار . يجب أن تكون أحمق حتى لا تفهم الهدف الذي أبغي .

(يدخل كوستيليوف بهدوء ، ويتقدم متسللاً .)

بيبيل (الى فاسيليزا) : أخرجي !

فاسيليزا : فكّر في القضية . (تلمح زوجهـــا) ماذا تبغي ؟ أجئت تطلبني ؟

(ينهض بيبيل واثباً ويحملق في كوستيليوف بوحشية .)

كوستيليوف : هذا أنا . . . أنا بالذات ! أنتما هنا . . . وحيدان ! هم – م . . . أتتحدثان ؟ (يشرع فجـــأة بضرب الأرض بقدميه ، وهو يزعق) عليك اللعنة ، يا فاسيليزا ! . . أنت ، يا مستجدية الأكف ! يا وغدة ! (يذعر لصياحه والصمت الجليدي الذي استقبل بـــه الصياح .) يا الهي ، أغفر لي ! انـــك تقودينني الى الخطيئة من جديد ، يا فاسيليزا ! وهأنذا أفتش عنك في كل عطفة ومنحنى . . . (يزعق ثانيـــة) حان وقت النوم ! وقد نسيت مرة أخرى أن تملئي قنديـــل الأيقونة ، ألا لعنك اللّه ! أيتها الخنزيرة ! أيتهـــا المستعطية ! (يرعّص اصبعه في وجههـــا . تتجـــه فاسيليـــزا ببطء صوب باب الممر ، وهي تراقب بيبيل)

بيبيل (الى كوستيليوف) : أخرج من هنا ! أقول لك أخرج !

كوستيليوف (صائحاً) : انني السيّد هنا ! عليـــك أنت بالخروج ، أيها اللص !

بيبيل (بصوت قاس) : قلتُ لك انقلع يا ميخائيل !

كوستيليوف : لا تجسر ! لسوف أرينّك ! لسوف . . .

(يقبض عليه بيبيل من ياقته ويهزّه . وعلى حين بغتـــة ، يُسمع رجل يتحرك فوق المدفأة ، ويتثاءب بصوت مرتفع

ممدود . يترك بيبيـــل خناق كوستيليوف الذي يركض الى الممر وهو يصرخ)

بيبيل (يقفز على الدكة التي بجانب المدفأة) : من هناك ؟ من يرقد على المدفأة ؟

لوكا (يمد رأسه) : ايه ؟

بيبيل : أنت ! ؟

لوكا : أنا . أنا نفسي . آه ، يا الهي يسوع المسيح !

بيبيل (يقفل باب الممر ، ويفتش عن متراسه حواليه فلا يجده) : يا للشيطان ! اهبط اليّ ، أيها الشيخ !

لوكا : حالاً ! اني قادم اليك !

بيبيل (بخشونة) : فيمَ تكوّمت على المدفأة ؟

لوكا : وأين تريدني أن أتكوّم ؟

بيبيل : رأيتك تذهب الى الممر !

لوكا : ذلك مكان بارد بالنسبة الى عجوز مثلي .

بيبيل : هل سمعت . . . شيئاً ؟

لوكا : بالطبع سمعت . وكيف لا أسمع ؟ أو لعلك حسبتني أطرش ؟ آه ، أيها الفتى ، الحظ يعترض طريقـــك . أنت محظوظ .

بيبيل (بريبة) : أنا محظوظ ؟ لماذا ؟

لوكا : أنت محظوظ لأني تكوّمت على تلك المدفأة .

بيبيل : ما الذي جعلك تحدث تلك الضجة الصاخبة ؟

لوكا : بدأت أستشعر دبيب الحرارة في جسدي . ويمكن أن تكون شاكراً لي على ذلك . جال في فكري أن ذلك الفتى

قد ينسى نفسه الآن . ويستلّ آخر أنفاس ذلك العجوز .

بيبيل : كنت أستطيع ذلك بالطبع . لكم أكره . . .

لوكا : أنا أعرف . أهذا صعب ؟ ليس صعباً على الاطلاق . ما أكثر ما يرتكب الناس مثل هذه الهفوات !

بيبيل (مبتسماً) : ماذا تقول ؟ لعلك ارتكبت مثل هذه الهفوة مرة في حياتك ؟

لوكا : إسمع ، أيها الفتى ، اسمعني . ابتعد عن تلك المرأة ! اهرب من طريقها . اهرب ! لسوف تتخلص من رجلها ذاك دون مساعدتك ، وبصورة أفضل مما تستطيع أنت . صمّ أذنيك عن صوت تلك الشيطانة ! أنظر اليّ ! ألا ترى أنني أصلع الرأس ؟وما سبب هذا ، يا ترى ؟ النساء ! عرفت من النساء عدداً يفوق ما في فروة رأسي من شعر . لكن فاسيليزا هذه أشرّ من أية غولة !

بيبيل : لا أدري هل يجب أن أشكرك ، أم . . .

لوكا : لا تقل شيئاً . فأنت لن تجد أفضل من الكلمات التي نطقتُ بها . أصغ اليّ – تلك المرأة التي تحب هنا ، خذها من يدها ، أمام الجميع ، ثم الى الأمام سر ! أهرب من هنا ! وابتعد أقصى ما تستطيع !

بيبيل (مكتئباً) : لا سبيل الى معرفة الناس – أيهم طيب وأيهم شرير . لا سبيل الى المعرفة .

لوكا : ماذا تريد أن تعرف ؟ المرء لا يبقى على حاله دائماً .

كل شيء مرتبط بكيف يخفق قلبه . فهو اليوم صالح ، وغداً شرير . لكن اذا كانت تلك الفتاة تؤثر فيك حقاً ، فما عليك الا الرحيل معها ، وَضَعْ حداً لكل شيء . والا فارحل وحدك . فما تزال شاباً بعد . وأمامك متسع من الوقت للحصول على امرأة .

بيبيل (يمسك به من كتفه) : لحظة ، قل لي لماذا تفعل هذا . . .

لوكا : انتظر برهة . دعني وشأني . أريد القاء نظرة على آنا ، هنالك . لقد كانت تتنفس بصعوبة كبيرة قبيل دقيقة واحدة . (يذهب الى سرير آنا ، ويزيح الستائر ، ويتطلع اليها ، ثم يمسكها بيده . بينما يراقبه بيبيل باهتمام ، مبلبل البال .) ارحمنا ، يا الهي يسوع المسيح ! ألا تتقبَّل برحمة نفس عبدتك آنا .

بيبيل (مخفوض الصوت) : ماتت ؟ (ينتصب ، ويرنو الى السرير دون أن يقترب منه .)

لوكا (بلطف) : انتهى الآن عذابها . أين هو رجلها ؟

بيبيل : أظنه في الخمّارة .

لوكا : يجب اخباره .

بيبيل (مرتعداً) : انني أكره الجثث .

لوكا (يذهب الى الباب) : وماذا يُحبُّ فيها ؟ يجب أن نحب الاحياء . . . نحب الاحياء . . .

بيبيل : سأتي معك .

لوكا : هل تخاف من جثمانها ؟

بيبيل : أكرهه .

(يهرعان خارجاً . المسرح فارغ صامت . أصوات صماء مجهولة تجيء من خلف باب الممر . يدخل الممثل)

الممثل (دون أن يغلق الباب ، وانما يقف على العتبة ، مستنداً بيديه الى درفتيه ، ويصيح) : هاي ، أيها العجوز ! أين أنت ؟ تذكرتُ الآن ! فإسمع ! (يتقدم خطوتين مقلقلتين ، ويتخذ وقفة مسرحية ، ويتلو) :

ايها السادة ! اذا لم يكن ثمة ممر
الى مملكة الحقيقة المقدسة .
فاحترموا اذن العقل المجنون
الذي يحمل للناس الأحلام المحلّقة !

(تظهر ناتاشا على الباب خلف الممثل)

الممثل : أيها الشيخ !

اذا رفضت الشمس غداً
أن تضيء دروب أرضنا بأشعتها
فلسوف تضيء العالم غداً
فكرة تنبثق من ذهن مجنون .

ناتاشا (تضحك) : يا للأبله ! لقد شربتَ كثيراً .

الممثل (يستدير اليها) : آه ، هذه أنت ؟ أين هو ، ذلك الشيخ ؟ ذلك الشيخ الظريف ؟ لا انسان ههنا ، فيما يبدو . وداعاً ، يا ناتاشا ! الوداع !

ناتاشا (تدخل الغرفة) : أتقول وداعاً قبل أن تقول مرحباً ؟

الممثل (يسدّ عليها الدرب) : انني — راحل . سأسافر . حين يطل الربيع لن أكون . . .

ناتاشا : دعني أمرّ . الى أين راحل أنت ؟

الممثل : أفتش عن مدينـــة — وأتداوى . يجب أن ترحلي بدورك . أوفيليا ، هيا اسرعي الى الدير ! يبدو أن ثمة مستشفى لمداواة العضويات — للسكارى . مكان رائع . مرمر . . . أرضـــه من مرمر أيضاً ! مضيء جداً ، ونظيف وفيه وفرة من طعام . كل هذا دون ثمن . والأرض المرمرية ، تصوري ذلـــك . لسوف أعثر عليها ، وأشفي ، ومن جديد . . . أنا على وشـــك الولادة من جديد ، كما قال الملك . . . الملك لير ، يا ناتاشا . . اسمي المسرحي سفيرشكوف زافوالجسكي ، لكن أحداً لا يعرف هذا . لا أحد . ههنـــا ليس لي اسماً . تستطيعين ان تفهمي مبلغ ما في هذا من ألم - أن يفقد الانسان اسمه ؟ ان للكلاب ذاتها أسماء . .

(تدور ناتاشا حول الممثل بهدوء ، وتقترب من سرير آنا ، وترنو اليها من خلال الستار)

الممثل : لا اسم — فلا انسان اذن .

ناتاشا : أنظر ! لقد ماتت ، يا عزيزتي !

الممثل (يهز رأسه) : لا يمكن هذا .
ناتاشا (تعود أدراجها) : أي والله ! أنظر .
بوبنوف (على الباب) : أنظر الى ماذا ؟
ناتاشا : آنا ماتت .
بوبنوف : لقد انقطعت عن السعال أخيراً . (يخطو الى سرير آنا ، يتطلع عبر الستار ، ثم يتجه الى مكانه .) يجب اخبار كليش . ذلك من شأنه .
الممثل : سأذهب . سأقول . . . لقـــد فقدت اسمهـــــا ! (يخرج)
ناتاشا (من وسط الغرفة) : وأنا أيضاً . . . في يوم مـــن الأيام . . . على هذا الغرار . . . مطرودة الى قبو . . . مضعضعة .
بوبنوف (ينشر بعض الأسمال على أخشاب دكته) : ما هذا ؟ ماذا تغمغمين ؟
ناتاشا : كنت أفكر بصوت مرتفع .
بوبنوف : تترقبين فاسيا ؟ حاذري ! سوف يدق عنقك فاسيا ذاك .
ناتاشا : سواء عندي : من يدق عنقي ؟ فليكن هو الاحرى .
بوبنوف (يضطجع) : ذلك شأنك .
ناتاشا : موتها شيء حسن ، انتهت آلامها . . . لكنــه يثير الشفقة . يا ربي ! فيم يعيش الانسان ؟
بوبنوف : الجميـــــع على حدّ سواء : يولدون ، يعيشون ، يموتون . . . لسوف أموت . وأنت أيضاً . ففيـــم الشفقة ؟

(يدخل لوكا ، والتتري ، وكريفوي زوب ، وكليش . كليش آخر من يدخل ، يسير على مهله وقد انحنى ظهره .)

ناتاشا : هس – س – س ! آنا . . .

كريفوي زوب : عرفنا . فلتنعم بالسلام ، الآن وقد ماتت .

التتري (الى كليش) : ينبغي جرّها الى الخارج . ينبغي جرّها الى الممر . لا يمكن أن نترك أمواتاً ههنا . الأحياء يناموت هنا .

كليش (في صوت هادئ) : سنجرّها خارجاً .

(يتقدمون جميعاً من السرير . كليش يرنو الى زوجته من فوق اكتاف الآخرين)

كريفوي زوب (الى التتري) : أتظن رائحتها ستنتشر ؟ ليس فيها ما تفوح رائحته . فلقد جفّت وهي على قيد الحياة بعد .

ناتاشا : يا الهي الطيب ، كان يمكن ان يأسى احدكم لها على الأقل ! كان يمكن أن يقول أحدكم على الأقل كلمة طيبة ! آخ منكم !

لوكا : لا تبالي بهم ، يا فتاتي . . . لا بأس . كيف يُنتظر منهم . . . يُنتظر منا الشفقة على الأموات اذا كنا لا نرثي للأحياء ؟ آه يا عزيزتي ! اننا لا نرثي حتى لأنفسنا ، فما بالك بالاموات !

بوبنوف (يتثاءب) : وبالاضافة ، فأنت لا تخيفين الموت بالكلمات . . . تستطيعين أن تخيفي المرض ، وليس الموت !

التتري (مبتعداً) : ينبغي استدعاء الشرطة .

كريفوي زوب : الشرطة بكل تأكيد . كليش ! هل أخبرت الشرطة ؟

كليش : كلا . يتوجب دفنها . ولستُ أملـك غير أربعين كوبيكاً .

كريفوي زوب : ماتت زوجتك ، فإستدن شيئاً . نستطيع أن نجمع تبرعاً – خمسة كوبيكات من كل فرد – أو أي شيء يستطيع المرء ان يدفعه . انمـا أسرع وأخبر الشرطة والا ظنوا أنك قتلتهـا أو . . . (يمضي الى الدكة ويستعد للاضطجاع الى جانب التتري .)

ناتاشا (تذهب الى دكة بوبنوف) : سأحلم الآن بها . انني أحلم دائماً بالأموات . انني أخشى الذهاب الى البيت وحيدة . فالظلمة دامسة في الممر .

لوكا (يتبعها) : يجب أن تخافي من الأحياء فقط ، صدقيني .

ناتاشا : قدني الى الخارج ، يا جدّاه .

لوكا : تعالي ، تعالي . . . سأصحبك .

(يخرجان . فترة صمت)

كريفوي زوب : أو – هو – هو ! حَسَنَ ! لسوف يطـلّ الربيع عمّا قريب ، يا رفيقي ! وعندها نشعر بالدفء . ان الفلاحين في القرى يصلحون منذ الآن محاريثهـم ومسلفاتهم . فهم يستعدون لحراثة التربة . وَيْ . ونحن ؟ ايه ، حسن . انـه ينام ، ذلـك التتري الملعون .

بوبنوف : ان التتريين يناموين جيداً .
كليش (يقف وسط الدار ويتطلـــع الى شيء ما امامـــه ببلاهة) : ماذا أفعل الآن ؟
كريفوي زوب : نم ، هذا كل ما في الأمر .
كليش (في هدوء) : وماذا عنها ؟

(لا أحد يجيب . يدخل ساتين والممثل)

الممثل (يصيح) : أيها الشيخ ! تعال ، يا خلـّي الوفي !
ساتين : أفسحوا الطريق لميكلوخو-ماكلاي * !
الممثل : لقد عزمتُ وقررتُ ! أيها الشيخ ! أين تلـــك المدينة ؟ أين أنت ؟
ساتين : فاتا مورجانا ! العجوز كذب عليك . ليس هناك شيء من هذا القبيل ، لا مدينة ، ولا ناس . لا شيء عـــلى الاطلاق !
الممثل : كذ ّاب !
التتري (يقفز من مكانه) : أين المعلم ؟ سأذهب الى المعلم . اذا لم نكن نستطيع النوم ، فلن ندفـــع مالاً . . أموات . وسكارى . (يخرج بسرعـــة . ساتين يصفر وراءه .)
بوبنوف (ناعساً) : هيا الى الفراش ، يا فتيان . كفوا عن الضجيج . من المفروض أن ينام المرء ليلاً .

---

* رحالة روسي شهير . **الناشر** .

الممثل : آه ! ههنا يضطجع جثمان ! «لقد اصطادت شبكتنا جثة ! . .» شعر . . . من بيرانجيه !

ساتين (يصيح) : الجثة لا تسمع شيئاً ! الجثـــة لا تحسّ شيئاً ! فصيحوا وازعقوا ما طاب لكم ! فالجثة لا تسمع شيئاً !

(يظهر لوكا على عتبة الباب)

ستار

الفصل الثالث

زاوية من فناء مليئة بشتى النفايات ومفروشة بالاعشاب . في اعماقها جدار مرتفع من الآجر يسد السبيل الى رؤية قطعة من السماء . على طول الجـــدار تنمو ادغال بيلسان . الى اليمين جدار اسود لبناء خشبي - لعله مخزن او اسطبل . الى اليسار جدار منزل كوستيليوف بقبوه ، وهو رمادي اللون ، تغطيه بقايا جص ، ينتصب في خط منحرف ، بحيث تبلغ زاويته البعيدة مركز المسرح تقريباً ، فلا تترك سوى ممر ضيق بين الحائط الآجري وجدار المنزل . ثمة نافذتان في جدار المنزل ، احداهما للقبو تقـع على مستوى المسرح ، والاخرى تعلو عليها قرابة نصف متـــر ، وتقـــع اقرب الى الحائط الآجري . على طول جدار المنزل تستلقي كتلـــة خشبية يبلغ طولها مترين تقريباً ، والى جانبها مزلجة خشبية قديمة مقلوبة رأساً على عقب . ألواح خشبية بالية وأحطاب تشكل كوماً قرب البناء الى اليمين . النهار على وشك الافول ، وشعاعات الشمس الراحلة تضيء الجدار الآجري ببريـــق أحمر . انه مطلع الربيع ، والثلج قد ذاب منذ فترة قصيرة ، فالاغصان السود للبيلسان ما برحت عارية عن كل برعم او ورقة خضراء . ناتاشا وناستيا تقتعدان الكتلة الخشبية . لوكا والبارون يجلسان على المزلجة . كليش يضطجع على كوم الاخشاب الى اليمين . يُرى وجـــه بوبنوف في نافذة القبو .

ناستيا (تغمض عينيها ، تهز رأسها في ايقاع متناسب مع سردها لقصتها) : وهكذا جاء ، والليل في مؤتنفه ، الى الحديقة ، الى العريشة ، حسب الخطة التي رسمناها . وكنت أنتظره منذ زمن طويل ، حتى كنت أرتعش خوفاً وحزناً . وكان يرتعش بدوره ، ابيض اللون كرقعة الورق العذراء ، يحمل في احدى يديه مسدساً . . .

ناتاشا (وهي تقرش حبوب عباد الشمس) : وَيْ ! صحيح اذن ما يقال من ان الطلبة مفعمون شجاعة .

ناستيا : وقال لي بصوت مخيف : ياحبي الثمين . . .

بوبنوف : هُوْ - هُوْ ! تقولين ثمين ؟

البارون : إخرس ! اذا لم يعجبك الحديث فلا تسمع ، لكن لا تقاطع الكذب . تابعي !

ناستيا : وقال لي : يا ثمينتي ، يا محبوبتي ! وقال : لن يسمح لي اهلي ابداً بالزواج منك . وقد هددوني ان يلعنوني الى الابد بسبب حبي لك . وقال ! ولذا يجب ان أنتزع حياتي بيدي . وكان يحمل ذلك المسدس الكبير المحشو بعشر رصاصات . وقال لي : الوداع ، يا هوى فؤادي . لا سبيل الى تغيير عزمي . لا أستطيع الاستمرار في الحياة من دونك ! فقلت له : اواه ، يا صديقي المعبود . . يا راوول ! . .

بوبنوف (في دهشة) : ماذا ؟ ما اسمه ؟ جراوول ؟

البارون (مقهقهاً) : تنسين ، يا ناستيا ! كان اسمه غاستون في المرة السابقة !

ناستيا (تقفز على قدميها) : اخرسوا ، ايها الجيف !

انتم . . . ايها الجراء الشريرة ! لكأنكم تفهمون معنى الحب – الحب الحقيقي . لكنني – عرفتـــه ، الحب الحقيقي ! (الى البارون) وانت ، أيها اللاشيء التافه ! ايها الانسان المثقف . المدعـــى احتساء القهوة في فراشك !

لوكا :انتظروا لحظة ! لا تقاطعوها الآن ! دعوها تكمـــل قصتها . ليست الكلمات هي الشيء المهم ، بل مـــا يجثم خلف هذه الكلمات – هذا هو الاساس . تابعي ، يا فتاتي ، ولا تبالي بهم .

بوبنوف : تابعي قصتك ، يا غراباً يريد ان يكون طاووساً .

البارون : ماذا حدث بعدئذ ؟

ناتاشا : لا تأبهي لهم . فمن هم هؤلاء ؟ انهم يغارون فقط لانه ليس لهم شيئاً من اقاصيص يروونهـــا عـــن انفسهم .

ناستيا (تقعد ثانية) : لا أريد ان أكمل ! لن اخبركـــم بأي شيء بعد الآن . ما داموا لا يصدقون ، بل يضحكون مني . . . (تتوقف عن الحديث بغتة ، وتلوذ بالصمت لحظة ، ومن ثم تغلق عينيها ، وتتابع الحديث بصوت عال منفعل ، وهي تضرب بيدها وتلوّح وكأنها تصغي الى ألحان موسيقية تتدحرج من البعيد .) وقلت له : يا فرح حياتي ! يا شمس نفسي ! وانا لا استطيـــع ايضاً الاستمرار في الحياة من دونك . . . لانني أحبك بكل جوانحي ، وسأظل متيمة بهواك طالما هذا القلب يخفق بضرباته في جوف هذا الصدر . انما لا تضع حداً

لحياتك التي يريدها اهلك الأعزاء ، يحتاجون اليهـــا بشدة بما انك الفرح الوحيد الذي يملكون . اطرحني عنك ! يفضل ان تذوي حياتي شوقاً اليك وحنيناً ، يا أعزّ محبوب ! انني وحيدة . انني لست ذات قيمة . الافضل ان تتحطم حياتي . فذلك سواء عندي ! فأنا لا أساوي شيئـــاً . . . ولم يتبـــق لي شيء . . . لا شيء . . . (تغطي وجهها بيديها وتنتحب بصمت .)

ناتاشا (تستدير عنها ، وتتكلم بصوت خافت) : لا تبكي . يجب الا تبكي .

(لوكا يبتسم ويمسح على رأس ناستيا)

بوبنوف (ضاحكاً) : انها شيطانة ! ها ؟

البارون (ضاحكاً هو الآخر) : أتظن ذلك حقيقة ، يا جداه ؟ ذلك كله مستوحىً من ذلك الكتاب «الحب القاتل» . . هراء كثير ! دعها وشأنها !

ناتاشا : وما شأنك انت ؟ اخرس طالما اللّه خلقك هكذا !

ناستيا (مغتاظة) : ايتها النفس الضائعة ! ايهـــا اللاشيء التافه ! اين قلبك ؟

لوكا (يمسك ناستيا من يدها) : هيا بنا ، يا عزيزتي . لا تلقي اليهم بالاً . لا تغضبي ! أنـــا أدري . أنـــا أصدقك . انت على حق ، امـــا هم فعلى ضلال . اذا آمنت انك احببت ذلك الحب الحقيقي ، فقـــد أحببت بالفعل . أحببت حقاً ! انما لا تغضبي من صاحبـــك .

لعل الغيرة هي ما يحمله على الضحك . لعله لم يعرف قط ذلك النوع الحقيقي من الحب ! ولعله لم يعرف شيئاً على الاطلاق . تعالي !

ناستيا (تضغط يديها على صدرها) : صدقني ، يا جداه ! أقسم ان هذا ما حدث ! . . كل شيء تفوهت به . . . كان طالباً . فرنسي الاصل . . يسمونه غاستون . وكانت له لحية سوداء ، وكان يلبس حذاء من الجلد اللميع . . فلأمت تواً ان لم تكن الحقيقة ما أقول . ولشدّ ما كان يحبني ! لشدّ ما كان يحبني !

لوكا : أدري ، أدري ، أصدقك ، أقلت حذاء من الجلـــد اللميع ؟ يا اللّه ، يا اللّه ! وقد أحببته ايضاً ؟

(يختفيان خلف الزاوية)

البارون : يا للفتاة البلهاء ! قلبها طيب ، لكنها بلهاء بصورة لا تطاق .

بوبنوف : ما الذي يدفع المرء الى الكذب هكذا ؟ يكذب كأنه يقف امام المحقق . وشرفي !

ناتاشا : لعل الكذب ابعث على الغبطـــة والانشراح من قول الحقيقة . انا أيضاً . . .

البارون : انت ايضاً ؟ ماذا عندك ؟ !

ناتاشا : أظل أحلم وأحلم . وأنتظر .

البارون : ماذا تنتظرين ؟

ناتاشا (تبتسم في شيء من الارتباك) : لا أدري . افكر ان غداً قد يجيء أحدهـــم . . انسان غير عادي . . او ان

شيئاً سيحدث شيئا غير مألوف . فأظل أحلم وأنتظر . أنتظر دائماً . . أما الواقع فماذا يمكن للمرء ان ينتظر ؟

(فترة صمت)

البارون (بابتسامة معوجّة) : لا ينتظر شيئاً ! فأنا ، مثلاً ، لا أنتظر شيئاً ، فكل شيء انقضى . مرّ . انتهى . ماذا ايضاً ؟

ناتاشا : او . . أتخيل اني سأموت غداً على حين فجأة وكل شيء يصبح بعد ذلك بارداً في أعماقي . الصيف وقت صالح لتصور الموت ، بسبب عواصفه الرعدية ، فقد يغتالك البرق في اية لحظة .

البارون : انت تعيشين حياة بائسة ، وكل ذلك خطيئة اختك – فهي ذات مزاج شيطاني !

ناتاشا : ومن يعيش حياة جيدة ؟ كل امرئ يعيشها رديئة فاسدة – أنا أرى ذلك .

كليش (كان قد ظل حتى الآن مضطجعاً دون حراك يبدو وكأنه منعزل عن البقية ، ولكنه ينتفض لدى سماعه هذه الكلمات) : كل امرئ ؟ هذا كذب ! ليس كل امرئ . لو كان كل امرئ لما كان ذلك مؤلماً حتى هذه الدرجة .وعندئذ لا يعود المرء يبالي !

بوبنوف : اي شيطان نخسك هذه المرة ؟ كم نبحت !

(يعود كليش فيستلقي ثانية ، وهو يهمهم بينه وبين نفسه)

البارون : الافضل ان أذهب فأصالح ناستيا . فاذا لم أفعل ، فلسوف تمسك عني الدراهم اللازمة للشراب .

بوبنوف : هم — م . . لشدّ ما يتعشـــق الناس الكذب ! فالأمر واضح حين تكذب ناستيـــا . لقد اعتادت ان تصبغ بوزها ، فظنت ان في وسعها فعل ذلك بروحها ايضاً . تزين روحهـــا بالحمرة . لكن لماذا يكذب الآخرون ؟ لوكا ذلك مثلاً . . انه يكذب كثيراً دون ان يحصل على اية فائدة من ذلك . وهو رجل عجوز . ماذا يبغي من ذلك ؟

البارون (يفلت ضحكة قصيرة مبتعداً) : نفوسهم ، جميعاً ، حقيرة سوداء ، وهم جميعاً يودون ان يزينوها بقليل من الحمرة .

لوكا (يدخل من وراء الزاويـــة) : فيم تثير تلـــك الفتاة باستمرار ، يا سيدي ؟ دعها تهنأ في بكائها . ان كان يسرّها ان تسيل عبراتها ، فأي أذى ، اذن ، ينالك من تلك العبرات ؟

البارون : هذا سخيف ، ايها الشيخ ! وهي تثير الأعصاب . اليوم هو راوول ، وغداً غاستون . . ولكن القصة لا تتغير ابداً . على كل حال ، انا ذاهب لأتصالح معها . (يخرج)

لوكا : هيا اذهب . كن رقيقاً لطيفاً معها ، فليس يؤذيك قط ان تكون لطيفاً مع المرء .

ناتاشا : انت تملك قلباً طيباً ، يا جداه . ما الذي يجعلك لطيفاً الى هذا الحد ؟

لوكا : أتقولين لطيفاً ؟ حسناً ، اذا كنت ترينني على هذا الغرار . (أنغام ناعمـــة لاكورديون ، وصدى غناء ، يأتيان من خلف الحائط الآجري .) يجب ان يوجد في هذا العالم انسان لطيف . يجب ان يحدب على الناس . لقد أحبَّ المسيح جميع الناس ، وعلمنـــا ان نحذو حذوه . وأستطيع ان أقول لك عن حق انك كثيراً ما تستطيعين انقاذ انسان ما اذا اشفقت عليه في الوقت المناسب . مثال ذلك حين كنت حارساً ليلياً في مزرعة قروية تخص أحد المهندسين قرب مدينة تومســـك . وتلك المزرعة كانت تنتصب وسط الغابات . المكان خاوٍ . حسناً ، كان الزمن الشتاء ، وكنت وحيـــداً في تلك المزرعة . . ولقد كان ذلك رائعاً ! وذات يوم سمعت ضجة صاخبـــة – ان بعض الناس يقتحمون المكان !

ناتاشا : لصوص ؟

لوكا : نعم ، كانوا لصوصـــاً يقتحمون الدار . . تناولت بندقيتي وخرجت اليهم . . وهناك وجدتهم ، وكانـــا اثنين . . منهمكين في فتح احدى النوافذ حتى لم يفطنا لمجيئي . وصحت فيهما : «هاي أنتما ! اخرجا مـــن هنا !» فاستدارا اليَّ يحملان فأساً فحذرتهما : «اذا برحتما مكانكما أطلقت النار !» ووجهت فوهة بندقيتي الى أحدهما ثم الى الآخر . . . فركعا على ركبتيهما ، واستعطفاني السماح لهما بالذهاب . أما أنا ، فكنت مجنوناً ذلك الحين . . . بسبب تلك الفأس ، فقلت

لهما : «طردتكما أيها الجنيان ، لكنكما رفضتما الذهاب» . وقلت لهما : «فليذهب أحدكما ويقتطع غصناً كبيراً من تلك الادغال» . فجلبا الغصن المطلوب . فقلت : «فليركع أحدكما ، وليجلده الآخر» . وهكذا جلد كل منهما الآخر طبقاً لأوامري . وعندما انتهت عملية الجلد ، قالا لي : «ايها الجدّ ، اعطنا شيئاً نأكله بحق المسيح . لقد كنا نمشي وبطوننا فارغة خاوية» . . . اليك هؤلاء اللصوص ، يا عزيزتي ! (يضحك .) واليك تلك الفأس ايضاً ! كانا شابين رائعين طيبي القلب . قلت لهما : «لماذا لم تأتيا وتطلبا مني شيئاً تأكلانه منذ البداية ، يا شيطانين ؟» فقالا : «سئمنا السؤال وتعبنا منه . فقد سألنا والحفنا في السؤال وليس من يعطينا شيئاً وهذا يؤلمنا !» . . . وعاشا معي ، بعد ذلك ، طوال الشتاء . وكان أحدهما ، واسمه ستيبان ، يأخذ البندقية ويضرب في ارجاء الغابات طيلة النهار . أما الآخر ، وينادونه ياكوف ، فكان مريضاً طوال الوقت ، ويسعل على الدوام . . . وكنا نحرس ، نحن الثلاثة ، تلك المزرعة . وعندما جاء الربيع توجها اليّ قائلين : «الوداع ، يا جد» . وهكذا مضيا يسعيان الى ربوع روسيا .

ناتاشا : هل كانا مجرمين هاربين ؟

لوكا : نعم مجرمان هاربان . هاربان من المكان الذي نفيا اليه . ولقد كانا شابين رائعين ! لو لم اشفق عليهما لامكن ان يردياني قتيلاً . او يرتكبا شيئاً لا يقل عن

ذلك شراً ، الامر الذي يعني اذن المحاكمة ، والسجن ، وسيبيريا . ما الفائدة ؟ السجن لا يعلّم الانسان ما هو حق ، وسيبيريا لا تعلّم الانسان ما هو الحق . . لكن الانسان يعلّمك هذا . . نعم ! يستطيع ان يعلمك ما هو حق ، وبطريقة سهلة يسيرة !

(فترة صمت)

بوبنوف : هم – م . أما أنا . . . فلست أجيد الكذب . ولم أكذب ؟ أنطق الحقيقة كاملة ، الحقيقة كما هي ! هذا هو رأيي ! فممّ أخجل ؟

كليش (يقفز من جديد على حين بغتة وكأن النار تلسعه ، ويصيح) : الحقيقة ؟ اية حقيقة ؟ اين هي ؟ (ينتش الأسمال التي تغطيه) اليكم الحقيقة ! لا عمل ! لا قوة . هذه هي الحقيقة ! لا مأوى ! حتى ولا سقف يخصني . لم يتبق شيء سوى الموت كما يموت الكلاب . هذه هي الحقيقـــــة ، يا للشيطان ! ماذا أبغي من وراء حقيقتك ؟ كل ما أبغيه فرصة أستطيع التنفس فيها ! أستطيع استنشاق نفسٍ من الحياة ! أي شر ارتكبت ؟ وماذا أفعل بحقيقتك ؟ ليست هنالك فرصة للحياة ، يا للعنة ! وهذه هي حقيقتك !

بوبنوف : انظروا كيف تأثر هذا الفتى !

لوكا : يا يسوع المسيـــح ! لكن اسمـــع ، يا صديقي . انت . .

كليش (يرتعش هياجاً) : جميعكم ، في هذا المكان ، تثرثرون حول الحقيقة ! وانت ، أيها الشيخ ، تحاول مؤاساة الجميع ! اريد ان اصارحك بحقدي على الجميع ! وعلى الحقيقة ، فلتكن ملعونة الى الابد ! هل تفهم ؟ حاول ان تفهم ! فلتذهب حقيقتك الى الجحيم ! (يركض خلف زاوية الجدار ويتطلع الى الخلف)

لوكا : يا اللّه يا اللّه ، يا اللّه ! لشدّ ما هو مضطرب ، هذا الشاب ! الى اين ذهب ؟

ناتاشا : انه كمَن طاش صوابه .

بوبنوف : هذا جيد ! وكأنه فصل من مسرحية . هذا يحدث من حين لآخر . انه لم يعتد على الحياة بعد .

بيبيل (يدخل على مهله من خلف زاوية الدار) : السلام عليكم ، ايها الاخوان ! حسناً ، يا لوكا ، أيها العجوز الداهية ، أفما زلت تسرد خرافاتك ؟

لوكا : أود ان ترى ذلك الرجل الذي يصيح لتوه هنا !

بيبيل : مَنْ ، كليش ؟ ما باله ؟ صادفته راكضاً وكأنما الشيطان يهرول في أعقابه .

لوكا : كل انسان يركض مثله حين يتأثر قلبه على هذا الغرار .

بيبيل (وهو يتخذ مجلسه) : لا أحب ذلك الفتى . . . فهو شرير ومتعجرف جداً . (يقلّد كليش .) «أنا – أنا رجل عامل» . وكأن هذا يجعله أفضل من اي انسان آخر . إمضِ واشتغل اذا أردت . ولكن ، فيم عجرفتك وتكبرك ! اذا كانت جدارة الانسان رهناً بمقدار العمل

الذي يفعله ، فالحصان أفضل من اي انسان اذن . . .
يظلُ يجرّ ، دون ان ينبس بكلمة . ناتاشا ! هـل عشيرتك في الدار ؟

ناتاشا : ذهبا الى المقبرة ، ويزمعان حضور صلاة المساء بعد ذلك .

بيبيل : ولذلك فليس لديك ما تفعلين الآن ! يا للدهشة !

لوكا (يستدير الى بوبنوف ، وعليه مسحة التفكير) : الحقيقة ، تقول ؟ الحقيقة لا تشفي دائماً من ادواء رديئة . فأنت لا تستطيع دائماً ان تعين نفساً بالحقيقة . فمثلاً كان ثمة قضية كهذه مرة : رجل ما أعرفه يؤمن بالمدينة الفاضلة .

بوبنوف : يؤمن بماذا ؟

لوكا : بالمدينة الفاضلة . كان يقول : «لا بدّ من وجود مدينة فاضلة في هذا العالم» . . . وكان يفكر «ان بشراً خاصين يقطنون تلك المدينة – بشراً طيبين ، بشراً يحترمون بعضهم بعضاً . ويساعدون بعضهم بعضاً في كل عمل وبكل بساطة . وتجري كل الامور عندهم على ما يرام» . وهكذا فكر هذا الرجل في البحث عن تلك المدينة الفاضلة . كان فقيراً يعيش حياة شاقة قاسية . وكانت الامور تؤول احياناً الى حال سيئة حتى لتحسبه يستسلم ، بل كان يبتسم لنفسه ويقول : «لا بأس ،فأنا أستطيع تحمل ذلك . سأنتظر فترة اخرى ، ومن ثم أهجر هذه الحياة وأرحل الى

المدينة الفاضلة» . تلك كانت فرحته الوحيدة في الحياة – ايمانه بالمدينة الفاضلة .

بيبيل : حسناً ، وهل وصل الى هناك ؟

بوبنوف : اين ؟ هوْ – هوْ !

لوكا : ومن ثم نفوه الى المكان الذي يعيش فيه – هذا كله حدث في سيبيريا – رجلاً متبحرا في العلم والثقافة . . . مع كتبه ومصوراته ، وجميع الاشياء الاخرى التي ترافق انساناً مثقفاً مثله . وقال هذا الرجل المسكين لرجل الثقافة والعلم ذلك ، قال له : «كن لطيفاً وأخبرني اين تقع تلك المدينة الفاضلة ، وكيف أصل اليها» . واذ ذاك أمسك الرجل المتبحر في العلم كتبه ، وفتح مصوراته ، وتطلع وتطلع ، لكنه لم يستطع ان يجد تلك المدينة الفاضلة في أي مكان . ان كل شيء في محله ، وكل الاراضي موجودة على المصورات ، لكن المدينة الفاضلة لا توجد في أي مكان !

بيبيل (في صوت مهموس) : أنت تمزح ! لا توجد في أي مكان ؟

(بوبنوف يضحك)

ناتاشا : كفّ عن ضحكك . وما بعد ، يا جداه ؟

لوكا : ما كان الرجل يستطيع ان يصدق ذلك . وقال : «لا بدّ ان تكون في مكان ما . . . تمعن اكثر لانه اذا لم

يك ثمة مدينة فاضلة فسائر مصوراتك وكتبك لا قيمة لها اذن» . فلم يرق هذا للرجل المتعلم ابداً . فقال : «ان مصوراتي افضل المصورات ، انما لا يوجد مثل تلك المدينة الفاضلة التي تتحدث عنها» . عندئذ ثار الرجل المسكين : ماذا يجري ؟ لقد ظل يعيش ويعيش هنا ، ويتحمل كل شيء ، لانه متأكد من وجود مثل ذلك المكان . ولكن ها انه يتبين الآن ، استناداً الى المصورات ، ان ليس ثمة مثل ذلك المكان مطلقاً ! ذلك غش ، ذلك خداع ! قال للرجل المثقف : «وانت . . . انت ، ايها الحقير ! انت وغد لئيم ، ولست متعلماً أبداً !» وضربه على اذنه – طق ! ثم لكمة أخرى – طق ! (بعد فترة صمت .) وبعد ذلك أسرع الى بيته وشنق نفسه !

(الجميع يصمتون . يرنو لوكا ، وهو يبتسم ، الى بيبيل وناتاشا)

بيبيل (بصوت مخفوض) : اللعنة ! تلك قصة لا تبعث على المرح !

ناتاشا : لم يتحمل الرجل ان يُخدع .

بوبنوف (مكتئباً) : كل هذا تلفيق . . .

بيبيل : وَيْ . . . اذن فقد تبين ان ليس ثمة مدينة فاضلة !

ناتاشا : ذلك الرجل يبعث على الشفقة .

بوبنوف : كل هذا تلفيق وبهتان ! هـْ - هُوْ ! مدينة فاضلة ! هذا كله من مخترعات رأسه ! هو - هو !
(يختفي من النافذة)

لوكا (يشير بحركة من رأسه الى نافذة بوبنوف) : إنه يضحك ! بخ ، بخ ، بخ ! (صمت .) حسناً ، يا أصحاب ، أتمنى لكم الخير . لسوف أغادركم عن قريب .

بيبيل : الى اين انت ذاهب ؟

لوكا : الى اوكرانيا . سمعت انهم بدأوا ايماناً جديداً هنالك ، فيجب ان ألقي نظرة . أجل ! البشر يبحثون باستمرار ويريدون أبداً شيئاً أفضل . فليهب لهم اللّه شيئاً من الصبر !

بيبيل : هل تعتقد انهم سيجدون ما يبحثون عنه ؟

لوكا : تقصد البشر ؟ من دون ريب ! من يطلب ، يجد . . من يريد شيئاً بشدة يحصل عليه دائماً .

ناتاشا : آه ، لو انهم يجدونه فقط ! لو انهم يبدعون حياة أفضل !

لوكا : سيبدعون ! سوى أنه ينبغي لنا ان نساعدهم ، يا عزيزتي . يجب ان نحترمهم لسعيهم .

ناتاشا : كيف أستطيع ان أساعدهم ؟ أنا نفسي في حاجة الى مساعدة .

بيبيل (بعزم) : لسوف أتحدث اليك من جديد ، يا ناتاشا . لسوف أطلب منك مرة اخرى . هنا ، أمامه ، فهو يعرف كل شيء . تعالي معي !

ناتاشا : الى اين نذهب ؟ الى السجون ؟

بيبيل : أخبرتك أني سأقلع عن السرقـــة . أقسمت امام السماء أني سأقلع عنها . . واذا قلت ذلـك مرة ، فسأفعله بكل تأكيد . اني أعرف القراءة والكتابـة . وسوف أشتغـــل . . قال أني يجب ان أذهب الى سيبيريا بمحض ارادتي ، فهل نذهب ؟ ما ؟ او تظنين أني لا اكره هذه الحيـاة وأحقـد عليهـا ؟ اواه ، يا ناتاشا ، اني أفهم . . اني أرى ذلك كلـه وأعزي نفسي بالقول ان الناس المزعومين شرفـاء يسرقون أكثر بكثير مما أسرق أنا . لكن ذلك لا يفيد . ليس ذلك ما أريد . لست آسف على شيء ولست اؤمـن بالضمير . لكنني أشعر بشيء واحـــد : ليس هذا اسلوباً للحياة . يجب ان يعيش الانسان حياة أفضل ، يجب ان يعيش كيما يستطيع ان يحترم نفسه !

لوكا : نطقت بالصواب ، يـا عزيزي ! فليساعدك اللّه ! فليتغمدك المسيح بعطفه . هذا كلام صائب : ينبغي للانسان ان يحترم نفسه .

بيبيل : كنت لصاً منذ طفولتي الباكرة ، وكان الجميـــع ينادونني دائماً بفاسيا اللص ؛ فاسيا ، ابن اللص . هذا هو رأيكم اذن ؟ لا بأس اذن ، كذلـــك سوف اكون – لص ! أتفهمين ؟ ولربما أصبحت لصاً نكاية . ولربما انا لص لان انساناً لم يفكر ابداً في مناداتي باسم آخر . ربما ستنادينني انت يا ناتاشـــا ؟ لو انك . . .

ناتاشا (حزينة) : لا أصدق جميع هذه الاقوال . وأنا مضطربة اليوم . وقلبي يثب ويثب وكأنه يتوقع حدوث أمرٍ ما . ما كان يجب ان تثير هذا الموضوع اليوم ، يا فاسيا . .

بيبيل : ومتى اذن ؟ ليست هذه المرة الاولى التي قلت فيها ذلك .

ناتاشا : ولمَ أذهب معك ؟ أما أني احبك – فلا أستطيع ان أقول اني أحبك كثيراً . قد استلطفك احياناً ، وفي احيان اخرى لا أستطيع رؤية وجهك . . أعتقد اني لا أحبك . عندما تحب انساناً ما ، فأنت تعمى اذن عن الشر الذي فيه . . لكنني أرى هذا الشر فيك .

بيبيل : لا تخافي . ستحبينني ! لسوف أعوّدك على نفسي ، لا ترفضي فقط ! لقد راقبتك مدة نيفت على السنة حتى الآن . وأرى انك فتاة جادة طيبة . . مخلوقة يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها . . اني أحبك حباً جماً ، يا ناتاشا .

(تظهر فاسيليزا في النافذة في أتم زينتها ، وتقف مرهفة اذنيها ، معتمدة على اطار النافذة)

ناتاشا : انت تحبني أنا اذن – وماذا عن اختي ؟

بيبيل (مرتبكاً) : حسناً ، ماذا عنها ؟ هنالك كثيرات من مثيلاتها .

لوكا : لا تفكري في هذا ، يا بنتي . حين لا يجد المرء خبزاً يلتهم العشب .

بيبيل (مكتئباً) : اشفقي عليّ . ليست هذه حياة . . انهـا حياة كلب ، خالية من كل فرح أو سرور . كأنمـا في مستنقع . . حيث ينهار كل شيء تمسك به لانـه متعفّن . وشقيقتك تلك – ظننت انهـا غير ما هي عليه . لو لم تك شرهة جشعـة تحب المال لفعلتُ المستحيل من أجلها . لو انها تكون ملكاً لي بكليتها . لكنها أرادت شيئاً آخر – مالاً . . وارادت ان تكون مطلقة العنان . . مطلقة العنان تعيش حياة فاجرة . ما كانت تستطيع مساعدتي . انما انت – انت أشبـه بشجرة شابة تخز أغصانها لكنها تكبح جماحي . . .

لوكا : وأنا أنصح لك : تزوّجيه ، يا فتاتي . فهو ليس شاباً رديئاً . ذكريه فقط – بصورة دائمة – انـه انسان طيب ، فلا ينسى ذلك ابداً . لسوف يصدّقك . قولي له فقط ، بصورة دائمة : «فاسيا ، انت انسان طيب . فلا تنس هذا !» وفكري يا عزيزتي : هل لديك مخرج آخر ؟ شقيقتك تلك حيوانة خسيسة . أمـا زوجها – فالعجوز أسوأ من ان تعبر الكلمات عـن ذلك . . هكذا هي الحياة كلها هنا . هل لديك مخرج آخر ؟ ثم هو شاب قوي .

ناتاشا : ليس هنالك مخرج آخر لي . أعرف ذلك . لقـد فكرت في الأمر ملياً . إنما – لست أصدق احداً . ومـع هذا ليس هنالك مخرج آخر .

بيبيل : بلى ، هنالك مخرج ، لكنني لن ادعك تسلكين هذا السبيل ، بل اقتلك بالاحرى .

ناتاشا (مبتسمة) : لم أصبح زوجتك بعد ، وهذا انت على استعداد منذ الآن لأن تقتلني .

بيبيل (يحوطها بذراعيه) : إنسي هذا ، يا ناتاشا ! كل شيء على ما يرام !

ناتاشا (تشدّ نفسها اليه) : يجب ان أطلعك على شيء واحد ، يا فاسيا . . وأقسم عليه امام اللّه . اول مرة ترفع فيها يدك عليّ او تسيىء اليّ بأي وسيلة اخرى فلن أبقي على نفسي . . إما أن اقتل نفسي او . .

بيبيل : فلتجفّ يدي وتسقط اذا رفعتها عليك !

لوكا : لا تقلقي ، يا عزيزتي ، فهو يحتاج اليك اكثر مما تحتاجين اليه .

فاسيليزا (من النافذة) : وهكذا تمت الخطوبة ! من الآن فصاعداً حب ، وشرف ، وطاعة !

ناتاشا : لقد عادا ! آه ، يا رب ! لقد رأيانا ! آه يا فاسيا !

بيبيل : مم تخافين ؟ لن يجرؤ احد على لمسك الآن !

فاسيليزا : لا تقلقي ، يا ناتاشا ، فلن يضربك . ليس هو في الضرب أفضل منه في الحب . أنا أعرف ذلك !

لوكا (في صوت مخفوض) : هذا المرأة ! انها الأفعى بالذات !

فاسيليزا : انه لا يجيد سوى القاء خطب حلوة .

كوستيليوف (يدخل) : ناتاشكا ! ماذا تفعلين هنا ، ايتها الكسول ؟ تنشرين القيل والقال ؟ تشكين أهلك وعشيرتك ؟ ولم تهيئي السماور بعد ؟ ولم تجهزي المائدة ؟

ناتاشا (خارجة) : ولكنكم عزمتم على الذهاب الى الكنيسة . .

كوستيليوف : نياتنا ليست من شأنك ! واجبك ان تنجزي عملك ، ان تقومي بما 'أمرت' به .

بيبيل : اخرس ! فهي ليست خادمتك بعد الآن ! ناتاشا ، لا تذهبي ! ولا تفعلي لهم شيئاً !

ناتاشا : لا تصدر أوامرك اليّ . فلم يحن وقتك بعد . (تخرج .)

بيبيل (الى كوستيليوف) : دعها وشأنها ! لقد فعلت بها ما تشاء كفاية . هي لي الآن .

كوستيليوف : لك ؟ متى اشتريتها ؟ وكم دفعت ثمناً لها ؟

(فاسيليزا تضحك)

لوكا : اذهب من هنا ، يا فاسيا .

بيبيل : انتبهي ، والا انقلب ضحكك بكاء مريراً !

فاسيليزا : ما أشد خوفي ! اني خائفة حتى الموت !

لوكا : إمضِ من هنا ، يا فاسيا ! أفلا ترى انها تثيرك ، وتحاول اغاظتك ؟ فاهم ؟

بيبيل : آه . . نعـــم . هى تكذب . انت تكذبين ! لن تسير الاشياء على هواك .
فاسيليزا : وانا لا اريدها ما لم تكن على هواي ، يا فاسيا !
بيبيل (يهز قبضته في جهتها) : سوف نرى ! (يخرج .)
فاسيليزا (وهي تختفي عن النافذة) : سوف أهيئ لــك زواجاً مناسباً !
كوستيليوف (يقترب من لوكا) : ماذا بك ، أيها العجوز ؟
لوكا : لا شيء ، ايها العجوز !
كوستيليوف : يقولون انك راحل عنا ؟
لوكا : لقد آن اوان الرحيل .
كوستيليوف : اين تذهب ؟
لوكا : سأتبع أنفي .
كوستيليوف : تتابع طوافك وتجوالك . . أيضنيك البقاء طويلاً في مكان واحد ؟ ايه ؟
لوكا : يقولون : في الحركة بركة .
كوستيليوف : لكن على المرء ان يقيم في مكان واحـــد . لا يفترض في البشر ان يعيشوا كالصراصر - يذهبون هنا وهناك وفي كل مكان . ينبغي للمرء ان يبني لنفسـه عشاً في مكان ما ، والا يكون غريباً في كل مكان .
لوكا : وماذا لو شعر المرء انه في عشه حيثما القى نفسه ؟
كوستيليوف : ذلك يعني انه صعلوك ومخلوق عديم النفع . يجب ان يكون ثمة نفع من الانسان . يجب ان يعمل .
لوكا : وَيْ !
كوستيليوف : أجل والا كيف ؟ مـــن هو الحاج الغريب ؟

الحاج الغريب هو شخص غريب ، شخص لا يشبهه غيره من البشر . فاذا كان حاجاً مطلعاً ، حاجاً يعرف شيئاً او شيئين – اشياء لا يهتم احد بمعرفتها – حتى لو كانت هذه الاشياء هي الحقيقة – فليست كل حقيقة يحتاج اليها الناس . فليحتفظ بها لنفسه . واذا كان حاجاً صميمياً ، فلسوف يمسك بلسانه . او يتحدث بحيث لا يفقه انسان واحد ما يتحدث عنه . وينبغي الا يطلب تغيير الأوضاع ، والا يتدخل في أي شيء ، والا يكدر البشر ويزعجهم بغير سبب معقول . ليس من شأنه كيف يحيا الناس . بل واجبه ان يعيش حياة تقية ورعة . يجب ان يكتهف احد الكهوف في غابة لا يراه فيها انسان . لا حق له في التدخل في امور الناس ، او ادانة أحد . انما يجب ان يصلّي من اجل الجميع . . من اجل خطايانا الدنيوية جميعاً – خطاياي وخطاياك وخطايا الجميع . ولذا يتخلى عن خيلاء هذا العالم وباطله – وهكذا يستطيع الصلاة . (صمت .) اما انت – اي نوع من الحجاج انت ؟ انت لا تحمل جواز سفر . . والرجل المحترم الفاضل يجب ان يحمل جواز سفر . جميع الناس المحترمين الافاضل يملكون جوازات سفر . . . هكذا !

لوكا : بعضنا بشر ، وبعضنا مجرد مخلوقات .

كوستيليوف : دعنا من ذكائك الآن ، دعنا من أحجياتك . أعتقد اني واياك سواء في الذكاء . ماذا تقول – بشر ومخلوقات ؟

لوكا : ترى انها ألغاز وأحجيات ؟ كنت أقول انــــه ما دام هناك تربة قاحلة عقيم ، وهناك تربة مثمرة خصبة . فان كل ما تزرع في التربة المثمرة الخصبة يجب ان ينتج ثماراً . هذا كل شيء .

كوستيليوف : حسناً ، وما نتيجة هذا ؟

لوكا : لنأخذك انت مثلاً . لو ان الرب الآلــــه نفسه قال لك : «يا ميخائيــل ! كن مخلوقاً بشرياً !» فلن يغير ذلك في الامر شيئاً . اذ انك ستظل مثلك الآن .

كوستيليوف : هِمْ . . هــل تعرف ان عمّ زوجتي شرطي ؟ فإذا أنا . . .

فاسيليزا (تدخل) : الشاي جاهز ، يا ميخائيل ايفانوفيتش !

كوستيليوف (الى لوكا) : إسمع ما أقول : إخرج من هنا . اخرج من منزلي !

فاسيليزا : أجل ، يفضل ان ترحل ايها العجوز ! فلسانك طويل . من يدري ، قد تكون مجرماً فاراً .

كوستيليوف : إنقشع من هنا هذا اليوم ، والا سأ . .

لوكا : والا ستنادي عمك ؟ هيا ناده . وقل له انك قبضت على مجرم هارب . لعلّ العــــم ينال مكافأة – ثلاثـــة كوبيكات .

بوبنوف (يطل من النافذة) : أتبيعون شيئاً ؟ ما هذا الذي بثلاثة كوبيكات ؟

لوكا : انهم يهددون ببيعي .

فاسيليزا (الى زوجها) : تعال !

بوبنوف : بثلاثة كوبيكات ؟ انتبه ، ايها الشيخ . سيبيعونك بكوبيك واحد .

كوستيليوف (الى بوبنوف) : فيم نظرت كذا – مثل العفريت الذي يظهر من تحت المدفأة ! (يخرج وزوجته .)

فاسيليزا : ما اكثر ما في هذا العالم من لصوص وغشاشين !

لوكا : ارجو لكما شاياً هنيئاً !

فاسيليزا (تستدير اليه) : إمسك لسانك ، ايها الفطر المقفّع ! (تختفي خلف زاوية الدار مع زوجها .)

لوكا : سأرحل الليلة . .

بوبنوف : هذا حسن . فالرحيل في الوقت المناسب خير دائماً .

لوكا : هذا خير ما قيل .

بوبنوف : أنا أعرف ما أقول . لقد رحلت في الوقت المناسب . وذلك ما أفلتني من الاشغال الشاقة على ما يظهر .

لوكا : حقاً ؟

بوبنوف : أجل ، تلك هي الحقيقة ! واليك كيف حدث ذلك : تورطت زوجتي مع اسطى في محلي . كان معلماً قديراً . . بارعاً في صبغ جلود الكلاب وتحويلها الى جلود راكون . . وجلود القطط ايضاً – الى جلود قنقر . . وفأر المسك . . او أي شيء آخر يعجبك . كان شاباً ذكياً . فعقدت زوجتي صلات معه . . وتعلقا ببعضهما بشدة حتى لم يكن لي بدّ من الحرص كيلا يدسا لي السم ، او يتخلصا مني بطريقة اخرى .

وكنت أضرب زوجتي في بعض الاحيان – وعند ذلك كان المعلم يضربني . كان مقاتلاً جباراً . وذات مرة اقتلع نصف لحيتي وكسر احد اضلاعي . وكثيراً ما كنت افقد صوابي ايضاً . وقد ضربت زوجتي مرة بالمسطرة الحديدية على رأسها . فاشعلت نيران حرب ضروس . لكنني أدركت ان لا فائدة ترجى من كل ذلك – فلا بدّ ان يتغلبا عليّ . وهكذا عزمت على قتل زوجتي ، وفكرت في الأمر ملياً . ولكنني تمالكت نفسي في الوقت المناسب ، ورحلت عن المكان .

لوكا : هذا أفضل ما كان يمكن ان تعمل – تتركهما وشأنهما يحيلان جلود الكلاب الى راكون على هواهما .

بوبنوف : لكن المحل كان يخص الزوجة – وقد ظل كذلك . أما أنا فبقيت لا أملك شروى نقير ، كما تراني . ولكن الحقيقة أني كنت أشرب المحل كله لو بقيت . فان عندي هوساً للشرب .

لوكا : هوس الشرب ؟ اها !

بوبنوف : انني سكير مفترس ! فاذا بدأت أشرب ، شربت كل شيء الا جلدي . وانا كسول . لست تتصور كم ابغض العمل .

(يدخل ساتين والممثل يتجادلان)

ساتين : هراء ! لن تذهب الى اي مكان . . كل هذا هذيان . ايها الشيخ ! اي هذيان صببت في أذن هذا الفتى ؟

الممثل : هذا كذب ! اخبره ، يا جداه ، انه يكذب . سوف أذهب . لقد اشتغلت اليوم – كنّست الشارع . ولم أشتف قطرة واحدة . تصور ! هذه هي – كوبيكاتي العشرة وأنا صاح !

ساتين : هراء ! هيا ، اعطنيها . لسوف أشربهـــا . . او أخسرها في لعبة ورق .

الممثل : أبعد يديك ! هذا جزء من ثمن تذكرة السفر .

لوكا (الى ساتين) : لماذا تحاول ابعاده عن جادة الصواب ؟

ساتين : «قل لي ، ايها الساحر ، يا صفي الآلهة ، أي مصير يخبئه لي القدر ؟» * أفلست ، يا أخي ! خسرت آخر كوبيك ! لكن ما يزال للعالم رجاء بعد ، يا جدي – فهنالك نصابون اذكى مني بعد .

لوكا : انت فتى مرح ، يا قسطنطين ، ولطيف ايضاً .

بوبنوف : ايها الممثل ! تعال اليّ !

(يتجه الممثـــل صوب النافذة ويقرفص ويبدأ حديثاً مـــع بوبنوف في صوت مخفوض)

ساتين : كنت مسلياً عندما كنت صغيراً . جميل ان أستعيد تلك الذكريات . كنت شاباً طيباً ! أرقص رقصـــاً رائعاً . وأمثل على المسرح . وأضحك الناس دائماً . كنت شاباً ظريفاً .

---

* من «قصيدة عن اوليج الكاهن» لبوشكين . **الناشر** .

لوكا : وكيف تحولت عن تلك الطريق ، ايه ؟
ساتين : يا لك من مخلوق فضولي ، أيهـــا الشيخ ! تحب معرفة كل شيء فلماذا ؟
لوكا : أحب ان أفهم مشاكل الناس . لكنني لا أفهم شيئاً عندما أنظر اليك . فأنت فتى رائع ، يا قسطنطين ، وذكي ايضاً . ومع ذلك . . .
ساتين : السجن فعل بي ذلك ، ايها الجد ! قضيت اربـــع سنوات وسبعة اشهر في السجن . وليس من سبيـــل بعد السجن .
لوكا : او — هو ! ولماذا القوا بك في السجن ؟
ساتين : لاني قتلت وغداً . قتلتـــــه في ثورة من الغضب والاستياء . وتعلمت لعب الورق في السجن .
لوكا : قتلته من اجل امرأة ؟
ساتين : من اجل شقيقتي بالذات . انما كفاك تدخلا في امور لا تعنيك . فلست أحب ان توجه الاسئلة اليّ . وكل هذا حدث منذ زمن بعيد ، بعيـــــد جداً . اختي . . ماتت . . قبل تسع سنوات . كانت اختي انسانة رائعة لطيفة ، يا صاح !
لوكا : انك تنظر الى الحياة بسهولة ! اما صانع الاقفال فلا يتحملهـــا هكذا ويعـــوي هنا فتـــرة ! آي — ي — ي ! . . .
ساتين : كليش ؟
لوكا : هو نفسه . لقد صاح : «ليس ثمة عمـــل ! لا ، لا شيء !»

ساتين : سيعتاد ذلك مع الزمن . حسناً ، ماذا أفعل بنفسي الآن ؟

لوكا (في لطف) : انظر ! ها هو ذا قادم .

(كليش يدخل على مهل ، محني الرأس)

ساتين : هاي ، انت ايها الارمل ! ما بال رأسك غارقاً بين ركبتيك ؟ فيم تفكر ؟

كليش : أفكر في ما سوف أعمل . ليس لدي أدوات . بعتها جميعاً من اجل الجنازة .

ساتين : اقبل نصيحتي ولا تفعل شيئاً . كن وقراً على كتف العالم . .

كليش : لا يضيرك شيئاً ان تتكلم . لكنني أستشعر الخجل امام الناس . .

ساتين : إطّرحْ ذلك ! فالناس لا يخجلون لانك تعيش حياة قمينة بكلب . فكر ملياً في الامر . تكف انت عن العمل ، واكف انا عنه . ويكف المئات والالوف . ويفعل الجميع الشيء ذاته ! أتفهم ؟ سنكفُّ عن العمل جميعاً . ولن يحرك اي انسان ساكناً ليصنع شيئاً ! وماذا سيحدث بعدئذ ؟

كليش : سنموت جميعاً من الجوع .

لوكا (الى ساتين) : يجب ان تنضم الى «الهاربين» ما دمت

تفكر هكذا . . هنالـــك بعض الناس الذين يسمون «الهاربون» * .

ساتين : أدري . وليسوا بمجانين على كل حال ، يا جداه .

(يسمع من نافذة جناح كوستيليوف صدى عويل ناتاشا : «فيم هذا ؟ كفى ! . . ماذا فعلت ؟»)

لوكا (مضطرباً) ناتاشا ؟ أهي التي تصرخ على هذا الفرار ؟ ها ؟ اوخ . .

(تجيء من جناح كوستيليوف أصوات ، ضجة صاخبة وصدى صحون تتكسر ، وصيحات كوستيليوف الثاقبة : «يا كلبة ! يا عاهرة !»)

فاسيليزا : انتظر ! دعني أفعل ! لسوف أرينّها ! خذ هذا ! وهذه !

ناتاشا : انهما يضربانني ! يقتلانني !

ساتين (يصيح امام النافذة) : هاي ، أنتم هناك !

لوكا (يركض هنا وهناك) : فاسيا ! لو انكم تبلغون فاسيا ! يا الهي ! ايها الناس الطيبون ! يا اخوان !

---

* اعضاء شيعة دينية أسسهـــا «يفيمي» الجندي الهارب في اواخر القرن الثامن عشر . وقد اعتقد مريدوه انه لا بد ، «لانقـاذ ارواحهم» ، من قطع كل العلاقات مع المجتمع والتخلي عن العائلـــة والهرب الى الاماكن النائية المقفرة . **الناشر** .

الممثل (يركض الى الخارج) : هأنـــذا . لســـوف أذهب وأحضره .

بوبنوف : ما أكثر ما ضرباها في المدة الاخيرة .

ساتين : تعال ، ايها الشيخ . سنكون شاهدين .

لوكا (يتبع ساتين) : اي شاهد سيكون مني ! هذا ليس من عملي ! لو جاء فاسيا بأسرع ما يمكن ! اوخ !

ناتاشا : اختي ! عزيزتي ! فا – ا . . . .

بوبنوف : كمّا فمها . سألقي نظرة .

(الاضطراب في جناح كوستيليوف يخفّ بعد ما انتقل مـن الغرفة الى الممر كما يبدو . يسمع صوت الشيخ : «كفى !» احد الابواب يصطفق بشدة ، فيقطع هذا عنفوان الضجيـــج مثل ضربة فأس . السكون يخيـــم على المسرح . غســـق المساء)

كليش (قابع على المزلجة المقلوبة وسيماء اللامبالاة ظاهرة عليه ، وهو يفرك يديـــه بشدة . يتفوه بشيء غير مفهوم ينتهي الى هذه الكلمات) : لكن كيف ؟ . . لا بدّ للمرء ان يعيش . (بصوت مرتفع .) انا في حاجة الى مأوى ، أليس كذلـــك ؟ ليس لدي مأوى ! ليس لدي شيء ! رجل وحيد – وحيد وحيد . ليس مـــن يساعدني .

(يذهب ببطء ، وقد تقوس بكامل جسده . يخيم صمت ينذر بالسوء بضع لحظات . ثم يجيء من الممر الضيق بين الجدار

الآجري وجـدار منزل كوستيليوف صخب غامض ينمو حتى يصير صوتاً مشوّشاً كلما اقترب . ومن المستطاع تمييز عدة أصوات متفرقة)

فاسيليزا : أنا اختها ! دعوها لي !
كوستيليوف : ألك الحق في ذلك ؟
فاسيليزا : يا مجرم !
ساتين : نادوا فاسيا ! . . اسرعوا اضربه ، يا زوب !

(تسمع صفارة الشرطي)

التتري (يدخل راكضاً ، ويده اليمنى معلقـــة بوشاح) : اي قانون هو هذا - القتل في وضح النهار ؟
كريفوي زوب (يتبعه ميدفيديف) : هاه ! لقد اعطيته ضربة رائعة !
ميدفيديف : انت - كيف تجرؤ على القتال ؟
التتري : وانت ؟ اي واجب هو واجبك ؟
ميدفيديف (يركض خلف زوب) : كفى ! أعدْ لي صفارتي !
كوستيليوف (راكضاً) : ابرام ! اقبض عليه ! . . لقـــد قتلني . .

(يجيء ، من خلف الزاوية ، كفاشنيا وناستيا وبينهما ناتاشا شعثاء الشعر . يتراجع ساتين الى الخلف ، يدفع امامـــه

فاسيليزا التي تحاول ضرب اختها ملوّحة بيديها ، وأليوشكا يقفز حواليها كالعفريت ، يصفر في أذنها ، ويصيح ، ويعول . يتبعهما عدد من النساء والرجال المتلفعين بالأسمال)

ساتين (الى فاسيليزا) : الى اين ، ايتها الافعى الملعونة ؟ . .

فاسيليزا : اليك عني ، ايها المجرم ! قد يكلفني ذلك حياتي ، لكنني سأمزقها ارباً متناثرة !

كفاشنيا (تبتعد بناتاشا) : كفى ، يا فاسيليزا ! اخجلي قليلاً ! انت تتصرفين كما لو كنت وحشاً مفترساً !

ميدفيديف (يقبض على ساتين) : آها ! قبضت عليك اخيراً !

ساتين : زوب ، اضربهم ، يا زوب ! فاسيا ! . . فاسيا ! . .

(يتحلقون قرب الجدار الآجري . يقودون ناتاشا ويجلسونها على كومة من الالواح الى اليمين)

بيبيل (يظهر نجأة من الممر ، ويروح يدفع الجميع صامتاً بحركات جبارة قوية) : اين ناتاشا ؟ انت . .

كوستيليوف (يختبئ خلف زاوية الدار) : ابرام ! إمسك بفاسكا . . يا اخوان ، ساعدوا في الامساك بفاسكا ! اللص ! السارق !

بيبيل : انت ، ايها الكلب العجوز ! (يضرب العجوز بلطمة خاطفة من ذراعه ، فيقع على الارض بحيث لا يبين منه سوى رأسه وكتفيه من خلف زاوية الدار . ويسرع بيبيل الى ناتاشا)

فاسيليزا : اضربوا فاسكا ، يا شبان ! اضربوا اللص !
ميدفيديف (يصيح بساتين) : اخرج من هنا ! انها مسألـــة عائلية ! جميعهم أقارب واهل . . ومن انت لهم ؟
بيبيل : ما الامر ؟ ماذا فعلتْ – طعنتك ؟
كفاشنيا : انظرِ فقط ما فعل الوحشان ! سلقا قدميها بالماء المغلي .
ناستيا : قلبا السماور عليها .
التتري : لعل ذلك لم يكن مقصوداً . يجب ان نتأكـــد . لا يمكن ان نقول هذا دون تأكد .
ناتاشا (شبه مغمى عليها) : فاسيـــــا ، خذني من هنا – خبئني .
فاسيليزا : يا ربّ ! انظروا ! انه ميت ! مقتول !

(يهرع الجميع الى الممر حيث يضطجع كوستيليوف . يخلص بوبنوف نفسه من الجمع ويدنو من فاسيا بيبيل .)

بوبنوف (بصوت مخفوض) : فاسيا ! العجوز – لقد مات !
بيبيل (يتطلع اليه دون وعي) : نادِ الاسعاف . لا بدّ ان ننقله الى المستشفى . سوف أنتقم منهم لهذا !
بوبنوف : اقول ان أحدكم قتل العجوز .

(الضجة تخمد على المسرح وكأنها نار أطفأتها المياه . أصوات متفرقة تقرقع في نغمات ساكنـــة : «صحيح ؟» ، «هذا ما حدث» ، «حقاً ؟» ، «فلنهرب من هنا يا اخ» ، «يا للجحيم !» ،

«انتبهوا الآن !» ، «لنتفرق قبل مجيء الشرطـــة» . الجموع تتضاءل . يخرج بوبنوف والتتري . تهرع ناستيا وكفاشنيا الى جثمان كوستيليوف)

فاسيليزا (تنهض عن الارض وتصيـــح بصورة ظافرة) : مقتول ! هذا هو من قتل زوجي ! . . فاسكا فعل ذلك ! رأيته بنفسي ! رأيته ، يا اخوان ! . . ماذا ، يـــا فاسكا ! الشرطة !

بيبيل (يترك جانب ناتاشا) : دعوني امر . . ابتعدوا عـــن دربي ! (يلقي نظرة على العجـــوز ، ثم يستدير الى فاسيليزا) ما ؟ هل انت راضية ؟ (يلمس الجســـد بقدمه .) انتهى ، ذلك الكلب العجوز . . . حصلتِ على مبتغاك . هه . . لعلي أقتلـــك انت الاخرى ؟ (ينقض عليها . يمســـك ساتين وكريفوي زوب به بسرعة . تختفي فاسيليزا في الممر)

ساتين : فكرّ فيما تفعل !

كريفوي زوب : هش ! تروّ !

فاسيليزا (تظهر ثانية) : اها فاسيا ؟ يا صديقي الحميم ! لن تفر من نصيبك ! . . الشرطـــة ! أبرام . . انفخ في صفارتك !

ميدفيديف : انتزع الشياطين صفارتي مني .

اليوشكا : اليكها ! (يصفر فيها ، فيركض ميدفيديف خلفه .)

ساتين (يقود بيبيل الى ناتاشا) : لا تخف ، يا فاسكا . القتل في مشاجرة لا يعني شيئاً . ولن يكلفك كثيراً .

فاسيليزا : اقبضوا على فاسكا ! لقد قتله ! رأيته بنفسي !

ساتين : أنا الآخر ضربتـــه ، ثلاث ضربات . . لم يتطلب الاجهاز عليـــه جهداً كبيراً . سأكون شاهداً ، يا فاسيا .

بيبيل : لا اريد الافلات من هذا المأزق . . أريـد ان أجرّ فاسيليزا اليه . ولسوف أجرّهــا اليه . هذا ما أرادته . . لقد طلبت مني قتل زوجها . . طلبت مني ذلك !

ناتاشا (فجأة ، بصوت مرتفع) : آه ! . . فهمت الآن ! . . اذن ، هذه هي القضية ، يا فاسيا ! ايها الطيبون ، لقد فعلا ذلك معاً ! هو وشقيقتي قد فعلا ذلك معاً ! خططا لكل شيء معاً ! أليس كذلك ، يا فاسيا ؟ ولذلك تحدثت اليّ هذه الليلة – حتى تستطيع ان تسمـع ؟ ايها الطيبون ، إنها عشيقته . . انتم تعرفون هذا . . الجميع يعرفونه . فعلا ذلك معاً ! طلبت اليه ان يقتل زوجها . فهو يقف حجر عثرة في طريقهما . . وأنا اقف كذلك في طريقهما . . ولذا جعلا مني مقعدة .

بيبيل : ناتاشا ! . . ماذا تقولين ؟ !

ساتين : وَيْ ! اللعنة !

فاسيليزا : كذابة ! انها تكذب ! انـــا . . انه وحده . . فاسكا هو الذي قتله !

ناتاشا : فعلا ذلك معاً ! لعنكما اللّه ! انتما الاثنين .

ساتين : يا للعبة ! حاذر ، يا فاسيا ! سيغرقونك !

كريفوي زوب : لا يمكن فهم ما يجري ! اوه ! يا لها من امور !

بيبيل : ناتاشا ! أأنت حقاً . . انت جادة ؟ . . كيف تظنين اني . . واياها . .

ساتين : فكري فيما تقولين ، يا ناتاشا .

فاسيليزا (من الممر) : قتلوا زوجي ، يا صاحب السعادة . انه فاسكا بيبيل ، اللص ، هو فعل ذلك ، يا حضرة المفتش . . لقد رأيته . . . الجميع رأوه . .

ناتاشا (تضطرب وتغمغم شبه مغمى عليها) : ايها الطيبون ، انها شقيقتي وفاسكا بيبيل اللذان فعلا ذلك . استمع اليّ ، ايها المفتش . انها اختي – التى بيّنت له كيف يفعل ذلك . . هي التي اقنعته . هو عشيقها . وها هو ذا ، لعن اللّه روحه ! لقد قتلاه ! خذوهما معاً . قودوهما الى السجن ! وخذوني أنا ايضاً ! ارموني في السجن ! محبة بالمسيح . . ارموني في السجن !

ستار

الفصل الرابع

المشهد كما في الفصل الاول ، الا ان الحاجز الذي كان يؤلف غرفة بيبيل قد رُفع ، كما اختفى سندان كليش . التتري يتململ ويئن بين الفينة والفينة على دكة في الزاويـــة التي كانت غرفة بيبيل . كليش جالس الى الطاولـــة يصلـــح اكورديوناً ، وبين فترة وفترة يعزف مجرّباً مفاتيحه . والى الطرف الآخر من الطاولة يجلس ساتين والبارون وناستيا ، وامامهم زجاجة فودكا ، وثلاث زجاجات من الجعـــة ، وبعض الخبز الاسود . الممثل يتململ على سطح المدفأة ويسعل . الوقت ليـــل ، المسرح مضاء بقنديـــل موضوع في وسط الطاولة . الريح تصفر في الخارج وتزأر .

كليش : اختفى في ذلك الهرج والمرج . هكذا . . .

البارون : انسلَّ من الشرطة مثل الدخان من النار .

ساتين : مثل الشرير من البارّ .

ناستيا : كان عجوزا طيباً ! اما انتم – انتم لستم مخلوقات بشرية . انتم – رَوْث !

البارون (يشرب) : نخب صحتك ، يا سيدتي الحلوة !

ساتين : كان عجوزاً غريب الشأن ، وناستيا هذه وقعت في غرامه .

ناستيا : نعم ، وقعت في غرامه واحببته ! هذه هي الحقيقة .

فلقد شاهد كل شيء ، وفهم كل شيء .

ساتين (ضاحكاً) : كان بالنسبة للكثيرين اشبه بالعجين لمن لا أسنان له .

البارون (ضاحكاً) : مثل اللزقة للدمامل .

كليش : لقد كان شفوقاً . اما انتم . . انتم لا تعرفون معنى الشفقة .

ساتين : وماذا تفيدك شفقتي ؟

كليش : تستطيع ان لا تشفق ولكنك لا تستطيع ان تجرح المرء .

التتري (يجلس على دكة ويروح يهزّ ذراعه المصابة كأنها طفل) : كان عجوزاً طيبا . . يعرف قانون الروح . من يعرف قانون الروح – هو صالح . ومن أضاع القانون – أضاع نفسه . .

البارون : اي قانون ، ايها الامير ؟

التتري : قانون مختلف . . انت تعرف ما أعني .

البارون : وبعدئذ !

التتري : لا تجرح الناس . هذا قانون .

ساتين : هذا يسمى : «قانون عقوبات واصلاح المجرمين . . .»

البارون : ومن ثم هنالك «لائحة العقوبات المفروضة من قبل قضاة الصلح . .»

التتري : القرآن قانون . . وقرآنكم قانون ايضاً . . كل نفس ينبغي ان يكون لها قرآن . اجل !

كليش (يجرب الاكورديون) : انه يفحّ ، اللعنة عليه ! كلام الامير حق . يجب ان يعيش الناس حسب

القانون . حسب الانجيل .

ساتين : حاول ذلك .

البارون : جرّب ذلك .

التتري : محمد اعطانا القرآن ، قال : اليكـــم - القانون ! افعلوا ما هو مكتوب هنا . ومر الزمن - فاذا القرآن صغير صغير . ازمان جديدة وقانون جديد . كل زمن جديد يعطي قانوناً جديداً .

ساتين : لقد حان اليوم أوان «قانون العقوبات . .» . قانون جيد صارم . . لا بدّ من انقضاء زمن طويل قبل ان يبلى .

ناستيا (تضرب الطاولة بقدح في يدهـــا) : لماذا . . لماذا أستمر في الحياة ههنا ! معكم جميعاً ؟ سأرحـــــل . . سأرحل الى اي مكان . . . الى آخر الارض .

البارون : حافية القدمين ، يا سيدتي الحلوة ؟

ناستيا : عارية الجسد ! أزحف على اربعتي !

البارون : منظر جميل ، يا سيدتي الحلوة . . على اربعتك !

ناستيا : هكذا سأذهب . اجل ! سأذهب على ايـــة حال ، لأتخلص من رؤية بوزك فقط . آه ، كم انا مللت من كل شيء ! من كل انسان ومن الحياة نفسها !

ساتين : خذي الممثل معـــــك يوم ترحلين . . فهو يخطط لرحلة مماثلة . لقد اكتشف لتوّه ان هناك مستشفى للعطونات قبل نهاية الارض بنصف فرسخ فقط !

الممثل (يطل برأسه من فوق حافة المدفأة) : العضويات ، يا أحمق !

ساتين : للعطونات المتسممة بالكحول . .

الممثل : اجل ! سيذهب على اية حال . سيذهب . . لسوف ترون !

البارون :من هذا الذي سيذهب ، يا سيدي الطبيب ؟

الممثل : انا !

البارون : merci ، ايها المنذور للالاهة . . ما اسمهــــا ؟ الاهة المأساة ، الدراما ماذا تدعوها ؟

الممثل : عروس الفنون الجميلـــــة ، يا مغفّل ! ليست هي الاهة ، بل عروساً !

ساتين : لاشيسيس ؟ هيرا ؟ أفروديت ؟ اتروبـــوس ؟ الشيطان وحده يدري اية واحدة منهن ! كل ذلك من صنع ذلك العجوز . لقد اهاج عواطف الممثل . انت فاهم ، يا بارون ؟

البارون : ذلك العجوز غبي .

الممثل : ايها الجهّل ! ايها البرابرة ! مي . . لبو . . مي . . نه * . ايتها المخلوقات المجردة عن القلوب ! سوف يرحل . سترون ذلـــك . «اتخموا ، ايتهـــا العقول المظلمة ! . . » هذا شعر من بيرانجيه . اجل ! لسوف يجد لنفسه مكاناً حيث لا . . لا . .

البارون : لا شيء ، يا سيدي الطبيب ؟

الممثل : اجل ، لا شيء ! «تلك الحفرة ستكون قبري . أموت ضعيفاً ، عاجزاً» .ففيم تعيشون اذن ؟ فيم ؟

* هي الاهة المأساة عند الاغريق القدماء . **الناشر** .

البارون : كفاك صراخاً يا كين * ، ايها العبقري الفاسق !
الممثل : سوف اصرخ كما يحلو لي !
ناستيا (ترفع رأسها عن المائدة وتهز يديها) : هيا ، تابع صياحك . وليسمعوا !
البارون : ما فائدة ذلك ،يا سيدتي الجميلة ؟
ساتين : دعهما لشأنهما ، يا بارون ! فليذهبا الى الجحيم ! فليصرخا ! فليكسرا رأسيهما ، دعهما يفعلان ذلك ! لهذا معنى خاص ! دع المرء وشأنه ، على حد تعبير الرجل العجوز . . انه هو الذي وضع الخميرة في رأس جارينا ، هو الذي يشبه الخميرة القديمة بالذات . .
كليش : لقد أغواهما بمكان ما . . دون ان يدلهما على الدرب اليه .
البارون : كان العجوز دجالاً .
ناستيا : كذب ! انت الدجّال وحدك !
البارون : اخرسي ، يا سيدتي الجميلة !
كليش : اما الحقيقة – فلم يحبها . كان ثائراً جداً ضد الحقيقة . . وهذا صحيح ! عندما تفكر في الحقيقة ، فأي حديث يمكن ان يدور عنها هنا اذن ؟ الحياة خانقة كفاية بدونها . خذ الامير هنا مثلاً – سحق ذراعه اثناء العمل ، ولا بدّ له الآن ان يقطعها . هذه هي الحقيقة التي عنها تتحدث .
ساتين (يضرب الطاولة بيده) : صمتا ! انكم جميعاً من –

---

* ممثل انجليزي اشترك في تمثيل أدوار شكسبير . **المترجم** .

البهائم ! حمقى أغبياء ! كفى ثرثرة عن الرجل العجوز ! (بلطف اكثر) وانت أسوأ الجميع ، يا بارون . . انت لا تفهم شيئاً . وانت تكذب ! لم يك الرجـــل العجوز دجالاً . ما هي الحقيقة ؟ الانسان ! هذه هي الحقيقة ! هو عرف هذا . . اما انتم فلا . رؤوسكـــم اشبـــه بالقرميد . أنا أفهم الرجل العجوز . أجل ، أفهمه ! لقد كذب من دون ريب . لكنه يكذب رحمة بكم ، اخذكم الشيطان ! كثيرون هم الذين يكذبون بدافع الرحمـة بأخوانهم . أنا اعرف . لقد قرأت كثيراً من الكتب . انهم يكذبون بصورة رائعة ، بوحي وإلهام ، فيثيرونكم اذن . ثمة أكاذيب تعزي ، تصالح المرء مع نصيبه في الحياة . الأكاذيب تجد عذراً للثقل الذي سحق ذراع العامـــــل . اكاذيب تلوم المرء اذ يتضور جوعاً حتى الموت . . انا أعرف أكاذيبهم ! لا يحتاج الى الاكاذيب الا خائرو العزم والا الذين يعيشون عالة على الآخرين . . بعض الناس تعضدهـــم الاكاذيب ، وبعضهـــم الآخر يختفون وراءها . . اما الانسان الذي هو سيد نفسه — الانسان الذي هو — حر طليق ، والذي لا يمتصّ دماء الآخرين — فما حاجتـه الى الاكاذيب ؟ انما الاكاذيب دين العبيد والسادة ! والحقيقة إله الانسان الحر !

البارون : مرحى ! قول جيد ! أوافقـــك على كل ما قلت ! فأنت تتكلم مثل . . . انسان محترم .

ساتين : ولم لا يتكلم المخاتل احياناً مثل انسان محترم ، اذا كان انساننـــا المحترم هذا كثيراً ما يتكلم مثـــل

المخاتلين ؟ نعم . ثمة أشياء عديدة نسيتها ، إنما لما أزل اذكر شيئاً او شيئين . العجوز ؟ كان انساناً ذكياً . ولقد . . أثّر فيّ مثلما يؤثر الحمض في قطعة وسخة من العملة القديمة . فلنشرب نخب صحته ! املأوا قدحي .

(تملأ ناستيا قدح ساتين بالجعة وتناوله اياه)

ساتين : (يضحك ضحكة قصيرة) : ذلك الشيخ يعيش بذكائه الخاص ، وهو ينظر الى الاشياء بعينيه وحدهما . قلت له ذات يوم : «جداه ، فيم يعيش الناس ؟ . .» (يقلد صوت لوكا وحركاته) «يعيشون ليجعلوا حياتهم أفضل ، يا صديقي الطيب . لنتصور ان لدينا مثلاً عدة نجارين – وجميعهم حثالة . ومن ثم ولد من بينهم نجار واحد – نجار لم تعرف الارض له مثيلاً ، فكسف الآخرين جميعاً ، كسفهم دون ان يستطيع احد منهم ان يضاهيه بشيء . وكان يضع طابعه على كل شيء يُصنع ، بحيث تقدمت تلك الحرفة ما يزيد على العشرين عاماً بقفزة واحدة . وهذا ينطبق على الجميع – السمكرية والاسكافيين . . وجميع العاملين ، وسائر الفلاحين . . وحتى الاسياد . . جميعهم يعيشون من اجل الافضل ! وكل واحد يعتقد انه يعيش من اجل نفسه ، بينما هو طوال الوقت يعيش من اجل الافضل . وهم يعيشون مائة عام . . وربما اكثر ، وجميعهم من اجل الانسان الافضل» .

(ترمق ناستيا ساتين بانتباه . يتوقف كليش عن العمل في تصليح الاكورديون ويرهف اذنيه . ويحني البارون رأسه على صدره وينقر بأصابعه على الطاولة في لطف . اما الممثل فينزلق بهدوء عن المدفأة ليقتعد دكة قريبة)

ساتين : «جميعهم ، يا صديقي الطيب ، حتى الاخير منهم ، يعيشون من اجل الافضل ! يجب ان نراعي مشاعر بعضنا بعضاً . اذ اننا لا نعرف ماهية هذا الانسان او ذاك ، وفيم خلق ، وماذا في امكانه ان يفعل . . ربما كانت ولادته من حسن حظنا . . فهو قد يمدنا بمساعدة طيبة . . يجب بصورة خاصة ان نحترم الاطفال . هؤلاء الصغار . الحرية هي ما يحتاجون اليه ، اولئك الصغار . يجب الا نعترض على طريقة حياتهم ويجب ان نراعي مشاعرهم» . (يضحك في لطف . برهة صمت .)

البارون (متفكراً) : هم . . . م ! . . في سبيل الافضل ؟ ذلك يذكرني بعائلتي – عائلة قديمة . . يعود تاريخها الى كاترين العظيمة . نبلاء . محاربون . قدموا من فرنسا . خدموا القيصر وظلوا يرتقون ويرتقون . وخلال حكم نيقولاي الاول ، وصل جدي غوستاف ديبيل . . . الى مكانة رفيعة . الثروة . . ومئات من الاقنان . . والخيول . . والخدم . . .

ناستيا : كذاب ! هذا كلام فارغ !

البارون (قافزاً) : ما . . ذا ؟ وبعد ! ؟

ناستيا : هذا كلام فارغ !

البارون (صائحاً) : قصر في موسكو ! قصر في بطرسبورج ! عربات تحمل شعار اسرتنا !

(يحمل كليش اكورديونه ويمضي الى زاوية يراقب المشهد منها)

ناستيا : هذا كلام فارغ !
البارون : صه ! عشرات الخدم ، أقول لك !
ناستيا (متلذذة) : كلام فارغ !
البارون : لأقتلنّكِ !
ناستيا (تستعد للهرب) : لم تكن هنالك عربات !
ساتين : كفى ، يا ناستيا ! لا تثيري جنونه .
البارون : انتظري فقط . . ايتها الرذيلة ! كان جدي . .
ناستيا : لم يكن لك جد البتة ! لم يكن لك شيء مطلقاً !

(يضحك ساتين)

البارون (يتهالك على مقعده وقد انهكه الغضب) : اخبرها ، يا ساتين – هذه العاهرة – او انك تضحك انت الآخر ؟ أفلا تصدّق ذلك ، انت الآخر ؟ (يصرخ في يأس ، وهو يضرب الطاولة بجمع يديه .) ذلك صدق كله ، لعنكم اللّه !
ناستيا (ظافرة) : آها ! تنوح وتزعق ! لعلك تدرك الآن ما معنى الا يصدقك احد !
كليش (يعود الى الطاولة) : كنت على يقين من ان معركـــــة ستنشب .

التتري : آه ، ايها القوم البلهاء ! ذلك سيئ جداً !
البارون : انا . . لا أسمح ان يضحك مني الناس ! كنت املك . . . ولديّ البرهان على ذلك . لديّ وثائق ثابتة ، يا شياطين !
ساتين : دعها جانباً ! وانس قصة عربات جدك . . فهي لم تحملك ابداً ، تلك العربات المرحومة .
البارون : كيف تجسر !
ناستيا : انظر الى هذا : كيف تجسر ! أنني أجسر !
ساتين : انها تجسر كما ترى . وفيم هي أسوأ منك ؟ حتى اذا لم يكن لها عربات او اجداد ، او ام او اب ايضاً .
البارون (يستكين الى الهدوء) : اخذك الشيطان ! انت تأخذ الامور برباطة جأش دائماً . بينما انا لا أملك شخصية .
ساتين : حصّل شخصية . . هي شيء مفيد . (صمت .) ناستيا ، أذهبت الى مستشفى ؟
ناستيا : ولمه ؟
ساتين : لرؤية ناتاشا .
ساتين : تأخرت قليلاً ! فهي غادرت المستشفى منذ زمن طويل . برحته و . . اختفت . ذهبت ولم تخلّف اثراً . .
ساتين : ذلك يعني – اختفت تماماً .
كليش : اتساءل من الذي سيتغلب على الآخر ؟ فاسكا على فاسيليزا ، ام العكس ؟
ناستيا : لسوف تتخلص فاسيليزا من ذلك كله بطريقة ما .

فهي ماكرة . لكنهم سيرسلون فاسكـــا الى الاشغال الشاقة .

ساتين : لا ، بل سيحكم عليه بالسجن فقط لانـــه ارتكب جريمة قتل في معركة .

ناستيا : خسارة . يفضل ان يرسلوه الى الاشغال الشاقة – ان يرسلوكم جميعاً الى هناك . ان يكنسوكـــم جميعاً مثل النفايات . ان يرموكم في حفرة ما !

ساتين (مدهوشاً) : ماذا تقولين ؟ هل فقدت صوابك ؟

البارون : سأصفعها على اذنها . . مقابل كلامها الوقح !

ناستيا : هيا ، حاول . المسني فقط !

البارون : سأحاول ، ولن أخاف !

ساتين : كفى ! لا تلمسها . . لا تجرح مشاعر انسان ! لا أقوى على انتزاع ذلك الشيـــخ من رأسي ! (يضحك) لا تجرح مشاعر انسان ! لكن ، ماذا لو جرحوا مشاعري مرة واحدة والى الابد ؟ ماذا أفعل اذن ؟ أيفترض فيّ ان اصفح عنهم ؟ أبداً ! لا أصفح عن أحد !

البارون (الى ناستيا) : لا تنسي انك لست على قدم المساواة معي ! فأنت . . نفاية الارض !

ناستيا : اخ منك ، ايها المخلوق الساقط ! انت تحيا على حسابي . . مثل دودة على تفاحة !

(الرجال ينفجرون ضحكاً صاخباً)

كليش : يا للحمقاء ! تفاحة !

البارون : كيف يمكن لانسان ان يغضب منها ؟ هي حمقاء !
ناستيا : أتضحكون ؟ تخدعون أنفسكم . انتم لا تشعرون بالمرح !
الممثل (مكتئباً) : هيا ، اعطيهم درساً !
ناستيا : لو كنت اقدر ! لكنت . . لكنت . . (تلتقط قدحاً وترميه على الارض) . . لكنت فعلت بكم هكذا !
التتري : فيم تكسرين الاقداح ؟ ايه . . امرأة بلهاء !
البارون (ينهض) : لا ! سوف القّنها الآن . . درساً !
ناستيا (راكضة الى الباب) : اذهبوا الى جهنم !
ساتين (يصيح خلفها) : هاي ! كفى ! من تخيفين ؟ ما معنى كل هذا على اي حال ؟
ناستيا : ذئاب ! (تخرج راكضة) لتنفقوا نفقاً ! ذئاب !
الممثل (مكتئباً) : آمين !
التتري : او — او — او ! امرأة شريرة — امرأة روسية . وقحة . . متحررة جداً . اما التتريات فيختلفن عن هذا . التتريات يعرفن القانون .
كليش : انها تحتاج الى هزة جيدة .
البارون : العاهرة !
كليش (يجرّب مفاتيح الاكورديون) : حسن ! لكن صاحبه لم يأت وراءه . . ذلك الفتى يبدد نفسه . .
ساتين : خذ ، اشرب قدحاً الآن !
كليش : شكراً ! حان وقت النوم .
ساتين : هل اعتدت علينا ؟
كليش (يشرب ، ثم يتجه صوب دكة في احدى الزوايا) :

اظن هذا ! يتضح ان المخلوقات البشريـة تتزاحم في كل مكان . وانت لا تلاحظ هذا بادئ الامر . . ومن ثم تلقي نظرة جيدة فاذا هي هناك - المخلوقات البشرية . لا بأس !

(ينشر التتري غطاء على دكته ، ثم يجثو على ركبتيه ويروح يصلي)

البارون (ينبه ساتين الى التتري) : انظر الى هذا !

ساتين : دعه لشأنه . فهو فتى طيب . لا تزعجه . (يضحك) انا طيب القلب هذا النهار والشيطان وحده يدري سبب هذا !

البارون : طيب القلب دائماً عندما تشرب . . وتكون ذكيـاً ايضاً .

ساتين : عندما اكون سكران . . تبدو الاشياء جميعاً جميلة رائعة . انه يصلي ؟ رائع ، قد يكون الانسان مؤمناً وقد لا يكون . . كما يشاء . فذلك من شأنه وحده . فللانسان حرية الاختيار . وهو يدفع ثمن كل شيء - ثمن ايمانه ، وانكاره ، وحبه ، وكونه ذكياً . الانسان يدفع ثمن كل شيء بنفسه ، وهذا هو السبب في انه حر . الانسان ، هذه هي الحقيقة ! ما هو الانسان ؟ ليس انت ، ولا أنا ، ولا هم . لا ! لكن انت ، وأنا ، وهم ، والشيخ ، ونابليون ومحمد - جميعهم في واحد (يرسم صورة انسان في الهواء .) هل فهمت ؟ ذلك -

هائل ! يتضمن جميـــع البدايات وجميع النهايات . .
كل شيء – جزء من الانسان ؛ وكل شيء – من اجـل
الانسان ! الانسان وحده موجود ، وجميع ما تبقى من
صنع يديه وفكره فقط ! ما أعجبه ، الانسان ! ولشدّ
ما في هذه الكلمة من فخار – الانسان ! يجب ان يُحترم
الانسان . لا ان يكون موضع الشفقة . . فالشفقـــة
اهانة ! لكن ان يُحترم ! هيا ، ايها البارون ، ولنشرب
نخب الانسان ! (يقف .) ما أحسن ان تحسّ نفسك
انساناً ! وهأنذا – مجرم سابق ، قاتـــل ، نصاب –
وكل ما يتبع هذا ! عندما اعبر الشارع يظنني البشر
لصاً . . ويتحاشونني ويرمونني بنظراتهم الجانبية .
وكثيراً ما ينادونني وغداً لئيمـاً ! مخاتلاً ! ويقولون
لي : اشتغـــل ! اشتغـــل ! لماذا ؟ لأملأ معدتي ؟
(يضحك .) لطالما احتقرت الناس الذين يفكرون كثيراً
بمعداتهـــم . ليست المعدة الشيء الرئيسي ، يـــا
بارون ! ليست شيئاً رئيسياً ! فالانسان اثمن من هذا
وأرفع . الانسان أرفع قدراً من معدته !

البارون (يهز رأسه) : انت تعرف كيف تفكر في الامور . هذا
جيد . فلا بدّ ان يبعث هذا الدفء في قلبك . امـــا
أنا – فلا أستطيع . ولا اعرف كيف . . (يتطلـــع
حواليـــه ، ويتحدث في همس واحتراس .) وفي بعض
الاحيان ، أشعر بالخوف . . أفهمت ؟ وارتعب . فأروح
افكر : ماذا سيحدث بعد ؟

ساتين (يراوح ويغادي) : هراء ! من الذي يخافه الانسان ؟

البارون : اسمع . بقدر ما استطيع ان اتذكر . . كان ثمة نوع من الضباب في رأسي . وما كنت استطيع قط ان أفهم شيئاً . أنا . . ذلك غريب ، ولكن . . ويؤتى لي اني قضيت حياتي بكاملهـــا وأنا ابدل ملابسي . . ولما ؟ لا أقدر ان أفهم ذلك . اولاً كنت طالبـــاً – البس زي مدرسة ابناء النبلاء . وماذا علموني هناك ؟ لست أتذكر . تزوجت . وارتديت بدلة السهرات ومن ثم الروب البيتي . لكن الزوجة التي اخترت كانت زوجة سيئة . لماذا تزوجتها ؟ لا أتذكر . ولقد بذرت جميع ما أملـــك – وارتديت معطفاً رمادياً وسروالاً باهت اللون . . كيف ضيّعت كل شيء ؟ لا اتذكر . وعملت في مكتب حكومي – فارتديت البدلة الرسمية ، قبعة لها شعار معدني . . واختلست اموال الحكومة . وعندذاك البسوني ثياب المجرمين . . وبعـد ذلك صرت ألبس هذه الاشياء . . وهذا لكأنما في حلم . ها ؟ هل هذا مضحك ؟

ساتين : ليس كثيراً . . فهو سخيف اكثر منه مضحكاً .

البارون : هذا صحيـــح ، أظن انا الآخر انـــه سخيف . ولكن . . . لا بدّ اني خُلِقْتُ لشيء ما . ما رأيك ؟

ساتين (يضحك) : هذا محتمل . لقد خلق الانسان من اجل الافضل . (يهزّ رأسه) كلمات طيبة !

البارون : ناستيا هذه ! الى اين فرت ؟ سأذهب والقي نظرة . وعلى اية حال ، فهي . . . (يخرج . صمت)

الممثل : يا تتري ! (صمت) ايها الامير !

(يدير التتري رأسه)

الممثل : صلِّ من اجلي !
التتري : ماذا ؟
الممثل (مخفّضاً صوته) : قل صلاة من اجلي !
التتري (بعد فترة من صمت) : صلِّ بنفسك . .
الممثل (يهبط عن المدفأة بسرعة ، ويسرع الى الطاولة ، يصب لنفسه كأساً من الفودكا بيدين راعشتين ، ويبتلعه بسرعة ، ومن ثم يقصد الممر في شبه عدو .) : انه راحل !
ساتين : هاي ، انت ! يا سيقمبر ! الى اين انت ذاهب ؟ (يصفر . يدخل بوبنوف وميدفيديف ، وهذا الاخير يرتدي معطفاً نسوياً محشواً بالقطن . كلاهما سكران قليلاً . يحمل بوبنوف في احدى يديه عقداً من الكعك ، وفي الاخرى عدداً من السمك الداخن ، وقد القى تحت ابطه قنينة فودكا ، بينما تطل قنينة اخرى من جيب معطفه .) .
ميدفيديف : الجمل شيء أشبه بالحمار ، الا انه بدون اذنين . .
بوبنوف : كفى ! انت نفسك شيء اشبه بالحمار .
ميدفيديف : ليس للجمل آذان البتة . . فهو يسمع من خيشوميه .
بوبنوف (الى ساتين) : يا صديقي ! لقد فتشت جميع الحانات

والخمارات باحثاً عنك . اليك هذه القنينـــة . فيداي جميعاً مشغولتان .

ساتين : ضع هذه الكعكات على الطاولة ، فتصبح احدى يديك طليقة . .

بوبنوف : مضبوط ! يا لك من . . . يا شرطي ! انظر اليه فقط ! انه فتى ذكي ، ها ؟

ميدفيديف : جميع اللصوص اذكياء . . أعرف هذا ! والا ما استطاعوا الاستمرار . قد يكون الرجل الطيب غبيــاً أحمق . لكن الرجل الشرير - ينبغي ان يكون ذكيــاً حتماً . اما عن ذلك الجمل ، فانت على ضلال . انـــه حيوان جرّ . من غير قرون . . ولا أسنان . .

بوبنوف : اين الجميع ؟ كيف لا يوجد احد هنا ؟ هاي ، هيا ازحفوا ! اني أولم مأدبة ! من هناك في الزاوية ؟

ساتين : كم تحتاج من الوقت حتى تشرب آخر كوبيـــك في جيبك ، ايها الفزاعة العجوز ؟

بوبنوف : لن احتاج الى طويـــل زمن ! فرأس المال الذي ادخرت هذه المرة ليس كبيراً . . . زوب ! اين هـــو زوب ؟

كليش (يدنو من الطاولة) : ذهب .

بوبنوف : غر -ر -ر - ر ! . . . هكذا يفعـــل الكلب ! وف ! وف ! هذا ما يفعله الديك الرومي ! فلا تنبح ولا تهر ! اشربوا ، افرحوا ! ولا تتذمروا ! الدعوة على حسابي هذه الليلة ! ولشدّ ما أحب ذلك ! لو كنت غنياً ، لفتحت خمارة يشرب فيها الجميع بلا مقابـــل !

وحق اللّه ! وفيها فرقة موسيقية ، وجوقة للترتيل ايضاً . . فيأتيها جميع الناس ، يأكلون ويشربون ويصغون للاغنيات ! روّح عن نفسك ! لا مال ؟ اليكم – خمارة لا تتقاضاكم ثمناً ! اما انت ، يا ساتين ، فكنت . . . . كنت اعطيك نصف مالي بالاضافة . هذا ما كنت أفعل !

ساتين : اعطنه كله – في الحال !

بوبنوف : كل ما أملك ؟ في الحال ؟ هاه ! اليك – روبلاً . . . وهذا آخر . . . وعشرين كوبيكاً . . . وخمسة كوبيكات وسبعة . . . كل شيء !

ساتين : حسناً ! سيكون آمن وهو معي ، سأقامر به .

ميدفيديف : وانا شاهد على ان المال قد اعطي لحفظه . كم المبلغ ؟

بوبنوف : انت ؟ انت جمل . نحن لا نحتاج شهوداً على الاطلاق .

اليوشكا (يدخل عاري القدمين) : يا شباب ! تبللت قدماي !

بوبنوف : تعال بلّل حلقك ! . . . هذا كل ما انت في حاجة اليه ! انت لطيف . فغناؤك وعزفك رائعان كل الروعة . اما شربك الخمرة – هذا غير جيد . ذلك ضار ، يا اخي . الشرب ضار .

اليوشكا : انت مثال جيد . انت لا تشبه مخلوقاً بشرياً الا حين تسكر . كليش ! هل اصلحت آلة الاكورديون ؟ (يغني ويرقص .)

اوه ، لو كنت املك بوزاً
بشعاً قبيحاً كبوز البقة ،
اذن تكبَّرت عليَّ
محبوبتي الشقراء !

انني بردان ، يا اخوتي . انني اتجلـ . . . د !

ميدفيديف : هم . . . هل لي ان اسأل من هي محبوبتك الشقراء ؟

بوبنوف : الا تكف عن اسئلتك ! انتهيت الآن يا اخ ! فلم تعد شرطياً بعد الآن . . لست شرطياً ولا عماً ! . . .

أليوشكا : انت – زوج العمة ليس غير .

بوبنوف : واحدى بنات اخيك في السجن ، والاخرى تموت .

ميدفيديف (بفخر) : هذا كذب . فهي لا تموت . انما اختفى أثرها .

(يضحك ساتين)

بوبنوف : الامر سيان يا اخ ! ما دمت قد فقدت ابنتي اخيك ، فأنت لم تعد بعد الآن عماً .

أليوشكا : يا صاحب السعادة ! يا طبَّال الماعز المتقاعد !

محبوبتي – تملك مالاً ،
وانا – مفلّس !

لكنني ما ازال طروباً .
طروباً بشكل مدهش !
الجو بارد ملعون !

(يدخل كريفوي زوب . تبدو وجوه اخرى من الرجال والنساء خلال بقية المشهد . يخلعون معاطفهم ويضطجعون على الدكك المبعثرة وهم يهمهمون)

كريفوي زوب : لماذا هربت ، يا بوبنوف ؟
بوبنوف : تعال هنا ! اجلس ، ولنغنّ اغنية يا اخ ! اغنيتي المفضلة . . . ايه ؟
التتري : يجب ان تناما في الليل . الاغاني تنشد في النهار .
ساتين : لا بأس ، ايها الامير . تعال هنا .
التتري : ماذا تعني بلا بأس ؟ انت تبعث ضجيجاً . تبعث ضجيجاً صاخباً عندما تغني .
بوبنوف (يذهب اليه) : كيف الذراع ، أيها الامير ؟ هل قطعوها ؟
التتري : ولمه ؟ أنتظر . لعلهم لا يقطعونها . فالذراع ليست حديداً عتيقاً ! ومن السهل قطعها لما يحين الحين .
كريفوي زوب : امرك يامان * ، أيها الامير . بذراع واحدة انت لا تصلح لشيء . فالناس من امثالنا لا يساوون الا ما تساويه اذرعهم وظهورهم ، فلا انسان بلا

---

* يامان – سيئ بالتترية في الاصل . **الناشر** .

ذراع ! لقد انتهى امرك ! تعال ، وتناول جرعـــة . لا شيء غير ذلك امامك !

كفاشنيا (تدخل) : آه ، يا رجالي ، يا اعزائـــي ! الطقس بارد ! المطر ! هل رجلي الشرطي هنا ؟ يا شرطي !

ميدفيديف : هأنذا !

كفاشنيا : لقد اخذت سترتي ثانيـــة ! ويبدو انك تناولت رشفة او رشفتين ، ايه ؟ ما فكرتك من ذلك ؟

ميدفيديف : بمناسبـــة عيد ميلاد بوبنوف . . والبرد ، والمطر . .

كفاشنيا : انتبه جيداً ! المطر ! دعك من الشرب ! تعال الى الفراش !

ميدفيديف (في طريقه الى المطهى) : بلى ، بالامكان الذهاب الى الفراش . اريد ان أنام .

ساتين : ألست . . شديدة الصرامة معه ؟

كفاشنيا : تلك هي الطريقة الوحيدة معه ، يا صديقي . يجب ان نشدد قبضتنا على رجل مثله . عندما اخذتـــه ليعيش معي قلت في نفسي : لعلي احصـــل على بعض الفائدة منه ، فهو في الخدمة ، وانتم عصبـــة مـــن المعربدين . . وكنت انا امرأة بائسة لا حول لي ولا قوة . لكن سرعان ما راح يسكر ، وانا لا أستطيع ان اتحمل شيئاً كهذا !

ساتين : لقد التقطتِ زوجاً بائساً .

كفاشنيا : لم يكن هناك افضل منه . فأنت لن تعيش معي — انت متعال جداً ! وحتى لو فعلت . . . فذلك ما كان

يطول اكثر من اسبوع واحد . . . ولكنت قامرتَ بي في لمح البصر – تقامر بي وبجميع ما عندي من أحشاء .

ساتين (ضاحكاً) : انت على حق ، يا امرأة . كنت قامرت بك تماماً . . .

كفاشنيا : أعرف هذا ! أليوشكا !

اليوشكا : هأنذا !

كفاشنيا : ما هذه الثرثرة التي تنشرها حولي ؟

اليوشكا : انا ؟ انها الحقيقة فقط . لقد قلت : يا لها من امرأة ! معجزة بكل بساطة ! سمن ، عظام ، ولحم – تزن عشرة بودات * ، اما دماغها – فلا يزن اوقية واحدة !

كفاشنيا : هذا كذب . فرأسي تحوي كثيراً من الدماغ . لكن ، لم قلت انني ضربت زوجي الشرطي ؟

أليوشكا : ظننت انك ضربته حين جررته من شعره .

كفاشنيا (ضاحكة) : أبله ! كان يجب ان تتظاهر انك أعمى لا تبصر . لكن ، فيم انت تنشر ثيابنا القذرة كيما يراها الجميع ؟ وخلاف هذا ، فقد جرحتَ شعوره . لقد جعل يسكر بسبب من ثرثرتك . .

أليوشكا : اذن ، هي الحقيقة ما يقولون – حتى الفراخ تشرب .

(ساتين وكليش يضحكان)

---

* البود – مقياس وزن روسي قديم يساوي ١٦,٣ كغ . **الناشر** .

كفاشنيا : اووه ، يا للسانك ! اي صنف من البشر انت ، يا أليوشكا ؟

أليوشكا : أفخر صنف في الوجود ! انا ماهر في اي عمـــل . وأتبع أنفي ايان يذهب !

بوبنوف (جنب دكة التتري) : تعال ! لن نسمح لك بالنوم على اية حال ! لسوف نغني . . طوال الليل ! زوب !

كريفوي زوب : تغني ؟ هذا حسن . . .

أليوشكا : سأعزف لكم !

ساتين : سنصغي اليك !

التتري (باسماً) : حسناً ، ايها الشيطان بوبنوف . . . صب خمرة . نحن نشرب ونمرح . ولسوف نموت يوم يجيء فيه موتنا .

بوبنوف : املأ له قدحه ، يا ساتين ! اجلس ، يا زوب ! المرء لا يحتاج شيئاً كثيراً ، يا اصدقائي . هأنذا اطفح خمرة واحسّ السعادة ! زوب . . . ابدأ الاغنيــة - اغنيتي المفضلة ! ولسوف أغني وأبكي !

كريفوي زوب (يغني) :

في كل صباح تشرق الشمس وتغرب . . .

بوبنوف (يشترك معه) :

والعتمة ما برحت تخيّم في زنزانتي . . .

(الباب يفتح بسرعة)

البارون (يصيح من على العتبة) : هاي . . . يا قوم ! تعالوا !

اسرعوا ! لقد شنق الممثل . . نفســـه ! هنالك في الخلاء .

(سكوت مطبق . الجميع يتطلعون الى البارون . تظهر ناستيا من خلفه وتسير على مهلها ، مفتوحــة العينين ، في اتجـــاه الطاولة)

ساتين (بهدوء) : تفو ! . . لقد أفسد الاغنية . . . ذلـــك الاحمق !

ستار

أعداء

(مشاهد)

كتبت هذه المسرحية في عام ١٩٠٦ . مثلت «أعداء» لأول مرة على مسرح لينينغراد الأكاديمى الحكومـي في ٢٥ أيلول ١٩٣٣ . وفي عام ١٩٣٥ قدمت على خشبة مسرح موسكو الفني .

الشخصيات

زاخار باردين : في الخامسة والأربعين .
بولينا : زوجته ، تناهز الأربعين .
ياكوف باردين : في الأربعين .
تاتيانا : زوجته ، في الثامنة والعشرين . ممثلة .
ناديا : ابنة أخت بولينا ، في الثامنة عشرة .
بيشينيغوف : جنرال متقاعد ، عم آل باردين .
ميخائيل سكروبوتوف : في الاربعين . تاجر . شريك آل باردين .
كليوباترا : زوجته ، في الثلاثين .
نيقولاي سكروبوتوف : أخوه ، في الخامسة والثلاثين . محام ، وكيل دعاوي .
سينتزوف : كاتب .
بولوغي : كاتب .
كون : جندي سابق .

غريكوف
ياغودين
ليفشين
ريابتزوف
أكيموف
} عمال .

أغرافينا : مدبرة المنزل .
بوبويدوف : نقيب في الدرك .
كفاش : عريف في الدرك .
ملازم في الجيش ، مفتش المباحث ، موظف ، رئيس الشرطة ، شرطي ، ودركيون ، وجنود ، وعمال ، وكتاب ، وخدم .

الفصل الأول

حديقة مظلّلة بأشجار كبيرة من الزيزفون . تنهض في أقصاها خيمة عسكرية بيضاء . تحت الأشجار ، الى اليمين ، مقعد ترابي عريض مغطى بالاعشاب تنتصب طاولة الى الأمام منه . مائدة طويلة للافطار تمتد تحت الأشجار الى اليسار . سماور صغير يغلي . مقاعد من الخيزران مصفوفة حول المائدة . أغرافينا تصنع القهوة ، وكون يقف تحت شجرة يدخن غليوناً ويتحدث الى بولوغي .

بولوغي : (يتحدث بحركات خرقاء) : طبعاً ، معرفتك بذلك أفضل . أنا شخص معدوم الأهمية ، وحياتي عديمة المغزى بما فيه الكفاية . لكنني زرعت كل خيارة بيدىّ هاتين ، ولن يسرقها امرؤ دون أن يقدم لي حساباً على ذلك .

كون : (متجهماً) : ليس من يسأل الأذن منك .

بولوغي :(ضاغطاً يده على صدره) : لا ! آسف! اذا أخذ شخص ملكيتك ، أفلا يحق لك أن تطلب حماية القانون ؟

كون : هيا اطلب ذلك . اليوم يأخذون خياراتك ، وغداً رأسك . ذلك هو القانون الذى تتحدث عنه !

بولوغي : غريب أن أسمعك تقول ذلك ، بل خطير أيضاً . كيف تسمح لنفسك ، أنت الجندي المتقاعد ، الحائز

على وسام القديس غيورغي ، بالكلام عن القانون بمثل هذا الازدراء ؟

كون : ليس هناك قانون . هناك أمر فقط . الى اليسار ، دُرْ ! الى الأمام ، سِرْ ! وهذا أنت تنطلق . وعندما يقولون : «قف !» فهذا يعني : قف .

أغرافينا : قد يكون التوقف عن تدخين هذا الغليون فكرة حسنة ، يا كون . انه يؤذي الأوراق .

بولوغي: لو أن الجوع دافعهم الى السرقة ، فلعلى أعذرهم . الجوع يبرّر أشياء عديدة . تستطيع أن تقول ان سائر الدناءات ارتكبت في سبيل ارضاء الجوع . عندما يريد الانسان أن يأكل ، عندئذ يمكن بكل تأكيد أن . . .

كون : الملائكة لا يأكلون ، لكن ابليس تمرّد على اللّه مع ذلك .

بولوغي : (سعيداً) : هذا ما أسميه شيطنة خالصة ! . .

(يدخل ياكوف باردين . انه يتكلم بهدوء ، وكأنه يصغي الى كلماته ذاتها . ينحني بولوغي له ، ويلقي كون تحية عسكرية لامبالية)

ياكوف : مرحباً . ماذا تفعل هنا ؟

بولوغي : جئت الى زاخار ايفانوفيتش برجاء متواضع .

أغرافينا : جاء يرفع شكوى . ان بعض الشبان من المعمل سرقوا خياراته ليلة البارحة .

ياكوف : حقاً ؟ ينبغي أن تخبر أخي بذلك .

بولوغي : بالضبط ، اني ذاهب اليه .

كون (مدمدماً) : لا أراك ذاهباً الى أى مكان . أنت لا تفعل سوى الوقوف هنا والتذمر .

بولوغي : أنا لا أتدخل في شؤونك البتة ، أليس كذلك ؟ لو كنت تقرأ الصحيفة أو شيئاً ما ، فتستطيع عندئذ بكل تأكيد أن تتهمني بالتدخل .

ياكوف : كون ، أريد أن أتحدث اليك .

كون (يتقدم اليه) : أنت رجل بخيل ، يا بولوغي ، ومفترٍ عجوز .

بولوغي : وفتّر كلماتك . لقد وُهب الانسان لساناً ليرفـــع به شكاوى .

أغرافينا : أواه ، كفاك ثرثرة ، يا بولوغي . أنت أشبـــــه بالبعوضة منك بالكائن الانساني .

ياكوف (الى كون) : ما عساه يفعل هنا على أية حال ؟ لم لا يذهب من هنا ؟

بولوغي (الى أغرافينا) : ان كانت كلماتي تسيء الى اذنك وتفشل في لمس شغاف قلبك – فسوف ألوذ بالصمت اذن . (يغادر المكان ويمشي على طول الممر ، متحسساً الأشجار أثناء مروره) .

ياكوف (بارتباك) : حسناً ، يا كون . يلوح أنى في العشية ، مرة ثانية ، جرحتُ شعور انسان ما ؟

كون (يكشر عن اسنانه) : نعم ، أخشى أنك فعلتَ ذلك .

ياكوف (يسير ذهاباً واياباً) : تفو ! ما أعجب ذلك ! ترى ،

لماذا أهين الناس عـــلى الدوام حين أكون سكران ،
يا كون ؟

كون : يحدث أحياناً أن يكون الناس أفضل في حال السكر منهم في حال الصحو . انهم أشجع اذن ، لا يخافون أى انسان ، بل لا يوفرون أنفسهم أيضاً . كان في سريتنا ضابط صف لا يعرف سوى النميمة والنفاق والضرب عندما يكون صاحيا ، ولكن عندمـــا يسكر ، ينخرط باكياً مثل طفل رضيع ، قائلاً : «يا اخوتي ، أنـــا انسان مثلكم جميعاً» . ويقول : «ابصقــوا في عيني ، يا اخوتي» . وكان البعض يفعلون ذلك دون تأخير . . .

ياكوف : من الذى أهنته البارحة ؟

كون : المدعي العام . قلت له انه أحمق . ثم قلت له ان لزوجة المدير سبطاً من العشاق .

ياكوف : تصوّر ! ما كان شأني في ذلك ؟

كون : لا أدرى . ثم . . .

ياكوف : حسنـــا ، يا كون . هذا يكفي ، والا تجلى انى تفوهت بالسوء بحق كل انسان . . . كل هذا بسبب تلك الفودكا اللعينة ! (يقترب من المائدة ويروح يرنو الى الزجاجات ، ثم يصب لنفســه كأساً كبيرة مــن الفودكا ، ويشرع يحتسيها بجرعات صغيرة . ترمقه أغرافينا من زاوية عينها وتتنهد) . أنت تحسين بعض الأسف من أجلي ، أليس كذلك ؟

اغرافينا : ذلك ما يرثى له كثيراً . أنت صريح وبسيط مع كل انسان ، ولا تشبه سيداً ألبتة .

ياكوف : لكن كون ههنا لا يرثي لأحد مطلقاً . انه لا يفعل سوى التفلسف . لا بدّ من قدر كبير من العسف كي يأخذ المرء في التفكير ، أليس هذا صحياً ، يا كون ؟ (يدفُ صوت الجنرال من الخيمة صائحاً : «هاى ، يا كون !») أخمّن أنهم يعاملونك بقسوة كثيرة ، ولذا أنت على كل هذا الذكاء . أليس كذلك ؟

كون (مغادراً المكان) : ان رؤية هذا الجنرال وحدها تكفي لتجعل مني أبله غبياً .

الجنرال (مندفعاً من الخيمة) : كون ! الى النهر ! بسرعة !

(يختفيان في الحديقة)

ياكوف (يجلس ويترنح الى الخلف والأمام على مقعده) : أما تزال زوجتي نائمة ؟

أغرافينا : كلا ، لقد استيقظت واستحمت أيضاً .

ياكوف : هكذا ترثين لي ، أليس كذلك ؟

أغرافينا : ينبغي أن تتناول علاجاً .

ياكوف : حسناً ، صبي لي قطرة من الكونياك .

أغرافينا : لعله من الأفضل ألا أفعل ، يا ياكوف ايفانوفيتش .

ياكوف : لم لا ؟ منع كأس واحدة عني لن يفيدني شيئاً .

(تصب له أغرافينا ، متنهدة ، كأساً من الكونياك . يدخل ميخائيل سكروبوتوف مسرعاً في حالة من الاضطراب ، يشدُ

بعصبية لحيته السوداء المدببة ، ويلعب بالقبعة التي يحمل في يده)

ميخائيل : هل استيقظ زاخار ايفانوفيتش ؟ لم يفق بعد ؟ كان يجب أن أتوقع ذلك ! أعطيني . . . أثمة حليب مبرد ؟ شكراً . صباح الخير ، يا ياكوف ايفانوفيتش ! هل سمعت الأخبار ؟ أولئك الأوغاد يصرّون على أن أسرح رئيس العمال ديتشكوف . وقد هددوا بالاضراب عن العمل اذا لم أفعل ذلك ، أخذهم الشيطان .

ياكوف : هيا ، سرّحه .

ميخائيل : ليس أسهل من ذلك . لكنك ترى . . . المشكلة ليست هنا . المشكلة هي أن التنازلات تفسدهم . اليوم يطلبون أن أسرح رئيس العمال ، وغداً يريدونني أن أشنق نفسي في سبيل تسليتهم .

ياكوف (في لطف) : أتعتقد أنهم سينتظرون حتى الغد كي يريدوا ذلك ؟

ميخائيل : يبدو أنك تجد ذلك مضحكاً ! أود أن أراك تجرب أن تسوس هؤلاء السادة القذرين – ما يقارب الألف منهم ، وقد لعب مختلف البشر برؤوسهم ، بما فيهم أخوك العزيز بليبراليته ، وحفنة من الأغبياء الذين يكتبون المنشورات . (ينظر الى ساعته) الساعة العاشرة تقريباً ، وهم يهددون أن يبدأوا تسليتهم بعد الغداء . آه أجل ، يا ياكوف ايفانوفيتش . مما لا ريب فيه أن أخاك أفسد الأمور في المعمل عندما كنت بعيداً

أقضي اجازتي . لقد أفسد الناس تماماً بافتقاده الى الحزم .

(يدخل سينتزوف من الناحيـــة اليمنـــى . انه في الثلاثين تقريباً ، وفي هيئته وتقاسيم وجهه شيء هادئ ومؤثر) .

سينتزوف : يا ميخائيل فاسيليفيتش ! جاء بعض الممثلين عن العمال الى المكتب ، وهم يطلبون مقابلـــة صاحب المعمل .
ميخائيل : يطلبون ؟ كن طيباً وابعث بهـــم الى الشيطان ! (تدخل بولينا من اليسار .) اصفحي عني ، يا بولينا ديمتربيفنا !
بولينا (برشاقة) : عندك عادة اطلاق السباب والشتائـــم ! ولكن ما هي المناسبة هذه المرة ؟
ميخائيل : انها تلك «البروليتاريا» ! انهم «يطلبون» ! كانوا يأتون اليّ فيما مضى «بالتماسات» مطيعة .
بولينا : لا بدّ لي من القول انك كثير القسوة مع الناس .
ميخائيل (يلوّح بيديه باستسلام) : وأنت أيضاً ؟
سينتزوف : ماذا ينبغي لي أن أقول للمثلين ؟
ميخائيل : فلينتظروا ! عُدْ اليهم .

(يغادر سينتزوف المكان متمهلاً)

بولينا : ان لهذا الرجل وجهاً يبعث على الاهتمام . هل مضى عليه زمن طويل هو يشتغل لنا ؟

ميخائيل : حوالي العام على ما يبدو . . .
بولينا : يوحي بأنه فتى مهذب حسن التربية . من هو ؟
ميخائيل (يهز كتفيه) : يكسب أربعين روبلاً في الشهر . (يتطلع الى ساعته ، يتنهد وينظر حواليه ، فتقع أبصاره على بولوغي تحت احدى الأشجار) ماذا تفعل هنا ؟ هل أتيت لرؤيتي ؟
بولوغي : كلا ، يا ميخائيل فاسيليفيتش ! جئت لرؤية زاخار ايفانوفيتش .
ميخائيل : في أى شأن ؟
بولوغي : بخصوص اعتداء على حقوق الملكية .
ميخائيل (الى بولينا) : اسمحي لي أن أقدّم لك مستخدماً جديداً . لديه ميل الى البستنة ، وهو على يقين مطلق من أن جميع الأشياء على وجه البسيطة خلقت لهذا الهدف الوحيد ، الا وهو الحاق الأذى بمصالحه . كل شيء يضجره : الشمس ، وانكلترا ، والآلات الجديدة ، والضفادع . . .
بولوغي (مبتسماً) : اسمح لي أن الاحظ أن الضفادع تضجر كل الناس على حدّ سواء عندما تأخذ بالنقيق .
ميخائيل : عد الى المكتب ! ما هذه العادة عندك في ترك جميع الشؤون كي تأتي للشكوى ؟ لا أحب ذلك مطلقاً . اغرب عن وجهي !
(ينحني بولوغي ويغادر المكان ، فيما تبتسم بولينا وتروح تراقبه من وراء نظارتها .)
بولينا : ما أشد صرامتك ! انه شخص مسل . ليخيل اليّ

أن الناس في روسيــا أكثر أصالـــة من الناس في خارجها .

ميخائيل : اذا قلت انهم أكثر فظاظة ، وافقتك فيما تذهبين اليه . أنى أدير الناس منذ خمسة عشر عاماً ، الأمر الذي أعطاني فهماً ممتازاً عن الشعب الروسي الطيب كما يصفه كتابنا الاكليريكيون .

بولينا : الاكليريكيون ؟

ميخائيل : جميـــع أصحابـــك من أمثال تشيرنيشيفسكي ، ودوبروليوبوف ، وزلاتوفراتسكي ، وأوسبنسكـي . (ينظر في ساعته) لشدّ مـا تأخر زاخار ايفانوفيتش في المجيء !

بولينا : أتعلم ما الذى يؤخره ؟ انــه ينهي شوط شطرنج العشية مع أخيك .

ميخائيل : وهناك في المعمل يهددون بالاضراب عن العمل بعد الغداء ! يمكنني أن اتأكد أن روسيا لن تجدي أبداً لاي شيء حسن . هذا حق لا مراء فيه . انها بلـــد الفوضى ! ان لدى الناس قرفاً عضوياً من أي عمـــل كان ، وعجزاً تاماً عن حفظ النظام ! وليس ثمة أدنى احترام للقانون !

بولينا : ولكن هذا أمر طبيعي تماماً . كيف يمكن أن يكون احترام للقانون في بلـــد ليس فيـــه قانون ؟ بيني وبينك ، ان حكومتنا . . .

ميخائيل : آه ، أنـــا لا أبرر أي انسان حتى ولا الحكومـــة أيضاً . خذى الأنكلوساكسونيين مثلاً . (يدخل زاخار ،

باردين ونيقولاى سكروبوتوف) . لا يمكن أن تجدي مواد أفضل لتبني بها دولـــة . ان الرجل الانكليزي يتخطر أمام القانون على قائمتيه الخلفيتين مثل جواد السيرك . ان الاحساس بالقانون موجود في عظامه وفي عضلاته بالذات . صباح الخير ، يا زاخار ايفانوفيتش ! مرحباً ، يا نيقولاي ! اسمحا لي أن أخبركما بالنتائج الأخيرة لسياستكما الليبراليـــة مع العمال : يطلب العمال أن أسرح ديتشكوف فوراً ، مهددين بالاضراب عن العمل بعد الغداء اذا لم أفعل ذلك . . حسناً ، كيف تجدان هذا ؟

زاخار (يحك جبهته) : هم — م — م . ديتشكوف ؟ ذلك الفتى الذي يستعمل قبضتيه على الدوام ويلاحـق الفتيات ؟ بكل تأكيد يجب أن نسرّحه . ذلك عدل بكل بساطة .

ميخائيل (مهتاجاً) : يا اللّه ! ألا يمكنك أن تتكلم جاداً أيها الشريك المحترم ؟ ليست القضية قضية عدالـــة بل معملنا . العدالة من شأن نيقولاي وحده . واني لمجبر على الاشارة مرة أخرى الى أن مفهومك عن العدالـــة هدّام بالنسبة الى العمل .

زاخار : كيف يمكن أن يكون ذلك ؟ هذه مفارقة .

بولينا : تتحدثون في موضوع العمل في حضرتي ! ومنذ بكور الصباح !

ميخائيل : معذرة ، لكن لا بدّ لي من ذلك . يجب أن نوضح هذا الموضوع . قبل أن أرحل لقضـــاء عطلتي كنت أمسك المعمل في يدى هكذا (يرفع قبضته المنضمة) ،

وما كان أحد يجرؤ أن يبدى أدنى زقزقة ! وانك لتعلم أني لم أر قط أدنى فائدة في سائر تلك تسليات أيام الأحد – حلقات المطالعة وما شابه هذا الهراء – في ظروفنا الراهنة . . ان الفكر الروسي الفج لا يمكن أن يلتهب بنور العقل عندما تقع عليه شرارة من معرفة . انه لا يفعل اذن سوى العسعسة وارسال الدخان !

نيقولاي : ينبغي للمرء أن يتحدث بهدوء دائماً .

ميخائيل (متمالكا زمام نفسه بصعوبة) : شكراً لك من أجل نصيحتك ، فهي صحيحة كل الصحة ، ولكنني لا أستطيع لها قبولاً من سوء الحظ . ان موقفك من العمال ، يا زاخار ايفانوفيتش ، قد زعزع ونسف خلال ستة شهور الأساس المتين الذي قضيت ثمانية أعوام في بنائه . لقد كسبت احترام العمال جميعاً ، فهم ينظرون اليّ على اعتباري سيداً لهم . أما الآن فمن الواضح أن ثمة سيدين ، سيداً صالحاً وسيداً شريراً . وأنت ، طبعاً ، هو السيد الصالح .

زاخار (مرتبكاً) : ولكن ، يا الهى . . أنا لا أفهمك .

بولينا : هذا قول غريب جداً ، يا ميخائيل فاسيليفيتش !

ميخائيل : لديّ أسباب لهذا القول . لقد وضعتني في مركز سخيف . عندما أثيرت هذه القضية آخر مرة أخبرت العمال أني أفضّل اغلاق المعمل على تسريح ديتشكوف . ولقد أدركوا أني أعني ما أقول فهدأت ثائرتهم . ولكنك في يوم الجمعة ، يا زاخار ايفانوفيتش ، قلت

لذلك الفتى غريكوف أن ديتشكوف انسان فظ ، وأن في نيتك تسريحه .

زاخار (بلهجة مصالحة) : ولكن يا عزيزى ، انه يتجول موجها الى سائر الناس اللكمات على الحنك وما أشبه ذلك . من المؤكد أننا لا نستطيع القبول بمثل هذه الأشياء . نحن أوروبيون . نحن شعب متمدن .

ميخائيل : قبل كل شيء نحن أصحاب معمل . ان العمال يتضاربون في كل عيد : فما شأننا نحن في ذلك ؟ ولكن ينبغي لك أن تؤجل في الوقت الراهن تلقين العمال الأخلاق الحسنة . ان ممثليهم ينتظرونك هذه اللحظة بالضبط في المكتب ، وسوف يطلبون أن تسرح ديتشكوف . ماذا في نيتك أن تفعل ؟

زاخار : أترى أن ديتشكوف لا غنى عنه حتى هذه الدرجة ؟

نيقولاي (بجفاء) : يبدو لي أن القضية ليست قضية فرد ، بل قضية مبدأ .

ميخائيل : بالضبط ! قضية من هو السيد في المعمل – أنت وأنا ، أم العمال !

زاخار (في حيرة) : أجل ، اني أفهم . لكن . .

ميخائيل : اذا خضعنا لهم الآن ، فليس من يدري ما عساهم يطلبون بعد ذلك . انهم عصبة وقحة . . . ستة شهور من هذه المدارس الأحدية وغيرها أعطت ثمارها . انهم يحملقون فيّ مثل قطيع من الذئاب . ولقد أصدروا منذ الآن بعض المنشورات التي تفوح برائحة الاشتراكية .

بولينا : الاشتراكية في غير محلها في مثل هذا المكان ! ان لها بالأحرى صدىً مضحكاً ، أليس كذلك ؟

ميخائيل : أتحسبين ؟ يا عزيزتي بولينا ديمتربيفنا ، الأطفال مسلون ما برحوا صغاراً . ولكنهم يكبرون شيئاً فشيئاً ، فاذا أنت تجدين نفسك ، بصورة مباغتة ، وجهاً لوجه أمام أوغاد بالغين .

زاخار : ماذا تنوي أن تفعل ؟

ميخائيل : سأغلق المعمل . فليجوعوا بعض الوقت ، وسوف تفتر همّتهم (ينهض ياكوف ، ويقترب من المائدة ويجرع قدحاً . ثم يغادر المكان على مهله) حالما نغلق المعمل تتدخل النساء ويأخذن في البكاء – ودموع النساء أشبه بريح من الأملاح المروحة تهبُّ على أولئك الذين أصابتهم الأحلام بالدوار . انها تردهم الى الصواب فوراً .

بولينا : أنت تقول أشياء قاسية .

ميخائيل : ربما . لكن الحياة تتطلب مثل هذه القسوة .

زاخار : ولكن . . مثل هذا التدبير . . أتعتقد أنه ضروري بصورة مطلقة ؟

ميخائيل : أتستطيع أن تقترح أي شيء آخر ؟

زاخار : ماذا اذا ذهبتُ وتحدثت اليهم ؟

ميخائيل : من المؤكد أنك سوف تذعن لهم ، وعندئذ لا يعود وضعي يطاق . أسألك المغفرة ، ولكن لا بدّ لي من القول ان تذبذبك يكاد أن يكون اهانة موجهة اليّ ! هذا اذا لم أقل شيئاً عما يسببه من ضرر .

زاخار (في اندفاع) : ولكن ، يا صاحبي العزيز ، أنا لا أعترض . اني أجرب أن أجد لذلك حلاً بكل بساطة . يجب أن تفهم أني ملاك زراعي أكثر مني رجلاً صناعياً ! وهذا كله جديد عليّ ، وكثير التعقيد بالاضافة . اني أحب أن أرى العدالة تتحقق ، فالفلاحون ألطف وأطيب طبيعة من العمال . واني لأتدبر الأمور معهم بصورة ممتازة . ومن المؤكد أن بين العمال بعض الوجوه الباعثة على كثير من الاهتمام . أما بصورة اجمالية . . فاني أوافقك . . انهم كثيرو الغطرسة .

ميخائيل : وبصورة خاصة ، منذ ان قدمت لهم تلك الوعود كلها .

زاخار : حالما ذهبتَ شرعت ألاحظ نوعاً من القلق . . بل كان ثمة اضطرابات أيضاً . ربما لم أكن حذراً بصورة كافية . ولكن لم يكن بدٌ من تهدئة العمال . وقد كُتبت أشياء عنا في الصحف . ولا بدّ لي من الاعتراف بأنها كانت أشياء قاسية جداً .

ميخائيل (بنفاد صبر) : الساعة الآن الدقيقة السابعة عشرة بعد العاشرة . ولا بدّ لنا من الانتهاء الى قرار ما . ان الوضع الراهن يتطلب مني اما اغلاق المعمل واما الانسحاب من المشروع . اذا اغلق المعمل لن نتحمل أية خسارة ، فقد اتخذت سلفاً سائر الاحتياطات اللازمة ، اذ مختلف طلباتنا المستعجلة حاضرة ، وفي المخازن بضائع احتياطية .

زاخار : هم — م — م ! اني أفهم . لا بدّ من اتخاذ قرار في

الحال . ما رأيك ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ؟

نيقولاي : رأيي أن أخي على حق . اذا كنا نقدّر الحضارة فيجب أن نتمسك بالمبادئ المعينة بصورة حازمة .

زاخار : هذا يعني أن من رأيك أنت الآخر أن نغلق المعمل ؟ . . يا حرام ! يا عزيزي ميخائيل فاسيليفيتش ، أرجوك ألا تغضب مني . سوف أعطيك جوابي خلال — فلنقل عشر دقائق . . أيكفي هذا ؟

ميخائيل : تماماً .

زاخار : بولينا ، أرجوك أن تأتي معي . .

بولينا (تلحق بزوجها) : يا اللّه ! لشد ما في كل هذا من مضايقات !

زاخار : لقد اكتسب الفلاح ، خلال الأجيال ، شعوراً فطرياً بالاحترام تجاه طبقة النبلاء .

(يخرجان)

ميخائيل (من خلال أسنانه) : يا للمخنث ! انه يستطيع أن يقول ذلك بعد المذابح الزراعية في الجنوب ! الأحمق !

نيقولاي : هدئ روعك ، يا ميخائيل ! لماذا تفلت زمام نفسك هكذا ؟

ميخائيل : لقد تمزقت أعصابي ارباً ارباً ، أفلا تستطيع رؤية ذلك ؟ اني ذاهب الى المعمل و . . . أنظر ! (يتناول مسدساً من جيبه) انهم يكرهونني ، بفضل ذلك الأبله . ولكني لا أستطيع أن أتخلى عن المشروع .

لسوف تكون أنت أول من يلومني اذا فعلت ذلك . . .
رأسمالنا كله في المصنع . . اذا انسحبت ، فان ذلك
الأحمق الأصلع سيدمر كل شيء .
نيقولاي (بهدوء) : ذلك سيئ ، اذا كنت لا تبالغ فيه .
سينتزوف (يدخل) : العمال يطلبونك .
ميخائيل : أنا ؟ ماذا يريدون ؟
سينتزوف : ثمة اشاعات تقول ان المصنع سيغلق أبوابه
بعد الغداء .
ميخائيل (لأخيه) : أسمعت هذا ؟ كيف عرفوا ذلك ؟
نيقولاي : أخبرهم به ياكوف ايفانوفيتش على ما يبدو .
ميخائيل : لعنة الله على كل هذا ! (ينظر الى سينتزوف
بهياج لا يستطيع الى اخفائه سبيلاً .) لمَ أنت
معني بهذا الأمر حتى هذه الدرجة ، يا سيد سينتزوف ؟
تأتي الى هنا باستمرار ، وتطرح الأسئلة . لِمَ تفعل
ذلك ؟
سينتزوف : المحاسب طلب مني أن أدعوك .
ميخائيل : حقاً ؟ من أين اكتسبت عادة التكشير هذه ولوي
شفتيك بصورة شيطانية ؟ هل أجرؤ على سؤالك عما
يسعدك حتى هذه الدرجة ؟
سينتزوف : أعتقد أن ذلك من شأني وحدي .
ميخائيل : أنا لا أوافقك . أنصح لك أن تكون أكثر احتراماً
نحوي في المستقبل ، هل تسمع ؟ (سينتزوف يشخص
اليه بنظرة ثابتة) حسناً ، ما الذي تنتظره ؟
تاتيانا (تدخل من اليمين) : آه ، هذا هو المدير . هل أنت

في عجلة ؟ (تصيح بسينتزوف) مرحباً ، يا ماتفي نيقولايفيتش !

سينتزوف (بحرارة) : صباح الخير . كيف حالك ؟ ألست متعبة ؟

تاتيانا : أبداً . ذراعاي وحدهما يؤلمانني من التجذيف . هل أنت ذاهب الى المكتب ؟ سأصحبك حتى البوابة . أتعرف ما أريد أن أخبرك به ؟

سينتزوف : كلا ، طبعاً .

تاتيانا (تسير الى جانب سينتزوف) : كان فيما قلت البارحة شيء كثير من الذكاء ، انما كان فيه شيء كثير من الانفعال والتحيز . بعض الأحاديث يزداد حظها من الاقناع بمقدار ما ينقص نصيبها من العاطفة . . . (يصبح حديثهما غير مسموع) .

ميخائيل : كيف ترى ذلك ؟ ان المستخدم الذي طلبته لتوي كي يقدم الحساب على وقاحته يتباهى أمام عينيَّ بالضبط عما يربطه من أواصر الالفة مع زوجة ياكوف . هو سكير ، وهي ممثلة . أما ما جاء بهما الى هنا ، فذلك أمر لا يعرفه سوى الشيطان .

نيقولاي : انها امرأة غريبة – جميلة وأنيقة ، بل جذابة – ومع ذلك يبدو أنها تتورّط مع هذا المتملق . يا لها من غرابة الأطوار ، بل يا للحماقة !

ميخائيل (بسخرية) : هذا ما تسميه ديموقراطية . انها ابنة معلم ريفي كما تعلم ، وهي تقول انها تشعر بالانجذاب

دائماً الى عامة الناس . اللعنة على ذلك كله ، أتمنى لو أني لم أختلط بهؤلاء السادة الريفيين !

نيقولاي : لا ضرورة للشكوى في اعتقادي ، فأنت رئيس هذا العمل .

ميخائيل : ليس بعد . لكنني سوف أصبح الرئيس .

نيقولاي : يخال لي أن الوصول اليها سهل ، فهي شهوانية جداً فيما يبدو .

ميخائيل : أين ذلك الليبرالي ؟ لا بدّ أنه عاد أدراجه الى السرير . لا ، اقول لك ان روسيا لن تحقق شيئاً . والناس مسبوهون اختبلت أحاديثهم وتساورهم أحلام اليقظة . فلا أحد يعرف مكانه في هذه الحياة . اما الحكومة فتتشكل من عصابة من أنصاف المجانين – عصابة من البلهاء الوضيعين الذين لا يفهمون شيئاً ، ولا يستطيعون أن يصنعوا أي شيء على الاطلاق .

تاتيانا (تعود) : أنت أيضاً تصيح ؟ ثمة سبب يدفع الجميع الى الصياح !

أغرافينا : يا ميخائيل فاسيليفيتش ، ان زاخار ايفانوفيتش يطلبك . . .

ميخائيل : أخيراً ! (يخرج دون الاصغاء الى كلامها) .

تاتيانا (تجلس الى المائدة) : ما باله شديد الاضطراب ؟

نيقولاي : لا أعتقد أن ذلك يثير اهتمامك .

تاتيانا (بهدوء) : انه يذكرني بشرطي . ما أكثر ما كان يقوم بواجبه في مسرحنا في كوستروما – طويل ناحل جاحظ العينين .

نيقولاي : لا أرى وجه الشبه بينه وبين أخي .

تاتيانا : لا أتحدث عن شبه جسماني . كان ذلك الشرطي ايضا في عجلة من أمره على الدوام ، يعدو وراء شيء ما . لم يكن يسير ، بل يركض . لم يكن يدخن ، بل يلتهم اللفائف . كان يبدو كأنه لا يملك الوقت كي يعيش ، بل يذهب كل وقته في الاندفاع الى مكان ما ، وهو نفسه لم يكن يعرف الى أين !

نيقولاي : أتعتقدين أنه ما كان يعرف فعلاً ؟

تاتيانا : اني واثقة من ذلك . عندما يكون للمرء هدف واضح ، فانه يسعى اليه بهدوء . . اما ذلك الفتى فكان يعدو على الدوام . وكان ذلك عدْواً من نوع خاص . كان يبدو أن شيئاً ما يجلده من الداخل ، فهو يركض ويركض ، معترضاً سبيله الخاص وسبيل كل انسان آخر . لم يكن شرهاً – ليس بالمعنى الضيق للكلمة . كان متلهفا فقط ، بِشَرَه ، الى انجاز كل ما يجب انجازه ، كي يتخلص من واجباته كلها ، بما فيها واجب تناول الرشوة . لم يكن «يتناول» الرشاوى – كان «يختطفها» . وكان يختطفها بسرعة عظيمة حتى لينسى أن يقول شكراً . وأخيراً داسته عربة وقتلته .

نيقولاي : أتريدين أن تقولي ان فعالية أخي ينقصها الهدف الذى تتوجه اليه ؟

تاتيانا : أهكذا يتضح من حديثي ؟ كلا ، ليس هذا ما أردت

أن أقول . أن أخاك يذكرني ، بكل بساطة ، بذلك الشرطي .

نيقولاي : ليس هذا مديحاً لأخي ، كما يتضح لي .

تاتيانا : ليس في نيتي مطلقاً أن أمتدح أخاك .

نيقولاي : ان لك لأسلوباً مبتكراً في المداعبة .

تاتيانا : حقاً ؟

نيقولاي : أجل . لكنه ليس بالأسلوب المرح كثيراً .

تاتيانا (بهدوء) : أيمكن لامرأة أن تكون مرحة معك ؟

نيقولاي : أو - هو !

بولينا (تدخل) : ليس كل شيء يسير على ما يرام اليوم فيما يبدو . فليس من يتناول افطاره ، والجميع مهتاجون فكأنهم لم ينالوا قسطاً من النوم يكفيهم . لقد ذهبت ناديا في وقت مبكر هذا الصباح الى الغابات تقطف الفطور بصحبة كليوباترا بتروفنا ، وقد طلبت منها البارحة ألا تفعل ذلك . يا للسماوات ! لشدّ ما أصبحت الحياة صعبة .

تاتيانا : أنت تكثرين من الطعام .

بولينا : لمَ هذه اللهجة ، يا تاتيانا ؟ موقفك من الناس غير طبيعي .

تاتيانا : حقاً ؟

بولينا : ليس أيسر من النظر الى الأمور بهدوء عندما لا يملك المرء شيئاً ، فهو بذلك حرٌ من كل مسؤولية . ولكن عندما يرتبط آلاف الناس بك من أجل طعامهم يختلف الأمر كثيراً .

تاتيانا : كفي عن اطعامهم ، وليعيشوا كيفما يروقهم . ردّي اليهم كل شيء – المعمل ، والأرض ، وعيشي بسلام .

نيقولاي (يشعل لفافة) : من أية مسرحية اقتبست هذا ؟

بولينا : لا أستطيع أن أفهم لماذا تقولين مثل هذه الأشياء ، يا تاتيانا . يجب أن ترى مبلغ اضطراب زاخار . لقد قررنا أن نغلق المعمل فترة من الزمن ، حتى يسترد العمال صوابهم . لكن تصوري مبلغ ما في ذلك من صعوبة ! ان مئات الناس سيُلقى بهم دونما عمل . وان لهم أولاداً . . . هذا فظيع !

تاتيانا : لا تغلقوا المعمل اذا كان الأمر على هذا القدر من الفظاعة ! لماذا تورّطون أنفسكم ؟

بولينا : أواه ، يا تاتيانا ! لشدّ ما تثيرين الأعصاب ! اذا لم نغلق المعمل ، فسوف يضرب العمال ، وسوف يكون ذلك أسوأ .

تاتيانا : ما الذي سوف يكون أسوأ ؟

بولينا : كل شيء . نحن لا نستطيع ، بكل تأكيد ، تلبية سائر طلباتهم ، وهي ليست طلباتهم في واقع الأمر . لقد شرعوا يزعقون لمجرد انه عصابة من الاشتراكيين علمتهم أن يفعلوا ! (بحمية) لا أستطيع أن أفهم ذلك ! ان الاشتراكية تحتل مكانها المناسب في الخارج ، وزعماؤها يقومون بنشاطهم بصورة علنية . أما معنا ، ههنا في روسيا ، فانهم يأخذون العمال الى الزوايا ويهمسون في آذانهم بما يريدون ، متجاهلين تماماً هذه الحقيقة ، ألا وهي أن الاشتراكية لا مكان

لها في نظام ملكـــي ! انه الدستور مـــا نحتاج ، لا الاشتراكية . ما رأيك ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ؟

نيقولاي (يضحك ضحكة مقتضبة) : رأيي يختلف نوعاً مـا . الاشتراكية ظاهرة بالغة الخطورة . ويمكن أن تجـــد تربة خصبة في بلد لا يملك فلسفة عنصرية مستقلـــة اذا جاز التعبير ؛ بلد كل شيء فيه يُستعار بصورة هوجاء سريعة . نحن متطرفون . وهذه هي نقطـــة الضعف فينا .

بولينا : أوه ، هذا صحيح جداً ! نحن متطرفون .

تاتيانا (تنهض) : وبصورة خاصة أنت وزوجك . ومساعـد المدعي العام ايعنا .

بولينا : ماذا تعرفين عن ذلك ، يا تاتيانا ؟ يعتبر زاخـــار واحداً من الحمر في محافظتنا .

تاتيانا (تسير جيئة وروحة) : أعتقد أنه صار أحمر بدافــع الخجل ليس غير ، وليس في كثير من الأحيان على أيـة حال .

بولينا : تاتيانا ! ماذا ألمّ بك بربك ؟

تاتيانا : لماذا ، هل أغضبتك ؟ لم أكن أقصد ذلك . فيخيل اليّ أن حياتكم أشبه بمسرحية يمثلها هواة . لقـــد أسيئ توزيع الأدوار ، وليس ثمة انسان يتحلى بأية موهبة . وكل واحد يمثل بصورة فظيعة . وتظـــل المسرحية دونما أدنى معنى .

نيقولاي : ثمة بعض الحقيقة فيما تقولين . فكل واحد يشكـو من أن المسرحية مضجرة .

تاتيانا : نحن الذين جعلناها مضجرة . ويتراءى لي أن القائمين بالادوار الثنائية شرعوا يدركون ذلك . ولسوف يطردوننا من خشبة المسرح يوماً ما .

(يدخل الجنرال وكون)

نيقولاي : أفلست تبالغين قليلاً ؟

الجنرال (ينادي وهو يقترب) : بولينا ! شيئاً من الحليب للجنرال ! وليكن بارداً جداً ! (الى نيقولاي) مرحباً ، يا كفناً قديماً للقوانين ! . . يدك ، يا ابنة أخي الفاتنة ! كون ، أجب على السؤال : ما هو الجنوي ؟

كون (ضجراً) : كما يريده رئيسه ، يا صاحب السعادة !

الجنرال : واذا أراده أن يكون سمكة ، ايه ؟

كون : يجب أن يكون الجنري قادراً على أن يكون اى شيء كان .

تاتيانا : عماه العزيز ، لقد سليّتنا بهذا المشهد البارحة . أيجب أن يتكرّر علينا كل يوم ؟

بولينا (متنهدة) : كل يوم بعد حمامه .

الجنرال : أجل كل يوم حقاً . وشيء متنوع على الدوام . ينبغي لهذا المهرج العجوز أن يصنع الأسئلة وأن يجيب عليها من تلقاء نفسه .

تاتيانا : أتستمتع بذلك ، يا كون ؟

كون : صاحب السعادة يستمتع به .

تاتيانا : ولكن انت ؟

الجنرال : انه يحب ذلك ، هو الآخر !

كون : أنا متقدم كثيراً في السن كي أصلح للسيرك . ولكن ، ما دام المرء يريد أن يأكل ، فلا بدّ له من التكشير والصبر على ذلك .

الجنرال : أنت ، الوغد العجوز المكّار ، أنت ! يميناً دُرْ ! الى الأمام ، سِرْ !

تاتيانا : أفلا تتعب أبداً من الهزء من هذا الشيخ ؟

الجنرال : أنا الآخر شيخ . ولكني تعبت منك أيضاً . ينبغي أن تكون الممثلة مسلية . وأنت لست كذلك بكل تأكيد .

بولينا : عماه ، هل تعلم . . . ؟

الجنرال : أنا لا أعلم شيئاً البتة .

بولينا : اننا نغلق المعمل . . .

الجنرال : ماذا ؟ عظيم ! لن يكون صفير بعد الآن اذن ! في وقت مبكر من كل صباح ، في منتصف رقاد عميق بالضبط – أو – أو – أو ! هذا حق ! ألا فاغلقوه !

ميخائيل (يدخل مسرعاً) : نيقولاي ، دقيقة واحدة ! حسناً ، لقد أغلق المصنع ، ولكن يفضل أن نتخذ بعض التدابير ، في حالة . . . أرسل برقية الى نائب الحاكم ، أخبره بالحالة بصورة مقتضبة ، واسأله أن يرسل جنوداً . وقّع باسمي .

نيقولاي : هو صديقي أيضاً .

ميخائيل : سوف أرسل أولئك الممثلين الى الشيطان . لا

تحدث أحداً بموضوع البرقية . سوف أخبرهم ذلك بنفسي عندما يحين الأوان . اتفقنا ؟

نيقولاي : اتفقنا .

ميخائيل : ينتاب المرء احساس رائع حين تسير الأمور على هواه . اني أكبر منك في السن ، لكنني أصغر منك فى الروح ، أفلا تعتقد ذلك ؟

نيقولاي : ليس هذا شباباً ، بل عصبية ، اذا سألتني رأيي .

ميخائيل (باستهزاء) : حسناً ، سوف أريك ان كانت عصبية أم لا . سوف ترى ! (يخرج ضاحكاً .)

بولينا : هل قرروا أن يفعلوا ذلك ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ؟

نيقولاي (وهو يخرج) : فيما يبدو .

بولينا : أيتها السماوات الطيبة !

الجنرال : ماذا قرروا أن يفعلوا ؟

بولينا : أن يغلقوا المعمل .

الجنرال : أوه ، هذا . . . يا كون !

كون : حاضر !

الجنرال : صنّارات الصيد والقارب !

كون : كل شيء جاهز .

الجنرال : اني غادٍ أتسلّى بالسمك ، وأفضل ذلك على أن أتملّل مع البشر . (يضحك .) لقد عبّرت عن ذلك حسناً ، ها ؟ (تدخل ناديا راكضة) آه ، يا فراشتي الحلوة ! ما الذي يجري ؟

ناديا (سعيدة) : جرت معنا للتو مغامرة ! (تستدير وتنادي) أرجوك أن تأتي الى هنا ! غريكوف ! لا تسمحي له بالذهاب ، يا كليوباترا بتروفنا ! ونحن نخرج من الغابة بالضبط ، يا خالتي ، وقعنا فجأة على ثلاثة عمال سكارى . . .

بولينا : هكذا اذن ! لقد حذّرتك . . .

كليوباترا (يتبعها غريكوف) : أيمكن أن تتصوروا شيئاً أبعث على الاشمئزاز ؟

ناديا : لماذا يبعث على الاشمئزاز ؟ كان ذلك مسلياً جداً ! ثلاثة عمال ، يا خالتي ، يبتسمون جميعاً ويقولون : «صباحاً سعيداً ، يا سيداتنا الصغيرات العزيزات !»

كليوباترا : سوف أطلب من زوجي بكل تأكيد أن يسرّحهم .

غريكوف (مبتسماً) : لأى سبب ؟

الجنرال (الى ناديا) : من هو هذا . . . منظف مداخن ؟

ناديا : انه ذلك الذي أنقذنا ، يا جداه ، الا تفهم ذلك ؟

الجنرال : كلا ، لا أفهم شيئاً .

كليوباترا (الى ناديا) : لكأن أحداً كان يستطيع أن يفهم بالطريقة التي رويت بها ذلك .

ناديا : رويت ذلك كما حدث بالضبط .

بولينا : حسناً ، لا يستطيع أحد أن يفهم شيئاً مما تقولين ، يا ناديا .

ناديا : ذلك أنكم لا تفتأون تقاطعونني ! جاؤوا الينا وقالوا :

«أيتها السيدتان ، لماذا لا تشاركاننا في انشاد أغنية . . .»

بولينا : عظيم ! يا للوقاحة !

ناديا : لا شيء من هذا القبيل ! لقد قالوا : «سمعنا انكما تغنيان بصورة رائعة .» وقالوا : «بكل تأكيد ، اننا سكارى بعض الشيء ، ولكننا أفضل حين نكون كذلك .» وتلك هي الحقيقة ، يا خالتي . عندما يكونون سكارى لا يكونون على كآبتهم المعتادة .

كليوباترا : من حسن حظنا أن ذلك الفتى . . .

ناديا : اني أروي ذلك بصورة أفضل منك ! لقد شرعت كليوباترا بتروفنا تزجرهم . . . وما كان يجب أن تفعلي ذلك ، اني على يقين من هذا ! وعندئذ أقبل واحد منهم ، وهو الطويل الناحل بينهم . . .

كليوباترا (متوعدة) : اني أعرف من هو !

ناديا : . . . أمسك بها من يدها وقال بحزن بليغ : «أنت سيدة فائقة الجمال ، عظيمة الروعة ومثقفة ، ومن دواعي السرور أن ينظر المرء اليك . ومع ذلك تزجرين وتعنفين . هل أسأنا اليك ؟» قال ذلك بلطف كثير ، من صميم قلبه . ولكن واحداً آخر – وكان فظاً في الحقيقة – قال بعد ذلك : «فيم تتحدث اليهما ؟ فكأنهما تستطيعان ان تفهما أي شيء كان ! هما ليستا بشراً . . . انهما حيوانات !» يعني أننا نحن – حيوانات . هي وأنا . (تضحك .)

تاتيانا (مستهزئة) : يلوح أنك مسرورة بهذه الصفة .

بولينا : ماذا قلت لك ، يا ناديا ؟ فأنت كثيرة المشاغل . . .
غريكوف (الى ناديا) : هل أستطيع الذهاب الآن ؟
ناديا : أوه ، كلا . أرجوك لا تذهب . أفلا تود أن تتناول قليلاً من الشاى ؟ . . أم الحليب ؟ أرجوك أن تتناول شيئاً !

(يقهقه الجنرال ، وتهز كليوباترا كتفيها . تراقب تاتيانا غريكوف وتهمهم بشيء ما بصورة هادئة . تطرق بولينا برأسها وتركز انتباهها على الملاعق التي تنشفها بقطعة من القماش)

غريكوف (مبتسماً) : كلا ، شكراً . لا أرغب في أي شيء .
ناديا (باصرار) : أرجوك ألا تكون خجولاً . . . هؤلاء قوم لطفاء حقاً ، صدقني .
بولينا (محتجة) : ناديا !
ناديا (الى غريكوف) : لا تذهب الآن ، فأنا لم أنته من رواية القصة كلها .
كليوباترا (مستاءة) : وباختصار ، فان هذا الفتى ظهر في الوقت المناسب ، وأقنع رفاقه السكارى أن يتركونا في سلام . وقد طلبت منه أن يرافقنا حتى البيت ، وهذا كل شيء .
ناديا : آه ، يا للطريقة التي تروين بها ذلك ! لو كان الأمر كذلك ، لكان مضجراً بكل بساطة .

الجنرال : حسناً ، والآن ما الذي يجب استخلاصه من هذا الأمر ؟

ناديا (الى غريكوف) : اجلس ! خالتي ، لماذا لا تدعينه للجلوس ؟ ولماذا أنتم مكتئبون جميعاً ؟

بولينا (الى غريكوف من حيث تجلس) : اني عظيمة الامتنان لك ، أيها الفتى .

غريكوف : لا تعيري ذلك أي اهتمام .

بولينا (بجفاء أكثر) : كان دفاعك عن الامرأة والفتاة بادرة طيبة منك .

غريكوف (بهدوء) : لم تكُ حاجة للدفاع عنهما لأن أحداً لم يقصد الاساءة اليهما .

ناديا : يا خالتي ! كيف تستطيعين أن تقولي مثل هذا القول ؟

بولينا : لا تحاولي أن تلقني الأكبر منك سناً .

ناديا : ولكن أحداً لم يدافع عن أحد بالطبع . لقد قال لهم بكل بساطة : «دعوهما وشأنهما ، أيها الرفاق . فذلك ليس بلطيف منكم .» وكانوا سعداء برؤيته ، فصاحوا : «غريكوف ! تعال معنا ! أنت فتى ذكي .» وفي الحقيقة انه ذكي ، يا خالتي . . . اصفح عني ، يا غريكوف ، ولكن تلك هي الحقيقة .

غريكوف (مبتسماً) : ألقيت بي في وضع حرج للغاية .

ناديا : حقاً ! ولكني لم أقصد ذلك ! لست أنا السبب ، بل هم ، يا غريكوف !

بولينا : ناديا ! أنا لا أستطيع أن أطيق حماستك الفائضة . أنت تجعلين من نفسك أضحوكة . كفاك !

ناديا (بانفعال) : اذن اضحكوا ان كنت أبعث على السخرية ! ما بالكم تجلسون هنا كالبوم ؟ هيا اضحكوا !

كليوباترا : لدى ناديا موهبة عظيمة في تحويل الحبَّة الى قبَّة وذلك مع كثير من الضوضاء . وهو أمر بغيض بصورة خاصة الآن ، أمام غريب يسخر منها كما ترون .

ناديا (الى غريكوف) : أتسخر مني ؟ لماذا ؟

غريكوف (ببساطة) : أبداً . اني أعجب بك .

بولينا (مرتاعة) : ماذا ؟ عماه . . .

كليوباترا (بضحكة صغيرة) : عظيم !

الجنرال : حسناً ، كفى ! الأشياء الجيدة بالمقادير القليلة ! اليك ، أيها الفتى ، خذ هذا واذهب .

غريكوف (يستدير عنه) : شكراً لك ، فلا ضرورة لاي شيء .

ناديا (تغطي وجهها بيديها) : أواه ! كيف يمكنك !

الجنرال (يوقف غريكوف) : انتظر لحظة ! هذه ورقة من فئة العشرة روبلات !

غريكوف (بهدوء) : وما معنى ذلك ؟

(يرين السكون على الجميع لبرهة وجيزة .)

الجنرال (مضطربا) : هـ . . . الـ . . . من أنت على أية حال ؟

غريكوف : عامل من العمال .

الجنرال : حداد ؟

غريكوف : كلا ، بل برّاد .

الجنرال (بصرامة) : سيّان . لم لا تأخذ هذا المال ، ايـه ؟

غريكوف : لأني لا أريده .

الجنرال (ثائراً) : هراء . ما الذي تريده ؟

غريكوف : لا شيء .

الجنرال : لعلك تود أن تطلب يد الفتاة ، ايه ؟ (يضحك — الجميع يتضايقون بسبب من نكتته .)

ناديا : أوه ! فكّر فيما تقول !

بولينا : أرجوك ، يا عماه . . .

غريكوف (بهدوء الى الجنرال) : ما هو عمرك ؟

الجنرال (مدهوشاً) : ماذا ؟ أنا ؟ . . ما هو عمري ؟

غريكوف (بالنغمة ذاتها) : أجل . ما هو عمرك ؟

الجنرال (يتطلع حواليه) : اذ . . . . ه . . . احدى وستون سنة . . . فيم تريد أن تعرف ذلك ؟

غريكوف (وهو يغادر المكان) : يجب أن تكون أعقـــل في سنك .

الجنرال : ماذا ؟ أعقل ؟ انا ؟

ناديا (تركض خلف غريكوف) : أرجـوك . . . ارجوك الا تغضب . انه رجل عجوز . انهم قوم لطفـاء حقـاً ، صدقني . بشرفي !

الجنرال : ما معنى هذا ، بحق الشيطان ؟

غريكوف : لا تبالي . فهذا بالضبط ما هو متوقع .

ناديا : سبب ذلك الحرارة وحدها . فهي تجعل الجميـع في

مزاج سيئ . وأنا رويت مغامرتنا بصورة رديئة جداً .

غريكوف (مبتسماً) : كيفما رويتها فهم لن يفهموها .

(يختفيان)

الجنرال (مغتاظاً) : كيف جرؤ أن يقول مثل هذا الشيء لي !

تاتيانا : ما كان من شأنك أن تقدم له المال .

بولينا : أوه ، ناديا ! انها ناديا !

كليوباترا : للّه در أعصابه ! اليكم هذا الثائر الفخور ! لسوف أطلب من زوجي بالتأكيد أن . . .

الجنرال : يا له من فتى دنيء !

بولينا : ولكن ناديا لا تطاق ! تسير واياه هكذا ! لقد أزعجتني كثيراً !

كليوباترا : هؤلاء الاشتراكيون عندكم يزدادون وقاحة يوما بعد يوم . . .

بولينا : ما الذي يحملك على الظن بأنه اشتراكي !

كليوباترا : أستطيع أن أرى ذلك . فجميع العمال المهذبين اشتراكيون .

الجنرال : سأطلب الى زاخار أن يلقي اليوم هذا الوقح خارج المعمل على أذنه .

تاتيانا : لقد أغلق المعمل .

الجنرال : لا أهمية لذلك . . . على أذنه !

بولينا : تاتيانا ، اذهبي ونادي ناديا . اعملي معروفاً . قولي لها اني مرتاعة .

(تخرج تاتيانا)

الجنرال : الحثالة ! ما هو عمري ، ايه ؟

كليوباترا : أولئك السكارى تواقحوا وصفروا لنا . وأنتم لا تفتأون تدللونهم . . . بالحلقات الدراسية وما شابه ! اي معنى في ذلك ؟

بولينا : تصوروا فقط ، حين كنتُ ذاهبةً الى القرية يوم الخميس ، واذا بي أسمع صفيرا على حين بغتة ! يصفرون حتى لي أنا ! وكان يمكن أن يخيفوا الجياد ، اذا تركنا جانبا ما في ذلك من اهانة !

كليوباترا (بتحذلق) : اللوم يقع على زاخار ايفانوفيتش ! فهو لا يقيم المسافة بصورة جيدة بينه وبين أولئك القوم ، كما يقول زوجي .

بولينا : هو رقيق القلب جداً ، يريد أن يكون لطيفاً مع كل انسان . وهو مقتنع بأن التفاهم مع عامة الناس يعود بالفائدة على الجانبين . وهو على حقّ فيما يتعلق بالفلاحين . فهم يستأجرون الأرض ، ويدفعون الريع ، والأمور جميعاً على غاية الروعة . أما هؤلاء . . .
(تدخل تاتيانا وناديا .) ناديا ! يا عزيزتي ، أنت تفهمين أنه لم يكن من اللائق . . .

ناديا (بغضب) : انتم لم تكونوا لائقين ، انتم ! لقد أثرت

الحرارة فيكم – انتم قبيحون معلولون لا تفهمون شيئاً ! وأنت ، يا جداه ، ما أغباك ، وربي !

الجنرال (في هياج) : أنا ؟ غبي ؟ أيجب أن أسمع ذلك مرة ثانية ؟

ناديا : لماذا قلت ذلك – عن طلب يدي ؟ أفلا تخجل ؟

الجنرال : أخجل ؟ حسناً ، هذا يتجاوز كل حدود ! لقد كفاني ما لقيت في يوم واحد . (يغادر المكان ، صائحاً بأعلى صوته) كون ! فليأخذ الشيطان أهلك ! الى أين حملتك قدماك الحمقاوان ، يا مغفل ، يا بليد !

ناديا : وأنت ، يا خالتي ، أنت ! . . لقد كنت في الخارج أيضا . . . وألقيت خطباً رائعة عن السياسة ! ولم تطلبي منه الجلوس . ولم تقدمي له قدحاً من الشاي !

بولينا (تقفز على قدميها وتلقي الملعقة على المائدة) : هذا مستحيل ! هل تدركين معنى ما تقولين ؟

ناديا : وأنت الأخرى ، يا كليوباترا بتروفنا ! . . في طريق العودة كنت كثيرة اللطف والأدب معه ! ولكن ما أن وصلنا الى هنا . . .

كليوباترا : ماذا كان ينتظر مني أن أفعل ، أن أقبّله ؟ اعذريني ، ولكن وجهه كان قذراً . وعلى أي حال ، فمن أعطاك الحق بتعنيفي ؟ أترين ، يا بولينا ديمتريفنا ؟ هذه هي ديمقراطيتكم ، أو ماذا يسمونها – الانسانية ؟ وزوجي المسكين هو الذي يتحمل عواقب ذلك كله . ولكن سوف تضطرون لأن تتحملوا عواقبه أنتم أيضاً . سوف ترين !

بولينا : يجب أن أستميحك العذر ، يا كليوباترا بتروفنا ، لتصرُّف ناديا . . .

كليوباترا (مغادرة المكان) : لا ضرورة لذلك مطلقاً . ليست المشكلة مشكلة ناديا وحدها . . . نحن جميعاً ملومون !

بولينا : أصغي اليَّ ، يا ناديا . عندما ماتت أمك وحمّلتني مهمة رعايتك وتنشئتك . . .

ناديا : لا تتحدثي عن أمي ! أنت لا تذكرينها بالخير أبداً !

بولينا (في دهشة) : ناديا ! هل أنت مريضة ؟ فكري فيما تقولين . كانت أمك شقيقتي ، وقد عرفتها بصورة أفضل قليلاً منك .

ناديا (عاجزة عن ضبط دموعها) : أنت لا تعرفين شيئاً . . . الفقراء والأغنياء لا يملكون شيئاً مشتركاً البتة . . . كانت أمي فقيرة ، وكانت طيبة ! . . أنت لا تستطيعين أن تفهمي الفقراء ! بل انك لا تفهمين حتى العمة تاتيانا !

بولينا : ناديا ، يجب أن أسألك أن تذهبي . اذهبي في الحال !

ناديا (مغادرة المكان) : اني ذاهبة . . . ولكني على حق ، على أية حال . أنا ، لا أنت !

بولينا : يا للسموات ! فتاة قوية في صحة جيدة تصاب بمثل هذه النوبة بصورة مباغتة ! هذه هستيريا تقريباً ! اصفحي عني ، يا تاتيانا ، ولكني أخاف أن تكوني قد تركت فيها أثراً سيئاً . أنت تحدثينها عن جميع الأمور

فكأنها بالغة ، وتذهبين بها بين مستخدمينا – أولئك القوم في المكتب – وأولئك العمال غريبي الأطوار . هذا سخف ، هل تعلمين ؟ وحفلات التجذيف تلك !

تاتيانا : هدئي روعك . لعلّه من الأفضل أن تتناولي جرعة من الشراب أو من أي شيء آخر . مما لا ريب فيه أنك لم تتصرفي بكثير من اللباقة مع ذلك العامل . ما كان يصيب المقعد سوء لو أنك طلبت اليه أن يجلس عليه .

بولينا : انت مخطئة . لا يستطيع أحد بكل تأكيد أن يتهمني باتخاذ موقف سيئ من العمال . ولكن لكل شيء حدوداً ، يا عزيزتي !

تاتيانا : ثم اني لم أذهب بها الى أي مكان مطلقاً ، بالرغم مما تقولين . هي تذهب من تلقاء نفسها . . . ولا أرى من الضروري اعتراض سبيلها .

بولينا : تذهب من تلقاء نفسها ! لكأنها تفهم ماذا تفعل !

(يدخل ياكوف على مهل ، سكران قليلاً)

ياكوف (وهو يجلس) : سوف يحدث اضطراب في المعمل .

بولينا (باكتئاب) : أوقف ذلك ، يا ياكوف ايفانوفيتش !

ياكوف : أجل ، هناك اضطراب . سوف يحدث اضطراب . سوف يحرقون المعمل ويشووننا جميعاً في النار – مثل الأرانب .

تاتيانا (في غيظ) : لقد بكّرت في الشراب .

ياكوف : اني أشرب دائماً في مثل هذه الساعة . لقد رأيت كليوباترا توأ . . . تلك امرأة وضيعة ، وربي ! ليس بسبب عشاقها الكثيرين ، بل لأن كلباً عجوزاً شريراً يقبع حيث يجب أن يكون قلبها .

بولينا (تنهض) : يا للسموات ! كانت الأشياء جميعاً على ما يرام ! ثم اذا كل شيء ، بصورة مباغتة . . . (تشرع تضرب في أنحاء الحديقة دون هدف) .

ياكوف : شرير وأجرب – ليس هو كلباً كبيراً ، لكنه على شيء من الشراهة . انه يقبع هناك مكشّراً عن أنيابه . لقد ازدرد كل شيء ، لكنه يطلب المزيد . سوى أنه لا يعرف ما يريد ، الأمر الذي يشغل باله . . .

تاتيانا : صه ، يا ياكوف ! هذا أخوك آتٍ .

ياكوف : وماذا يهمني من أخي ؟ . . تاتيانا ، أدرك جيداً أنك لا تستطيعين سبيلاً الى حبي بعد الآن ، وهذا موجع . أجل ، موجع ، لكنه لا يمنعني من الاستمرار في حبك . . .

تاتيانا : من الأفضل أن تنشط قليلاً . اذهب واستحم .

زاخار (داخلاً) : هل أعلنوا أن المعمل أغلق ؟

تاتيانا : لا أعلم .

ياكوف : كلا ، لم يعلنوا ذلك ، ولكن العمال يعرفون ذلك على أية حال .

زاخار : كيف ؟ من أخبرهم ؟

ياكوف : أنا أخبرتهم . ذهبت اليهم وحدثتهم بكل شيء .

بولينا (قادمة) : ولمَ فعلت ذلك ؟

ياكوف (يهز كتفيه) : بسبب ما في ذلك من طرافة ليس غير . ولقد وجدوا ذلك مثيراً للاهتمام . اني أروي لهم كل شيء – كل شيء ان كانـــوا يصغون . أظنهـــم يستلطفونني ، كما يسعدهم أن يعرفوا أن أخا معلمهم سكير . ذلك يطبعهم بفكرة المساواة بين سائر البشر .

زاخار : هم – م . أنت تذهب كثيراً الى المعمل ، يا ياكوف . ومما لا ريب فيه أني لا أعترض على ذلـــك . ولكن ميخائيل فاسيليفيتش يقول انك تنتقد الادارة أحيانـاً أثناء حديثك مع العمال .

ياكوف : هذا كذب . أنا لا أعرف شيئاً عن الادارة ، أو سوء الادارة .

زاخار : وهو يقول أيضاً انك تحمل بعض الفودكا معـــك احياناً .

ياكوف : هذا كذب . أنا لا أحملهـــا . اني أطلبهـــا ، لا أحياناً ، بل على الدوام . فهم لن يعيروني ادنى اهتمام اذا لم أقدم الفودكا .

زاخار : ولكن ، يا ياكوف ، احكم على ذلك بنفسك – فأنت بعد كل شيء أخو صاحب المعمل .

ياكوف : هذا ليس عيبي الوحيد .

زاخار (مستاء) : حسناً ، لن أزيد شيئاً على ذلـك ، لا شيء البتة . اني محاط لسبب ما بجو معاد .

بولينا : تلك هي الحقيقة . كان يجب أن تسمع ما قالت ناديا لتوّها .

بولوغي (يدخل راكضاً) : اسمحوا لي . . . في هذه اللحظة

بالضبط . . . في هذه اللحظة بالضبط . . . قتلوا المدير !

زاخار : ماذا ؟

بولينا : أنت . . . ما الذي قلت ؟

بولوغي : قتلوه تماماً . فسقط على الأرض . . .

زاخار : من ؟ من أطلق النار عليه ؟

بولوغي : العمال .

بولينا : هل أمسكوا بهم ؟

زاخار : أهناك طبيب ؟

بولوغي : لا أدري . . .

بولينا : ياكوف ايفانوفيتش ! اذهب في الحال .

ياكوف (ملوحاً بيده دلالة على العجز) : أين ؟

بولينا : كيف حدث ذلك ؟

بولوغي : كان المدير ثائراً . فرفس أحد العمال في معدته .

ياكوف : انهم آتون الى هنا .

(اضطراب . يؤتى بميخائيل سكروبوتوف يحمله نيقولاي من جانب ، وليفشين وهو عامل أصلع متوسط السن من الجانب الآخر . يرافقهم عدد من العمال والمستخدمين)

ميخائيل (بصوت متعب) : دعوني لوحدي . . ضعوني أرضاً .

نيقولاي : هل رأيت من أطلق النار ؟

ميخائيل : اني لا استطيـــع الاستمرار . . . انـــي . . . متعب . . متعب . . .

نيقولاي (باصرار) : هل لاحظت من أطلق النار ؟
ميخائيل : انكم تؤذونني . انه فتى أحمر الرأس . ضعوني أرضاً . فتى أحمر الرأس .

(يضعونه على المقعد المصنوع من الأعشاب)

نيقولاي (الى شرطي) : أتسمع ؟ فتى أحمر الرأس . . .
الشرطي : أجل ، يا صاحب السعادة .
ميخائيل : آه ، سيّان ذلك الآن .
ليفشين (الى نيقولاي) : أفلا يكون من الأفضل ألا تزعجه الآن ؟
نيقولاي : صمتا ! أين الطبيب ؟ أسألك أين الطبيب !

(يشرع الجميع يتهامسون ويتجولون دونما هدف .)

ميخائيل : لا تزعق . . . الألم . . . دعني أستريح .
ليفشين : هذا صحيح ، استرح قليلاً ، يا ميخائيل فاسيليفتش . آه ، يا الهي ! انها مسألة مال ليس غير ، حياتنا كلها تتوقف عليه ! المال هو حياتنا ، وهو موتنا .
نيقولاي : أيها الشرطي ! اطلب من جميع الذين ليسوا من هذه الدار أن يغادروا المكان .
الشرطي (بصوت خافت) : اذهبوا ، يا فتيان . ليس ثمة ما تراقبونه ههنا .

زاخار (همساً) : أين الطبيب ؟

نيقولاي : ميشا ! ميشا ! (ينحني فوق أخيه ويفعل الجميع مثله .) أخاف أن يكون كل شيء قد انتهى .

زاخار : مستحيل ! لقد أغمي عليه ، ليس أكثر !

نيقولاي (ببطء وبصوت خافت) : كلا ، لقد مات . أتفهم ما معنى ذلك ، يا زاخار ايفانوفيتش ؟

زاخار : ولكن . . . لعلك مخطىء .

نيقولاي : لا ، لست مخطئا . انك **أنت** الذى سببت مقتله - أنت !

زاخار (مرتاعاً) : أنا ؟

تاتيانا : ما أقسى ذلك . . . وأسخفه !

نيقولاي (مهاجماً زاخار) : أجل ، أنت !

رئيس الشرطة (يدخل مسرعاً) : أين المدير ؟ هل جرحه خطير ؟

ليفشين : لقد مات . كان يستحث الآخرين دائماً - في عجلة من أمره أبداً . أما الآن فانظروا اليه .

نيقولاي (الى رئيس الشرطة) : استطاع أن يقول لنا ان الفتى الذي قتله كان أحمر الراس .

رئيس الشرطة : أحمر الرأس ؟

نيقولاي : أجل . ينبغي أن نتخذ التدابير اللازمة في الحال .

رئيس الشرطة (الى الشرطي) : أوقف في الحال سائر الذين رأسهم أحمر !

الشرطي : حالاً ، يا صاحب السعادة .

رئيس الشرطة : حذار أن يفلت أحد منهم !

(يخرج الشرطي)

كليوباترا (تدخل مسرعة) : أين هو ؟ ميشا ! ما الأمر ، هل أغمي عليه ؟ نيقولاي فاسيليفيتش ، هل أغمي عليه ؟ (يستدير نيقولاي عنها .) هل مات ؟ مات ؟

ليفشين : لقد هدأ الآن . هددهم بغدارته ، لكن الغدارة دارت عليه .

نيقولاي (غاضباً ، بهمس ضئيل) : أخرج من هنا ! (الى رئيس الشرطة) خذ هذا الفتى من هنا !

كليوباترا : الطبيب – ماذا قال الطبيب ؟

رئيس الشرطة (بصوت خافت الى ليفشين) : أخرج من هنا ، أنت !

ليفشين (همساً) : اني ذاهب . لا حاجة الى دفعي .

كليوباترا (دون أن ترفع صوتها) : هل قتلوه ؟

بولينا (الى كليوباترا) : يا حبيبتي !

كليوباترا (بصوت خافت ، ولكن بلهجة منتقمة) : لا تلمسيني ! هذا من صنعك ! من صنعك !

زاخار (بقنوط) : اني أفهم أن هذه صفعة هائلة لك . . . ولكن لمَ . . . لمَ تقولين مثل هذا الكلام ؟

بولينا (باكية) : أواه ، يا عزيزتي . فكري فيما تقولين !

تاتيانا (الى بولينا) : يحسن أن تذهبي من هنا . أين الطبيب ؟

كليوباترا : ميوعتك اللعينة هي التي قتلته !

نيقولاي (بجفاء) : هدئي من روعك ، يا كليوباترا ! فزاخار ايفانوفيتش لا يستطيع امتناعاً عن الاعتراف بذنبه أمامنا .

زاخار (بقنوط) : ولكن يا سادة . . . أنا لا أفهم شيئاً . ماذا تقولون ؟ كيف يمكن أن توجهوا مثل هذا الاتهام ؟

بولينا : هذا فظيع ! مثل هذه القسوة !

كليوباترا : القسوة ؟ لقد ألّبتم العمال عليه ، ودمرتم تأثيره عليهم . كانوا يخافونه . كانوا يرتجفون لدى مجرد رؤيته . والآن قتلوه . وأنتم . . . انتم الملومون . ان دمه على أيديكم !

نيقولاي : كفى ! كفى ! يجب ألا تصيحي .

كليوباترا (الى بولينا) : تبكين ، أليس كذلك ؟ هذا حق ! ابكي ! ابكي دمه كله من عينيك !

الشرطي (يدخل) : يا صاحب السعادة . . .

رئيس الشرطة : صه !

الشرطي : لقد أوقف سائر الحمر الرؤوس !

(يأتي الجنرال عبر الحديقة من الخلف ، يدفع كون أمامه ويضحك بصوت مرتفع .)

نيقولاي : هس – س – س !

كليوباترا : ماذا ، يا قتلة ؟

ستار

الفصل الثاني

قمر براق يلقي ظلالاً كثيفة ثقيلة على الحديقة . المائدة منثورة بالخبز ، والخيار ، والبيض ، وزجاجات الجعة . الشموع تشتعل في الشمعدانات ، وأغرافينا تغسل الصحون ، فيما ياغودين جالس على مقعد يدخن وفي يده عصا . الى اليسار تقف تاتيانا ، ونادیا ، وليفشين . الجميع يتحدثون بصوت خافت . فكأنهم يصغون الى شيء ما . الجو العام يشير الى توقع مشبع بالتوتر .

ليفشين (الى ناديا) : جميع الأشياء الانسانية سُمت بطابع النحاس ، يا آنسة . وهذا هو السبب في أن قلبك الفتي مثقل . ان البشر جميعاً مقيدون بالسلاسل الى كوبيك نحاسي ، البشر جميعاً ، ما عداك ، وهكذا فأنت لا تتلائمين مع هذه الحال . ان الكوبيك يجلجل برسالته في أذن كل انسان على وجه البسيطة : «حبّني كما تحب نفسك» . ولكن هذا لا يتعلق بك . فالعصفور لا يزرع ولا يحصد .

ياغودين (الى أغرافينا) : بدأ ليفشين يعلّم أسياده ! يا للأبله العجوز !

أغرافينا : لمَ لا ؟ انه يخبرهم بالحقيقة . ان قليلاً من الحقيقة لن يسيئ أبداً الى أسياده .

ناديا : هل حياتك شاقة ، يا ليفشين ؟

ليفشين : ليس كثيراً . فأنا لا أولاد لـي . ان لـي امرأة ، يعني زوجة . ولكن أولادنا ماتوا جميعاً .

ناديا : يا عمتي تاتيانا ! لمَ يتحدث الجميع همساً عندما تكون هنالك جثة في الدار ؟

تاتيانا : لا أدري .

ليفشين (مبتسماً) : ذلك أننا جميعاً مذنبون أمام الميـت ، يا آنسة . مذنبون من جميع وجهات النظر .

ناديا : ولكن الأمور ليست كذلك بصورة دائمـة . . . أن الميت . . قتيل . ولكن البشر يتحدثون همساً على أى حال .

ليفشين : اننا نقتلهم جميعاً ، يا آنسة : البعض بالرصاص ، والبعض الآخر بالكلمات . اننا نقتل الجميع بأفعالنا . اننا نطرد البشر من تحت الشمس الى جوف التربة دون أن ندرك ذلك . لكننا نروح نشعر بذنبنا حين نلقـي أخيراً انساناً بين ذراعي الموت . نروح نشعر بالأسف للميت ، وبالخجل من أنفسنا ، فيقوم خوف عظيـم في باطننا . ذلك أننـا ، نحن الآخرين ، أفلا ترين ، نطارد بالطريقة عينها ؟ نحن أنفسنا مقدّرون للموت .

ناديا : أجل ، تلك فكرة مخيفة .

ليفشين : يجب ألا تقلق بالك . فهي مخيفـة اليوم ، لكـن النسيان سيغشاها غداً . . . ويأخذ الناس يدفعـون بعضهم بعضاً من جديد . وحين يقع أحدهم أرضاً يهدأ الجميع ويعروهم الخجل لدقيقة واحدة . ثم يصعّدون زفرة ويبدأون كل شيء من جديد مرة أخرى ، بالطريقة

القديمة بالضبط . انها الجهالة ! ولكنه لا حاجة بك الى الشعور بالخجل ، يا آنسة . الأموات لن يقلقوك . وأنت تستطيعين أن تتكلمي بصوت مرتفع في حضرتهم .

تاتيانا : كيف يجب أن نبدل طريقتنا في الحياة في رأيك ، يا ليفشين ؟

ليفشين (بلهجة مشوبة بالأسرار) : ينبغي لنا أن نتخلص من الكوبيك . ينبغي أن ندفنه . اذا ما ذهب الكوبيك مرة ، فلماذا ندفع بعضنا بعضاً اذن ؟ لماذا نكون أعداء ؟

تاتيانا : وهذا كل شيء ؟

ليفشين : هذا يكفي لنبدأ به .

تاتيانا : أتودين أن نقوم بنزهة في الحديقة ، يا ناديا ؟

ناديا (متفكرة) : لا بأس .

(تختفيان في أعماق الحديقة ؛ يقطع ليفشين المسرح ميمما شطر المائدة . يبدو الجنرال ، وكون ، وبولوغي عند مدخل الخيمة)

ياغودين : أنت تزرع بذورك في تربة صخرية ، يا ليفشين ، أيها الأبله العجوز !

ليفشين : لماذا ؟

ياغودين ؛ لا معنى لمحاولة تعليمهم أى شيء كان . فكأنهم يستطيعون أن يفهموا . ان ما نقول يمكن أن يبلغ قلب انسان عامل ، لكنه لن يبلغ قلب النبلاء .

ليفشين : الآنسة الصغيرة ناعمة جداً ، ولقد حدثني غريكوف عنها .

اغرافينا : لعلك ترغب في قدح ثان من الشاي ؟
ليفشين : ان كنت لا تمانعين .

(صمت – ثم يسمع صوت الجنرال الأجش . يلوح ثوبا ناديا وتاتيانا الأبيضان من خلال الأشجار)

الجنرال : أو أنك تأخذ وتراً وتمدّه على عرض الطريق بصورة لا يستطيع انسان أن يراه معها . ويأتي انسان ما ، واذا هو على حين غرة – طُبْ !
بولوغي : ظريف أن ترى انساناً يقع ، يا صاحب السعادة .
ياغودين : أسمعتَ هذا ؟
ليفشين : سمعته جيداً .
كون : لا نستطيع أن نصنع شيئاً من هذا القبيل اليوم ، وفي الدار ميت لم يبارحها . لا يمكن أن تمزحوا وفي الدار ميت .
الجنرال : لا تعلمني ! عندما تموت لن أتعب من الرقص .

(تقترب تاتيانا وناديا من المائدة)

ليفشين : بلغ الجنرال سن الخَرَف .
اغرافينا (تذهب ناحية الدار) : أبداً يدبر بعض الحيل !
تاتيانا (تجلس الى المائدة) : أخبرني ، يا ليفشين : هل أنت اشتراكي ؟

ليفشين (ببساطة) : أنا ؟ لا . أنا وتيموفي – اننا حائكان . هذا ما نحن – حائكان .

تاتيانا : هل تعرف بعض الاشتراكيين ؟ هل سمعت شيئاً عنهم ؟

ليفشين : بلى ، سمعنا عنهم . نحن لا نعرف أحداً منهم ، ولكننا سمعنا عنهم .

تاتيانا : هل تعرف سينتزوف الذي يعمل في المكتب ؟

ليفشين : بكل تأكيد نعرفه . اننا نعرف سائر الرجال في المكتب .

تاتيانا : وهل تحدثت اليه مرة ؟

ياغودين (مضطرباً) : عن أي شيء نستطيع أن نتحدث اليه ؟ هو يشتغل في الطابق العلوي ، ونحن في الطابق السفلي . واذا اضطررنا الى الذهاب الى المكتب أخبرنا بما يريد المدير ، وهذا كل شيء . هذا كل ما نعرف عنه .

ناديا : يبدو أنك تخافنا ، يا ليفشين . لا تخش شيئاً ، فالأمر يثير اهتمامنا حتى درجة بعيدة . . .

ليفشين : ولم نخاف ؟ لم نأت عملاً باطلاً . سألونا أن نأتي الى هنا ونحفظ النظام ، ففعلنا ذلك . الناس جنوا هناك . هم يقسمون بأنهم سيحرقون المعمل وكل شيء آخر – ولن يتركوا شيئاً سوى كومة من رماد . حسناً ، اننا لا نوافق على مثل هذه الاساءة . ليس ما يدعو الى احراق الأشياء . ولمَ احراقها ؟ لقد بنيناها بأنفسنا ، نحن وآباؤنا وأجدادنا . . . فلماذا نقدم على احراقها ؟

تاتيانا : آمل ألا تعتقد أننا نسألك كي نسيء اليك !

ياغودين : ولمَ نعتقد هكذا ؟ اننا لا نضمر السوء لأي انسان .

ليفشين : اليك ما نفكّر فيه : كل ما بناه الشعب بيديه مقدس . ينبغي أن تقدر العمل الانساني ، لا أن تقدم على احراق الأشياء . ولكن الناس أظلمت عقولهم . هم يحبون النار . وقد أثار المرحوم غضبهم . كان المرحوم قاسياً معنا . هذا ما لا سبيل الى انكاره . كان يلوّح بغدارته في وجهنا على الدوام ليبعث فينا الخوف . . .

ناديا : وهل زوج خالتي أفضل منه ؟

ياغودين : زاخار ايفانوفيتش ؟

ناديا : أجل . هل هو – لطيف ؟ أم أنه لا يقلّ عن ذلك قسوة بالنسبة اليكم أيضاً ؟

ليفشين : لن أقول ذلك .

ياغودين (بكآبة) : هم جميعاً سواء في نظري ! الصارمون واللطيفون . . . جميعهم متشابهون .

ليفشين (بلطف) : الصارم معلم واللطيف معلم . والسرطان لا يأبه للانسان الذي يقرض في لحمه .

ياغودين (ضجراً) : زاخار ايفانوفيتش رجل طيب القلب .

ناديا : تعني أنه أفضل من سكروبوتوف ؟

ياغودين (بصوت خفيض) : لا تنسي أن المدير لم يعد في عداد الأحياء .

ليفشين : زوج خالتك رجل طيب في الحقيقة ، يا آنسة . سوى أن ذلك لا يجعل الأمور أيسر علينا مطلقاً .

تاتيانا (ثائرة) : فلنذهب ، يا ناديا . أفلا ترين أنهمـــا لا يريدان أن يفهمانا ؟
ناديا (بصوت خفيض) : أجل . . .

(تخرجان بسكون . يراقبهما ليفشين وهما ذاهبتان ، ثـــم ينظر الى ياغودين ؛ كلاهما يبتسمان)

ياغودين : ما اكثر اسئلتهما ، أليس كذلك ؟
ليفشين : ألم تسمع ؟ ان الأمر «يثير اهتمامهما حتى درجـة بعيدة» .
ياغودين : لعلهما تظنان أننا سنفشي شيئاً ما .
ليفشين : أعتقد أن الآنسة الشابة رائعة جداً . ما أسوأ أن تكون غنية !
ياغودين : من الأفضل أن نخبر ماتفي نيقولايفيتش بالأمر - أن السيدة جرّبت أن تنتزع المعلومات منا .
ليفشين : سوف نخبره . وسوف نخبر غريكوف أيضاً .
ياغودين : أتساءل كيف تسير الأمور ؟ يجب أن تنزل الادارة عند رغبتنا . . .
ليفشين : سوف تذعن . ثم يشرعون ، بعد برهة وجيزة ، يزحموننا بالحائط من جديد .
ياغودين : يبقرون أحشاءنا من جوفنا .
ليفشين : كما تقول .
ياغودين : وَيْ . أواه ! لو أستطيع أن أنال قسطاً كبيراً من النوم !

ليفشين : لم يحن الوقت بعد . هذا الجنرال آتٍ .

(يدخل الجنرال ، بولوغي يسير الى جانبه باحترام ، ووراءهما كون . بولوغي يطبق بصورة مباغتة على ذراع الجنرال)

الجنرال : ما هذا ؟
بولوغي : حفرة في الأرض . حذار من السقوط فيها .
الجنرال : أوه . ما هذا الذي على المائدة ؟ يا لها من فوضى . أكنتما تأكلان هنا ؟
ياغودين : أجل ، يا سيدي . نحن والآنسة الصغيرة .
الجنرال : وهكذا فأنتما تحرسان لنا المكان ؟
ياغودين : أجل ، يا سيدي . فنحن نقوم بواجبنا .
الجنرال : هذا حسن ! سوف أتحدّث الى الحاكم بشأنكما . ما هو عددكم هنا ؟
ليفشين : اثنان .
الجنرال : يا أحمق ! أستطيع أن أعدّ حتى الاثنين . ما هو عددكم جميعا ؟
ياغودين : ثلاثون تقريبا .
الجنرال : هل أنتم مسلّحون ؟
ليفشين (الى ياغودين) : أين تلك الغدّارة التي تحمل ، يا تيموفي ؟
ياغودين : هذه هي .
الجنرال : لا تمسك بها من فوهتها ! يا للشيطان ! كون ،

لقّن هذين الأبلهين كيف يمسكان غدارة بأيديهما !
(الى ليفشين) ألديك مسدس ؟

ليفشين : ليس لدي شيء .

الجنرال : اذا جاء المتمردون ، فهل في نيتكم اطلاق النار ؟

ليفشين : انهم لن يأتوا ، يا صاحب السعادة . لم يقصدوا شيئاً . . . انما تأججوا لدقيقة واحدة ليس غير .

الجنرال : ولكن اذا أتوا ؟

ليفشين : لقد اغتاظوا ، يا سيدي . . . بخصوص اغلاق المعمل . بعضهم لديه أولاد .

الجنرال : ما هذا الذي تهذي به ؟ سألتك ان كنتما تنويان اطلاق النار ؟

ليفشين : حسناً ، اننا على أتم استعداد لذلك ، يا سيدي . ولم لا نطلق النار ؟ سوى أننا لانعرف كيف نفعل ذلك . أضف الى هذا أننا لا نملك شيئاً نطلق النار منه . . . لو كان هذا بندقية ، أو مدفعاً .

الجنرال : كون ! تعال هنا وعلمهما . . . اذهب بهما الى الضفة هناك . . .

كون (متجهماً) : اسمح لي أن أقول لك ان الليل هبط ، يا صاحب السعادة . ولسوف يخاف الناس ويهتاجون اذا شرعنا نطلق النار . ولسوف يأتون جميعاً الى هنا ليطلّعوا على ما يجري . ولكني سأفعل كما تقول بالضبط ، فذلك سواء بالنسبة اليّ .

الجنرال : حسناً . أرجىء ذلك الى الغد !

ليفشين : سوف يكون كل شيء على أتم هدوء غداً . سوف يفتحون المعمل غداً .
الجنرال : من الذي سيفتحه ؟
ليفشين : زاخار ايفانوفيتش . انه يحدّث العمال بذلك الآن .
الجنرال : اللعنة ! لو كان الأمر لي ، لأغلقتُ المعمل الى الأبد . وكنا خلصنا من ذلك الصفير اللعين عند بكور كل صباح !
ياغودين : لن نمانع ، نحن أيضاً ، اذا هم تأخروا قليلاً في ارسال الصفير .
الجنرال : وكنت أجعلكم تموتون من الجوع . فننتهي بذلك من شغبكم !
ليفشين : اتسمي هذا شغباً ؟
الجنرال : صمتاً ! ماذا تفعلان في هذا المكان على أي حال ؟ يجب أن تقوما بجولاتكما على طول السور ، فاذا رأيتما أحداً يتسلقه – أطلقا النار في الحال . سوف أكون أنا المسؤول عن ذلك !
ليفشين : تعالَ ، يا تيموفي . هات غدارتك .
الجنرال (يغمغم وراءهما) : غدارة ! يا للحمارين الأحمقين ! لا يعرفان ما هو المسدس حين يشاهدانه !
بولوغي : اسمح لي أن أخبر سعادتك أن عامة الناس هم على العموم خشنون بهيميون . خذ حالتي مثلاً : ان لي حديقة ، وأنا أزرع الخضار بنفسي . . .
الجنرال : هذا أمر محمود .
بولوغي : وأنا أكرّس أوقات فراغي كلها لهذا العمل .

الجنرال : كل انسان ينتظر منه أن يعمل !

(تدخل تاتيانا ونادیا)

تاتيانا (عن بعد) : ما بالك تصيح هكذا ؟
الجنرال : آه من هؤلاء الناس ! (الى بولوغي) حسناً ؟
بولوغي : ولكن العمال يسرقون ثمرات جهدي في كل ليلة تقريباً . .
الجنرال : تقول يسرقون ؟
بولوغي : بالضبط . وقد طلبت حماية القانون ، ولكن القانون يمثلّه في هذا المكان رئيس الشرطة المحترم ، وهو رجل يظهر اللامبالاة التامة بحاجات السكان .
تاتيانا (الى بولوغي) : لماذا تلجأ بربك الى هذه اللهجة البليدة في الكلام ؟
بولوغي (مرتبكاً) : هل أفعل ذلك ؟ أسأل صفحك ، ولكني درست في المدرسة الثانوية طوال ثلاث سنوات ، وأنا اقرأ الصحيفة يومياً .
تاتيانا (مبتسمة) : أوه ! اذن فهذا يفسر كل شيء !
نادیا : انك مضحك جداً ، يا بولوغي .
بولوغي : يسعدني أن يبعث حديثي السرور في نفسك ! ينبغي للمرء أن يسعى لأن يكون دمثاً .
الجنرال : أتحب أن تصطاد ؟
بولوغي : لم أجرب ذلك أبداً ، يا صاحب السعادة .
الجنرال (يهز كتفيه) : جواب غريب !
تاتيانا : ما الذى لم تجربه ، الصيد أم الحب ؟

بولوغي (في حيرة) : الأول .
تاتيانا : والثاني ؟
بولوغي : جرّبت الثاني .
تاتيانا : هل أنت متزوج ؟
بولوغي : أحلم فقط بنعمة الزواج . ولكنْ نظراً لأني أكسب خمسة وعشرين روبلاً في الشهر فقط (يدخل نيقولاي وكليوباترا مسرعين) فاني لا أجرؤ على المجازفة بمثل هذه الخطوة .
نيقولاي (غاضباً) : مدهش بكل بساطة ! فوضى مطلقة !
كليوباترا : كيف يستطيع ! كيف يتجاسر !
الجنرال : ما بالكما ؟
كليوباترا (صائحة) : ابن أخيك فظيع ! لقد استجاب لسائر طلبات العصاة ، قتلة زوجي !
ناديا (بصوت خفيض) : ولكنهم ليسوا قتلة جميعاً !
كليوباترا : انه يسخر من جثمان الميت ! ومني ! أن يفتح المعمل قبل أن يدفن الرجل الذي قتله أولئك الأوغاد بالضبط لأنه أغلق المعمل .
ناديا : ولكن زوج خالتي يخشى أن يحرقوا كل شيء !
كليوباترا : أنت طفلة وينبغي أن تمسكي لسانك !
نيقولاي : يا للخطاب الذي ألقاه ذلك الفتى ! دعاية اشتراكية واضحة جداً !
كليوباترا : ثمة كاتب يترأسهم ويقدم لهم النصائح . ولقد وجد الجرأة على القول ان الجريمة حرّض عليها المرحوم نفسه !

نيقولاي (يكتب شيئاً في مفكرته) : ذلك الفتى يثير شكوكي . انه أذكى من أن يكون مجرد كاتب .

تاتيانا : أتتحدث عن سينتزوف ؟

نيقولاي : أجل .

كليوباترا : أشعر كأن انساناً ما بصق في وجهي .

بولوغي (الى نيقولاي) : اسمح لي أن أبدي هذه الملاحظة . ان السيد سينتزوف يقرأ الصحف دائماً ويعلّق بصورة مفصلة على الأحداث السياسية . وهو كثير النقمة على السلطات .

تاتيانا (الى نيقولاي) : أمعنيّ أنت بسماع مثل هذه القصص ؟

نيقولاي (متحدياً) : أجل ، أنا معنيّ ! أتحاولين أن تخجليني ؟

تاتيانا : يخيل اليّ أن لا مكان هنا للسيد بولوغي .

بولوغي (مرتبكاً) : أسأل صفحك . سأذهب على الفور . (يخرج) .

كليوباترا : هذا هو قادم . لا أريد رؤيته . فأنا لا أطيقه . (تخرج متسارعة)

ناديا : ماذا يجري ؟

الجنرال : ان سني المتقدمة لا تسمح لي بمثل هذه الانفعالات . جرائم قتل ، وثورات . كان من واجب زاخار أن يتكهن بهذه الأشياء جميعاً عندما دعاني لقضاء فترة راحة هنا . (يدخل زاخار ، مهتاجاً لكنه مسرور . عندما يرى نيقولاي يتوقف في حيرة ويصلح

من وضع نظارتيه .) اسمع ، يا ابن أخي العزيز . هل تدرك ما فعلت ؟

زاخار : لحظة واحدة ، يا عماه . نيقولاي فاسيليفيتش !

نيقولاي : نعـ - مم . . .

زاخار : كان العمال في حالة من الهياج العظيم بحيث . . . خشيت أن يدمروا المعمل بأسره . . . وهكذا ، فقد لبيّت طلبهم في عدم اغلاق المعمل اليوم . وكذلك طلبهم الخاص بديتشكوف . سوى أني قبلت ذلك بشرط أن يسلموني المجرم ، وقد شرعوا منذ الآن يفتشون عنه .

نيقولاي (بجفاء) : ما كان يجب أن يزعجوا أنفسهم . سوف نجد المجرم دون مساعدتهم .

زاخار : بدا لي من الأفضل أن يجدوه بأنفسهم . ذلك أفضل . ولقد اتفقنا أن نفتح المعمل غداً بعد الغداء .

نيقولاي : من تعني بكلمة - اتفقنا ؟

زاخار : أنا . . .

نيقولاي : آ -ها ! شكراً لهذه المعلومات . انما يخيل اليّ على أية حال أن مكان أخي ، بعد وفاته ، يجب أن نحتله أنا وزوجته . واذا لم أكن مخطئاً ، فقد كان يجب أن تشاورنا في الموضوع ولا تتخذ القرار لوحدك .

زاخار : ولكني طلبت منك القدوم ! بل جاء سينتزوف في طلبك ، ورفضت أن تأتي .

نيقولاي : ما كان يتوقع مني أن أفكر في قضايا العمل يوم وفاة أخي .

زاخار : ولكنك ذهبت الى المعمل على أية حال .

نيقولاي : ذهبت . ذهبتُ استمع الى خطاباتهم . ماذا في ذلك ؟

زاخار : لكن ، أفلا تفهم ؟ يبدو أن المرحوم أرسل برقية الى سلطات المدينة لترسل قوات عسكرية ، وقد جاء جوابها يقول ان هذه القوات ستصل في صبيحة الغداة .

الجنرال : أها ! جنود ! هذا كلام جدي ! فلن يكون ثمة حماقات وعلى المسرح جنود !

نيقولاي : هذا تدبير حكيم جداً !

زاخار : أنا لست على يقين من ذلك . اذا جاءت القوات العسكرية ازداد هياج العمال أكثر من أي وقت آخر . والرب وحده يعلم ما يمكن أن يقدموا عليه اذا لم نفتح المعمل ! أعتقد أني فعلت الصواب . فعلى الأقل لن تراق الدماء .

نيقولاي : لي وجهة نظر أخرى في الموضوع . ما كان يجب أن تستجيب لكل مطالب أولئك . . . المخلوقات ، ولو احتراماً لذكرى المرحوم فقط .

زاخار : ولكن الا ترى أن هذا يمكن أن يقود الى مأساة أعظم ؟

نيقولاي : هذا لا يعنيني في كثير أو قليل .

زاخار : صحيح ، ولكن ماذا عني ؟ أنا الذي سأعيش بين

العمال ! فاذا أريق دمهم . . . فيمكن أن يدمروا المعمل بأسره !

نيقولاى : لا أعتقد ذلك .

الجنرال : ولا أنا أيضاً !

زاخار (بقنوط) : وهكذا ، فأنت تلومني على ما فعلت ها ؟

نيقولاي : أجل ، ألومك .

زاخار (بصدق) : لماذا يجب أن تكون هذه العداوة كلها ؟ انما أريد شيئاً واحداً ، ألا وهو تفادي هول هو عظيم الاحتمال . لا أريد اراقة الدماء . أحق أنه يستحيل ايجاد طريقة مسالمة ومعقولة للحياة ؟ أنت تحقد عليّ ، والعمال لا يثقون بي . أريد أن أفعل ما هو حق . الحق وحده !

الجنرال : من يدري ما هو الحق ؟ بل هذه ليست كلمة ، ولكن مجموعة من الأحرف ليس غير . ح من أجل حمار ، ق من أجل قرف . ولكن الاعمال هي الأعمال ، أفليست الأمور كذلك ؟

ناديا (وعيناها تغصان بالدموع) : ألا فاهدأ ، يا جداه . زاخار ايفانوفيتش . . لا تنزعج . انه لا يفهم . أواه ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ، لماذا أنت لا تفهم ؟ أنت ذكي جداً . لماذا لا تثق بزوج خالتي ؟

نيقولاي : آسف . ولكني سأذهب ، يا زاخار ايفانوفيتش . أنا لم أعتد أن يتدخل الأطفال في شؤون المعمل .

(يخرج)

زاخار : أرأيت ذلك ، يا ناديا ؟

ناديا (تمسك يده) : لا عليك . الأمر الهام هو أن يرضى العمال . ثمة الكثيرون منهم ، وعددهم أكثر منا .

زاخار : انتظري لحظة . . . يجب أن أقول لك اني مستاء كثيراً منك ، يا ناديا . كثيراً .

الجنرال : وكذلك أنا !

زاخار : أنت تتعاطفين مع العمال . هذا أمر طبيعي في مثل سنك ، انما لا يجوز لك أن تفقدي حس الفارق بينك وبينهم ، يا عزيزتي . هذا الصباح جئت بذلك الفتى غريكوف الى المائدة . اني أعرفه ، فهو فتى ذكي . بيد أنك ما كنت تملكين الحق في اغاظة خالتك بسببه .

الجنرال : هذا حق ! لا تقصّر في تعنيفها !

ناديا : ولكنك لا تعرف كيف حدث ذلك كله .

زاخار : تستطيعين أن تكوني على يقين من أني أعرف أكثر مما تعرفين أنت . قومنا قساة وغير مثقفين ، ان أعطيتهم اصبعاً أطبقوا على اليد بأسرها .

تاتيانا : كما يتعلق الرجل الغريق بقشة .

زاخار : انهم جشعون أفظاظ ، ولا ينبغي ملاطفتهم ، بل تثقيفهم . هذا هو الواقع – تثقيفهم . كوني طيبة وفكري في الأمر ملياً .

الجنرال : والآن سأقول كلمتي . الشيطان وحده يعلم كيف كان سلوكك نحوى ، أنت أيتها الثعلبة الصغيرة . فلأذكّرك بأنه لا بدّ لك من أربعين سنة حتى تلحقي بي في مضمار السن ، وينبغي لك أن تنتظري هذه المدة

كلها قبل أن أسمـــع لك بمخاطبتي كندّ . تذكري هذا . كون !

كون (من بين الأشجار) : هذا أنا .

الجنرال : أين ذلك . . . ماذا نسميه . . . ذلك البزال ؟

كون : أي بزال ؟

الجنرال : ذلك . . . ما اسمه ؟ ذلك الناحل المراوغ . . .

كون : أوه ، بولوغي . لا أدري .

الجنرال (يذهب صوب الخيمة) : ابحث عنه .

(يذهب زاخار ويأتي مطرق الرأس ، يمسح نظارتيه بمنديل جيبه . تجلس ناديا مستغرقة في تفكير عميق ، فيما تاتيانا لا تبرح واقفة تراقبهما)

تاتيانا : هل عُرف القاتل ؟

زاخار : يقولون انهم لا يعرفون ، ولكنهـــم وعدوا بالعثور عليه . انهم يعرفون طبعاً . أعتقد . . . (يتطلع حواليه ويخفض صوته) أعتقد أنهم اتفقوا على ذلـــك فيمـــا بينهم . تلك مؤامرة . صحيح أنه أغاظهم حتى درجـــة اليأس . لم يكن يقف عند حد . لقد كان حب القوة داء أصابه . وهكذا قتلوه . ذلك شنيـــع طبعاً ، أليس كذلك ؟ شنيع في بساطته بالذات . لقد قتلوه فعلاً ، وهم ما برحوا ينظرون اليـــك بأعين صافيـــة صريحة ، فكأنهم لا يدركون أنهم ارتكبوا اثماً . ان ذلك كلـــه بسيط بصورة مروّعة .

تاتيانا : يقولون ان سكروبوتوف كان على وشك اطلاق النار حين انتزع أحدهم المسدس من يده و . . .

زاخار : هذا لا يهمُّ . فهم الذين ارتكبوا جريمة القتل ، وليس هو .

ناديا : لماذا لا تجلس ؟

زاخار : لماذا أرسل في طلب الجنود ؟ لقد اكتشفوا ذلك مثلما هم يكتشفون كل شيء ، وهذا عجَّل بموته . طبعاً لم يكن لي بدّ من فتح بوابات المعمل . فلو لم أفعل ذلك ، لفسدت علاقاتي معهم لفترة مديدة من الزمن . هذا وقت ينبغي للمرء أن يظهر لهم فيه مقداراً أكبر من الاهتمام والاعتبار . من يدري كيف يمكن أن ينتهي ذلك ؟ الانسان العاقل لا بدّ له ان يحرص في مثل هذا الوقت على أن يكون له أصدقاء بين عامة الشعب . (يظهر ليفشين على المسرح .) من القادم ؟

ليفشين : هذا نحن . . . نقوم بالحراسة .

زاخار : حسنا ، يا ليفشين ، الآن وقد قتلتم انساناً أصبحتم لطافاً مسالمين ، ها ؟

ليفشين : نحن دائماً كذلك ، يا زاخار ايفانوفيتش . . . دائماً مسالمون .

زاخار (منتهراً) : آه ، وأنتم تقتلون الناس بصورة مسالمة ، ها ؟ وبالمناسبة ، فقد بلغني أنك تنشر بعض الأفكار ، يا ليفشين . بعض الأفكار الجديدة الخبيثة عن عدم الحاجة الى المال والمعلمين وما شابه من الأشياء بعد

الآن . هذا أمر يمكن الصفح عنه . . . هذا أمر يمكن فهمه . . . عند ليف تولستوي . ولكن من الأفضل أن تكفّ عنه ، يا صديقي فلن ينتج شيء حسن عن مثل هذا الكلام .

(تخرج تاتيانا وناديا من اليمين ، حيث يسمع صوتا سينتزوف وياكوف . يظهر ياغودين من خلف الأشجار .)

ليفشين (بهدوء) : أي كلام ؟ لقد عشت طويلاً ، وفكرت ملياً ، وأنا أقول ما أفكر فيه .

زاخار : ليس المعلمون وحوشاً . ينبغي لكم أن تفهموا هذا . أنتم تعرفون أني لست امرءا وضيعاً ، وأنا على أتم الاستعداد دائماً لمساعدتكم . اني أريد أن أصنع ما هو أفضل .

ليفشين (متنهداً) : أثمة انسان يريد أن يسيئ الى نفسه ؟

زاخار : لكن ، ألا تستطيعون أن تفهموا أني أريد أن أصنع ما هو أفضل لكم ؟

ليفشين : نحن نفهم ذلك .

زاخار (يحدّق فيه) : لا ، انت مخطئ . أنتم لا تفهمون . يا لكم من قوم غريبين – أنتم أحياناً مثل الحيوانات ، وفي أحيان أخرى مثل الأطفال الصغار .

(يخرج . يظل ليفشين واقفاً معتمداً عصاه يراقبه وهو يذهب .)

ياغودين : قرأ عليك موعظة أخرى ؟
ليفشين : انه صيني . صيني حقيقي . ماذا يحاول أن يقول ، يا ترى ؟ أنه لا يستطيع أن يفهم أي انسان آخر سوى نفسه !
ياغودين : يقول انه يريد أن يصنـــع ما هو حق ، ما هو أفضل .
ليفشين : صحيح .
ياغودين : فلنذهب ، فهؤلاء هم قادمون .

(ينسحب ليفشين وياغودين الى أعماق الحديقة . تدخل تاتيانا وناديا وياكوف وسينتزوف الى المسرح من الجانب الأيمن)

ناديا : اننا لا نبرح ندور وندور في حلقات مفرغة فكأننا في حلم .
تاتيانا : أتودُّ شيئاً تأكله ، يا ماتفي نيقولايفيتش ؟
سينتزوف : أفضل قدحاً من الشاي . لقد تكلمت كثيراً اليوم حتى يؤلمني حلقي .
ناديا : ألا تخاف شيئاً ألبتة ؟
سينتزوف (يجلس الى المائدة) : أنا ؟ كلا ، لا شيء عـــلى الاطلاق !
ناديا : اني خائفة . لقد اختلطت الأشياء بصورة مباغتة ، فأنا لا أستطيـــع الآن أن أميز من هو المصيب ومن هو المخطئ .
سينتزوف (مبتسماً) : لسوف تصحح هذه الأشياء . انما لا

تخافي من التفكير . فكري دون جزع ، ولا تتوقفي عن التفكير حتى تبلغي النهاية . على العموم ، ليس هناك ما يخشى جانبه .

تاتيانا : أتعتقد أن كل شيء هدأ ؟

سينتزوف : نعم . فالعمال ، نادراً ما يربحون ، وكل انتصار صغير يحمل اليهم رضى عظيماً .

ناديا : هل أنت مغرم بهم ؟

سينتزوف : ليس هذا بالمقصود . لقد عشت معهم زمناً طويلاً ؛ وأنا أعرفهم وأعرف قوتهم . اني أؤمن بذكائهم .

تاتيانا : وأن المستقبل لهم ؟

سينتزوف : أجل ، أؤمن بذلك أيضاً .

ناديا : المستقبل . هذا شيء لا أستطيع تصوّره .

تاتيانا (مستهزئة) : انهم عصابة خبيثة ، بروليتاريوك هؤلاء ! فقد جربت وناديا أن نتحدث اليهم ، ولكن شيئاً لم ينتج عن ذلك الحديث .

ناديا : لم يكن ذلك على شيء كثير من اللطف . لقد تحدث الينا الرجل العجوز وكأننا شريرتان . جاسوستان أو شيء من هذا القبيل . ولكن هناك رجلاً آخر ، غريكوف . . . انه ينظر الى الناس بصورة مختلفة . الرجل العجوز يبتسم أبداً فكأنه يرثي لنا ، فكأننا مريضتان .

تاتيانا : كفّ عن الاكثار من الشرب ، يا ياكوف . لا أطيق أن أنظر اليك .

ياكوف : ماذا ينتظر مني أن أفعل ؟
سينتزوف : أليس ثمة شيء آخر تفعله ؟
ياكوف : أحس قرفاً ، قرفا لا يقهر ، من العمل وكل ما يتعلق به . اسمع ، أنا أنتسب الى المرتبة الثالثة .
سينتزوف : الى ماذا ؟
ياكوف : المرتبة الثالثة . الناس مقسمون الى مراتب ثلاث : المرتبة الأولى تتألف من أولئك الذين يعملون طوال حياتهم ، والثانية من أولئك الذين يوفرون المال ، والثالثة من أولئك الذين لا يريدون أن يكسبوا خبزهم لأنه لا معنى في ذلك ، ولا يستطيعون أن يوفروا المال لأن ذلك جنون - حسناً ، ذلك دون مستواهم . وهذه المرتبة الثالثة - هي أنا . والى هذه المرتبة ينتسب سائر الناس الكسالى ، الأفاقون ، والرهبان ، والمتسولون ، والطفيليات الأخرى في هذا العالم .
ناديا : لماذا تقول مثل هذه الأشياء المضجرة ، يا عماه ؟ وأنت لست على هذا الغرار أبداً . فأنت لطيف رقيق القلب .
ياكوف : وبكلام آخر لا أنفع شيئاً . هذا ما أدركته منذ كنت في المدرسة . ان الناس يلتحقون بهذه المراتب الثلاث قبل أن يكبروا .
تاتيانا : كانت ناديا على حق عندما قالت انك مضجر ، يا ياكوف .
ياكوف : أنا أوافقها . يا ماتفي نيقولايفيتش ، هل تعتقد أن للحياة وجها ؟

سينتزوف : ربما . . .

ياكوف: ان لها وجهاً . ووجهها فتي على الدوام . قبل زمن غير بعيد كانت الحياة تنظر اليّ في لامبالاة ، أما الآن فهي تنظر اليّ بصرامة ولا تبرح تسأل : «من أنت ؟ الى أين أنت ذاهب ؟» (يبدو أنه خائف من شيء ما ، وحين يجرّب أن يبتسم ترتجف شفتاه ويلتوي محياه في تكشيرة تبعث على الشفقة .)

تاتيانا : أوه ، دع عنك هذا ، يا ياكوف . . . هذا المدعي العام قادم . . . لا أريدك أن تقول مثل هذه الأشياء أمامه .

ياكوف : حسناً .

ناديا (بصوت خافت) : كل امرئ يتوقع أن يحدث شيء مخيف . لماذا لا يسمحون لي بمصادقة العمال ؟ ذلك سخيف جداً .

نيقولاي (مقترباً) : هل أستطيع أن أتناول قدحاً من الشاي ؟

تاتيانا : طبعاً .

(يجلس الجميع في سكون بضع ثوان فيما يقف نيقولاي يحرك ملعقة في قدح الشاي .)

ناديا : أودّ أن أعلم لماذا لا يثق العمال بزوج خالتي ، وعلى العموم . . .

نيقولاي (متجهماً) : هم لا يثقون الا بأولئك الذين يلقون الخطب في موضوع : «يا عمال العالم ، اتحدوا !» انهم يثقون بهم كل الثقة .

ناديا (بصوت خافت ، وهي تهزُّ كتفيها) : هذه الكلمات – هذا النداء الى عمال جميع البلدان – تجعلني أتصوَّر أني أخرج عن نطاقه ، فكأن الناس الذين مثلنـا غير مرغوب فيهم .

نيقولاي (في هياج) : صحيح تماماً ! كل انسان متحضر لا بدّ أن يشعر بمثل هذا الشعور ، واني على يقين أن نداء آخر سيتردد عما قريب : «يا شعوب العالم المتحضرة ، اتحدوا !» لقد آن الأوان للمناداة بذلك . آن الأوان ! ان البرابرة على وشك أن يدوسوا بالأقدام ثمار آلاف السنوات من الحضارة . هم في سبيلهـم الى ذلك ، يدفعهم جشعهم ونهمهم !

ياكوف : انهم يحملون أرواحهم في معداتهم ، معداتهم الفارغة ، وذلك منظر يدفعكم الى الشرب .

(يصب لنفسه كأساً من الجعة)

نيقولاي : القطيع آتٍ ، يستحثـه الجشـع ، وقد وحدت صفوفهم رغبتهم الواحدة ، ألا وهي ابتلاع كل شيء .

تاتيانا (متفكرة) : القطيـع . . القطيـع في كل مكان . في المسارح ، في الكنائس . . .

نيقولاي : ماذا يستطيع هؤلاء الناس أن يعطوا ؟ لا شيء سوى الدمار . . . ولاحظوا أن الدمار سيكون أشدّ هولاً هنا ، بيننا ، منه في أي مكان آخر .

تاتيانا : يبدو لي غريباً دائماً أسمع الناس يتحدثون عـن العمال كبشر متقدمين . هذا بعيد عن فهمي لهم .

نيقولاي : وأنت ، أيها السيد سينتزوف ؟ . . لا أعتقد أنك توافقنا !
سينتزوف (بهدوء) : لا ، لست أوافقكم .
ناديا : هل تذكرين ، يا عمتي تانيا ، ما قال الرجل العجوز عن الكوبيك ؟ كان كلامه بسيطاً جداً .
نيقولاي : لماذا لا توافقنا ، يا سيد سينتزوف ؟
سينتزوف : لأني أفكر بطريقة مختلفة .
نيقولاي : جواب معقول جداً . ولكن لعلك تقاسمنا وجهات نظرك ؟
سينتزوف : لا أعتقد أني أبالي بذلك .
نيقولاي : يؤسفني كثيراً أن أسمع ذلـــك . وانما يعزيني الأمل في أن موقفك سيتبدل عندما نلتقي مرة أخرى . يا ياكوف ايفانوفيتش ، أرجو أن ترافقني الى البيت ، أن كنت لا أثقل عليك بذلك . لقد تحطمت أعصابي .
ياكوف (ينهض بصعوبة) : بكل سرور ، بكل سرور .

(يخرجان)

تاتيانا : هذا المدعـــي العام شخص بغيض . ومن الصعب موافقته على أى شيء ينطق به .
ناديا (تنهض) : اذن ، فلماذا توافقينه ؟
سينتزوف (مستهزئاً) : أجل لماذا ، يا تاتيانا بافلوفنا ؟
تاتيانا : ذلك أن آراءنا متشابهة .
سينتزوف (الى تاتيانا) : أنت تفكرين مثـــل تفكيره ، لكن

شعورك يختلف عن شعوره . أنت تريدين أن تفهمي ، أما هو فلا يعنى بذلك مطلقاً . فالفهم لا يعنى شيئاً بالنسبة اليه .

تاتيانا : لا بدّ أنه شديد القسوة .

سينتزوف : بلى ، أنه كما تقولين . هو يعالج في المدينة القضايا السياسية ، وموقفه من أولئك الذين يعتقلون يبعث على الاشمئزاز .

تاتيانا : وبالمناسبة ، فقد كتب شيئاً عنك في مفكرته .

سينتزوف (مبتسماً) : لا أشك في ذلك . لقد تحدث كثيراً الى بولوغي وهو لا يفوته شيء على الاطلاق . تاتيانا بافلوفنا ، لي رجاء عندك .

تاتيانا : سأكون سعيدة بانجاز كل ما في وسعي .

سينتزوف : شكراً لك . أعتقد أن الدرك قد استدعوا .

تاتيانا : صحيح .

سينتزوف : هذا يعني أنهم سيفتشون الدور . أيمكنك أن تخبئي شيئا لي ؟

تاتيانا : أتظن أنهم سيفتشون بيتك ؟

سينتزوف : بكل تأكيد .

تاتيانا : وقد يعتقلونك ؟

سينتزوف : لا أظن ذلك . ولمَ يفعلون هذا ؟ لأني ألقي خطابات ؟ ولكن زاخار ايفانوفيتش يعلم أني أدعو العمال الى النظام في جميع خطاباتي .

تاتيانا : وهل ماضيك نظيف ؟

سينتزوف : ليس لي ماضٍ . هل ستساعدينني ؟ ما كنت

أزعجك لولا اعتقادي أن سائر منازل الذين يمكن أن يخبئوا هذه الأشياء لي سوف تفتش غداً . (يضحك بصوت خافت)

تاتيانا (مرتبكة) : سوف أتحدث بصراحة . . . ان مركزي في هذه الدار لا يسمح لي باستعمال الغرفة التي أعطيت لي كأنها غرفتي الخاصة .

سينتزوف : وبكلام آخر لا تستطيعين ؟ حسناً ، اذن . . .

تاتيانا : أرجوك ألا تستاء مني .

سينتزوف : طبعاً لا . ان رفضك مفهوم تماماً .

تاتيانا : ولكن انتظر ، فسوف أتحدث الى ناديا .

(تخرج . ينقر سينتزوف بأصابعه على المائدة وهو يراقبها تبتعد . تُسمع خطوات متلصصة)

سينتزوف (بصوت خافت) : من هناك ؟

غريكوف : هذا أنا . هل أنت وحيد ؟

سينتزوف : نعم ، ولكن ثمة أناساً يتجولون في الأنحاء . ما هي أخبار المعمل ؟

غريكوف (يضحك ضحكة قصيرة) : أنت تعلم أنهم وافقوا على البحث عن ذلك الذي أطلق النار . وهم يقومون بتحقيق الآن . ويصيح البعض أن الاشتراكيين هم الذين قتلوه – أولئك الذين يحاولون أن ينقذوا جلودهم .

سينتزوف : هل تعرف – من فعل ذلك ؟

غريكوف : أكيموف .

سينتزوف : حقاً ؟ أفٍ . . . ما كنت أتوقع ذلك ! فهو فتى لائق وعاقل .

غريكوف : انه ملتهب المزاج . وهو يريد أن يسلم نفسه . ان له زوجة وولداً ، وولداً آخر على الطريق . . تحدثت الى ليفشين لتوّي ، وهو يهرف طبعاً . يقول ان علينا أن نستبدل بأكيموف شخصاً آخر أقل أهمية منه .

سينتزوف : هذيان عجيب ! لكنني آسف لسماع هذه الأمور ! (يسكت .) اسمع ، يا غريكوف ، عليك أن تدفن كل شيء في الأرض . . ليس ثمة مكان آخر لاخفائه .

غريكوف : وجدت مكاناً . فقد وافق عامل البرق على أخذ كل شيء . ولكن من الأفضل أن تبتعد من هنا ، يا ماتفي نيقولايفيتش .

سينتزوف : لا ، لن أذهب الى أي مكان مطلقاً .

غريكوف : سوف يعتقلونك .

سينتزوف : ليكن ! سوف يترك ذهابي انطباعـاً سيئاً في العمال .

غريكوف : هذا صحيح . لكنني آسف لك .

سينتزوف : هراء ، فأكيموف هو الذي يجب أن نأسف له .

غريكوف : أجل ، وليس ما نستطيع في سبيـل مساعدته . يريد أن يسلم نفسه . من المضحك أن أراك في دور حارس أملاك المعلمين .

سينتزوف (مبتسماً) : ليس من سبيل آخر . أعتقد أن رفاقي نيام ؟

غريكوف : كلا ، بل اجتمعوا كي يناقشوا الأمور . الليـــل رائع .
سينتزوف : سأكون سعيداً بمرافقتك ، ولكن لا بدّ لي من الانتظار . من الأرجح أن يعتقلوك أنت الآخر .
غريكوف : وبذلك نقضي أيام سجننا معاً . اني ذاهب .

(يخرج)

سينتزوف : وداعاً (تدخل تاتيانا .) لا تزعجي نفسك ، يـــا تاتيانا بافلوفنا . لقد رتبت كل شيء ! وداعاً .
تاتيانا : اني آسفة كل الأسف .
سينتزوف : طابت ليلتك .

(يخرج . تذرع تاتيانا أرض المسرح بخطوات خفيفة ، متفحصة بوزي حذائيها . يدخل ياكوف .)

ياكوف : لماذا لا تذهبين الى فراشك ؟
تاتيانا : لا أريد ذلك . اني أفكر في الرحيل عن هذا المكان .
ياكوف : هم – م – م . أما أنا ، فلا مكان لي أذهب اليه . لقد اجتزت سائر القارات والجزر .
تاتيانا : هذا المكان يبعث اليأس في القلب . الاشياء جميعاً تتأرجـــح وتبعث في رأسي الدوار . اني مضطرة أن أكذب ، وأنا لا أستطيع أن أطيق الكذب .
ياكوف : صحيح . أنت لا تستطيعين ان تطيقي الكذب . من سوء حظي أنا ، من سوء حظي .

تاتيانا (لنفسها) : ولكنني في هذه اللحظة بالضبط كذبت . من المؤكد أن ناديا كانت توافق على اخفاء تلك الأشياء ، ولكنني لا أملك الحق في دفعها على هذه الطريق .

ياكوف : عمّ تتحدثين ؟

تاتيانا : لا شيء على التعيين . ما أغرب ذلك ! البارحة كان كل شيء واضحاً جليا ، وقد حسبت أني عرفت ما أريد .

ياكوف (بصوت خافت) : ان السكيرين الموهوبين ، والعاطلين الجميلين ، وسائر أعضاء المهن الفكيهة لم يعودوا يجتذبون الانتباه . اهتمّ الناس بنا بقدر ما كنا في تضاد مع بلادة الحياة اليومية . ولكن الحياة اليومية تزداد اليوم مأسوية أكثر فأكثر . ويصيح الناس بنا : «هيْ ، أنتم أيها المهرجون والممثلون ! أخرجوا من المسرح !» ولكن المسرح ميدانك ، يا تاتيانا .

تاتيانا (بقلق) : ميداني ؟ أجل ، حسبت مرة أني اقف بثبات على المسرح ، وأني أستطيع هناك أن أبلغ ذرىً مرتفعة . (بشدة وألم .) اني أحس البؤس والخزى أمام هؤلاء الناس الذين يراقبونني بأعين باردة صامتة تلوح كأنها تقول : «اننا نعرف ذلك كله ، فهو قديم ممل .» أحس الضعف أمامهم فأنا عزلاء من كل سلاح . . . لا أستطيع أن أستولي على قلوبهم وأن أثير عواطفهم . أريد أن ارتعش فرحاً وخوفاً ، أريد أن أقول كلمات ملأى بالنار ، والهوى ، والحقد ! كلمات حادة كالسكين ، ملتهبة كالشعلة . . . لأريد

أن أصبها بسخاء واسراف أمام الناس . ألا فليشتعل المستمعون اليّ ، وليصيحوا ، ويولوا الادبار . . . لكن ليس ثمـــة مثل هذه الكلمات . وكنت أعترض سبيلهم بأن أقذفهم بكلمات أخرى ، كلمات جميلة هذه المرة ، جميلة مثل الورد ، ملأى بالرجاء ، والحب ، والفرح ! ولسوف يبكون ، وكذلك أبكي أنا . سوف أبكي بعبرات رائعة ! ولسوف يهتفون لي ، ويغرقونني بالأزهار ، ويرفعونني على أيديهم . وسوف يكونون في قبضة يدي لبرهة من الزمان ، فأحيا لبرهة من الزمن حياة نابضة . كل الحياة في تلك البرهة الوحيدة ! لكنه لا وجود لمثل تلك الكلمات الحية المتأججة .

ياكوف : اننا نعرف جميعاً كيف نعيش لبرهة واحدة فقط .

تاتيانا : أفضل الأشياء في الحياة تحدث للحظة واحدة فقط . لشدّ ما أود أن أرى الناس على صورة أخرى – أن أراهم أكثر استجابـــة ! وأن أرى الحياة على صورة أخرى – أقل عبثاً ! حياة يكون الفن فيها لا غنى عنه – للجميع وبصورة دائمــــة . كيما يكون لي في الحياة مكان . . . (يحدق ياكوف في الظلمة بعينين واسعتين .) فيمَ تشرب بمثل هذا الاسراف ؟ لقد قتلت نفسك . لقد كنت جميلاً مرة .

ياكوف : انسي ذلك .

تاتيانا : أفلا تستطيع أن تفهم كم يصعب ذلك عليّ ؟

ياكوف (بهلع) : مهما أكن سكران ، فأنا أفهم كل شيء . وهذه مصيبتي . فكري يعمل ويعمـــل بعناد ملعون .

يعمل بصورة دائمة . واني لأرى بصورة دائمة وجهاً فارغاً ، عريضاً ، غير مغسول ، ذا عينين هائلتين لا يبرحان يرددان السؤال : «والآن ؟» هذه الكلمة ليس غير : «والآن» ؟

بولينا (تدخل مسرعة) : تاتيانا ! أرجوك أن تأتي الى هنا ، يا تاتيانا . انها كليوباترا . لقد فقدت عقلها . فهي تهين كل الناس . ربما استطعت أن ترديها الى الصواب .

تاتيانا (بشقاء) : دعوني من مشاحناتكم . التهموا بعضكم بعضاً اذا شئتم ، لكن كفوا عن الارتماء تحت أقدام الآخرين .

بولينا (مرتاعة) : تاتيانا ! ماذا أصابك ؟ ما هذا الذي تقولين ؟

تاتيانا : الى مَ تسعين ؟ ماذا تريدين ؟

بولينا : أنظري اليها فقط . هذه هي قادمة .

زاخار (من خارج المسرح) : اسكتي ! أتوسل اليك !

كليوباترا (من خارج المسرح أيضاً) : أنت الذي يجب أن تسكت في حضوري !

بولينا : سوف تأخذ في الصياح هنا ، وسائر هؤلاء الفلاحين فيما حولنا . . ذلك فظيع ، يا تاتيانا . أرجوك .

زاخار (يدخل) : أخشى أني في طريق الجنون .

كليوباترا (تتبعه) : لا تستطيع فراراً مني . سوف أجبرك على الاصغاء اليّ . لقد لعبت على العمال لأنك بحاجة الى احترامهم . ألقيت اليهم حياة بشرية كما تلقي قطعة من

اللحم الى كلاب هائجـــة . أنت انساني على حساب الآخرين ، بثمن دماء الآخرين !

زاخار : ماذا تقول ؟

ياكوف (الى تاتيانا) : من الأفضل أن تخرجي . (يخرج .)

بولينا : أنظري اليّ ، يا سيدتي الرائعة . اننا قوم لائقون ، ولن نسمح لامرأة لها سمعتك أن تصيح في وجهنا . . .

زاخار (مرتاعاً) : احتفظي بهدوئك ، يا بولينـــا ، بحـــق السموات !

كليوباترا : ما الذي يجعلك تحسبين أنكم قوم لائقون ؟ لأنكم تثرثرون في قضايا السياسة ؟ في بؤس الجماهير ؟ في التقدم والانسانية ؟ أهذا هو السبب ؟

تاتيانا : كليوباترا بتروفنا ! كفي عن ذلك !

كليوباترا : أنا لا أتكلم معك . أنت لست من هذا المكان ، وليس هذا من شأنك البتـــة . كان زوجي انسانـــاً شريفاً – صريحاً وشريفا . وكانت معرفته بعامة الناس أفضل من معرفتكم بهم . وهو لم يثرثر مثلكم . ولقد خنتموه . قتلتموه ببلاهتكم الشريرة .

تاتيانا (الى بولينا وزاخار) : أخرجا ، أنت وهو !

كليوباترا : سأخرج أنا . أنت تبعثين فيّ الاشمئزاز . . . أنتم جميعاً تبعثون فيّ الاشمئزاز !

(تخرج)

زاخار : اليكم هذه المرأة المجنونة !

بولينا (تغصُّ بالدموع) : يجب أن نترك كل شيء ونرحل . أن تهين الناس على هذا النحو .

زاخار : ما الذي أصابها ؟ لو أنها كانت تحبُّ زوجها ، أو عاشت راضية معه ! أما أن تتخذ عاشقين على الأقل كل سنة ، ثم تروح تصيح على هذا المنوال !

بولينا : يجب أن نبيع المعمل !

زاخار (بتكدُّر) : نتركه ، نبيعه . . . ليس هذا هو المخرج . ينبغي أن نفكر في الأمور ، وأن نفكر فيها ملياً . لقد كنت أتحدث الى نيقولاي فاسيليفيتش عندما اندفعت هذه المرأة بيننا وقطعت علينا حديثنا .

بولينا : نيقولاي فاسيليفيتش يكرهنا هو الآخر . انه انسان وضيع .

زاخار (وقد تمالك نفسه) : انه غاضب ومصدوم . لكنه شخص ذكي ، ولا سبب لديه كي يكرهنا . ثمة اعتبارات عملية خالصة تربطه بنا منذ وفاة ميخائيل .

بولينا : اني خائفة منه ، ولا أثق به . لسوف يخدعك .

زاخار : هذا كله هراء ، يا بولينا . انه صاحب محاكمة ممتازة . أجل ، انه كذلك . والحقيقة أني اتخذت موقفا مبهما في علاقاتي مع العمال ؛ يجب أن أعترف بذلك . عندما تحدثت اليهم ذلك المساء — آه يا بولينا ، لا تستطيعين أن تتصوري كم كانوا ثائرين ضدنا !

بولينا : قلت لك ذلك . وهذا هو بالضبط ما قلته . سوف يكونون أعداءنا على الدوام ! (تضحك تاتيانا بصوت خافت وتغادر المكان . تنظر بولينا اليها وترفع صوتها

عمداً ، وهي تسترسل في حديثها .) الجميع أعداء لنا ! هم جميعاً يحسدوننا ، وهذا هو السبب في أنهم يقفون جميعاً ضدنا .

زاخار (يسير مسرعاً في غدوة ورواح) : أجل ، أنت على حق جزئيا بالطبع . يقول نيقولاي فاسيليفيتش : القضية ليست قضية نضال بين الطبقات ، بل قضية نضال بين العرقين – الأسود والأبيض . طبعاً ، ان في هذا القول شيئاً من القسوة . هذا تطرف ، اذا جاز التعبير . ولكن حين نتوقف كي نفكر في أننا ، نحن القوم المثقفين ، خلقنا العلم ، والفن ، وما الى ذلك ، فان المساواة – المساواة الفيزيولوجية – وَيْ . . . حسناً ، لا بأس . ولكن فليصبحوا انسانيين أولاً ، فليتحضروا وعندئذ نتحدث عن المساواة .

بولينا (في احتراس) : هذا شيء جديد عندك لم أسمعه قط منك قبلاً .

زاخار : هذا كله تقريبي بعد ، لم أتمعن فيه بصورة تامة . هذا هو الشيء الرئيسي : اعرف نفسك .

بولينا (تمسك به من ذراعه) : أنت رقيق القلب جداً ، يا عزيزي . وهذا ما يجعل الأمور على مثل هذه الصعوبة بالنسبة اليك .

زاخار : اننا نعرف الشيء القليل جداً ، وهذا هو السبب في دهشتنا المتكررة . خذي سينتزوف ذاك ، مثلاً . لقد أدهشني وأثار عطفي – هذه البساطة ! هذا التفكير

المنطقي ! ولقد تبين أنه اشتراكي ، ومن هناك يستقي منطقه وبساطته .

بولينا : آه ، بلى . انه يجتذب الانتباه بقوة . مثل ذلك الوجه الباعث على النفور ! لكنك تحتاج الى بعض الراحة ، أفلا تعتقد أنه من الأفضل أن نذهب ؟

زاخار (يتبعها) : ثم هناك عامل آخر – غريكوف . فتى صفيق . لقد كنا ، نيقولاي فاسيليفيتش وأنا ، كنا نتحدث عن خطابه لتوّنا . ليس هو أكثر من صبي . ومع ذلك يتكلم بغطرسة عظيمة . . .

(يخرجان . سكون . تسمع أغنية من خارج المسرح ، ثم أصوات خافتة . يدخل ياغودين ، وليفشين ، وريابتزوف ، وهو فتى يكثر من القاء رأسه الى الوراء ، وجهه مدور طيب السيماء . يقف ثلاثتهم تحت الأشجار .)

ليفشين (بصوت خافت وبلهجة من يقول سراً) : ذلك في سبيل القضية العامة ، يا بافل .

ريابتزوف : أعلم . . .

ليفشين : في سبيل القضية العامة ، القضية الانسانية . لكل نفس طيبة ثمن مرتفع هذه الأيام ، يا أخي . أبناء الشعب ينهضون بعقولهم . انهم يصغون ، ويقرأون ، ويفكرون . وأولئك الذين توصلوا منهم الى الفهم لا يقدّرون بثمن . . .

ياغودين : هذا صحيح ، يا بافل .

ريابتزوف : أعلم ذلك . فلا ضرورة لهذا الحديث . سوف أفعل ذلك .

ليفشين : لكن لا يجوز أن تفعله بدافع الحماسة وحدها . ينبغي أن تفهم لماذا . أنت شاب بعد ، وهذا يعني الأشغال الشاقة .

ريابتزوف : لا بأس في ذلك . سوف أهرب .

ياغودين : ربما لن يعني ذلك ، فأنت أصغر من أن يحكم عليك بالأشغال الشاقة ، يا بافل .

ليفشين : لنفكر أنه ليس كذلك . بقدر ما تزيد الأمور سوءا يكون ذلك أفضل . اذا أراد امرؤ أن يتحمل أسوأ العذاب ، فذلك يعني أنه عقد عزمه حتى النهاية .

ريابتزوف : لقد عقدت العزم .

ياغودين : لا تتسرع . فكر في الأمر ملياً . . .

ريابتزوف : فيمَ تريدني أن أفكر ملياً ؟ لقد قتل ، فلا بدّ اذن أن يتحمل شخص ما عواقب ذلك .

ليفشين : هذا صحيح . يجب أن يفعل شخص ما ذلك . واذا لم يتقدم شخص ويسلـِّم نفسه ، فسوف يـُدعى عدة أشخاص لتقديم الحساب عن ذلك . سوف يستدعون أفضل جماعتنا ليقدموا الحساب عن ذلك ، يا بافل ، أولئك الذين هم أعظم منك قيمة بالنسبة الى قضيتنا .

ريابتزوف : أنا لا أعترض ، أليس كذلك ؟ قد أكون شاباً ، لكنني أفهم . ينبغي لنا أن نتماسك بصورة متينة . مثل حلقات السلسلة .

ليفشين (متنهداً) : هذا صحيح .

ياغودين (مبتسماً) : سوف نضم أيدينا الى بعضها ، ونطوّقهم ، ونضيق عليهم الخناق ، وهكذا نخلص منهم !

ريابتزوف : حسناً ، لقد عقدت عزمي . ليست لي أسرة ، وهكذا فأنا الذي ينبغي لي أن أذهب . الا أنه أمر يؤسف له جداً أن ندفع ثمناً باهظاً من أجل مثل ذلك الدم الفاسد .

ليفشين : ليس من أجل ذلك الدم ، بل في سبيل مصلحة رفاقك .

ريابتزوف : أجل ، لكنني أعني أنه كان شرساً . حثالة ، تلك كانت حقيقته .

ليفشين : ولهذا السبب قُتل . الناس الطيبون يموتون ميتة طبيعية . فليس من يبتغي التخلص منهم .

ريابتزوف : حسناً ، أهذا كل شيء ؟

ياغودين : هذا كل شيء ، يا بافل . وهكذا سوف تخبرهم صباح الغداة ؟

ريابتزوف : لمَ الانتظار حتى الغداة ؟ انا قلت لكم : «عقدت عزمي !»

ليفشين : من الأفضل أن تنتظر حتى الغداة . فالليل ناصح جيّدٌ كالأم نفسها .

ريابتزوف : حسناً . هل أستطيع الذهاب الآن ؟

ليفشين : فليكن اللّه معك !

ياغودين : اذهب قدماً ، أيها الأخ ، وكن ثابتاً .

(يخرج ريابتزوف دونما عجلة . يتطلع ياغودين الى العصا التي يقلبها بين يديه . يحدق ليفشين في السماء .)

ليفشين (بصوت خافت) : يشبّ أناس رائعون كثيرون في هذه الأيام ، يا تيموفي .

ياغودين : طقس جيد ، محصول جيد .

ليفشين : يبدو أننا سنتخلّص من هذا المأزق .

ياغودين (في تعاسة) : ذلك سيىء جداً بالنسبة الى الصبي .

ليفشين (بصوت خافت) : أجل . ذلــــك سيىء جداً ، واني لأرثي له . . . يذهب الى السجن وبمثل هذه التهمة . والعزاء الوحيد أنه فعل ذلك من أجل رفاقه .

ياغودين : أجــــل .

ليفشين : لكن من الأفضل أن تمسك لسانك . تك ! تك ! ما الذي حمل أكيموف على شد ذلك الزناد ؟ أي خير في القتل ؟ لا خير على الاطلاق . أقتــــل كلباً ، فيشتري المعلم كلباً آخر ، وليس للرواية نهاية .

ياغودين (بحزن) : كم من جماعتنا يدفعون حياتهم ثمناً !

ليفشين : تعال ، أيهــــا الخفير ! ينبغي لنا أن نخفر أملاك المعلمين ! (يخرجان .) اللعنة !

ياغودين : ما بالك ؟

ليفشين : هذه الحياة القاسية ! لو كنا نستطيع فقط أن نسرع ونحقق شيئاً في هذا الشأن !

ستار

الفصل الثالث

غرفة كبيرة في دار باردين . في الجدار الخلفي أربع نوافذ وباب ينفتح على شرفة ومن خلف زجاج النوافذ يشاهد بعض الجنود ، ورجال الدرك ، وجماعة من العمال ، بينهم ليفشين وغريكوف . تلوح على الغرفة علامات عدم السكن : فالأثاث القليل يتألف من قطع غريبة بالية ، وورق الجدران ممزق ، وثمة طاولة عريضة موضوعة الى اليمين . ترتفع الستارة وكون يضع عدة مقاعد حول الطاولة غاضباً ، وأغرافينا تمسح الأرض . وثمة بابان مضاعفان عريضان في الجدارين الأيمن والأيسر .

أغرافينا : حسنا ، لا حاجة لأن تغضب مني !

كون : لست بغاضب . يمكنهم جميعاً أن يذهبوا الى الشيطان ولا أبالي . شكراً للسماء لأنني سأموت عاجلا . فقلبي ينهار منذ الآن .

أغرافينا : لسوف نموت جميعاً ، فليس ثمة مبرّر للمباهاة .

كون : لقد اكتفيتُ . . . قرفت من كل شيء . عندما تبلغين الخامسة والستين لن تتحملي قذارتهم أكثر مما تحمّلتِ . لكأنك تحاولين اذن كسر جوزة قاسية بلثّة لا أسنانَ فيها . . . تصوري جمع هؤلاء البشر جميعاً واغراقهم في الأمطار هناك خارجاً !

(يدخل رئيس الدرك بوبويدوف ونيقولاى من الباب الأيسر)

بوبويدوف (فرحاً) : اذن ستكون هذه قاعة المحكمة ؟ عظيم . أعتقد أنك تتصرف بصورة تتفق مع واجباتك المهنية ؟

نيقولاي : نعم . كون ، نادِ العريف !

بوبويدوف : والآن ، اليكَ كيف سننظم ذلك : في المركز ذلك . . . ما اسمه ؟

نيقولاي : سينتزوف .

بوبويدوف : سينتزوف . ذلك مؤثر جداً . ويحتفُ به عمال العالم المتحدون ، ها ؟ سيكون ذلك منظراً يبعث الدفء في القلب ! ان صاحب هذا المكان رجل لطيف ، لطيف جدا . كان انطباعي عنه يختلف كل الاختلاف . أنا أعرف زوجة أخيه من مسرح مدينة فورونيج . انها ممثلة بارعة . (يدخل كفاش من البوابة .) حسناً ، يا كفاش ؟

كفاش : فتشناهم جميعاً ، يا صاحب السعادة .

بوبويدوف : وماذا وجدت ؟

كفاش : لم نجد شيئاً . خبأوا كل شيء . اسمح لي أن أقول ان رئيس الشرطة كان في عجلة كبيرة من أمره بحيث لم يقم بواجبه على أكمل وجه ، يا سيادة النقيب .

بوبويدوف : كان يجب أن أتوقع هذا . فالشرطة هكذا دائماً . هل وجدت شيئاً في المنازل ؟

كفاش : وجدنا أشياء خلف الأيقونات عند ليفشين ، يا سيادة النقيب .

بوبويدوف : أحضروا كل شيء الى غرفتي .

كفاش : حاضر ، يا سيادة الرئيس . ذلـــك الدركي الشاب الذي قدم من الجيش حديثا . . .

بوبويدوف : ما شأنه أيضاً ؟

كفاش : هو الآخر لا يتقن عمله .

بوبويدوف : حسناً ، عليك الاشراف على ذلك بنفسك . هيا امض الآن . (يخرج كفاش .) يا له من مكار ، كفاش هذا . لا هو يملأ النظر ، وتلوح عليه بعض علائـــم البلاهة والغباء ، لكن له أنف كلب الصيد .

نيقولاى : أنصح لك أن توجّه عناية خاصة الى ذلك الكاتب ، يا بوغدان دينيسوفيتش .

بوبويدوف : آه ، بلى ، حقيقة . سنذيقه مرّ العلقم ، لا تخف .

نيقولاى : لا أتحدث عن سينتزوف ، بل عن بولوغي . أحسب أنه قد يكون ذا فائدة لنا .

بوبويدوف : آه ، ذلك الشاب الذى كنا نتحدث عنه ! أجل ، بالطبع . لسوف نجره الى القضية .

(يذهب نيقولاى الى الطاولة ويرتب بعض الوثائق بعناية)

كليوباترا (على الباب الأيمن) : ما رأيك بقدح من الشاى ، يا رئيس ؟

بوبويدوف : أجل ، شكراً لك ، ان كان ذلك لا يزعجـــك كثيراً . هذه المنطقة جميلة . بقعة لطيفة . ولقد تبين

أني أعرف السيدة لوغوفايا . أفلم تك تمثل على مسرح فورونيج ؟

كليوباترا : أعتقد ذلك . أعثرت على شيء عندما قمت بعملية التفتيش ؟

بوبويدوف (في لطف) : كل شيء . عثرنا على كل شيء . لا تقلقي ، في استطاعتك التأكد من أننا سنعثر على كل شيء دائماً . حتى ان لم يكن هناك ما يمكن العثور عليه .

كليوباترا : ما كان المرحوم زوجي ينظر الى هذه المنشورات في جدّ . وكان يقول دائماً ان الأوراق لا تصنع ثورة .

بوبويدوف : هِمْ . مما لا ريب فيه أن هذا ليس بصحيح تماماً .

كليوباترا : وكان يقول ان المنشورات هي أوامر سرية مرسلة من أناس حمقى الى أناس اغبياء .

بوبويدوف : يا للذكاء – ومع ذلك فهو غير صحيح .

كليوباترا : وترى الآن أنهم تقدموا من توزيع المنشورات الى مباشرة العمل .

بوبويدوف : يمكن أن تتأكدى من أنهم سيعاقبون بشدة – بشدة قصوى .

كليوباترا : تلك تعزية عظيمة . لقد شعرت بالراحة منذ قدومك .

بوبويدوف : من صلب عملنا أن نرفع معنويات الناس .

كليوباترا : لا أستطيع أن أعبر لك عن السرور الذى يغمر

المرء عندمـــا يجد شخصاً نجيعاً كفؤاً . مثـــل هؤلاء الاشخاص أمسوا قلّة هذه الأيام .

بوبويدوف : أواهِ ، الجميع أكفاء في فصائل الدرك عندنا .

كليوباترا : فلنمضِ الى الطاولة .

بوبويدوف (متحركاً) : بكل سرور ! هِمْ ، لعلك تستطعين اخباري أين تمثل السيدة لوغوفايا في هذا الموسم ؟

كليوباترا : آسفة . أنا لا أدري .

(تدخل تاتيانا وناديا من جهة الشرفة)

ناديا (مضطربة) : أرأيت كيف كان ذلك العجوز ليفشين ينظر الينا ؟

تاتيانا : نعم .

ناديا : كم تبدو كل هذه الاشياء غير لائقـــة ومخجلـــة ، بصورة فظيعة ! لماذا تفعـــل ذلـــك ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ؟ ولم اعتقل هؤلاء الناس ؟

نيقولاي (بجفوة) : ثمة أسباب أكثر من كافيـة تدعوني الى اعتقالهم . ويجب أن أطلب اليك ألا تستعملي الشرفة ما دام هؤلاء . . .

ناديا : أوه ، لن نفعل .

تاتيانا (ترنو الى نيقولاي) : وهل اعتقل سينتزوف أيضاً ؟

نيقولاي : لقد اعتقل السيد سينتزوف أيضاً .

ناديا (تراوح في الغرفة وتغادي) : سبعـــة عشر شخصاً ! وزوجاتهـــم واقفات عنـــد البوابات يبكين ويذرفـــن

العبرات . . والجنود يطردونهنّ ويهزؤون بهنّ . قل للجنود ان عليهم على الأقل أن يتصرفوا بصورة لائقة .

نيقولاي : ليس هذا من شأني . الملازم ستريبيتوف مسؤول عن الجنود .

ناديا : سأذهب وأسأله ذلك .

(تخرج من باب اليمين . تاتيانا تبتسم وتقترب من الطاولة .)

تاتيانا : أصغ ، يا مقبرة القوانين ، كما يدعوك الجنرال . .

نيقولاي : لا أجد الجنرال على قدر كافٍ من الذكاء . ولا أحب ترديد نكاته .

تاتيانا : أوه ، لا ، لقد أخطأتُ . نعش القوانين – هكذا يسميك . ألا تحب ذلك ؟

نيقولاي : لست في حال تسمح لي بالمزاح .

تاتيانا : أتريدني أن أعتقد أنك انسان جدّي ؟

نيقولاي : فلأذكرك أنهم قتلوا أخي نهار البارحة .

تاتيانا : وماذا يعني ذلك بالنسبة اليك ؟

نيقولاي : أستميحك عذراً ، انما . . .

تاتيانا (مبتسمة) : كفاك ادعاء ، فلست بآسف على أخيك . وأنت لم تحسّ الأسف على انسان أبداً . مثلي أنا ، على سبيل المثال . الموت ، أقصد الموت الفجائي ، صدمة دائماً . لكن اسمح لي أن أؤكد لك أنك لم تحسّ لحظة واحدة أسفاً صادقاً ، انسانياً ، على أخيك . فهذا ليس من خصالك .

نيقولاي (متضايقاً) : هذا يبعث على الاهتمام . ماذا تريدين مني ؟

تاتيانا : أفلم تلحظ أنني واياك روحان متقاربتان ؟ كلا ؟ هذا مؤسف ! أنا ممثلة – مخلوقة باردة جامدة العواطف ، تتملكني رغبة وحيدة – أن أمثّل دوراً جيداً . وأنت أيضاً قاسي القلب ، تواق مثلي الى دور جيد . أخبرني صراحة ، أتريد حقاً أن تكون مدعياً عاماً ؟

نيقولاي (بصوت خافت) : اريد ان تكفي عن هذا .

تاتيانا (ضاحكة بعد فترة صمت قصيرة) : انني دبلوماسية رديئة . جئت اليك على نية ان . . . أقصد أني نويت أن أكون لطيفة وفاتنة ، لكني لم أكد ألمحك حتى شرعت أهينك . فانت تحفزني دائماً الى الرغبة في ايذائك . أكنت تتنزه ام كنت تستريح ، أكنت تتحدث أم تصدر الأحكام على الناس في صمت . سوى أني أريد سؤالك . . .

نيقولاي (مطلقاً ضحكة قصيرة) : في امكاني تخمين ذلك .

تاتيانا : ربما ! لكني أعتقد أنني تأخرت كثيراً ؟

نيقولاي : سيكون الأوان قد فات في أي وقت . فالسيد سينتزوف متورط جداً .

تاتيانا : أعتقد انه يرضيك أن تخبرني بهذا ، أليس كذلك ؟

نيقولاي : لا أكتم ذلك .

تاتيانا (متنهدة) : هذا يبين بالضبط مبلغ الشبه الذي بيننا . فأنا أيضاً حقيرة وضيعة . قل لي – هل

سينتزوف واقع في قبضتك بصورة تامة ، أعني في قبضتك «أنت» على الخصوص ؟

نيقولاي : طبعاً .

تاتيانا : واذا سألتك اطلاق سراحه ؟

نيقولاي : لا تستفيدين شيئاً .

تاتيانا : حتى اذا سألتك ذلك بلهفة عظيمة ؟

نيقولاي : ذلك لا يغيّر شيئاً . . أنت تدهشينني .

تاتيانا : حقاً ؟ لماذا ؟

نيقولاي : أنت امرأة جميلة ذات فكر أصيل من دون ريب . أنت شخصية . وثمة فرص عديدة أمامك لتعيشي حياة رخصة مترفة . . . ومع ذلك تهتمين بهذا اللاشيء . ان الشذوذ مرض ، وكل رجل مهذب ينتابه الغيظ من جراء تصرّفك . . . وليس من يغفر لك هذا ممّن يعجبون بالنساء ويقدّرون الجمال .

تاتيانا (تنظر اليه بفضول) : اذن ، هذا حكمك عليّ ! واأسفاه ! وسينتزوف ؟

نيقولاي : سيذهب ذلك الجنتلمان الى السجن هذه الليلة .

تاتيانا : أذلك نهائي ؟

نيقولاي : أجل .

تاتيانا : دون اية تنازلات اكراماً لسيدة ؟ لا أصدق هذا . فاذا أنا رغبت في ذلك بشدة ، فسوف تطلق سراح سينتزوف .

نيقولاي (بصوت أجش) : حاولي أن ترغبي فيه بشدة — بشدة عظيمة .

تاتيانا : لا أستطيع . ولا أعرف كيف . لكن ، أصدقني – ولن يصعب عليك كثيرا أن تصدقني الحقيقة مرة في حياتك – هل ستفرج عنه ؟

نيقولاي (بعد صمت قصير) : لست أدري .

تاتيانا : أنا أدرى ! (صمت ، زفرة حرّى) يا لنـــا مــن وضيعين !

نيقولاي : ثمة أشياء لا تغتفر حتى في امرأة .

تاتيانا (في غير مبالاة) : أوه ، ماذا في ذلك ؟ نحن وحيدان . وليس من يسمعنا . ولي الحق أن أخبرك وأخبر نفسي أننا كلينا . . .

نيقولاي : أرجوك . لا أريد أن أسمع مزيدا .

تاتيانا (في هدوء واصرار) : وتظل الحقيقة أنك تضع لمبادئك ثمناً أرخص من ثمن قبلة من امرأة .

نيقولاي : قلت لك من قبل اني لا أبالي بالاستماع اليك .

تاتيانا (في هدوء) : أخرج من هنا اذن . أنا واثقة أنني لــن أستبقيك .

(يخرج بسرعة . تاتيانا تلفُّ نفسها بوشاحها ، وتقـــف في وسط الغرفة وترنو الى الشرفة . تدخل ناديا والملازم مـــن جهة اليمين)

الملازم : أقسم لك أن الجندي لا يمكن أن يهين امرأة قط . فالمرأة مقدسة بالنسبة اليه .

ناديا : حسنا ، سترى .

الملازم : هذا مستحيل . . فالموقف الفروسي من المرأة لم يحتفظ به سوى الجيش وحده .

(يعبران حتى الباب الأيسر . تدخل بولينا ، زاخار ، وياكوف .)

زاخار : أنت ترى ، يا ياكوف . . .

بولينا : لكن كيف يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك ؟

زاخار : يجب ان نواجه الواقع ، فالحاجة ماسة .

تاتيانا : عمّ تتحدثان ؟

ياكوف : انه ينشد لي مرثاة .

بولينا : أن يعدم الشعور على هذه الصورة المدهشة ! الجميع يلوموننا ، حتى ياكوف ايفانوفيتش ، ذلك الحليم الوديع أبداً . . وكأنها خطيئتنا إنْ جاء الجنود ! ولم يدع أحد الدرك أيضاً . انهم يجيئون دائماً من تلقاء أنفسهم .

زاخار : ويلومونني على هذه الاعتقالات !

ياكوف : أنا لا ألومك .

زاخار : لم تلمني مباشرة ، ولكني أشعر . . .

ياكوف (الى تاتيانا) : كنت جالساً هنالك عندما قدم وقال : «حسناً ، يا أخي ؟» فأجبته : «فسدت الأمور ، يا أخي» . وهذا كل شيء .

زاخار : أفليس في وسعك أن تفهم أن التبشير بالاشتراكية على النحو الذي تُقدَّم به ههنا مستحيل في اي مكان آخر ؟ ذلك لا يمكن أن يحدث أبداً !

بولينا : يمكن للناس جميعاً أن يهتموا بالسياسة وهذا أمر ضروري ، لكن ما دخل الاشتراكية بالسياسة ؟ هذا ما يقوله زاخار ، وانه لعلى حق .

ياكوف (مكتئباً) : أي صنف من الاشتراكيين هو العجوز ليفشين ؟ انه يهذي من العمل الشاق ليس غير ، من الانهاك المحض .

زاخار : جميعهم يهذون .

بولينا : يجب أن يكون في قلوبكم شيء من رحمة ، أيها السادة . فلقد قاسينا كثيراً .

زاخار : أتعتقدون أني لا أبالي لأنهم حولوا داري الى محكمة ؟ وذلك كله من صنع نيقولاي فاسيليفيتش ، ولكنكم لا تستطيعون مناقشته بعد مثل هذه المأساة .

كليوباترا (تدخل بسرعة) : أسمعتم ؟ لقد وجدوا القاتل . وهم يسوقونه الى هنا .

ياكوف (متمتماً) : آه ، بحقّ الاله . . .

تاتيانا : من هو ؟

كليوباترا : غلام . وأنا مسرورة . قد لا يكون ذلك انسانياً ، لكنني مسرورة . وحتى اذا تبيّن انه صبي صغير ، فسوف أجعلهم يجلدونه كل يوم حتى المحاكمة . . . أين نيقولاي فاسيليفيتش ؟ أرأيتموه ؟ (تمضي الى الباب الأيسر ، وهنالك تلتقي بالجنرال .)

الجنرال (متجهماً) : هؤلاء أنتم هنا ، متحلقون مثل عصبة من الدجاج المبتل .

زاخار : ذلك مزعج جداً ، يا عماه .

الجنرال : الدرك ؟ نعم ، ذلك النقيب شاب وقح . وبودي أن أهزأ به . أهم يقضون الليل هنا ؟

بولينا : لا أظن ذلك . ولم يفعلون ؟

الجنرال : يا للأسف ! لو كانوا باقين هنا ، لأحببتُ رؤيته وقد انهال سطل من الماء البارد عليه عندما يزحف الى سريره . هكذا كنت أعامل الضباط الخائرين في فيلقي . ليس أبعث على السخرية من رؤية رجل مبلّل عريان يدبُّ ويخبّ ويصيح .

كليوباترا (تقف قرب الباب) : لماذا بربك تتحدث هكذا ، يا جنرال ! ان النقيب رجل محترم ونشيط كل النشاط . ولم يكد يصل حتى قبض على كل المجرمين . يجب أن نقدّر ذلك حق قدرة . (تخرج)

الجنرال : هِمْ . . . كل رجل طويل الشاربين هو رجل محترم بالنسبة اليها . لكن ينبغي للناس أن يعرفوا أماكنهم . هذه هي القضية . هذا هو سر الاحترام . (يخطو صوب الباب الأيسر .) كون !

بولينا (في صوت خافت) : يخيل الى المرء أنها المسؤولة عن جميع الأمور هنا . أنظروا فقط كيف تتصرف ! بكل هذه الجفوة وقلة الأدب !

زاخار : لو أنهم يسرعون وينهون الأمر ! لشدّ ما أتوق الى السلام والهدوء !

ناديا (تدخل راكضة) : أيتها العمة تاتيانا ، ذلك الملازم غبيّ تماماً ! أعتقد أنه يضرب جنوده . . . للّه كيف راح يدور ويزعق ويكشر . يجب أن يسمحوا للموقوفين

برؤية زوجاتهم ، يا زاخار ايفانوفيتش . ان خمسة من أولئك الرجال متزوجون . فاخرج وقل لذلك الدركي . . . انه هو المكلّف بالأمر .

زاخار : لكن أنت ترين ، يا ناديا . . .

ناديا : أرى أنك لا تتحرك . هيا اذهب . أخرج ، أخرج واخبره . هنّ يبكين . هيا ، أقول لك أخرج .

زاخار (وهو خارج) : أخشى ألاّ يفيد ذلك شيئاً .

بولينا : أنت تزعجين الجميع على الدوام ، يا ناديا .

ناديا : بل أنتم الذين تزعجون الجميع دائماً .

بولينا : نحن ؟ فكري فقط فيما . . .

ناديا (مهتاجة) : أجل ، نحن ، نحن جميعاً – أنت وأنا وزاخار ايفانوفيتش . نحن الذين لا نبرح نزعج الناس . نحن لا نفعل شيئاً ، ولكن هؤلاء الجنود والدرك جاؤوا بسببنا ، وهذه القضية كلها بدأت بسببنا أيضاً . وقد أُوقف أولئك الناس ، والنساء يذرفن العبرات . وكل ذلك بسببنا نحن !

تاتيانا : تعالي هنا ، يا ناديا .

ناديا (تسير نحوها) : حسنا ، ها أنا ذي . ماذا تريدين ؟

تاتيانا : اجلسي وهدئي من روعك . أنت لا تفهمين شيئاً ، وليس ما تستطيعين القيام به . .

ناديا : أترين ، ليس لديك حتى ما تقولين . وأنا لا أريد أن أهدئ من روعي . لست أريد ذلك .

بولينا : كانت أمك المرحومة على حق يوم قالت انك فتاة عنيدة صعبة المراس .

ناديا : أجل ، كانت على حق . كانت تكسب الخبـــز الذي تأكله . أما انتم – ماذا تفعلون ؟ وخبز من تأكلون ؟

بولينا : هذي هي تثرثر ثانية ! يجب أن أطلب اليك تغيير لهجتك ، يا ناديا . كيف تجرئين على الصياح في وجـه مَنْ يكبرك سناً ؟

ناديا : أنتم لا تكبرونني سناً . أنتم شيوخ فقط . وهذا كـل شيء .

بولينا : تاتيانا ، كل هذا من تأثيرك ، وينبغـي لـك أن تخبريها أنها فتاة صغيرة غبية ليس غير .

تاتيانا : أسمعتِ ؟ أنت فتاة صغيرة غبية . (تربت عـــلى كتفها .)

ناديا : أليس ثمة ما تقولون غير هذا ؟ لا شيء ! انتم لا تستطيعون حتى الدفاع عن أنفسكم . . . يـــا لهؤلاء الناس ! ماذا تستطيعون أن تفعلوا ؟ لا شيء . انتم ، في الحقيقة ، لا تصلحون لشيء ، حتى ولا هنا في بيتكم الخاص . بكل بساطة ، لا تصلحون لشيء .

بولينا (في حدة) : أو تفهمين ما يثرثر به لسانك ؟

ناديا : هؤلاء الناس جميعاً جاؤوا الى هنا – درك ، جنود ، حمقى ذوو شوارب طويلة ، وكل ما يفعلون هو اصدار الأوامر ، وشرب الشاي ، والقرقعة بسيوفهم ، والقعقعة بمهاميزهـــم ، والتجوّل ضاحكين مكشرين عـــن أنيابهم . . . يقبضون على الناس ، ويزعقـــون في وجوههم ، ويهددونهـــم ، ويجعلون النساء يذرفـــن

العبرات . وأنتم ؟ ما نفعكم ههنا ؟ لقد رموا بكم في احدى الزوايا . . .

بولينا : أنت تنطقين بالهراء ! هؤلاء الناس جاؤوا لحمايتنا .

ناديا (بمرارة) : آه ، أيتها الخالة بولينا ! ليس في قدرة الجنود حماية أي شخص من الغباء ! هذا في الحقيقة ليس فى قدرتهم .

بولينا (ساخطة) : ما . . . ذا ؟

ناديا (تمدّ ذراعيها نحوها) : لا تغضبي . أني أقصد الجميع . (تخرج بولينا مهرولة) يا الهي ، لقد هربت . ستخبر زاخار ايفانوفيتش أني فظة غير طيّعة ، وسوف يوبخني طويلاً حتى ان الذباب يتساقط ميتاً من الضجر .

تاتيانا (متفكرة) : لست أتصور كيف ستتابعين الحياة في هذا العالم !

ناديا (تومئ بذراعيها ايماءة عريضة) : لن أعيش هكذا ! لن أعيش هكذا بأي ثمن ! ولا أدري ماذا أنا فاعلة . . . لكنني لن أفعل شيئاً كما تفعلونه أنتم . لقد عبرت الشرفة منذ فترة مع ذلك الضابط ، فرأيت غريكوف يراقبنا ، يدخن وعيناه تضحكان . ومع ذلك فهو يعرف أنهم سيرسلون به الى السجن . أفلا ترين ؟ أولئك الذين يعيشون حسبما يريدون أن يعيشوا لا يخافون شيئاً . وهم على الدوام مغتبطون مرحون . واني لأخجل من النظر الى ليفشين وغريكوف ! لست أعرف الآخرين ،

أما هذان . . . لن أنساهما أبداً . آه ، ها قد أقبل الأحمق ذو الشاربين . أَو – و – وه !

بوبويدوف (داخلاً) : ما أرهب ذلك ! منْ ذلك الذي تحاولين اخافته ؟

ناديا : اني خائفة منك . أفلن تسمح للنساء بالذهاب الى أزواجهن ؟

بوبويدوف : كلا ، لن أسمح . فأنا وغد نذل !

ناديا : لا ريب في هذا ، ما دمت من الدرك . ولمَ لا تسمح للنساء بالذهاب الى أزواجهن ؟

بوبويدوف (في أدب) : هذا مستحيل في الوقت الحاضر . فيما بعد ، عندما يساق الرجال سأسمح لهم بتوديعهن .

ناديا : ولكن ، لمَ ذلك مستحيل ؟ ذلك كله يتوقف عليك ، أليس كذلك ؟

بوبويدوف : لا عليَّ . . بل على القانون .

ناديا : أوه ، وما شأن القانون بهذا ؟ اسمح لهن بذلك ، أرجوك .

بوبويدوف : ماذا تعنين بقولك – ما شأن القانون بهذا ؟ أتتحدين القانون ، أنت أيضاً ؟ هيا ، هيا !

ناديا : لا تخاطبني بمثل هذه اللهجة . فلست طفلة صغيرة .

بوبويدوف : ألست طفلة الآن ؟ الأطفال والثوار وحدهم يتحدون القانون .

ناديا : اذن ، أنا ثورية .

بوبويدوف (ضاحكاً) : أوهو ! اذن من واجبي أن أزجّ بك في السجن . أعتقلك وأرمي بك في السجن !

نادیا (بشقاء) : لا تجعل من ذلك هزلاً . اسمح لهن بالدخول .

بوبويدوف : هذا ما لا أستطيع . انه القانون .

نادیا : القانون الأحمق .

بوبويدوف (جاداً) : همْ . . . ينبغي ألا تقولي هذا . اذا لم تكوني طفلة كما تزعمين ، فعليك أن تفهمي أن القوانين يصوغها أولئك الذين يملكون زمام السلطة ، وبدونها لا يمكن أن تكون دولة .

نادیا (في حرارة) : قوانين ، سلطة ، دولة ! لكن قل لي بربك ، أفلم تخلق هذه الأشياء من أجل الشعب ؟

بوبويدوف : همْ . . . طبعاً . يعني من أجل النظام في المحل الأول .

نادیا : اذن ، فهذا النظام سيىء ، اذا كان يبكي الناس . لسنا في حاجة الى سلطتكم والدولة اذا كانا يُبكيان الناس ! الدولة ! يا للحماقة ! ماذا أبغي منها ؟ (تتجه صوب الباب .) الدولة ! فيم يدس الناس في أمور لا يفهمون منها شيئاً ؟ (تخرج . يرتبك بوبويدوف نوعاً ما)

بوبويدوف (الى تاتيانا) : فتاة أصيلة العقلية ، لكن ذات انحرافات خطيرة في التفكير . . . يبدو أن زوج خالتها ذو آراء حرة . ألست مصيباً ؟

تاتيانا : ينبغي أن تعرف ذلك أفضل مني . فأنا لا أعرف المقصود من الآراء الحرة .

بوبويدوف : ماذا تعنين ؟ الجميع يعرفون هذا . ازدراء

أصحاب السلطة – تلك هي الليبرالية . لكن لنغيرنّ الموضوع . شاهدتك في فورونيج ، يا سيدة لوغوفايا . نعم ، من دون شك ، ولقد سُحرت بتمثيلك المُعجز . تمثيل رائع ، وربي ! ولعلك لاحظتِ وجودي – فأنا أجلس دائماً الى جانب نائب الحاكم . كنت في ذلك الوقت ياوراً في الادارة المحلية !

تاتيانا : لا ، لا أذكر ذلك . ان الدرك موجودون في كل مدينة ، فيما أعتقد .

بوبويدوف : آه ، نعم ، صحيح . في كل مدينة بدون استثناء ! واسمحي لي أن أخبرك أننا ، نحن أناس الادارة المحلية ، المحبون الصادقون للفن . حسناً ، لربما التجار أيضاً . خذي مثلاً على ذلك التبرعات لابتياع هدية لممثلة مشهورة بمناسبة تمثيلها في حفلة خاصة بها . لسوف تجدين أسماء جميع ضباط الدرك في كل لائحة . وهذا تقليد مرعي الاجراء بيننا ، اذا صح التعبير . هل لي أن أسأل أين تنوين التمثيل في الموسم القادم ؟

تاتيانا : لم أقرر بعد . وطبيعي أن ذلك سيكون في مدينة تضمّ محبين صادقين للفن . هذا ما لا يمكن اجتنابه ، فيما أعتقد ؟

بوبويدوف (دون أن يفهم ما عنته) : آه ، طبعاً . ستجدينهم في كل مدينة . وعلى أى حال ، فالناس يزدادون ثقافة .

كفاش (من على الشرفة) : انهم يحضرون ذلك الفتى ، يا سيدى ، ذلك الذي أطلق النار ! أين تريده ؟

بوبويدوف : هنا . . . جيئوا بالجميع الى هنا . نادِ مساعد المدّعي العام . (الى تاتيانا) أستميحك عذراً ، يجب أن ألتفت الى عملي فترة من الوقت .

تاتيانا : هل ستستجوبهم ؟

بوبويدوف (في أدب) : فترة من الوقت . بشكل سطحـــــي تماماً – لأتعرف اليهم فقط . . . تلاوة أسمائهم ليس غير ، اذا صح التعبير .

تاتيانا : هل أستطيع الحضور ؟

بوبويدوف : هِمْ . هذا ليس مألوفاً على العموم . ليس في القضايا السياسية . لكن ما دامت القضية جنائية ، وما دمنا لسنا في دوائرنا الخاصة ، فيسرّني أن أحقق لك هذه الرغبة . . .

تاتيانا : لن يراني أحد . سأراقب القضية من هنالك .

بوبويدوف : رائع ! أنا سعيد جداً لاستطاعتي أن أردّ لك بعض السرور الذي أعطانيه تمثيلك . عليّ أن أذهب الآن لاحضار بعض الأوراق الهامة . (يخرج . يدخل من الشرفة عامـــلان كهـلان يقودان ريابتزوف كلٌ مـن ذراع . يسير كون الى جانبهم ، وهو يختطـف نظرات مسترقة الى وجه السجين . يسير خلفهم كل من ليفشين وياغودين وغريكوف وبعض العمال والدرك .)

ريابتزوف (غاضباً) : لماذا أوثقتم يدىّ ؟ حلوا وثاقـي ! هيا !

ليفشين : حلوا وثاق يديه ، يا فتيان . لماذا تذلونه ؟

ياغودين : لن يهرب .

أحد العمال : يجب أن نفعل ذلك . فالقانون يأمر بأن نشدّ وثاقه .

ريابتزوف : لن أقبل بذلك ! حلوا وثاقي !

عامل آخر (الى كفاش) : أنفعل ذلك ، يا سيـــدى ؟ فالفتى هادئ ساكن . لا نستطيع أن نصدق أنه قد يكون ذلك الذي . . .

كفاش : حسناً . حلوا وثاقه .

كون (فجأة) : لقد قبضتم على شخص آخر ! كان هذا الفتى عند النهر حين اطلاق النار . لقد رأيته ، وكذلك رآه الجنرال ! (الى ريابتزوف) تكلم ، أيها الأحمق ! هيا ، قل لهم انك لست من فعل ذلك . فيم سكوتك ؟

ريابتزوف (في حدة) : أنا أطلقت النار .

ليفشين : أعتقد أنه يعرف أكثر منك ، أيها الجندي . . .

ريابتزوف : أنا هو !

كون (صائحاً) : أنت تكذب ! أنت تنوى الاخلال بالأمن ! (يدخل بوبويدوف ونيقولاي سكروبوتوف .) لقد كنت تجذف على صفحة الماء وتغني ساعة حدث هذا . . . أتستطيع أن تنكر ذلك ؟

ريابتزوف (في هدوء) : كان هذا فيما بعد .

بوبويدوف : أهذا هو ؟

كفاش : نعم ، يا سيادة النقيب .

كون : كلا ، ليس هو .

بوبويدوف : ماذا ؟ كفاش ، أخرج هذا العجوز . كيف دخل هذا العجوز الى هنا ؟

كفاش : انه وصيف الجنرال ، يا سيادة النقيب .

نيقولاي (متفحصاً ريابتزوف) : لحظة واحدة ، يا بوغدان دينيسوفيتش . دعه وشأنه ، يا كفاش .

كون : أرفع يديك عني . فأنا جندي أيضاً .

بوبويدوف : لا بأس ، يا كفاش !

نيقولاي (الى ريابتزوف) : أأنت الذي قتلت المعلم ؟

ريابتزوف : نعم أنا .

نيقولاي : ولِمَ فعلت ذلك ؟

ريابتزوف : كان يعاملنا بقسوة .

نيقولاي : ما اسمك ؟

ريابتزوف : بافل ريابتزوف .

نيقولاي : آه . . . ماذا كنت تقول ، يا كون ؟

كون (شديد الاضطراب) : لم يقتله ! كان على النهر حينما حدث ذلك ! . . وأنا على استعداد لأن أقسم على هذا . الجنرال وأنا رأيناه . بل لقد قال الجنرال : «أفلن يكون طريفاً أن نقلب مركبه ونجعله يغطس في الماء ؟» . . . هذا ما قال . أتسمعني ، أنت أيهــا المخاتل ؟ ترى ، ما الذي تطبخه ؟

نيقولاي : ما الذي يجعلك على مثل هذا اليقين من أنه كان على صفحة النهر حينما حدثت الجريمة ، يا كون ؟

كون : لا بدّ من مسيرة ساعة من المصنع حتى المكان حيث كان .

ريابتزوف : لقد ركضت .

كون : كان يجذف في قارب ويغني . أنت لا تطلق عقيرتك بالغناء عندما تكون قتلت انساناً لتو ّك .

نيقولاي (الى ريابتزوف) : أتدرك أن القانون صارم جداً بحق الذين يدلون بمعلومات كاذبة ويحاولون اخفاء معالم الجريمة ؟ . . أتدرك هذا ؟

ريابتزوف : لست أبالي .

نيقولاي : حسناً . اذن ، فأنت الذي قتلتَ المدير ؟

ريابتزوف : نعم ، أنا .

بوبويدوف : الوحش !

كون : انه يكذب !

ليفشين : أنت لستَ من هنا ، أيها الجندي !

نيقولاي : ماذا ؟

ليفشين : أقول انه ليس من هنا ، ويظلّ يتدخل . . .

نيقولاي : وما الذي يجعلك تظن أنك من هنا ؟ لعلّ لك في الجريمة ضلعاً ؟

ليفشين (ضاحكاً) : أنا ؟ قتلت مرة أرنباً بعصاي ، فكنت أتعذب كثيراً .

نيقولاي : إذن احتفظ بفمك مقفولاً . (الى ريابتزوف) أين المسدس الذي استعملتَ ؟

ريابتزوف : لست أدري .

نيقولاي : ما نوعه ؟ صفه لنا .

ريابتزوف (متضايقاً) : مانوعه ؟ النوع العادي .

كون (متهللاً) : يا للفاجر ! لم يرَ قط مسدساً في حياته !

نيقولاي : وما حجمه ؟ (يصنـــع اشارة تبلغ نصف ذراع بيديه .) أبهذا الطول ؟

ريابتزوف : نعم . . . أوه ، لا ، أصغر .

نيقولاي : لحظـة واحدة ، يـــا بوغدان دينيسوفيتش . . . (ينتحي بوبويدوف زاوية ويخفض صوته) ان في هذه القضية خديعة . يجب أن نكون أشد قسوة مـع هذا الفتى . فلنتركه وحيداً حتى يجيء مفتّش المباحث .

بوبويدوف : ولم نفعل ذلك ؟ . . لقد اعترف بكل شيء .

نيقولاي (بصورة ذات مغزى) : أنت وأنا نشتبه أن هذا الفتى ليس هو القاتل ، بل مجرد قناع يخفي المجرم الحقيقي ، هل تفهم ؟

(يدخل ياكوف باحتراس سكران حتى الثمالة ، ويقف قريباً من تاتيانا صامتاً يتطلع حواليه . ومن حين لآخر يسقط رأسه على صدره وكأنه يغفو ، ومن ثم ينفضه الى الخلف ويروح يرنو حواليه وقد ارتسمت على وجهه نظرة رعب)

بوبويدوف (دون أن يفهم) : آه — ه — ه . . . . هِمْ —مْ . أجل ، أجل . تصوّر ذلك !

نيقولاي : تلك مؤامرة ! جريمة جماعية .

بوبويدوف : يا للوغد !

نيقولاي : فليأخذه العريف الآن ويحرص على الاحتفاظ به في حبس انفرادي ضيّق . سأخرج لحظة . تعال معـى ، يا كون . أين الجنرال ؟

كون : انه يحفر التراب بحثاً عن دودة صيد السمك .

(يخرجان)

بوبويدوف : كفاش ، خذ هذا الفتى من هنا ، وراقبه ! راقبه جيداً ، هيا !

كفاش : حاضر ، يا سيادة النقيب . تعال ، يا فتى !

ليفشين (بتأثر) : وداعاً ، يا بافل . وداعاً ، يا صديقي . . .

ياغودين (متجهماً) : وداعاً ، يا بافل .

ريابتزوف : وداعاً . لا بأس .

(يخرجون ريابتزوف)

بوبويدوف (الى ليفشين) : أتعرفه ، أيها العجوز ؟

ليفشين : طبعاً أعرفه . فنحن نعمل معاً .

بوبويدوف : ما اسمك ؟

ليفشين : ييفيم ييفيموفيتش ليفشين .

بوبويدوف (في صوت خفيض الى تاتيانا) : هلا راقبت التطوّرات الآن . (الى ليفشين) قل لي الحقيقة ، يا ليفشين ، فأنت رجل عجوز عاقل . يجب عليك ، دائماً ، أن تقول الحقيقة لرؤسائك .

ليفشين : أجل ، من دون ريب . وفِيمَ أكذب ؟

بوبويدوف (في نشوة) : هذا حسن . والآن ، أصدقني

القول ، ماذا تخبئ خلف الأيقونات في بيتك ، ايـه ؟ الحقيقة ، تذكّر !

ليفشين (في هدوء) : لا شيء .

بوبويدوف : أهذه هي الحقيقة ؟

ليفشين : نعم ، هذه هي .

بوبويدوف : ألا تخجل ، يا ليفشين ! ها أنت ذا ، أصلـع شائب ، ومع ذلك تكذب مثل طفل صغير . ان رؤساءك يعرفون ليس أفعالك فقط ، بل وأفكارك ايضاً . هذا مخز ، يا ليفشين . ما هذه الأشياء التي في يدي ؟

ليفشين : لا أستطيع الرؤية . نظري ضعيف .

بوبويدوف : سأقول لك ما هي . انها كتب منعتها حكومتنا ، كتب تحرّض الناس على الثورة ضد القيصر . وقـد وجدت هذه الكتب خلف الأيقونات في بيتك ! والآن ، ما قولك ؟

ليفشين (في هدوء) : لا شيء .

بوبويدوف : أتعترف أنها تخصّك ؟

ليفشين : من المحتمل أنها تخصني . فالكتب جميعاً متشابهة .

بوبويدوف : لماذا تكذب في شيخوختك ؟

ليفشين : لقد أخبرتك بالحقيقة الصريحـة ، يا صاحـب السعادة ، سألتني عما يوجد خلف الأيقونات في بيتي ، ولما سألتني مثل هذا السؤال عرفتُ أنه لا يمكن أن يكون شيء خلف الأيقونات لأنكم أخذتموه . وهذا مـا قلتُ أنا – لا شيء . لم تجرب أن تخجلني ؟ أنا لم أصنع شيئاً أخجل منه .

بوبويدوف (مرتبكاً) : هكذا تأخذ الأمور اذن ! انما ينبغي أن أطلب اليك أن تقتصد في الحديث . . فلست رجلاً يتحامق الناس عليه . من أعطاك هذه الكتب ؟
ليفشين : لِمَ تريد أن تعرف ذلك ؟ ليس في وسعي اخبارك ، لأنني في الواقع نسيت من أين حصلت عليها . فلا تقلق لمثل هذا الشيء التافه .
بوبويدوف : ماذا ؟ حسناً جداً ! ألكسي غريكوف ! من منكم غريكوف ؟
غريكوف : أنا .
بوبويدوف : هل سبق أن رفعت القضية بحقك في سمولنسك بخصوص نشر الدعاية الثورية بين العمال ؟
غريكوف : نعم ، هذا صحيح .
بوبويدوف : مثل هذا الفتى الصغير السن ، ويتمتع بمثل هذا الذكاء ! يسعدني جداً أن أتعرف اليك . . أيها الدرك ، خذوا هؤلاء القوم حتى الشرفة خارجاً ! فالجو يصبح خانقاً هنا . ياكوف فيريبابييف ؟ حسناً . . . أندريه سفيستوف ؟

(الدرك يقودون الجميع حتى الشرفة ، يتبعهم بوبويدوف والقائمة في يده)

ياكوف (في لطف) : أحب هؤلاء الناس .
تاتيانا : أفهم ذلك ، ولكن لِمَ كل شيء فيهم على مثل هذه البساطة ؟ . لِمَ يتكلمون بكل هذه البساطة وينظرون

الى الأمور بكل هذه البساطة ؟ لماذا ؟ أفلا تحركهم أهواء ؟ أفليس عندهم بطولة ؟

ياكوف : انهم يملكون ايماناً ثابتاً بعدالة قضيتهم .

تاتيانا : لا يمكن ألا تحركهم أهواء – أو بطولة . أفلست تشعر جيداً بازدرائهم لكل شخص ههنا ؟

ياكوف : ليفشين ذلك رجل عظيم . يا لعينيه الحزينتين والودودتين والذكيتين ! يلوح أنه يقول : «ما جدوى ذلك كله ؟ لو أنكم تتنحوّن عن طريقنا وتمنحوننا حريتنا ! لو أنكم تتنحون عن طريقنا !» .

زاخار (يتطلع من الباب) : ان حماقة هؤلاء السادة الذين يمثلون القانون تبعث على الدهشة بكل بساطة . لقد طبخوا محاكمة رائعة ! ونيقولاي فاسيليفيتش يتصرف وكأنه فاتح للعالم .

ياكوف : اعتراضك الوحيد ، يا زاخار ، هو أن هذه القضية تنفذ تحت أنفك .

زاخار : حسنا ، كان يمكن أن يخلّصوني من هذه المسرة ! لقد جنّت ناديا تماماً . كانت وقحة مع بولينا ومعي ، وهي تسمي كليوباترا بالهرة المتوحشة ، وهذه هي الآن متكوّرة على الكنبه في غرفتي وقد انتفخت عيناها من البكاء . السماوات وحدها تعرف ماذا يجري هنا !

ياكوف (متفكراً) : وانني لأزداد نفوراً واشمئزازاً من فكرة هذا الذي يحدث يا زاخار .

زاخار : أستطيع تقدير ذلك . . . لكن ماذا نفعل ؟ عندما يهاجمونك ، يجب أن تدافع عن نفسك . لم يبق في

الدار زاوية واحدة تشمّ منها عبق البيت . . . وكأن كل شيء يقف على رأسه . والأمطار تحيل كل شـــيء بارداً رطباً . . . يا له من خريف باكر !

(يدخل نيقولاي وكليوباترا وكلاهما متهيجان)

نيقولاي : أنا على يقين الآن من أنهم رشوه !
كليوباترا : لم يكن في مقدورهـــم التفكير بهذا من تلقـــاء أنفسهم . لا ريب أن في هذه القضية انساناً يحمـــل رأساً طيبا فوق كتفيه .
نيقولاي : أتشتبهين في سينتزوف ؟
كليوباترا : ومن سواه ؟ آه ، ها هو السيد بوبويدوف .
بوبويدوف (يدخل من الشرفة) : في خدمتك !
نيقولاي : انني موقن اليقين كله أن ذلك الفتى قد ارتشى (يتحدث هامساً .)
بوبويدوف (في صـــوت خفيضـــ) : أو – وه ! هِمْ – مْ – مْ . . .
كليوباترا (الى بوبويدوف) : أتفهم ؟
بوبويدوف : هِمْ – مْ – مْ . تصوري هذا ! يا للاوغاد !

(يختفي نيقولاي والنقيب عبر الباب المزدوج وهما يتناقشان في حمية . كليوباترا تتطلع حواليها فتقـــع أنظارهـــا عـــلى تاتيانا) .

كليوباترا : أوه ! أنت هنا !

تاتيانا : هل حدث شيء جديد ؟

كليوباترا : لا أعتقد أن ذلك يهمك في كثير أو قليل . هل بلغك خبر سينتزوف ؟

تاتيانا : نعم .

كليوباترا (متحدية) : لقد أوقفوه . ما أعظم سروري اذ استأصلوا أخيراً شأفة جميع العناصر الشريرة في المعمل . ألست مسرورة ؟

تاتيانا : لا أعتقد أنك تبالين بمشاعري .

كليوباترا (في سرور خبيث) : كنتِ تتعاطفين مع سينتزوف ذاك . (ترق ملامحها وهي ترنو الى تاتيانا .) ما أغرب طلعتك ! وكأنك تعانين العذاب المرّ . . . لماذا ؟

تاتيانا : أعتقد أنه الطقس .

كليوباترا (تدنو منها) : اسمعي . لعلّ هذا حماقة ، لكن . . . أنا مخلوقة صريحة . وقد رأيت في الحياة كثيراً . أغرمت كثيراً ، فأمسى عيشي نكِداً . وأنا أعرف أن المرأة وحدها يمكن أن تكون صديقة امرأة أخرى .

تاتيانا : أتريدين أن تسأليني شيئاً ؟

كليوباترا : أن أخبرك شيئاً . انني معجبة بك . فأنت ، على الدوام ، حرة في أعمالك ، وتتأنقين في ملابسك . وتعرفين كيف تعاملين الرجال . وأنا أحسدك ، أحسد طريقتك في الحديث ، وطريقتك في المشي . لكنني لا أحبك في بعض الأحيان . بل وأكرهك .

تاتيانا : هذا يبعث على الاهتمام . لماذا ؟

كليوباترا (بلهجة غريبة) : من أنتِ ؟

تاتيانا : ماذا تقصدين . . .

كليوباترا : لا أستطيع سبيلاً الى اكتشاف هويتك . أحب أن أكوّن صورة واضحة عن الناس ، وأن أعرف ما يبغون . ويصوّر لي أن الناس الذين لا يعرفون ماذا يبغون هم ناس خطرون . فهم لا يمكن أن يؤتمن جانبهم .

تاتيانا : هذا قول غريب . لماذا تخبرينني بوجهات نظرك ؟

كليوباترا (في اندفاع وقلق) : يجب أن يكون الناس اخوة ، قريبين من بعضهم البعض ، بحيث يثقون ببعضهم بعضاً ! أفلا ترين ماذا يجري ؟ انهم بدأوا يقتلوننا ويسعون الى سرقتنا . أفلم تلاحظي تلك الوجوه اللصوصية التي كانت لأولئك الموقوفين ؟ أوه ، انهم يعرفون ماذا يريدون معرفة تامة ! وهم يعيشون في صداقة وثيقة ! ويثقون ببعضهم البعض ! انني أكرههم وأخافهم ! نحن نعيش في البغضاء ، لا نؤمن بأى شيء ، ولا نرتبط بأي شيء . فكل انسان يعيش على هواه . . . نحن نعتمد على الجنود والدرك – وهم يعتمدون على أنفسهم . وهم أقوى منا !

تاتيانا : وأنا أيضا أحب أن أسألك سؤالاً صريحاً . أكنت سعيدة مع زوجك ؟

كليوباترا : فيم تسألين مثل هذا السؤال ؟

تاتيانا : بدافع الفضول الخالص .

كليوباترا (بعيد برهة تأمل) : كلا . فقد كان أبدأ مشغولاً بقضايا أخرى لا تتيح له التفكير فيّ . . .

بولينا (وهي تدخل) : أبلغكما الخبر ؟ تبين أن ذلك الكاتب سينتزوف اشتراكي . وكان زاخار يطلعه على كل شيء ، بل كان يريد أن يجعل منه مساعد المحاسب ! وطبيعي أن ليس لهذا أهمية كبيرة ، لكن أنظرا كم أصبحت الحياة معقدة . ان أولئك الذين خلقوا أعداء مبدئيين لكم يستطيعون العيش بجواركم من دون أن يخطر لكم ذلك في بال مطلقاً !

تاتيانا : شكراً لله لأنني لست ثرية .

بولينا : لن تقولي هذا عندما تهرمين . (بلطف ، الى كليوباترا) كليوباترا بتروفنا ، انهم ينتظرونك من أجل البروفة . وقد أرسلوا النسيج الحريري .

كليوباترا : حسناً . ثمة شيء على غير ما يرام - فقلبي ينبض بشدة ! وأنا لا أطيق أن أمرض .

بولينا : اذا أردت أعطيتك بعض القطرات لقلبك . فهي تفيد حقاً .

كليوباترا (وهي خارجة) : هذا لطف كبير منك .

بولينا : سألحق بك بعد لحظة . (الى تاتيانا) من الضروري أن نعاملها بلطف ، فاللطف يفعل فعل المهدىء . ما أشد غبطتي اذ تحدثت اليها . . . وعلى العموم ، فأنا أحسدك ، يا تاتيانا . . . أنت ماهرة على الدوام في

اتخاذ الموقف الحيادي المريح . . . سأذهب وأعطيها بعض القطرات .

(تغادر الغرفة ، فتتطلع تاتيانا الى الشرفة حيث صفّ الجنود الرجال الموقوفين . يمدّ ياكوف رأسه من الباب .)

ياكوف (مكايداً) : كنت طوال الوقت ههنا أسترق السمع .
تاتيانا (في شرود) : يقولون ان استراق السمع ليس بالأمر المستحب .
ياكوف : على العموم ، ليس سماع أقوال الناس مما يبعث على السرور . ذلك يجعلك ترثين لهم . حسناً ، يا تاتيانا ، أنا راحل .
تاتيانا : الى أين ؟
ياكوف : الى مكان لا أعرفه بعد . وداعاً .
تاتيانا (بعاطفة) : وداعاً . أكتب لي .
ياكوف : أصبح هذا المكان بغيضا .
تاتيانا : ومتى ترحل ؟
ياكوف (في ابتسامة مغتصبة) : اليوم . لعلك ترحلين أيضاً ؟
تاتيانا : أجل ، اني أنوي الرحيل . لماذا تبتسم ؟
ياكوف : لا لسبب خاص . قد لا نلتقي ثانية .
تاتيانا : هراء !
ياكوف : اصفحي عني ! (تقبل تاتيانا جبهته . يضحك قليلاً وهو يدفعهـــا عنه .) قبلتني كما لو كنتُ جثـــة بالضبط . (**يخرج على مهل . وبينا تاتيانا تراقبه ، تميل الى اللحاق به ، لكنها تومئ بحركة ضعيفة من ذراعها .**)

تدخل ناديا حاملة مظلة .)

ناديا : تعالي الى الحديقة معي . . أرجوك ، تعالي . فأنـــا أعاني صداعاً في رأسي من كثرة البكاء . كنت أنوح مثل حمقاء . وان ذهبتُ وحدي فسأعاود الكرّة مــن جديد .

تاتيانا : ولماذا تبكين ، يا صغيرتي ؟ ليس ما يدعو الى البكاء .

ناديا : كل شيء يبعث على الحيرة – فأنا لا أستطيع أن أفهم شيئاً من هذه الأمور كلها . من هو على حق ؟ زوج خالتي يقول هو . . . لكنني لا أصدّقه . أهو رجل لطيــف ، زوج خالتي ؟ كنت دائماً أعتقد ذلــك . . . أما الآن فلست واثقة منه . وحينما يحدثني أشعر وكأني ، أنا نفسي ، وضيعة بلهاء . . . وعندما أفكّر فيه – وأطرح الأسئلة على نفسي لا أفهم شيئاً !

تاتيانا (في حزن) : اذا بدأت تسألين نفسك ستصبحين ثورية . وستتلاشين في ذلك التيه ، يا عزيزتي . .

ناديا : حسناً ، لا بدّ لي أن أصبح شيئاً ما ، أليس كذلك ؟ (تضحك تاتيانا في لطف) ماذا يضحكك ؟ طبعــاً لا بدّ لي . فأنت لا تستطيعين الاستمرار في الحيـــاة وأنت تطرفين بعينيك فقط دون أن تفهمي شيئاً !

تاتيانا: أنا أضحك لأن الجميع يقولون هذا اليوم – الجميع ، وبصورة مباغتة .

(تخرجان ، وفي طريقهما تلتقيان بالجنرال والملازم . يبتعد هذا الأخير برشاقة عن دربهما .)

الجنرال : التجنيد ضروري ، أيها الملازم ! وهو يخدم هدفاً مضاعفاً . (الى ناديا وتاتيانا) أين تذهبان ؟

تاتيانا : في نزهة .

الجنرال : اذا التقيتما بذلك الكاتب . . ما اسمه ؟ ما اسم ذلك الشاب الذي قدّمته لك قبل برهة ، أيها الملازم ؟

الملازم : بوكاتي * ، يا صاحب السعادة .

الجنرال (الى تاتيانا) : أرسليه لي . سأكون في غرفة الطعام أتناول الشاي والكونياك مع الملازم . ها – ها – ها ! (يرنو حواليه ، وقد غطى فمه بيده .) شكراً ، أيها الملازم ! فذاكرتك عظيمة ممتازة ! وهذا شيء حميد . على الضابط أن يتذكر اسم ووجه كل جندي في قطعته . عندما يكون الجندي حديث عهد ، فهو يكون شرساً مكّاراً – خبيثاً وغبياً وكسولاً . ويتغلغل الضابط في باطنه وينظّم كل شيء من جديد ، بحيث يخلق من الحيوان الشرس انساناً – انساناً عاقلا يعرف واجبه كل المعرفة . .

(يدخل زاخار ، يبدو عليه الاضطراب .)

زاخار : أرأيت ياكوف ، يا عماه ؟

الجنرال : كلا ، لم أره . . أيقدمون الشاي هنالك ؟

زاخار : نعم . (يخرج الجنرال والملازم . يدخل كون ، غاضباً أشعث الهندام ، من الشرفة .) كون ، أرأيت أخي ؟

* تلاعب بالألفاظ . كلمة «بوكاتي» مرادف لكلمة «بولوغي» وتعني «منحنى» بالروسية . **الناشر** .

كون (متجهماً) : كلا . اني أحتفظ بفمي مغلقـــاً من الآن فصاعداً ، حتى اذا رأيته فلن أقول شيئاً . لقد بُحْتُ بآرائي كثيرا طول حياتي ، وشكراً .

بولينا (داخلة) : جاء أولئك الفلاحون من جديد يسألونك أن تؤجل دفع ما يستحق عليهم .

زاخار : اختاروا أطيب الأوقات !

بولينا : يشكون أن المحصول كان سيئاً ، وأنهم لا يملكون ما يدفعون .

زاخار : هم دائماً يشكون ! . . ألم تري مصادفة ياكوف في مكان ما ، ايه ؟

بولينا : كلا . ماذا أقول لهم ؟

زاخار : الفلاحون ؟ فليذهبوا الى المكتب . . لا أنوي التحدث اليهم .

بولينا : لكن ليس في المكتب انسان . وأنت نفسك تعرف أن الفوضى الشاملة تعمّ كل شيء . لقد أزف وقت الغداء ، وذلك النقيب ما يزال يطلب الشاي . والسماور لم يُنقل من غرفة الطعام منذ الصباح . بينا يلوح أننا ، على وجه العموم ، نعيش في دار للمجانين !

زاخار : أعرفت أنه خطر لياكوف أن يرحل فجأة ؟

بولينا : اصفح عما سأقول ، فهو يفعل حسناً برحيله .

زاخار : أنت على حق ، من دون ريب . فقد أمسى نزقاً حادّ الطبع في الفترة الأخيرة – يثرثر على الدوام بأشياء لا معنى لها . وقد ظلّ يلحّ عليَّ مؤخراً بالسؤال عما اذا كان من الممكن قتـــل غراب بمسدسي . وقد أهانني

كثيراً ، ومن ثم خرج يحمل المسدس . . وهو ثمـــل أبداً . .

(يدخل سينتزوف من الشرفة يصحبه دركيان وكفاش . بولينا تحملق فيه في سكون من خلال لورنيتها ، ثم تخرج . زاخار يصلح من وضع نظارتيه في شيء من الارتباك ، ويخطو مبتعداً وهو يتكلم)

زاخار (موبخا) : هذا مؤسف جداً ، يا سيد سينتزوف . أنا في غاية الأسف ، حقاً .
سينتزوف (مبتسماً) : لا تقلق لذلك . فهو لا يستحق هذا .
زاخار : بل يستحق ! يجب على الناس أن يتعاطفوا مع بعضهم البعض . . حتى اذا تبين أن شخصاً وضعت فيه ثقتي لا يستحق تلك الثقة ، فاني أعتبر مع ذلك أن مـــن واجبي التعاطف معه عندما تحلّ مصيبة في ساحه . هذا هو شعوري ، وداعاً ، يا سيد سينتزوف .
سينتزوف : وداعاً .
زاخار : ليس لديك ما . . يؤخذ عليّ !
سينتزوف : أبداً ، أبداً .
زاخار (مرتبكاً) : عظيم . حسناً ، الوداع ! سوف ترســـل ماهيّتك اليك . . (مغادراً الغرفة) هذا لا يُطاق . لقد تحوّل منزلي الى مركز للدرك .

(يضحك سينتزوف ضحكة خفيفة . يظـــل كفاش يراقبـــه

باهتمام ، ويراقب يديه بصورة خاصة . وعندمـــا يلاحظ سينتزوف ذلك يروح ينظر اليه في عينيه عدة ثوان ، حتى يكشر كفاش عن أنيابه على حين غرة)

سينتزوف : حسناً ، ماذا يدغدغك ؟
كفاش (في سعادة) : لا شيء ، لا شيء ألبتة .
بوبويدوف (داخلاً) : سوف ترسل الى المدينة ، يا سيـــد سينتزوف .
كفاش (في مرح) : انه ليس السيـــد سينتزوف ، يا سيادة النقيب ، بل هو شخص آخر مختلف تماماً .
بوبويدوف : ماذا ؟ كن أكثر وضوحاً .
كفاش : أنا أعرفه . كان يعمل في مصنع بريانسكي ، وكان اسمه هناك مكسيم ماركوف . . ولقد اعتقلناه هناك قبل سنتين ، يا سيادة النقيب . ان ابهامه الأيسر بدون ظفر – أنا أعرفه ! لا بدّ أنه هرب ما دام يعيش تحت اسم مستعار .
بوبويدوف (مدهوشاً بصورة بهيجة) : أصحيح هذا ، يا سيد سينتزوف ؟
كفاش : انها الحقيقة الصراح ، يا سيادة النقيب .
بوبويدوف : اذن أنت لست سينتزوف على الاطلاق ! حسناً ، حسناً ، حسناً !
سينتزوف : فلأكن من أكون ، فمن واجبك أن تتصرّف بأدب معي . . لا تنس هذا !
بوبويدوف : أوهو ! من السهل أن يرى المرء أنـــك لست

بالشخص الأحمق الذي يمكن خداعه ! أنت نفسك ستخفره ، يا كفاش . . فافتح عينيك جيداً !

كفاش : حاضر ، يا صاحب السعادة .

بوبويدوف (مسروراً) : حسناً اذن ، يا سيد سينتزوف ، أو مهما كان اسمك ، لسوف نرسلك الى المدينة . (الى كفاش) وحالما تصل هناك ، أخبر المسؤولين بكل شيء عنه ، واطلب في الحال سجلّه من الشرطة . لكن من الأفضل أن أشرف على هذا بنفسي . رويدك برهة ، يا كفاش . . (يهرع خارجاً)

كفاش (في لطف) : ها نحن نلتقي مرة ثانية !

سينتزوف (بضحكة قصيرة) : أمسرور أنت ؟

كفاش : لم لا ؟ فأنت من معارفي القدماء .

سينتزوف (في نفور) : أعتقد أنه حان لك أن تكف عن ذلك الآن . لقد شاب شعرك ، ولا تبرح مع ذلك تتعقّب الناس كالكلب . أفلا تكون زعلان من نصيبك هذا ؟

كفاش (في لطف) : آه ، لقد اعتدت ذلك – عملت فيه طيلة ثلاثة وعشرين عاماً . وليس كالكلب أبداً ! فالناس الذين فوق يملكون فكرة طيبة عني – وقد وعدوني بوسام . ومن المؤكد أنهم سيمنحونني اياه الآن .

سينتزوف : بسببي أنا ؟

كفاش : بالطبع . من أين هربت ؟

سينتزوف : ستكتشف ذلك في الوقت المناسب .

كفاش : لا ريب أنّنا سنكتشف ذلك . أتذكر ذلك الشاب الأسود الشعر ذا النظارتين في مصنع بريانسكي ؟ كان

معلماً ، وأظن ّ أن اسمه – سافيتسكي . وقد اعتقلناه هو الآخر . . . ليس من زمن بعيد . ولكنه مات في السجن . كان مريضاً ، مريضاً جدا . وعلى كل حال ، فليس عددكم كبيرا .

سينتزوف : سيكون عددنا كبيراً . . . انتظر فقط .

كفاش : أوهو ! هذا رائع . كلّما ازداد عدد خصومنا السياسيين تحسّنت أمورنا !

سينتزوف : فتكثر المكافآت ؟

(يظهر بوبويدوف والجنرال والملازم وكليوباترا ونيقولاي في فسحة الباب)

نيقولاي (يلقي نظرة الى سينتزوف) : كنت أتوقع هذا بطريقة ما . (يختفي)

الجنرال : ياله من شاطر !

كليوباترا : لقد اتضحت الآن هوية المحرّض .

سينتزوف (متهكماً) : أصغ ، أيها النقيب ، أفلا ترى أنك تتصرف بصورة خرقاء ؟

بوبويدوف : لا تحاول أن تعلّمني !

سينتزوف (في عناد) : بل سأفعل ! ضعوا خاتمة لهذه المسرحية السخيفة .

الجنرال : أتسمع هذا ؟

بوبويدوف (يصيح) : كفاش ! خذه من هنا !

كفاش : أمرك ، يا صاحب السعادة . (يقود سينتزوف خارجاً .)

الجنرال : يجب أن يكون نمراً حقيقياً ، ها ؟ ارأيتـــم كيف يزمجر ؟

كليوباترا : أنا واثقة من أنه في أصل المشكلة كلها .

بوبويدوف : محتمل . . محتمل تماماً .

الملازم : هل ستكون هنالك محاكمة ؟

بوبويدوف (مبتسماً) : أوه ، أبداً ! اننا نلتهمهم من دون مقبّلات . والأمران سواء على أية حال . .

الجنرال : كالمحارة . . مذاقاً !

بوبويدوف : سنعمل سريعاً ، يا صاحب السعادة ، على انهاء هذه اللعبة الآن ، ونريحك من هذه المتاعب كلهـــا . نيقولاي فاسيليفيتش ! أين أنت ؟

(يخرج الجميع من الغرفة . يدخل رئيس الشرطة من الشرفة)

رئيس الشرطة (الى كون) : هل سيجري الاستجواب هنا ؟

كون (عابساً) : لا أدري . . لست أعرف شيئاً .

رئيس الشرطة : طاولة ، وأوراق . . . يلوح أنه سيجري هنا . (يخاطب شخصاً ما على الشرفة) أدخل الجميع الى هنا ! (الى كون) لقـــد أخطأ المرحوم . قال ان الذي أرداه أحمر الشعر ، وظهر الآن أن لونـــه يضرب الى السمرة .

كون (مهمهماً) : الأحياء أنفسهم يخطئون . .

(يأتون بالرجال الموقوفين مرة ثانية من الشرفة)

رئيس الشرطة : صفّهم هنالك . وأنت قف في آخر الصف ،

أيها العجوز . أفلا تخجل من نفسك ، أيهـــا الشيطان العجوز ؟

غريكوف : لماذا تستعمل هذه اللغة ؟

ليفشين : هوّن عليك ، يا ألكسي . هذا لا يهم .

رئيس الشرطة (مهدداً) : سأرينّك !

ليفشين : هذه وظيفته – أن يهين البشر .

(يدخل نيقولاي وبوبويدوف ويجلسان وراء الطاولة . يتخذ الجنرال مقعده الوثير في الزاويـــة ، وينتصـــب الملازم خلفه . تقف كليوباترا وبولينا في الممشى وتنضم اليهما بعد قليل تاتيانا ونا ديـــا . يتطلـــع زاخار في سخط من فوق أكتافهنّ . يظهر بولوغي مـــن مكان ما ، ويدبّ في حذر ، منحنياً للجالسين الى الطاولة ، ومن ثم يقف مرتبكاً حائراً في وسط الغرفة . الجنرال يومئ له ، فيتجه اليه على أطراف أصابعه ، وينتصب قرب مقعده . يأتون بريابتزوف.)

نيقولاي : انتباه ! بدأت الاجراءات . بافل ريابتزوف ؟

ريابتزوف : حسناً ؟

بوبويدوف : لا تقل «حسناً» ، أيها الأحمق ، بل قل «نعم ، يا صاحب السعادة» .

نيقولاي : أتصرّ على أنك قتلت المدير ؟

ريابتزوف (ضجراً) : سبق ان قلت لكم ذلـــك . . . فماذا تريدون أيضاً ؟

نيقولاي : أتعرف ألكسي غريكوف ؟

ريابتزوف : من هو ؟
نيقولاي : الشاب الذي يقف الى جوارك .
ريابتزوف : انه يعمل في معملنا .
نيقولاي : اذن ، أنت تعرفه ؟
ريابتزوف : نحن جميعاً نعرف بعضنا بعضاً .
نيقولاي : بكل تأكيد . لكن ، هل زرته في داره ، وقضيت وقت راحتك معه ؟ بكلمات أخرى ، هل تعرفه جيدا ؟ أصديقه أنت ؟
ريابتزوف : انني أقضي وقت راحتي مع الجميع ، وجميعنا اصدقاء .
نيقولاي : حقاً ؟ أخشى أنك لا تقول الحقيقة . يا سيد بولوغي ، كن كريماً ، وصارحنا بالحقيقة – ما هي الصلة بين ريابتزوف وغريكوف ؟
بولوغي : صلة صداقة حميمة . ثمة جماعتان قائمتان ههنا ، يرأس الشباب منهما غريكوف ، وهو شاب كثير الصفاقة في موقفه من الناس الذين يسمون عليه مرتبة بما لا يقاس . ويرأس الكهول منهما ييفيم ليفشين . وهو شخص ذو حديث غريب وأخلاق ثعلبية .
ناديا (في همس) : يا للشقي !

(بولوغي يتطلع حواليه ويرنو اليها ، ثم يلتفت صوب نيقولاي متسائلا . نيقولاي يلقي نظرة الى ناديا بدوره .)

نيقولاي : تابع .
بولوغي (متنهداً) : وترتبط الجماعتان بواسطة السيد

سينتزوف ، وهو ذو علاقة طيبـــة بهم جميعاً . وهذا الشخص لا يشبه الانسان العادي الطبيعي التفكير . فهو يطالع جميع أصناف الكتب ، وله وجهة نظره الخاصة في كل شيء . وفي جناحه ، الذي يمكن أن أضيف أنه يقع قبالة جناحي تماماً ومؤلف من ثلاث غرف . . .

نيقولاي : في استطاعتك حذف التفاصيل .

بولوغي : أستميحك العذر ، لكن الحقيقة تتطلب شرحاً وافياً للقضية . وكانت جماعات مختلفـة مـــن الناس تزور جناحه ، بما فيهم بعض الحاضرين ههنا - غريكوف ، و . . .

نيقولاي : غريكوف ، أصحيح هذا ؟

غريكوف (بهدوء) : لا توجّه اليّ أية أسئلة ، فأنا أرفض الاجابة عنها .

نيقولاي : من العبث أن تسلك هكذا !

ناديا (بصوت عال) : يا لها من شطارة !

كليوباترا : ما معنى هذا ؟

زاخار : ناديا ، عزيزتي . . .

بوبويدوف : هس - س - س !

(ضجيج في الخارج على الشرفة)

نيقولاي : لا أرى سبباً يدعو الى وجود أولئك الذين لا مكان لهم هنا .

الجنرال : هم . . م . وماذا تعني بالضبط بأولئك الذين لا مكان لهم هنا ؟

بوبويدوف : اذهب ، يا كفاش ، وانظر سبب هذه الضجة .

كفاش : ثمة امرؤ يحاول اقتحام الباب ، يا سيادة النقيب . يسبّ ويحاول الدخول ، يا صاحب السعادة .

نيقولاي : ماذا يريد ؟ من هو ؟

بوبويدوف : اذهب واستطلع الأمر .

بولوغي : أتريدني أن أتابع شهادتي ، أم يجب أن أنقطع عنها ؟

ناديا : يا للمخلوق الكريه !

نيقولاي : كفّ عن ذلك . سأطلب من أولئك الذين لا مكان لهم هنا أن يتركونا !

الجنرال : كيف يجب أن أعتبر ذلك ؟

ناديا (تصيح مهتاجة) : أنتم الذين لا مكان لكم هنا ! ليس أنا ، بل أنتم ! أنتم لا مكان لكم على الاطلاق ! هذا منزلي ! ولي الحق في أن أطلب اليكم الخروج !

زاخار (الى ناديا ، في حنـــق) : اذهبي حالاً ، أتسمعينني ؟ حالاً !

ناديا : أتعني ما تقول ؟ حسناً . هذا يعني – أنني حقيقة لا مكان لي هنا . سأذهب ، لكن اسمح لي أولاً أن أقول لكم . . .

بولينا : الجمها ، والا نطقت بشيء مريع !

نيقولاي (الى بوبويدوف) : قل للدرك أن يغلقوا الأبواب .

ناديا : أنتم بلا وجدان ! بلا قلب ! جميعكـــــم أشقياء ، حقيرون . . .

كفاش (يدخل مسروراً) : شخص آخر يريد أن يعترف ، يا سيادة النقيب .
بوبويدوف : ماذا ؟
كفاش : قاتل آخر سلّم نفسه !

(يخطو أكيموف ، وهو فتى أصهب الشعر طويل الشاربين ، متمهلاً في اتجاه الطاولة)

نيقولاي (منتفضا رغماً عنه) : ماذا تريد ؟
أكيموف : أنا الذى قتلت المدير .
نيقولاي : أنت ؟
أكيموف : نعم ، أنا .
كليوباترا (في همس) : أيها الشقي ! اذن فان لك ضميراً !
بولينا : أيتها السموات الطيبة ! يا لهؤلاء الناس الفظيعين !
تاتيانا (في هدوء) : هؤلاء الناس سيربحون في النهاية .
أكيموف (متجهما) : حسناً ، ها أنذا . أسعيدون أنتم ؟

(اضطراب عام . نيقولاي يهمس حثيثاً شيئاً في أذن بوبويدوف . فيبتسم هذا في ارتباك . يقف المعتقلون صامتين لا حراك بهم . تقف ناديا قريباً من الباب ترنو الى أكيموف وتبكي . بولينا وزاخار يتهامسان . وصوت تاتيانا الهادئ يُسمع بوضوح في قلب السكينة .)

تاتيانا (الى ناديا) : لا تبكي . سيربح هؤلاء الناس في النهاية .
ليفشين : آه ، أكيموف ! ما كان يجب . . .
بوبويدوف : صمتاً !

ناديا (الى أكيموف) : لماذا فعلت ذلك ؟ لماذا ؟

ليفشين : لا تزعق ، يا صاحب السعادة . فأنا اكبر منك سناً .

أكيموف (الى ناديا) : أنت لا تفهمين . وتفعلين حسناً اذا خرجت من هنا .

كليوباترا : وما أكثر ما ادعى ذلك العجوز الشقي أنه تقيّ !

بوبويدوف : كفاش !

ليفشين : حسناً ، ماذا تنتظر ، يا أكيموف ؟ تكلم . قل لهم انه وضع مسدساً على صدرك ، وعند ذلك . . .

بوبويدوف (الى نيقولاي) : أتسمع ماذا يقول له ، ذلك الكذاب العجوز ؟

ليفشين : أنا لست كذاباً !

نيقولاي : حسناً ، كيف حالك الآونة ، يا ريابتزوف ؟

ريابتزوف : هذا ليس من شأنك .

ليفشين : لا تقل شيئاً . أبق فمك مغلقاً . انهم خبثاء ، وفي مقدورهم استعمال الكلمات أفضل منا .

نيقولاي (الى بوبويدوف) : ارمه خارجاً !

ليفشين : أوه ، لا ، لن تفعل ! لم يعد بالامكان رمينا خارجاً ! لقد ولّت الأزمان لمّا رمونا الى الخارج . لقد بقينا في الظلام — دون أية حقوق — زمناً طويلاً . كفاية ! أما اليوم فاشتعلنا جميعاً ، ولن تستطيع تهديداتكم ووعيدكم اطفاء نيراننا . لن ترمونا خارجا أبداً ! أبداً لن تستطيعوا !

ستار

ييجور بوليتشوف وآخرون

(مشاهد)

كتب غوركي مسرحية «ييجور بوليتشوف وآخرون» في عام ١٩٣١ . مثلت المسرحية للمرة الاولى على كل من مسرح فاختانغوف الحكومي في موسكو ومسرح بولشوي الدرامي في لينينغراد في ٢٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢ .

الشخصيات

ييجور بوليتشوف .
كسينيا (أكسينيا) – زوجته .
فارفارا (فاريا) – ابنته من كسينيا .
ألكسندرا (شورا) – ابنة غير شرعية لييجور .
ميلانيا (مالاشا) – رئيسة دير ، أخت زوجته .
أندريه زفونتسوف – زوج فارفارا .
ستيبان تياتين – ابن عم زفونتسوف
موكى باشكين .
فاسيلي (فاسيا) دوستيجاييف .
إيليزافيتا (ليزا) – زوج دوستيجاييف .
انطونينا (تونيا) } طفلا دوستيجاييف من زوجته الأولى .
الكسي
بافلين – كاهن .
طبيب .
نافخ بوق .
زوبونوفا – عرّافة .
بروبوتي (بروكوبي المقدس) – نصف مجنون .
جلافيرا (جلاشا) – خادمة .

تاييسيا – خادمة ميلانيا ، راهبة مبتدئة .
موكرووسوف – شرطي .
ياكوف (ياشا) **لابتيف** – ابن بوليتشسوف في العماد .
دونات – حارس غابة .

الفصل الأول

غرفة الطعام في دار تاجر غني في يوم شتوي مشرق . الأثاث فخم ضخم . والى جانب متكأ وثير عريض من الجلد سلّم يقود الى الطابق الثاني . وفي الزاوية ، الى اليمين ، نافذة كبيرة تطلُّ على الحديقة . كسينيا جالسة الى المائدة تنظف بعض الأقداح والملاعق . جلافيرا تقف الى جانب النافذة تصفف الأزهار . ألكسندرا (شورا) تدخل الغرفة ، مرتدية ثياب النوم ، وقدماها العاريتان مغروزتان في خفيْها ، وشعرها مرسل غير معقوص ، أحمر اللون ، مثل شعر ييجور بوليتشوف .

كسينيا : أنت عظيمة في النوم ، يا شورا . . .
شورا : كفاك تفحين ، فذلك لا يفيد على الاطلاق . جلاشا – شيئا من القهوة ! أين الجريدة ؟
جلافيرا : صعدتُ بها الى فارفارا ييجوروفنا .
شورا : أنزليها اذن . لديهم صحيفة واحدة للمنزل بأسره ، أولئك الشياطين !
كسينيا : من هم الشياطين ؟
شورا : هل والدي في الدار ؟
كسينيا : خرج لزيارة الجرحى . من هم الشياطين – آل زفونتسوف ؟
شورا : نعم . (على الهاتف) واحد ، سبعة ، ستة ، ثلاثة .

كسينيا : انتظري . لسوف أخبر آل زفونتسوف بأية أسماء تنعتينهم !

شورا : هلاّ ناديتم تونيا على الهاتف !

كسينيا : لن ينتهي سلوكك هذا بخير !

شورا : أهذا أنت ، يا أنطونينا ؟ هل سنذهب للتزحلق على الجليد ؟ كلا ؟ لماذا ؟ المسرح ؟ ألا تختلقين عذرا ؟ أوه ، أنت أيتها الأرملة غير الشرعية ، أنتِ ! أوه ، حسناً !

كسينيا : كيف تلقبين الفتاة بأرملة ؟

شورا : ألم يمت خطيبها ؟

كسينيا : ومع ذلك فهي لا تزال بنتاً .

شورا : وما أدراك ؟

كسينيا : آه منك ، أيتها العديمة الحياء !

جلافيرا (تقدم القهوة) : ستأتي فارفارا ييجوروفنا نفسهـــا بالصحيفة .

كسينيا : أنت تعرفين الكثير وما يزيد بالنسبة الى عمرك . ألا فاحذري - فكلما قلّت معرفتك تحسّن نومك . لم أكن أعرف شيئاً يوم كنت في مثل سنك . . .

شورا : وما زلت حتى الآن . . .

كسينيا : أنت مقرفة !

شورا : هذه شقيقتي قادمة بوقار تام . بون جور مدام ! كومان سافا ؟ *

---

* صباح الخير ، كيف حالك ؟ (بالفرنسية) . **المعرب** .

فارفارا : انها الحادية عشرة ، وأنت لم ترتدي ثيابك بعد ، ولم تسرحي شعرك . . .
شورا : هأنتذي تنعبين ثانية .
فارفارا : تزدادين وقاحة لأن الوالد يدللـــك ، ولأنـــه مريض . . .
شورا : وهل ستستمرين على هذا المنوال طويلاً ؟
كسينيا : وما يعنيها من أمر صحة والدها ؟
فارفارا : سوف أضطر الى اخباره عن سلوكك . . .
شورا : شكراً سلفاً . هل انتهيت ؟
فارفارا : أنت حمقاء !
شورا : أنت مخطئة . فلست أنا الحمقاء .
فارفارا : أيتها البلهاء الشقراء !
شورا : أنت تبددين جهودك عبثاً ، يا فارفارا ييجوروفنا .
كسينيا : لا فائدة ترجى من محاولة تهذيبها !
شورا : ان خلقك ليسوء أيضاً .
فارفارا : أوه ، لا بأس ، لا بأس ، يا عزيزتي ! أمـــاه ، فلنذهب الى المطهى . فالطاهي أخذته نوبة غضب من جديد . . .
كسينيا : انه قلق البال ، فقد قُتل ولده .
فارفارا : حسناً ، ليس هذا بسبب كاف لتتملكـــه ثورات الغضب . ان العديـــد من الناس يقتلون في هـــذه الأيام . . .

(تخرجان)

شورا : آه لسوف تتعرض لنوبة ان قتلوا عزيزها أندريوشا !

جلافيرا : اية فائدة ترجين من اغاظتها على هذا الشكل ؟ اشربي قهوتك بسرعة ، فيجب أن ارتب المكان . (تخرج ، حاملة السماور .)

(تجلس شورا على المقعد وتستند بظهرها اليه وقد أغلقت عينيها ، وشبكت يديها خلف رأسها الأحمر .)

زفونتسوف (يهبط الدرج على مهله وقد لبس خفيه ، يتلصص حذراً مقترباً من شورا من الخلف ويعانقها) : بمَ كنت تحلمين ، أيتها القطة الحمراء ؟

شورا (من غير ان تفتح عينيها او تتحرك) : لا تلمسني .

زفونتسوف : ولمَ لا ، انت تحبين هذا ، أليس كذلك ؟ قولي نعم . أتحبينه ؟

شورا : كلا .

زفونتسوف : ولمَ لا ؟

شورا : دعك من هذا . أنت تدعي ذلك فقط . فأنا لا أعجبك اطلاقاً .

زفونتسوف : ولكنك تريدين ان تعجبيني ، أليس كذلك ؟

(تظهر فارفارا على السلم .)

شورا : اذا اكتشفت فارفارا . . .

زفونتسوف : هس ! (يتحرك مبتعداً ، ويتحـــدث بلهجـــة ارشادية تعليمية .) هِمْ . . . نعم أنت . . يجب ان تستجمعي قواك . يجب أن تدرسي . . .

فارفارا : هي تفضل أن تكون وقحة فظة ، وان تلهو بنفـخ فقاعات من الصابون مع أنطونينا . . .

شورا : حسناً ، ولم لا أفعل ؟ انني أحب نفخ الفقاعات . هل تأسفين على الصابون ؟

فارفارا : انا آسفة من أجلك . لا أستطيع ان أتصور كيف ستعيشين . لقد طردت نهائيـــاً من المدرســـة الثانوية . . .

شورا : ليس هذا صحيحاً .

فارفارا : ورفيقتك نصف مجنونة .

زفونتسوف : انها تريد دراسة الموسيقى .

فارفارا : مَنْ ؟

زفونتسوف : شورا .

شورا : ليس هذا صحيحاً . لا أريد دراسة الموسيقى أبداً .

فارفارا : من أين جئت بهذه المعلومات ؟

زفونتسوف : أفلم تخبريني ، يا شورا ، أنك تودين ذلك ؟

شورا (وهي خارجة) : أنا لم أقل شيئاً من هذا القبيل .

زفونتسوف : هم . . . غريب . وأنا لم أختلق ذلك ! أنت شديدة القسوة في معاملتها ، يا فاريا .

فارفارا : وأنت كثير اللطف والتودد .

زفونتسوف : ماذا تعنين بقولك «كثير اللطف والتودد» ؟ انت تعرفين ما هي خطتي ، ألا تعرفين ؟

فارفارا : لا أقول شيئاً عن خطتك ، انما يبدو لي أنك كثير اللطف والتودد الى درجة تثير الريبة .

زفونتسوف : أية حماقات تتسلط على رأسك !

فارفارا : حماقات ، ها ؟

زفونتسوف : فكري في هذا بنفسك . هل تناسب مشاهد الغيرة في مثل هذه الأوقات الخطيرة ؟

فارفارا : لماذا نزلت الى هنا ؟

زفونتسوف : أنا ؟ ثمة . . . اعلان هنا في الجريدة . وقد جاء حارس الغابة ، وهو يقول ان الفلاحين حاصروا دباً .

فارفارا : ان دونات في المطهى . ماذا يقول الاعلان ؟

زفونتسوف : لقد طفح الكيل ! انا لا أحب لهجتك ! من تحسبينني – أأنا طفل صغير ؟ يا للعنة !

فارفارا : كفاك ، كفاك ، لا تَثُرْ ! أعتقد أن والدي جاء الى الدار . هلّا نظرت الى هيئتك !

(يهرع زفونتسوف الى الطابق الثاني . وتخرج فارفارا لاستقبال أبيها . تسرع شورا الى الهاتف ، وهي ترتدي صديرية دافئة من الصوف الأخضر وقبعة خضراء . يدخل بوليتشوف فيقطع عليها الطريق ، ويضمها اليه في سكون . يدلف الأب بافلين ، مرتديا غفارة بنفسجية اللون ، الى الغرفة مقتفياً خطوات بوليتشوف .)

بوليتشوف (يجلس الى الطاولة وقد أحاط خصر شورا بذراعه ، بينما هي تسرح بأصابعها شعره النحاسي

اللون ببواكر الشيب فيه) : وهكذا شوهوا الكثيرين . هذا شيء رهيب !

بافلين : كيف حالك ، يا شورا – تتفتحين وتزهرين ، على ما أرى ؟ اعذريني اذ لم أحيّك حينما دخلت . . .

شورا : كان من واجبي أنا ان أفعل ذلك ، أيها الأب بافلين . لكن والدي أمسك بي واحتضنني كالدب . . .

بوليتشوف : رويدك ، يا شورا ! أصغي ! ماذا يتوجب على هؤلاء الناس أن يفعلوا الآن ؟ لدينا كثرة من الناس الذين لا فائدة ترجى منهم حتى قبل الحرب . ما كان يجب أن نتدخل في هذه الحرب . . .

بافلين (وهو يصعد زفرة) : اعتبارات السلطات العليا . . .

بوليتشوف : كانت سياستنا سيئة جداً ازاء اليابانيين أيضاً ، وكانت النتيجة ان تعرضنا للعار أمام العالم أجمع . . .

بافلين : ولكن الحروب لا تسبب الدمار فحسب ، بل هي تغني المرء أيضاً – ان بالتجربة أو بالـ . . .

بوليتشوف : بعض الناس يقاتلون ، والآخرون يسلبون وينهبون .

بافلين : وخلاف هذا ، لا شيء في الحياة يحدث بدون ارادة اللّه – فأي مغزى نأمل من غمغماتنا ؟

بوليتشوف : والآن ، أنظر إليّ ، يابافلين سافيلييف ، كُفّ عن هذه المواعظ . . . أكنت ذاهبة للتزلج على الجليد ، يا شورا ؟

شورا : نعم ، وأنا في انتظار انطونينا .

بوليتشوف : حسنا ! اذا بقيت هنا ، فسوف أناديك بعيد خمس دقائق .

(تخرج شورا راكضة)

بافلين : لكم كبرت هذه الصبية ! . . وغدت فتاة . . .

بوليتشوف : نعم ، هي بديعة التكوين ، خفيفة الحركة رشيقتها ، لكن وجهها يخيّب الأمل بعض الشيء . كانت أمها قبيحة . كانت ذكية كالشيطان ، لكن قبيحة .

بافلين : وجه ألكسندرا ييجوروفنا . . أخاذ . . و . . لا يخلو من فتنته الخاصة . من أين كانت أمها ؟

بوليتشوف : سيبيرية الاصل . انت تتحدث عن السلطات العليا . . وارادة اللّه . . والى آخر ما هنالك . حسناً ، وما رأيك بمجلس الدوما ؟ من أين جاءنا هذا ؟

بافلين : مجلس الدوما . . حسنا ، انه اذا جاز التعبير . . انقاص ذاتي للسلطة . وكثير من الناس ينظرون اليه على كونه غلطة قاتلة ، انما لا يليق بأحد خدام الكنيسة المقدسة ان يستقصي مثل هذه الأمور . وفيما عدا ذلك فانه يقع على عاتق اكليروس هذه الايام ان يضرموا روح الثبات والعزم . . . وأن يرعوا حب القيصر والوطن . . .

بوليتشوف : لقد اضرموا الحمية وذاقوا المنية . . .

بافلين : أنت تعلم اني اقنعت وكيل الكنيسة حيث أخدم بان يوسع جوقة المرتلين والمنشدين ، وكذلك تحدثت الى

الجنرال بيتلينغ بخصوص تبرُّع لصنع ناقوس للكنيسة الجديدة التي تشيَّد على مجد شفيعك القديس ييجور الطاهر . . .

بوليتشوف : وهو لم يعطك شيئاً ، فيما اعتقد ؟

بافلين : هو لم يكتف بالرفض ، بل روى نكتة غير محتشمة ، فقال : «أنا لا أطيق النحاس حتى في فرق الموسيقى العسكرية» . والآن ، ما قولك في الاكتتاب بشيء من المال من أجل الناقوس نظراً لانحراف صحتك ؟

بوليتشو (وهو ينهض) : رنين الناقوس لا يشفي الامراض .

بافلين : من يدري ؟ فالعلم لم يكتشف بعد الأسباب المؤدية الى كثير من الامراض . لقد سمعت أنهم يشفون بعض الأمراض بواسطة الموسيقى في بعض المصحات في الخارج . وكان ثمة إطفائي عندنا يسعف المريض بالعزف على البوق . . .

بوليتشوف (ضاحكاً) : أى صنف من الأبواق ؟

بافلين : بوق نحاسي . ويقولون انه بوق كبير تماماً .

بوليتشوف : حسناً ، بالطبع ، مادام البوق كبيراً . . . وهل كان ينجح ؟

بافلين : يقولون انه كان ينجح . كل شيء ممكن ، يا عزيزي ييجور فاسيليفيتش ! كل شيء ممكن ! اننا نحيا في الأسرار ، في حلكة عدد من أسرار غامضة لا حصر لها . ويبدو لنا أننا نرى نوراً وانه ينبثق من عقلنا ، لكنه لا يبدو نوراً الا بالنسبة الى بصرنا فحسب ، في حين

يمكن لعقلنا أن يعمل على اظلام روحنا ، ان لم يخمدها تماماً .

بوليتشوف (متنهداً) : آيْ ، ما أكثر ما تجيد الكلام !

بافلين (بحمية متزايدة) : خذ ، مثلاً ، بروكوفي الطاهر ؛ بأية غبطة عاش هذا الرجل ، وهو الذي يسميه الجهلة أحمق .

بوليتشوف : آه ، عدنا الى المواعظ ثانيا ! وداعاً ، فأنا متعب .

بافلين : مع أصدق تمنياتي لك بالصحة الجيدة . لسوف أصلي الى الله من أجلك . . . (يخرج)

بوليتشوف (يلمس جنبه الأيمن . ثم يخطو في اتجاه المتكأ ، وهو يزمجر) : ذلك الخنزير الضخم . . لقد سمن على حساب دم المسيح وجسده . . . جلافيرا ! هيه !

(تدخل فارفارا)

فارفارا : ما بالك ؟

بوليتشوف : لا شيء . كنت أنادي جلافيرا فقط . آه . يا عزيزتي ، أراك متأنقة . الى أين أنت ذاهبة ؟

فارفارا : الى حفلة خيرية يرصد ريعها لمساعدة الجنود الناقهين . . .

بوليتشوف : وتضعين النظارات على أنفك أيضا ؟ كذب أن عينيك في حاجة اليهما ، الموضة . . .

فارفارا : يجب أن تتحدث الى ألكسندرا ، يا آبتِ ، فسلوكها مقيت . وهي لا تطاق في الحقيقة .

بوليتشوف : يا لكم من مجموعة رائعة ، أنتم جميعاً ! هيا ! (تخرج فارفارا . يهمهم بينه وبين نفسه) لا تطاق ! انتظروا حتى تتحسن صحتي ، فأريّنكم اي شيء يحتمل ويطاق !

(تدخل جلافيرا)

جلافيرا : هل ناديتني ؟

بوليتشوف : نعم . آه ، يا جلاشا ، ما أجملك ! تتفجرين صحة وقوة ! اما فارفارا – فليست أكثر من فزّاعة !

جلافيرا (تربو الى السّلم) : هذا من حسن حظها . لو كانت جميلة الطلعة لما ترددت في جرّها الى فراشك هي الأخرى .

بوليتشوف : ابنتي أنا ؟ فكري فيما تقولين ، يا حمقاء !

جلافيرا : انني أعرف ما أقول ! أنت تهصر شورا وكأنها غريبة . . . مثل أحد الجنود تماماً !

بوليتشوف (معقود اللسان) : انت مجنونة ، يا جلافيرا ! أنت تغارين من ابنتي ، أليس كذلك ؟ اياك والتجاسر على الظن بشورا هكذا ! مثل احد الجنود . . . وكأنها غريبة ! هل صدف ووقعت أنت نفسك بين يدي جندي ؟ ايه ؟

جلافيرا : ليس هذا بالمكان المناسب . . ولا هو الوقت الملائم ، لمثل هذا الحديث . فيمَ دعوتني ؟
بوليتشوف : أرسلي دونات اليّ . مهلاً ! ناوليني يدك . انك تحبينني ، ها ؟ بالرغم من مرضي ؟
جلافيرا (تطوق عنقه بذراعيها) : آه ، انك تحطم قلبي . . لا تمرض بعد الآن ! أوه ، لا تمرض ! (تنتزع نفسها منه ، ثم تولي خارجة)

(يبتسم بوليتشوف ، رغم التقطيبة العبوس التى تعلو حاجبيه ، ويلحس شفتيه بلسانه ، ثم يهزُّ رأسه ، ويضطجع على المتكأ . يدخل دونات)

دونات : كيف حالك ، يا ييجور فاسيليفيتش ! آمل ان تكون بخير وعافية .
بوليتشوف : شكراً . ما وراءك من أخبار ؟
دونات : أخبار طيبة . لقد حاصرنا دباً .
بوليتشوف (متنهداً) : آه ، هذا الخبر يثير غيرتي اكثر من فرحي . الدب لا يسليني في هذه الأيام . هل يقطعون الاشجار ؟
دونات : ليس كما ينبغي ، فليس لدينا ما يكفي من العمال .

(تدخل كسينيا ، متزينة بأبهى حللها ، وقد حمّلت أصابعها بالخواتم)

بوليتشوف : ما الأمر ؟
كسينيا : لا شيء . أرجو الا تفكر بأي صيد للدببة ، يا ييجور ، فحالك لا تسمح بذلك .
بوليتشوف : انتظري لحظة ! انتَ تقول انه ليس لدينا ما يكفي من العمال ؟
دونات : لم يبق غير الشيوخ والأطفال . لقد أعطي الأمير خمسين من أسرى الحرب ، ولكنهم لا يصلحون للعمل في الغابات .
بوليتشوف : أراهن انهم يصلحون للعمل مع النساء ، مع ذلك .
دونات : أنت قلتَ .
بوليتشوف : أجل . . . فالنساء جائعات هذه الأيام .
كسينيا : تناهى اليّ أن القرى بأجمعها غارقة في موجة من الفحش والدعارة . . .
دونات : ولم تسمينها دعارة ، يا أكسينيا ياكوفليفنا ؟ فالرجال قُتلوا ولابدّ من ولادة الأطفال ، أليس كذلك ؟ ويتبين ان اولئك الذين اقترفوا القتل هم الذين يجب ان يقوموا بعملية الاخصاب .
بوليتشوف : هذا هو الظاهر . . .
كسينيا : هراء ، ما صنف أولئك الأطفال الذين تنجبهم النساء من أسرى الحرب ؟ ومن جهة أخرى ، اذا كان الرجل قوياً معافى . . .
بوليتشوف : وكانت المرأة غبية حمقاء – فهو لن يريد أطفالاً منها .

كسينيا : نساؤنا لسن حمقاوات . المشكلة هي أن جميع الرجال الاقوياء سيقوا الى الحرب ، ولم يتخلّف في البيوت غير . . . النواب !

بوليتشوف : لقد هلك وتشوّه عدد مريع من الناس . . .

كسينيا : مقابل ان الباقين سيكونون في حال ايسر .

بوليتشوف : وجدتِها !

دونات : القياصرة لا يكتفون بشعبهم .

بوليتشوف : ماذا قلت ؟

دونات : قلت ان القياصرة لا يكتفون بشعبهم . ليس لدينا ما يكفي لاطعام شعبنا ، ومع ذلك نريد أن نغزو الشعوب الأخرى .

بوليتشوف : صحيح . هذا صحيح تماماً !

دونات : ليس ثمة معنى آخر لقتالنا هذا . وهاهم يضربوننا عقاباً لشرهنا .

بوليتشوف : ان ما قلت صحيح ، يا دونات ! وهذا ما يقوله ياكوف ابني في العماد : «الشراهة وراء كل شر» . كيف حاله هناك ؟

دونات : على أحسن حال . فهو شاب ذكي .

كسينيا : هه ! وجدته ذكيا ! انه صفيق ليس غير .

دونات : ان ذكاءه يجعل منه وقحاً ، يا أكسينيا ياكوفليفنا . لقد قبض على عشرة ونيّف من الفارين من الخدمة العسكرية ، يابيجور فاسيليفيتش ، وأجبرهم على العمل ، وهم الآن يعملون بجد ونشاط . هذا يمنعهم من السرقة على الأقل .

بوليتشوف : ولكن . . . لو علم موكرووسوف بهذا لأثار المتاعب .

دونات : موكرووسوف يعلم ذلك . بل وسرّ منه . فذلك يسهّل الأمور عليه .

بوليتشوف : حسناً ، دبِّر نفسك . . .

(يهبط زفونتسوف السلّم)

دونات : وماذا عن الدب اذن . . .

بوليتشوف : الدب انه حظك السعيد .

زفونتسوف : لعلك تسمح لي باهــداء الدب الى الجنرال بيتلينغ ؟ أنت تدري أنه يقدم لنا . . .

بوليتشوف : نعم ، أدري ، قدمه اليه . أو قـدّمه للمطران ، اذا شئت !

كسينيا (ضاحكة) : بودي أن أرى المطران وهو يطلق النار على الدب .

بوليتشوف : كفى ، انني متعب . طاب يومك ، يا دونات . يبدو ان الاحوال سيئة نوعاً ما ، أليس كذلك ، ايهـا الأخ ؟ ساءت الاحوال منذ مرضي .

(ينحني دونات في صمت ، ويخرج)

بوليتشوف : إبعثي لي شوركا من فضلك ، يا أكسينيا . والآن ، يا اندريه ، ماذا كنت تبغي ان تقول ؟ أنطق ، يا رجل !

زفونتسوف : الأمر يتعلق بلابتيف .
بوليتشوف : وما باله ؟
زفونتسوف : سمعت أنه يختلط بـ . . مشبوهين سياسيين ، وقد خطب في جمع من الفلاحين عدة مرات في سوق كوبوسوفو مهاجماً الحكومة .
بوليتشوف : هراء ! أية أسواق هنالك في هذه الأيام ؟ واي فلاحين ؟ وفيمَ تشكون جميعاً من ياكوف ؟
زفونتسوف : حسناً ، انه من أسرتنا ، نوعاً ما . . .

(تدلف شورا راكضة .)

بوليتشوف : نوعاً ما ! . . حقاً ، أنتم لا تعتبرونه فرداً من العائلة . ولذا فهو يرفض حتى القدوم للغداء معنا أيام الآحاد . . اذهب عني الآن ، يا أندريه ، فستخبرني بهذه الأمور فيما بعد .

(يخرج زفونتسوف)

شورا : أكان يغتاب ياكوف ؟
بوليتشوف : ليس هذا من شأنك . اجلسي هنا . فالجميع يتذمرون منك ، أنت أيضاً .
شورا : من هم الجميع ؟
بوليتشوف : أكسينيا ، فارفارا . . .
شورا : أوه ، هؤلاء ليسوا الجميع .
بوليتشوف : اني أتحدث جاداً ، يا شورا .
شورا : لا . فأنت لا تتحدث هكذا عندما تكون جاداً .

بوليتشوف : أنت كثيرة الوقاحة مع الجميع ولا تعملين شيئاً . . .
شورا : اذا كنت لا أعمل شيئاً ، فمن أين جاءت وقاحتي ؟
بوليتشوف : أنت لا تسمعين أحداً .
شورا : انني أسمع الجميع . وقد مللت السماع لهم ، ايها الزنجبيل .
بوليتشوف : اذا كنتُ الزنجبيل – فأنت زنجبيلة اللون أكثر مني . وأنت تتواقحين معي أيضاً ! من واجبي أن أوبخك ، بيدَ أني لا أحسُّ رغبة في ذلك .
شورا : اذا كنت لا تريد ذلك ، فلا حاجة بك اليه اذن .
بوليتشوف : هكذا ! لتكون الحياة أسهل اذن ، انما لا يجوز ذلك .
شورا : من يمنعك ؟
بوليتشوف : كل شيء . الجميع . لكن هذا أكثر من أن تفهميه .
شورا : حسناً علّمني اذن ، وهكذا أفهم ، بحيث لا يمنعونني . . .
بوليتشوف : هذا شيء لا يمكن تلقينه ! أهذه أنت ايضاً ، يا أكسينيا ؟ فيم تجوالك من فوق الى تحت ؟ عمَّ تفتشين ؟
كسينيا : لقد قدم الطبيب . وباشكين ينتظر مقابلتك . هلاّ أرخيت تنورتك ، يا ألكسندرا ؟ يا لها من طريقة للجلوس !
بوليتشوف (ينهض) : حسناً ، أدخلي الطبيب (تخرج

كسينيا .) الاضطجاع يزعجني ، انه يبهظني آخ !
(الى شورا .) أركضي ، يا فتاتي ! احذري ان تلوي عقبك !

الطبيب : أسعدت صباحاً ! كيف حالك اليوم ؟

بوليتشوف : على اسوأ حال . أدويتك لا تفيدني كثيراً ، أيها الطبيب .

الطبيب : حسناً ، حسناً ، فلنذهب الى غرفتك .

بوليتشوف (خارجاً مع الطبيب) : صف لي ألعن الأدوية التي تعرفها واثمنها ؛ لا بدّ لي من التحسن ! فاذا شفيتني ، فلسوف أشيد مستشفى وأجعلك مديراً له ، واذّاك تستطيع أن تفعل ما يحلو لك . . . (يخرجان)

(يدخل باشكين وكسينيا)

كسينيا : ماذا قال الطبيب ؟

باشكين : قال انه السرطان ، سرطان الكبد . . .

كسينيا : خلـّصنا ، يا اللـّه ! هذا ما خطر في بالهم !

باشكين : وقال انه داء خطر .

كسينيا : سيقول ذلك بالطبع ! كل انسان يعتقد ان عمله أصعب الأعمال وأقساها . . .

باشكين : تصوري ان يمرض المرء في مثل هذا الوقت ! فالاموال تتساقط في كل مكان وكأنها تهوي من جيب ممزق ؛ والمتسولون يربحون الآلاف الباذخة ، بينما هو . . .

كسينيا : هذا صحيح ! الناس يصبحون أغنياء ، أغنياء جداً !

باشكين : دوستيجاييف سمن الى درجة انه يتجول هنا وهنالك مفكوك الأزرار ، ولا يتحدث الا بالآلاف . واذا سألتني عن ييجور فاسيليفيتش – فيبدو أن سحابة تحوّم في فكره . لقد قال قبل أيام : «انني أعيش ، وقد فاتني الشيء الحقيقي طوال الوقت .» ترى ، ماذا يقصد ؟

كسينيا : أوه ، لاحظت ذلك ، أنا أيضاً – اقواله غريبة !

باشكين : ولقد بدأ حياته على اكتاف دراهمك ودراهم أختك . كان يجب ان يزيد ذلك المال .

كسينيا : لقد أخطأت ، يا موكي ، وهو شيء أدركته منذ زمن بعيد . تزوجت بائعاً – ولكنني أخطأت الاختيار . لو اني تزوجتك أنت – ما أنعم الحياة التى كنا عشناها معاً اذن ! أما هو . . . يا الهي ! الأمور التي أقدم على صنعها ! والامور التي كان لا بدّ لي أن أتحملها من قبله ! جاء بابنة زنىً الى بيتي ، وحملني عبء رعايتها . واختار صهراً ليس أردأ منه ! أنا خائفة ، يا موكي بتروفيتش ، خائفة أن يطوقاني ويخدعاني ، صهري هذا وفارفارا ، لسوف يدمرانني . . .

باشكين : لن يدهشني ذلك . انها الحرب . والناس في الحروب لا يعرفون خجلاً أو شفقة .

كسينيا : أنت خادم قديم لعائلتنا ، وقد أوقفك والدي على قدميك – فكر في أمري . . .

باشكين : إني أفكر .

(يظهر زفونتسوف)

زفونتسوف : هل ذهب الطبيب ؟
كسينيا : كلا ، لمّا يزل هنا .
زفونتسوف : ماذا جرى بشأن الجوخ ، يا موكي بتروفيتش ؟
باشكين : رفض بيتلينغ استلامه .
زفونتسوف : كم يجب أن ندفع له ؟
باشكين : حوالي خمسة آلاف ، لا أقل .
كسينيا : اللص ! وهو شيخ عجوز ايضاً !
زفونتسوف : بواسطة جاننّا ؟
باشكين : نعم – بالطريقة المعتادة .
كسينيا : خمسة آلاف روبل ! ولماذا ؟
زفونتسوف : بخست قيمة المال هذه الأيام .
كسينيا : عندما يكون هذا المال في جيب شخص آخر . . .
زفونتسوف : وهل وافق حمى ؟
باشكين : هذا ما جئت لأعرفه ، ما اذا كان قد وافق أم لا . . .
الطبيب (يخرج في هذه اللحظة ويأخذ زفونتسوف من ذراعه) : حسناً ، يجب أن أخبرك . . .
كسينيا : أوه ، أرجو أن تخبرنا بما يفرحنا . . .
الطبيب : ينبغي للمريض أن يلزم فراشه قدر المستطاع . فالأعمال ، والانفعالات ، والضجيج ، كل هذا من الأمور التي تسيء إليه . يجب أن يحصل على الراحة والهدوء . . . وإذ ذاك . . . (يهمس بشيء ما الى زفونتسوف .)

كسينيا : لماذا لا تخبرني ؟ انني امرأته !

الطبيب : هنالك أمور يستحسن ألا نحدث النساء عنهـــا . (يهمس من جديد .) سنهيئ ذلك في هذا المساء اذن .

كسينيا : ستهيئان ماذا ؟

الطبيب : استشارة مع عدة أطباء آخرين .

كسينيا : يا للسما – وات !

الطبيب : أوه ، ليس في ذلك شيء رهيب . حسناً ، وداعاً . (يخرج .)

كسينيا : يا له من رجل صارم . . . وهو ليس أفضل مـن الآخرين ! يقبض خمسة روبلات أجراً لخمس دقائق . ستون روبلاً في الساعة – ما رأيك بهذا ؟

زفونتسوف : يقول إن الأمر يستوجب عملية .

كسينيا : ماذا ، السكين ؟ لا شيء من هذا القبيل ! لن أسمح بأن تتناوله السكين . . .

زفونتسوف : لكن اسمحي لي . . . هذا جهل خالص ! الجراحة والعلم . . .

كسينيا : لا أبالي بعلمك البتة . وهكذا ! فأنت قليل الأدب معي أيضاً .

زفونتسوف : أنا لا أتحدث عن الأدب الآن – إنني أتحدث عن جهلك . . .

كسينيا : وأنت متنور جداً ، أليس كذلك ؟

(يلوح زفونتسوف بذراعيه في غيظ ، ثم يخطو مبتعداً . وفي تلك اللحظة ، تندفع جلافيرا الى وسط الغرفة)

كسينيا : إلى أين تنطلقين ؟
جلافيرا : جرس غرفة النوم . . .

(تتبعها كسينيا إلى غرفة نوم بوليتشوف)

زفونتسوف : اختار حمى أن يمرض في وقت غير ملائم .
باشكين : نعم . وهذا مزعج . في مثل هذه الأوقات يتصيد الأذكياء المال في الهواء كالمشعوذين .
زفونتسوف : هم° ، بلى ! وبالاضافة إلى هذا فثمة ثورة تقرع الأبواب .
باشكين : وهذا ما لا أوافق عليه . لقد قامت ثورة عام ١٩٠٥ ، وكانت فقاعات لا فائدة منها .
زفونتسوف : في عام ١٩٠٥ حدث عصيان — لا ثورة . في ذلك الوقت كان العمال والفلاحون في بيوتهم — أما الآن ، فهم جميعاً في الجبهة . وستقوم الثورة ، هذه المرة ، ضدّ الموظفين الكبار ، والحكام ، والوزراء .
باشكين : اذا كانت الحال ما ذكرت ، فليباركها اللّه ويتعهدها برعايته ! فالموظفون أكثر شراً من القراد . اذا التصقوا بجلدك مرة ، فلن تستطيع انتزاعهم منه . . .
زفونتسوف : ومن الواضح أن القيصر لا يصلح للحكم .
باشكين : يتردد مثل هذا القول بين التجار أيضاً . يقولون ان فلاحاً أو ماشابه يحوم حول القيصرة .

(تظهر فارفارا على السلم ، وتقف مرهفة أذنيها)

زفونتسوف : نعم ، جريجوري راسبوتين .
باشكين : على كل حال فأنا لا أؤمن بالسحر .
زفونتسوف : أفلا تؤمن بالعشاق أيضاً ؟
باشكين : تلك تبدو حكاية ملفقة بالنسبة الي . فلديها المئات من الجنرالات تستطيع الانتقاء من بينهم .
فارفارا : يا للهراء !
باشكين : الجميع يقولون هذا ، يا فارفارا ييجوروفنا . أما من جهتي أنا ، فأعتقد أننا عاجزون عن العمل بدون قيصر .
زفونتسوف : نحن في حاجة الى قيصر – ليس في بتروغراد – بل في رؤوسنا . (الى فارفارا) هل انتهت المسرحية ؟
فارفارا : أُجّلت . لقد جاء أحد المفتشين ، وقال إن دفعة جديدة من الجرحى تُنتظر هذه الليلة ؛ خمسمائة رجل تقريباً ، ولا يوجد لهم مكان .

(تدخل جلافيرا)

جلافيرا : إنه يسأل عنك ، يا موكي بتروفيتش .

(تخرج جلافيرا وباشكين . يترك الأخير قبعته على الطاولة)

فارفارا : كيف تثق به وتأتمنه ؟ أنت تدري أنه يتجسس علينا لحساب أمي . إنه يلبس هذه القبعة منذ عشر

سنوات ، هذا الشحيح ! ذلك كله دنس وقذارة ! لست أفهم فيمَ تصاحب هذا المحتال و . . .

زفونتسوف : آه ، كفاكِ . . إنما أبغي أستدانة المال منه كي أرشو بيتلينغ . .

فارفارا : لكنني أخبرتك أن ليزا دوستيجاييفا ستدبر كل هذا بواسطة جانّا ! وسيكون ذلك أرخص أيضاً . . .

زفونتسوف : لسوف تخدعك ، ليزا . . .

كسينيا (من غرفة نوم زوجها) : تعالوا وارغموه على الاضطجاع ! إنه يتابع التجوال في الغرفة ، والصياح في وجه باشكين . . . يا إلهي ارحمني ! . .

زفونتسوف : اذهبي اليه ، يا فاريا . . .

بوليتشوف (في منامته وخفيه المكسوين باللباد) : حسناً ، وماذا ايضاً ؟ هذه الحرب المشؤومة ؟

باشكين (يتبعه) : من ينكر ذلك ؟

بوليتشوف : مشؤومة بالنسبة الى من ؟

باشكين : لنا نحن .

بوليتشوف : ومن تقصد بـ . . . «نحن» ؟ أنت تقول انهم يجمعون الملايين من هذه الحرب ؟ حسناً ؟

باشكين : كنت أقصد للشعب . . .

بوليتشوف : انما الشعب هو الفلاح ، وسواء لديه أعاش أم مات ! هذه هي كل الحقيقة التي تتحدث عنها !

كسينيا : لا تهتج ، محبة بالله . فالهياج يؤذيك .

باشكين : لم أقصد ذلك ألبتة . أي نوع من الحقيقة تسمي ذلك ؟

بوليتشوف : الحقيقة الصادقة . هذه هي الحقيقة . وأقول بصراحة ان عملي هو جمع المال ، أما عمل الفلاح – فزرع الحبوب ، وشراء السلع . وهل هناك حقيقة غير هذه ؟

باشكين : هذه هي الحقيقة طبعاً ، انما . . .

بوليتشوف : حسناً ، ماذا تقصد بـ«انما» ؟ فيمَ تفكر عندما تسرقني ؟

باشكين : لِمَ تهينني هكذا ؟

كسينيا : لم لا تفعلين شيئاً ، يا فاريا ؟ أقنعيه ، فالمطلوب منه أن يضطجع في فراشه .

بوليتشوف : أفي الشعب أنت تفكر ؟

باشكين : تهينني أمام الجميع ! أنا سرقتك ! هذا يتطلب برهاناً !

بوليتشوف : ليس هنالك شيء يُبرهن عليه . الجميع يعرفون أن السرقة عمل مشروع . وليس من مبرر لاهانتك . فالاهانة لا تجعل منك انساناً أفضل ، بل تزيدك سوءاً ليس غير . ثم لست أنت السارق ، بل الروبل . الروبل بالذات هو اللص الأعظم . . .

باشكين : لا يمكن أن يقول هذا القول سوى شخص مثل ياكوف لابتيف .

بوليتشوف : هذا ما يقوله بالضبط . حسناً ، في مقدورك الذهاب الآن . إن بيتلينغ لن يحصل على أية رشوة . لقد حصل منا على ما يكفي ، ما يكفي ثمنا لنعشه

وكفنه ، ذلك الشيطان العجوز ! (يخرج باشكين) ماذا تفعلون هنا ؟ ماذا تنتظرون ؟

فارفارا : لا ننتظر شيئاً .

بوليتشوف : لا شيء حقاً ؟ حسناً ، اذا كنتم لا تنتظرون شيئاً ، فهيا الى أعمالكم . أفليس لديكم ما تعملون ؟ أكسينيا ، مري أحدهم بتهوية غرفتي . انها خانقة الجو – عابقة برائحة الأدوية الحادة . وبعد ، قولي لجلافيرا أن تحمل لي بعض الكفاس المصنوع من التوت البري .

كسينيا : لا يجوز لك ان تشرب الكفاس .

بوليتشوف : هيا ، هيا من هنا ! إنني أعلم ما يجوز لي وما لا يجوز .

كسينيا : (وهي خارجة) : لو كنت تعلم فقط . . .

(الجميع يغادرون الغرفة)

بوليتشوف (يدور حوالي الطاولة ، مستنداً اليها بيده . يرنو إلى المرآة ، ويقول بأعلى صوته) : أنت في حالة سيئة ، يا ييجور . وبوزك . وبوزك هذا – لا يبدو أنه بوزك ايضاً !

جلافيرا (تدخل حاملة قدحاً من الحليب على صينية) : اليك قليلاً من الحليب .

بوليتشوف : أعطيه للقطة . وائتيني ببعض الكفاس – الكفاس المصنوع من التوت البري .

جلافيرا : قالوا لي ألا أقدّم اليك كفاساً .

بوليتشوف : لا تهتمي بما يقولون لك – هيا ائتيني بـه . مهلاً ! ماذا تحسبين – هل سأموت ؟

جلافيرا : هذا غير معقول .

بوليتشوف : لماذا ؟

جلافيرا : لا أصدق ذلك !

بوليتشوف : لا تصدقين ذلك ؟ لا ، يا عزيزتي ، حالتـي رديئة ! رديئة جداً . أنا أعرف !

جلافيرا : لا أصدق ذلك .

بوليتشوف : أمرأة عنيدة ، هذه حقيقتك . هيا ، ولنتناول الكفاس إذن . وسأشتـف قطـرة مـن فودكا البرتقال . . . فذلك يفيدني . (**يتجه نحو الخزانة** .) لقد أقفلوها ، حلّت عليهم اللعنة . الخنازير القذرة يحافظون عليّ ! يخيّـل الـيّ لكأنـي سجين ، او معتقل . . .

ستار

الفصل الثاني

غرفة استقبال آل بوليتشوف . زفونتسوف وتياتين يجلسان في احدى الزوايا الى طاولة صغيرة مدورة ، وعلى الطاولة تنتصب زجاجة من الخمرة .

زفونتسوف (يشعل دخينة) : أفهمتني ؟
تياتين : بصراحة ، يا أندريه ، لا أحب ذلك . . .
زفونتسوف : ولكنك تحبُّ المال ، أليس كذلك ؟
تياتين : أنا آسف ، ولكنني أحبه .
زفونتسوف : من الذي تأسف له ؟
تياتين : نفسي ، بالطبع .
زفونتسوف : إنها لا تستحق ذلك !
تياتين : لكنك تعرف ، مع ذلك ، ان صديقي الوحيد هو أنا نفسي .
زفونتسوف : يحسن أن تقلّل من فلسفتك ، وأن تفكر قليلاً .
تياتين : انني أفكر . انها شابة مدللة ، وسوف تكون مشكلة عويصة .
زفونتسوف : تستطيع أن تطلقها .
تياتين : فتحتفظ هي بالمال . . .
زفونتسوف : سنرتب الأمور بحيث تحصل عليه أنت . أما شورا ، فلسوف أروِّضها بنفسي .

تياتين : بشرفي اني . . .
زفونتسوف : عندما أسوّي الأمر معها فسوف يتعجلون تزويجها وإعطاء بائنة أعظم .
تياتين : هذه فكرة رائعة وربي ! وكم هي البائنة ؟
زفونتسوف : خمسون .
تياتين : ألفاً ؟
زفونتسوف : كلا . خمسون زراً .
تياتين : حقاً ؟
زفونتسوف : لكنك ستكتب لي وصلاً بعشرة .
تياتين : آلاف ؟
زفونتسوف : كلا . روبلات ! يا حمار !
تياتين : لكن هذا كثير . . .
زفونتسوف : فلنقفل الموضوع ، إذن .
تياتين : هل أنت جادّ بهذا الشأن ؟
زفونتسوف : وحدهم الحمقى لا يكونون جادين في موضوع المال . . .
تياتين (يضحك في سره) : انها فكرة رائعة .

(يدخل دوستيجاييف)

زفونتسوف : يسعدني ان أراك قادراً على استيعاب شيء ما ! ان مثقفاً بروليتارياً مثلك لا يستطيع في هذه الأيام المتوحشة . . .
تياتين : نعم ، بالطبع . حسناً ، يجب أن أسرع الى المحكمة الآن .

29—545

دوستيجاييف : ما الذي يقلقك ، يا ستيبان ؟

زفونتسوف : كنا نتحدث عن راسبوتين .

دوستيجاييف : ياله من سعد ، ها ؟ فلاح سيبيريّ عادي – ويلعب «الداما» مع المطارنة والوزراء . لابدّ أن مئات الألوف من الروبلات مرّت بين يديه . لم يقبل قط رشوة تقل قيمتها عن عشرة آلاف ! انها حقيقة – استقيتها من مصدر موثوق ، لم يقبل اقل من ذلك ! ماذا تشربان ؟ بورغوندية ؟ انها حمرة ثقيلة ، لاتُشرب الا في فترة الغداء ، أيها الجهلاء !

زفونتسوف : كيف عثرت على حمى ؟

دوستيجاييف : لم اضطر للعثور عليه ، فهو لم يكن مختبئاً . جئني بقدح ، يا ستيبان ! (تياتين يخرج على مهله) يجب أن اعترف ان بوليتشوف ، والحق يقال ، في حال سيئة . حالته خطرة . . .

زفونتسوف : يخيل الي ، أنا الآخر ، أن . . .

دوستيجاييف : نعم . بالضبط . ثم هو يخشى الموت ، وهكذا لا بد ان يموت . لا تنس هذا . هذه هي ايام العمر حيث لا يجوز أن تُضبط متثائباً ويداك في جيبيك . ذلك لن ينفع شيئاً . إن الخنازير تهاجم سياج الدولة من كل مكان ، أما أن الثورة ستشتعل فأمرٌ يدركه حتى الحاكم المحلي . . .

تياتين (يدخل حاملاً قدحاً فارغاً) : خرج ييجور فاسيليفيتش الى غرفة الطعام .

دوستيجاييف (يتناول القدح) : شكراً ، يا ستيبان . تقول انه خرج ؟ حسناً ، فلنذهب الى هناك اذن . . .
زفونتسوف : يبدو ان الصناعيين يعرفون ما ينبغي ان يفعلوا . . .

(فارفارا وإيليزافيتا تدخلان)

دوستيجاييف : أتعني أولئك الذين في موسكو ؟ انهم يعرفون بالضبط !
إيليزافيتا : يجلسون هنا يعاقرون الخمرة مثل جماعة من عصافير الدوري ، بينا بوليتشوف هنالك يجأر ويخور ! هذا رهيب بكل بساطة !
دوستيجاييف : لماذا تزدهر أميركا ؟ لأن اصحاب الأعمال هناك هم في السلطة .
فارفارا : ان جانّا بيتلينغ تعتقد بصورة راسخة أن طباخي أميركا يتبضعون في سيارات .
دوستيجاييف : هذا محتمل والأرجح مع ذلك أنها أكذوبة . وأنت ، يا فاريا ، لا تبرحين مشغولة مع العسكريين على ما أعتقد ؟ هل تريدين شغلاً مع عقيد ما ؟
فارفارا : آه ، تلك نكتة قديمة ! بماذا تحلم ، يا تياتين ؟
تياتين : آوه ، أبداً ، لا شيء ، عموماً . . .
إيليزافيتا (أمام المرآة) : روت لي جانّا البارحة نكتة رائعة ! مدهشة !
دوستيجاييف : حسناً ، تعالي ، قصيّها علينا .

إيليزافيتا : لا أستطيع ذلك أمام الرجال .
دوستيجاييف : لا بدّ أنها مدهشة !

(فارفارا تهمس بشيء في أذن إيليزافيتا)

إيليزافيتا : حسناً ، يازوجي ! أمزمع أنت على البقاء هنا حتى تفرغ الزجاجة ؟
دوستيجاييف : لا أعترض سبيل أحد ، أليس كذلك ؟
إيليزافيتا (الى تياتين) : أنت تعرف ، يا عزيزي ستيبان ، ما يقول المزمور : «مبارك هو الانسان الذي لا يسير على طريق الضلال ، ولا يقف في طريق الخطأة !» .
تياتين : نعم ، أعتقد أني أتذكر شيئاً مثل هذا . . .
إيليزافيتا (تتأبط ذراعه) : حسناً ، هؤلاء جميعاً خطأة شريرون ، وأنت شاب لطيف خُلقت لضوء القمر ، والحب ، والى آخر ما هنالك . ألست كذلك (تقوده بعيداً)
دوستيجاييف : يالها من ثرثارة !
فارفارا : فاسيلي ييفيموفيتش ، أنت تعلم أن والدتي وباشكين أرسلا في طلب العمة ميلانيا .
دوستيجاييف : الراهبة ؟ أو — و — ه ، المدفعية الثقيلة ! انها ستقف ضدّ شركة دوستيجاييف وزفونتسوف . لسوف تفعل . إنها تؤيد لوحة يكتب عليها «كسينيا بوليتشوفا ودوستيجاييف» .
زفونتسوف : قد تسحب حصتها من المشروع .

دوستيجابيف : كم تبلغ حصة ميلانيا من المال ؟ سبعون ألفاً ؟

زفونتسوف : تسعون .

دوستيجابيف : مبلغ محترم ! وهل هو من مالها الخاص أو من مال الدير ؟

فارفارا : كيف يمكن اكتشاف ذلك ؟ من يدري ؟

دوستيجابيف : أوه ، هذا يمكن . يمكن اكتشاف كل شيء . فالألمان مثلاً لا يعرفون عدد جنودنا في الميدان فحسب ، بل حتى عدد القمل في جسد كل واحد منهم .

فارفارا : أفلا تستطيع أن تكون جاداً في أمرما ؟ . .

دوستيجابيف : يا عزيزتي فاريا ، لا تستطيعين أن تتاجري أو تخوضي غمار الحرب إلا اذا كنت تعرفين كيف تحصين ما في جيبك من مال . نستطيع أن نعرف أمر أموال ميلانيا على هذا الغرار : هنالك سيدة تدعى سيكلاتيا بولوبويارينوفا شاركت المحترم نيكاندر سهره الليلي ، ونيكاندر هذا يعرف كل ما يجب معرفته عن أموال الآخرين . وبالاضافة ، هنالك رجل في المجمع المقدس — وسوف نحتفظ به كاحتياطي . أريدك أن تكلمي بولوبويارينوفا هذه ، يا فاريا ، فاذا تبين أن المال يخص الدير — حسناً ، اننا نعرف موقفنا إذن ! أين تسللت زوجتي العزيزة ، يا ترى ؟

جلافيرا : أرسلوني أدعوكم الى غرفة الطعام .

دوستيجابيف : سنكون هنالك بعد ثوان . تعالوا بنا ، جميعاً .

فارفارا (تتظاهر بأن طرف ثوبها علق في ذراع المقعد) : أندريه ، هلاّ ساعدتني في تخليص هذا ! . . هل تصدقه ؟

زفونتسوف : وهل أبدو مجنوناً ؟

فارفارا : أوه ، يا له من لص غشاش ! كانت فكرتي بشأن العمة جيدة ، وماذا عن تياتين ؟

زفونتسوف : لسوف أقنعه .

فارفارا : يجب الاسراع في هذا . . .

زفونتسوف : لماذا ؟

فارفارا : لأنه لن يكون لك بدٌّ من الانتظار طويلاً بعد الجنازة . ووالدي قلبه ضعيف أيضاً . . .وبالاضافة الى هذا ، فلديّ أسباب أخرى .

(يخرجان ، فيواجهان جلافيرا في الطريق . تلاحقهما بنظرة حقود ، ثم تشرع في تنظيف الطاولة . يدخل لابتيف .)

جلافيرا : انتشرت إشاعة نهار البارحة تقول انك معتقل .

لابتيف : حقاً ؟ لا أعتقد أنها صحيحة .

جلافيرا : أنت دائم الدعابة والمزاح !

لابتيف : لا شيء للتغذية بينما الكثير للسخرية .

جلافيرا : لسوف تُدق عنقك ذات يوم من جراء سخرياتك .

لابتيف : السخرية الجيدة تنال المديح ، أما ياكوف فسيدق عنقه بسبب دعاباته السيئة .

جلافيرا : آوه ، أيها الثرثار ! شورا هنالك برفقة تونيا دوستيجاييفا .

لابتيف : بررر – لا شأن لي بتونيا !

جلافيرا : هل أنادي شورا الى هنا ؟

لابتيف : فكرة رائعة . كيف حال بوليتشوف ؟

جلافيرا (ساخطة) : ليس هو بوليتشوف بالنسبة إليك – إنه عرّابك .

لابتيف : لا تغضبي ، ياعمة جلافيرا .

جلافيرا : حاله سيئة جداً .

لابتيف : سيئة جداً ؟ رويدك لحظة ! شركائي جياع . أفليس في وسعك ، يا عمة جلافيرا ، أن تحصلي على بعض الدقيق لهم ، بودين أو لنقل كيساً كاملاً ؟

جلافيرا : أتريدني أن أسرق مستخدميّ من أجل خاطرك ؟

لابتيف : وكأنها المرة الأولى ! فقد أخطأت من قبل على أية حال – عبء الخطايا يقع على عاتقي . الشبان ساغبون ، يبغون شيئاً يسدُّ الرمق . وباعتبار العمل الذى تقومين به في هذا البيت ، فإن لك حقاً أكثر مما لمستخدميك .

جلافيرا : سمعت هذه الأقاصيص منك قبلاً ! سيرسلون الطحين غداً صباحاً الى دونات ، فتستطيع أخذ كيس منه . (تخرج)

لابتيف : شكراً ! (يجلس على المتكأ ، ويتثاءب حتى تنهمر الدموع من عينيه ، فيمسحها ويتطلع حواليه) .

كسينيا (تدخل وهي تجمجم) : يهربون لما تهرب الشياطين من البخور . . .
لابتيف : نهارك سعيد . . .
كسينيا : أوه ! فيم جلوسك هنا ؟
لابتيف : هل يحسن بي أن أتجوّل إذن ؟
كسينيا : إما أنه لا يوجد في مكان ، أو ينبثق فجأة ! وكأنه يلعب الاستغماية ! عرابك يضطجع مريضاً ، وأنت لا تبالي .
لابتيف : وماذا أفعل ؟ أأمرض ، أنا الآخر ؟
كسينيا : لقد جننتم جميعاً ، وها أنتم تحاولون دفع الآخرين إلى الجنون . الحقيقة أن المرء لا يستطيع أن يفهم شيئاً من شيء ! هل سمعت أنهم يريدون وضع القيصر في قفص مثلما فعلوا ببوغاتشيوف * ؟ والآن ، أنت عالم فقل لي ، أهم يكذبون أم ماذا ؟
لابتيف : كل شيء محتمل ، كل شيء !
جلافيرا (تصيح من خارج المسرح) : أكسينيا ياكوفليفنا ، تعالي لحظة .
كسينيا : ما الأمر الآن ؟ لا أملك دقيقة راحة وسلام . ساعدني ، يارب ! (تخرج .)

---

* بوغاتشيوف ايميليان (١٧٤٢-١٧٧٥) زعيم حرب الفلاحين (١٧٧٣-١٧٧٥) أثار انتفاضة القوزاق عام ١٧٧٣ تحت إسم القيصر بطرس الثالث . سلم بمآمرين عام ١٧٧٤ للسلطات . اعدم في موسكو . الناشر .

شورا (تدخل راكضة) : مرحباً !

لابتيف : شورا ، انني راحل الى موسكو ، ولا أملك كوبيكاً – ساعديني !

شورا : لدي ثلاثون روبلاً . . .

لابتيف : أفلا تجعلينها خمسين ، أفلا تستطيعين ؟

شورا : سأتدبرها لك .

لابتيف : هذا المساء انطلاق قبل قطار الليل ، هل تهيئين ذلك ؟

شورا : نعم إسمع : هل ستكون هنالك ثورة ؟

لابتيف : كيف ، لقد انفجرت منذ الآن ! ألا تقرئين الصحف ؟

شورا : لا أستطيع فهمها .

لابتيف : حسناً ، سلي تياتين .

شورا : ياكوف ! أخبرني صراحة ، ماذا تظنُّ في تياتين ؟

لابتيف : ظريف ! أنت ترينه كل يوم منذ قرابة ستة شهور .

شورا : هل هو شريف ؟

لابتيف : حسناً . . . نعم .

شورا : لا تبدو شديد الثقة بما تقول .

لابتيف : أوه ، إنه رخو نوعاً ما . من ذلك النوع البليد . لعله يشعر بالغبن .

شورا : من أساء اليه ؟

لابتيف : طردوه من الجامعة في عامه الثاني . وعمل عند ابن عمه ككاتب حسابات ، وابن عمه . . .

شورا : زفونتسوف لص غشاش ، أليس كذلك ؟

لابتيف : بل ليبرالي ، من الحزب الدستوري الديموقراطي ، وهم جميعاً لصوص غشاشون على العموم . أعطي المال الى جلافيرا وهي ستعطيه لي .

شورا : وهل تساعدك جلافيرا وتياتين ؟

لابتيف : في أي عمل ؟

شورا : لا تراوغ ، يا ياكوف ! فأنت تفهم تماماً ! أريد المساعدة بدوري ، هل تفهم ؟

لابتيف (مذهولاً) مابالك ، يا صبيِّة ؟ أنتِ تمثلين وكأنك أفقتِ لتوّك .

شورا (ساخطة) : اياك والتجرؤ على السخرية مني ! أنتَ أحمق !

لابتيف : لعلي أحمق ، ومع ذلك أريد ان أفهم . . .

شورا : إن فارفارا آتية !

لابتيف : أوه ، لا أريد رؤيتها .

شورا : تعال ، إذن ، أسرع !

لابتيف (يحوط كتفيها بذراعه) : لا ، أخبريني ، ماذا يعتمل في جوفك ؟

(يخرجان ، ويغلقان الباب خلفهما)

فارفارا (وقد سمعت قرقعة القفل ، تسرع الى الباب وتدير قبضته) : أهذه أنت ، يا جلافيرا ؟ (صمت) أهنالك أحد ؟ ما أغرب ذلك ! . . (تخرج مسرعة)

(تظهر شورا ، وهي تشدُّ دونات من يده)

دونات : الى أين تجرينني ، يا شورا ؟

شورا : قف ! قل لي الآن : هل يحترمون والدي في المدينة ؟

دونات : الأغنياء محترمون في كل مكان . يالك من وحشة كاسرة ! . .

شورا : أهم يحترمونه أم يخافونه ؟

دونات : ان لم يخافوه ، فلن يحترموه إذن !

شورا : وما يحبون فيه ؟

دونات : يحبونه ؟ لست أدري .

شورا : هل تدري انهم يحبونه حقاً ؟

دونات : هُوَ ؟ حسناً -يبدو أن سائقي العربات يحبونه ؛ فهو لا يساومهم أبداً ، ويدفع لهم الأجر الذي يطلبون . وكل سائق عربة يخبر غيره طبعاً ، وهكذا دواليك . . .

شورا (تضرب الأرض بقدمها) : هل تسخر مني ؟

دونات : لا . انني أخبرك الحقيقة .

شورا : أضحيت شريراً . وتحولت الى رجل مختلف تماماً !

دونات : وكيف أتحول الى رجل مختلف ؟ لقد فات الوقت من أجل ذلك .

شورا : لقد اعتدت أن تمتدح والدي أمامي .

دونات : وأنا لا أحطُّ من قيمته الآن . إن لكل سمكة حراشفها الخاصة .

شورا : جميعكم كذابون .

دونات (يتنهد مطأطئاً رأسه) : لا تغضبي ، فالغضب لا يثبت شيئاً .

(تدخل جلافيرا)

شورا : أخرج من هنا ! (يخرج دونات) إسمعي ، يا جلافيرا . . . صه . أحدهم قادم ! (تختبئ خلف الستائر)

(يدخل الكسي دوستيجاييف ، وهو شاب متصنع مغرور يرتدي سروال ركوب الخيل ، وسترة سويدية ذات أحزمة لا تحصى ، وشرائط وجيوب)

الكسي : أنت تزدادين حسناً وبهاء يوماً بعد يوم ، يا جلافيرا !

جلافيرا (في جفاء) : يسعدني أن أسمع ذلك .

ألكسي : لكنني لست سعيداً . (يسد درب جلافيرا) لا أحب شيئاً جميلاً ما لم يكن ملكاً لي .

جلافيرا : دعني أمرّ ، من فضلك .

الكسي : بكل تأكيد . (يتثاءب ويحملق في ساعته)

(تخرج جلافيرا وتدخل أنطونينا يتبعها تياتين بعد قليل)

شورا (تخرج من خلف الستائر) : أنت تغازل الخادمات أيضاً ، كما أرى ؟

أنطونينا : لا فرق لديه حتى ولو كانت سمكة .

ألكسي : الخادمات لسن أسوأ من السيدات عندما تعريهن .

أنطونينا : أسمعتِ هذا ! انه يتحدث هكذا على الدوام كما لو انه لم يعش في ساحة حرب بل في خمارة .

شورا : نعم . كان من قبل كسولاً كما هو حاله الآن ، ولكنّه لم يكن شجاع اللسان الى هذه الدرجة .

ألكسي : انني مقدام في الأفعال أيضاً .

أنطونينا : أوه ، يا للكذاب ! إنه جبان ، وأي جبان ! إنه يموت فزعاً من ان تعمد امرأة ابيه الى إغوائه .

الكسي : فيم اختلاق هذه الأقاصيص ؟ حمقاء !

أنطونينا : وهو نهم لدرجة مقرفة . وهل تعلمين أني أدفع له روبلاً وعشرين كوبيكاً لقاء كل يوم لا يقول لي فيه شيئاً بذيئاً ! وانه يأخذ المبلغ !

الكسي : هل تعجبك أنطونينا ، يا تياتين ؟

تياتين : نعم ، كثيراً .

شورا : وأنا ؟

تياتين : أتريدين الحقيقة ؟ . .

شورا : بلى ، الحقيقة طبعاً !

تياتين : ليس كثيراً .

شورا : هكذا ؟ هذه هي الحقيقة ، ها ؟

تياتين : نعم .

انطونينا : لا تصدقيه ، إنه يرجعّ صدى إنسان سواه ليس غير .

الكسي : بودي أن تتزوج انطونينا ، يا تياتين . لقد مللتها .

أنطونينا : أيها الحمار الأخرق ! اخرج من هنا ! أنتَ ، يامن تبدو كغسالة حبلى .

الكسي (يلف خصرها بساعده) : أوه ، يا للفتاة

الأرستقراطية ! لا تأكلي حبوب عبّاد الشمس ، يا عزيزتي . سي موفي تون * .

أنطونينا : دعني وشأني !

الكسي : بكل سرور ! (يرقص واياها)

شورا : لعلي لا أعجبك مطلقاً ، يا تياتين ؟

تياتين : ولماذا تصرّين على معرفة ذلك ؟

شورا : يجب أن أعرف ، فذلك يهمني .

الكسي : لماذا تدور حول الموضوع ، ياتياتين ؟ ترجو أن تتزوج بها . الفتيات بأجمعهن في عجلة من أمرهنّ اليوم ، يبغين أن يصبحن أرامل الأبطال . هذا معناه جراية طيبة ، وهالة من التمجيد ، ومعاش تقاعدي . . .

أنطونينا : ويظنُّ أنه ذكيٌّ .

الكسي : حسناً ، سأرحل خبباً الآن . هلاّ رافقتني الى المدخل ، يا تونكا ؟

أنطونينا : لا أريد !

الكسي : أودُّ إطلاعك على أمرٍ ما . تعالي ، فالأمر جدّي .

أنطونينا : الأمر حماقة ، على ما أعتقد .

(يخرج الكسي وأنطونينا)

---

* تلك عادة سيئة (بالفرنسية) . **المعرب** .

شورا : أأنت رجل صادق يا تياتين ؟
تياتين : كلا .
شورا : لماذا ؟
تياتين : ذلك لا يفيد .
شورا : اذا كنت تقول هذا فمعنى الأمر أنك صادق . قل لي الآن صراحة – هل نصحوك ان تخطبني ؟
تياتين (بعد فترة صمت ، أشعل خلالها دخينة) : نصحوني .
شورا : وأنت تفهم أنها نصيحة سيئة ؟
تياتين : أفهم .
شورا : وهكذا فأنت . . . حسناً ، لم أكن أتوقع هذا ! حَسبْتُ أنك . . .
تياتين : كان يجب أن تظني بي السوء . أليس كذلك ؟
شورا : كلا ، فأنت رائع ! لكن لعلك ماكر فقط ، إيه ؟ ولعلك تدعي الاستقامة كي تخدعني ؟
تياتين : ذلك كثير بالنسبة إليّ . فأنت ذكية وأنت سريعة الغضب ، مشاكسة – نسخة طبق الأصل عن أبيك تماماً . وبصراحة ، أنا أخافك . ثم إن الشعر الأحمر يتوِّج رأسك مثل ييجور بوليتشوف . إنه يشبه شعلة الحريق .
شورا : أنت ظريف ، يا تياتين ! لكنك مكار بصورة راعبة . . .
تياتين : وإن وجهك بديع . . .
شورا : حديثك عن وجهي محاولة لتلطيف الضربة ، أليس كذلك ؟ آه ، انك داهية على كل حال !

تياتين : فكري ما تشائين . أما رأيي فيك فهو أنه مقدر لك أن تقترفي . . . جريمة ما . أما أنا - فقد اعتدت الحياة ومخالبي ظاهرة واضحة - مثل جروٍ مذنب . . .

شورا : مذنب بماذا ؟

تياتين : لا أدري . لكوني جرواً ولا أملك أنياباً أعضُ بها .

أنطونينا (تدخل) : قرصني ذلك الأحمق الكسي قرصة مؤلمة في أذني . وأخذ جميع ما أملك من مال - ذلك اللصّ ! هل تدرين أنه سيشرب حتى الموت - أنا واثقة من هذا ! هو وأنا لسنا سوى ولدين من أولاد التجار لا نصلح لشيء . أيضحكك هذا ؟

شورا : تونيا ، انسي كل السوء الذي تفوهتُ به عنه .

أنطونينا : عن تياتين ؟ ماذا قلت عنه ؟ لا أذكر .

شورا : حسناً ، انه يريد ان يخطبني .

أنطونينا : وأي سوء في هذا ؟

شورا : لأن المال هو الدافع .

أنطونينا : آه ، بلى ! تلك قذارة منك ، يا تياتين !

شورا : من المؤسف أنك لم تسمعي أجوبته عن أسئلتي .

أنطونينا : فاروماتك ؟ هل تتذكرين «فاروم» * شوبيرت ؟

تياتين : هل هي لشوبيرت ؟

أنطونينا : ان فاروم ليرنُ وقعها أشبه بـ«أبوسعن» ، ذلك النوع المكتئب من الطيور القاطن في . . . أفريقيا .

شورا : يا للأشياء التي تختلقينها !

---

* كلمة المانية Warum تعني : لماذا ؟ **الناشر** .

أنطونينا : إنني أتعشق الأشياء الراعبة أكثر من اي شيء آخر . عندما يرتعب المرء ، فهو لا يضجر إذن . أحب الآن الجلوس في الظلمة ، منتظرة ان يزحف اليّ ثعبان ضخم . . .

تياتين (مقهقهاً) : هل تعنين ذلك الثعبان الذي كان في جنّات عدن ؟

أنطونينا : كلا ، بل أكثر منه رعباً وهولاً .

شورا : أنت ظريفة ! على الدوام ، تستنبطين شيئاً جديداً ، في حين يجمجم الجميع بالأشياء عينها : الحرب وراسبوتين والقيصرة والألمان ، أما الحرب والثورة . . .

أنطونينا : سوف تكونين ممثلة أو راهبة .

شورا : راهبة ؟ يا للكلام الغث !

أنطونينا : صعب جداً ان تكوني راهبة . فلا بدّ لك إذن أن تلعبي ، على الدوام ، الدور نفسه .

شورا : أريد أن أصير لعوباً ، مثل نانا زولا .

تياتين : ياربِّ ! ما هذا الذي تقولين ؟

شورا : أريد أن أفسد الناس ، فآخذ بثأري وأنتقم .

تياتين : ممن ؟ ولماذا ؟

شورا : لأني حمراوية الشعر ، ولأن والدي مريض . . . ولكل شيء ! انتظر ، حتى تنفجر الثورة . . . ولسوف أريكم ! لسوف ترى !

أنطونينا : هل تصدقين أنه ستكون هنالك ثورة ؟

شورا : نعم ، أصدق !

تياتين : نعم ، لسوف تشتعل ثورة .

(تدخل جلافيرا)

جلافيرا : جاءت الأم ميلانيا ، يا شورا ، ويريـــد ييجور فاسيليفيتش أن يستقبلها ههنا .
شورا : هه - العمة ميلانيا ! تعالوا الى غرفتي ، أيهـــا الاطفال ! هل تحترم أخاك ، يا تياتين ؟
تياتين : إنه - ابن عمي .
شورا : ليس هذا بجواب .
تياتين : يبدو لي أن الأقرباء على العموم نادراً ما يحترمون بعضهم بعضاً .
شورا : الآن ، هذا جواب !
أنطونينا : كفاكما ثرثرة عن أشياء مضجرة .
شورا : إنك مضحك ، يا تياتين .
تياتين : حسناً ، وماذا أستطيع أن أفعل بعد ذلك ؟
شورا : وأنت تلبس ثيابك بطريقة مضحكة أيضاً .

(يخرجون . تفتح جلافيرا باباً مختفياً خلف ستارة كثيفـــة ثقيلة ، ويظهر بوليتشوف في اللحظة ذاتها على العتبة التـــي خرج منها الشبان . تدخل الراهبة ميلانيا بخطوات بطيئـــة مهيبة ، تمسك عصا في يدها . تقف جلافيرا محنية الرأس ، وهي تردُّ الستارة الى الخلف)

ميلانيا : وهكذا فأنت تتسكعين بعد في هذه النواحي ، ايتها الخاطئة ؟ أفلم يطردوك بعد ؟ لكن سوف يطردونك قريباً .

بوليتشوف : وعندها تقتادينها الى الدير ، وتجعلين منها راهبة – فهي تملك الكثير من المال .

ميلانيا : آه –أنت ، أنت ، هنا ؟ عجباً يا ييجور ، لشد ما تبدو ضعيفاً ! أعانك الله !

بوليتشوف : أغلقي الباب ، يا جلافيرا ، ولا تأذني لأحد بالدخول . إجلسي . . . يا صاحبة القداسة ! عن أي عمل سوف نتحدث ؟

ميلانيا : لم يفدك الأطباء كثيراً ، ها ؟ أنت ترى : ان اللّه يمنع يده ليوم واحد ، لسنة ، لجيل . . .

بوليتشوف : لسوف نتحدث عن اللّه فيما بعد – الأعمال أولاً . أنا أعرف أنك جئت تتحدثين عن مالك .

ميلانيا : المال ليس مالي ، لكنه يخصُّ الدير .

بوليتشوف : ذلك سواء ، الدير ، الغيْر ، الطير . . . فيم يقلق المال أفكارك ؟ أتخافين أن أموت فيضيع عليك ؟

ميلانيا : لا يمكن أن يضيع ، بَيْدَ أني لا أريده أن يقع في أيد غريبة .

بوليتشوف : أنت ترغبين في سحبه من الأعمال اذن ؟ ذلك سواء بالنسبة إليّ – خذيه اذا كانت تلك رغبتك . لكن احذري – ستخسرين بذلك . فالروبلات تتوالد هذه الايام وتنمو مثل القمل المعشش في الجنود . أما

أنا فلن أموت – فأنا لست مريضاً حتى هذه الدرجة . . .

ميلانيا : لا نعلم اليوم أو الساعة التي يجيء الموت فيها ! هل كتبت وصيتك ؟

بوليتشوف : كلا !

ميلانيا : حان الوقت ! اكتبها . فلنفترض أن اللّه دعاك بصورة مباغتة . .

بوليتشوف : وماذا يروم مني ؟

ميلانيا : كفَّ عن وقاحتك هذه ، فأنت تعلم أني لا أحبُّ الأصغاء اليها . وبالاضافة ، فإن مركزي المقدس لا يسمح . . .

بوليتشوف : آه ، تناسي ذلك ، يا مالاشا ! فنحن خبيران بما يعتلج في باطننا . تستطيعين سحب المال إذا شئت – فبوليتشوف يملك الكثير منه !

ميلانيا : لا أبغي سحب رأس مالي من الأعمال ، لكني أريد تحويل السندات الى اسم كسينيا . وهذا ما جئت أخبرك به .

بوليتشوف : فهمت . حسناً ، هذا شأنك . لكن ، اذا متُّ أنا ، فسيخدع زفونتسوف كسينيا . وستساعده فارفارا على ذلك . . .

ميلانيا : هذا ما تقول إذن ؟ ذلك أمر جديد بالنسبة اليك . ولا ضغينة في صوتك أيضاً .

بوليتشوف : حولت ضغينتي في اتجاه آخر . حسناً ، فلنتحدث الآن عن اللّه ، والمسيح ، والروح .

عندما تزجّى الفتوة في النهب والخطيئة ،
يقضي المرء الشيخوخة في انقاذ روحه .

ميلانيا : حسناً ، تكلّم اذن !

بوليتشوف : خذي نفسك مثالاً . أنت تخدمين اللّـــه ليلاً ونهاراً ، لنقل مثلما جلافيرا تخدمني .

ميلانيا : لا تكفر ! هل جننت ؟ كيف تخدمك جلافيرا ليلاً ، كيف ؟

بوليتشوف : هل أخبرك ؟

ميلانيا : لا تكفر ، أقول لك ! عد الى صوابك !

بوليتشوف : لا تعوي ! فأنا أتكلم صراحة ، وأقول كلمـات إنسانية بسيطة وليس صلوات رسمية . لقد أخبرت جلافيرا أنها ستُطرد عما قريب ، فأنت تعتقدين إذن أن الموت سيطوي عمري سريعاً . لكن ، فيم ذلك ؟ إن فاسكا دوستيجاييف يكبرني بتسع سنين وهو أكثر اعوجاجاً مني ، لكنه يتمتع بصحة جيدة وسيعيش زمناً طويلاً بَعْدُ . وزوجته امرأة محظوظـة . انني خاطئ بكل تأكيد ، وقد آذيت الناس ، و – على العموم – فأنا خاطئ جداً . ولكن البشر جميعاً يؤذون بعضهم بعضاً . هكذا هي الحياة ، وليست غيرها .

ميلانيا : لا أمامي ولا أمام الناس يجب أن تندم وتتوب ، بل أمام اللّه ! الناس لن يغفروا لك ، لكن اللّه غفور رحيم . وأنت تعرف كيف أخطأ اللصوص في الأيـام

الغابرة . ولكنهم عندما كانوا يُرجعون للّه ما هو للّه كانوا يخلصون !

بوليتشوف : طبعاً ، فالمرء إذا سرق وأعطى الكنيسةَ شيئاً ، فلن يكون لصاً وقتذاك ، بل رجلاً شريفاً .

ميلانيا : ييج — و — و — ور ! لا أريد الاستماع الى كفرك ! أنت لست أحمق ، يجب أن تفهم — فالشيطان لن يجربك ، اذا لم يسمح له اللّه بذلك .

بوليتشوف : شكراً جزيلاً !

ميلانيا : ماذا تعني ؟

بوليتشوف : لقد طمأنتِ بالي . فالأمر إذن على هذا الغرار — اللّه يمنح الشيطان يداً حرة في تجربتنا ، وهذا يعني أن اللّه شريك الشيطان وشريكي في الاثم . . .

ميلانيا (تنهض) : مثل هذه الكلمات . . . مثل كلماتك هذه . . . اذا أخبرت الاب نيكاندر بها . . .

بوليتشوف : لماذا ، أين أخطأت ؟

ميلانيا : أيها الهرطوقي ! يا للأفكار المنصبة في رأسك المريض ! ألا تفهم أن اللّه إذا سمح للشيطان بتجربتك — فهذا يعني أن اللّه هجرك ؟

بوليتشوف : هجرني ، أليس كذلك ؟ لماذا ؟ ألأنني أُولعت بالمال ولأنني لا أزال مغرماً بالنساء ، ولأني تزوجت أختك الحمقاء تلك من أجل مالها ، وكنت عشيقك ! ألهذا هجرني ؟ أنت ، أيها الغراب الكبير الشدقين ، تقفين هناك وتنعبين ، وليس في رأسك أثر من شعور أو إدراك !

ميلانيا (معقودة اللسان) : ما هذا ، يا ييجور ؟ ماذا أصابك ؟ هل جننت ؟ ارحمنا يا اللّه . . .

بوليتشوف : تصليِّن ليل نهار ، والأجراس تدق فوقك ، ولمن تصلّين – أنت لا تعرفين اطلاقاً !

ميلانيا : ييجور ! انت تسقط الى أعماق الجحيم ! الى شدقيّ جهنم . . . في مثل هذه الأيام . . . حيث جميع الأشياء تنحو الى الخراب والدمار . . . وعرش القيصر يهتز ويتزعزع تحت وقع قوى الشر . . . إنه زمن المسيح الدجّال . . . ولعلّ يوم الدينونة قاب قوسين منا . . .

بوليتشوف : لقد اخترت وقتاً مناسباً لذكره ! يوم الدينونة ! المجيء الثاني للمسيح ! آه أنت – أنت ، يا غُراب ! ترفرفين ههنا وتنعبين ! هيا الآن ، اليك عني ، وامضي الى كهفك واعشقي فتيات جوقتك ! وعوضاً عن المال ، ستحصلين مني على هذا – انظري ! (يمدُّ لها لسانه .)

ميلانيا (مصعوقة ، تكاد تتهاوى في مقعد قريب) : آه ، يا للنذل . . .

بوليتشوف : اذا كانت جلافيرا عاهرة زانية ، فما أنت ؟ ما أنت ؟ ايه ؟

ميلانيا : كذاب ! أنت كذاب ! (تثب على قدميها .) أيها الغشّاش ! لسوف تنفق سريعاً ! يا حشرة !

بوليتشوف : إليك عني ! أخرجي قبل أن . . .

ميلانيا : أفعى . . . شيطان . . . (تخرج .)

بوليتشوف (وحيداً ، يحكُّ جنبه الأيمن ويصيح مزمجراً) : جلافيرا ! هيه . . .

(تدخل كسينيا)

كسينيا : ما الأمر ؟ أين ميلانيا ؟
بوليتشوف : طار العصفور .
كسينيا : هل تشاجرت معها من جديد ؟
بوليتشوف : أتنوين البقاء هنا طويلاً ؟
كسينيا : ييجور ، هلا تركت لي فرصة للتفوه بكلمة واحدة . لقد امتنعت عن الحديث معي تماماً في المدة الأخيرة ، وكأنني قطعة من الأثاث . لماذا تحملق فيَّ على هذا المنوال ؟
بوليتشوف : تابعي ، تابعي حديثك !
كسينيا : ما هذا الذي يجري في هذه الدار ؟ أنهاية العالم أم ماذا ؟ لقد حوّل صهرنا جناحه في الطابق العلوي الى حانة حقيقية ، وثمة أناس يتحلّقون ويتحدثون طوال ساعات مديدة . ولقد شربوا البارحة سبع زجاجات من الخمر الأحمر ، هذا عدا الفودكا . . . ويشكو البواب اسماعيل أن الشرطة تضايقه – تستوضحه باستمرار عن القادمين الى منزلنا . وفوق يعزفون باستمرار اللحن ذاته ويتحدثون عن القيصر ووزرائه . ويتكرر هذا في كل يوم – حانة حقيقية . لم تحزن ؟
بوليتشوف : تابعي ، تابعي ! عندما كنت شاباً ، كنت أعشق الجلوس في حانة ، صحبة الموسيقى .

كسينيا : فيمَ جاءت ميلانيا الى هنا ؟
بوليتشوف : لا تجيدين الكذب ، يا أكسينيا ! انت أغبى من ذلك بكثير .
كسينيا : ماذا قلت كذباً ؟ ومتى ؟
بوليتشوف : هذه اللحظة بالذات ، لقد جاءت ميلانيا الى هنا بالاتفاق معك كي تتحدث عن مالها .
كسينيا : من قال إني اتفقت معها – عمّ تتحدث ؟
بوليتشوف : أوه – كفى !

(يدخل دوستيجاييف وزفونتسوف والاب بافلين ، وقد بدا الانتعاش في ملامحهم)

دوستيجاييف : هلاّ أصغيت الى الأخبار التي حملها الأب بافلين من موسكو ، يا ييجور . . .
كسينيا : أفلا يحسن ان تستلقي في فراشك ، يا ييجور ؟
بوليتشوف : إنني مصغ اليك ، أيها . . . الأب !
بافلين : في جعبتي قليل من الأخبار الطيبة وفي اعتقادي أن الطيب منها سيئ جداً ايضاً ، لأن احداً لا يستطيع أن يفكر في شيء أفضل من الحياة التي كنا نعيشها قبل الحرب .
دوستيجاييف : كلا ، كلا ، انا لا أوافق !

(زفونتسوف يهمس شيئاً في أذن حماته)

كسينيا : أهي تبكي ؟
دوستيجاييف : من يبكي ؟
كسينيا : الراهبة .
دوستيجاييف : ما بالها ؟
بوليتشوف : أسرع وانظر ماذا يرعبها . وأنت ، أيها الأب ، استرح ههنا وهات ما عندك من أخبار .
دوستيجاييف : ترى ، ما الذي يبكي ميلانيا ؟
باقلين : يسود موسكو اضطراب عظيم . وحتى أصحاب العقول الراجحة يؤكدون أن القيصر يجب أن يُخلع عن العرش ، وذلك لعدم كفاءته .
بوليتشوف : كان كفوءاً طيلة السنوات العشرين المنصرمة . . .
باقلين : القوة البشرية تتلاشى على كرّ السنين .
بوليتشوف : يوم احتفل آل رومانوف بعيدهم الثلثمائي عام ١٩١٣ ، صافحني نيقولاي . وابتهجت الأمة بأسرها في ذلك الحين . كوستروما * بأسرها .
باقلين : نعم ، لقد حدث هذا . تلك حقيقة واقعة . . . لقد ابتهج الشعب .
بوليتشوف : وماذا حدث بعدئذ ؟ حصلنا على الدوما ايضاً . . . لا ، ليس هو القيصر - بل شيء آخر في الأساس بالذات . . .
باقلين : الأساس هو الحكم المطلق .

* مدينة صغيرة على نهر الفولغا في روسيا الوسطى . **الناشر** .

بوليتشوف : كل فرد يقف لوحده . . . بقوته الخاصة . . .
نعم ، لكن أين هي ، هذه القوة ؟ ما أن حدثت الحرب ، حتى لم نجد شيئاً منها .

بافلين : كان الدوما مسؤولاً عن تقويض قوانا .

إيليزافيتا (على الباب) : أتعرّفه ، أيها الأب بافلين ؟

بافلين : يا له من سؤال !

إيليزافيتا : أين هو زوجي ؟

بافلين : كان هنا .

إيليزافيتا : لكم تبدو جدياً هذا النهار ، أيها الأب بافلين !
(تختفي .)

بوليتشوف : أبانا . . .

بافلين : ماذا كنت تقول ؟

بوليتشوف : جميعنا آباء . اللّه أب ، والقيصر أب ، وأنت أب ، وأنا أب . ومع ذلك فجميعنا ضعفاء لا نملك ثمالة من قوة ، وجميعنا نحيا لنموت . لا أقصد نفسي ، وإنما أتحدث عن الحرب ، الموت الكبير . ذلك يشبه ملعب سيرك أفلت نمراً متوحشاً على الناس .

بافلين : أفرخ روعك ، يا ييجور فاسيليفتش . . .

بوليتشوف : وبماذا أفرخ روعي ؟ ومن يهدئ ثائرتي ؟ وكيف أفرخ لي روعي اذن . . . يا أبانا ! أرني قوتك !

بافلين : اقرأ الكتاب المقدّس . اقرأ العهد القديم ، ومن المستحسن مثلا أن تتذكر يسوع . . . ان الحرب محتومة الناموس . . .

بوليتشوف : دعك منها ! أى صنف من الناموس هذا ؟ هراء

ليس غير ! ولاحـــول لاحد على ايقـــاف الشمس ، تهرف . . .

بافلين : التذمر من اللّه خطيئة مميتة . يجب أن نتقبـــل بتواضع ووداعة وبقلب تائب الدينونة المفروضة علينا بسبب حياتنا الخاطئة .

بوليتشوف : وهل تقبلت أنت باذعان اهانة ألكسي جوبين وكيل الكنيسة ؟ كلا ، بل رفعت شكوى ضده امـــام المحكمة ، وطلبت الى زفونتسوف أن يكون محاميك ، وقد شدّ المطران أزرك ، أليس كذلك ؟ وأنا – أمام أية محكمة أرفع الشكوى ضد علتي ودائي ؟ ضد موتي قبل الاوان ؟ وهل تستسلم للموت في اذعان وتواضع ؟ بوداعة وقلب ثابت ؟ ايه ؟ كلا ، بل سوف تزمجـــر وتزعق !

بافلين : مكانتي تمنعني من الاصغاء الى مثل هذا الكلام . فهذا الكلام . . .

بوليتشوف : دع عنك هذا ، يا بافلين ! أنت انسان . وليست غفارتك غير صباغ واق – أما تحتها فأنت انســـان مثلي . وبالمناسبة ، يقول الطبيب ان قلبك سيء فهو مصاب بالاستحالة الشحمية . . .

بافلين : الى أين يقودك مثل هذا الكلام ؟ فكِّر ، وليكـن في قلبك الخوف ! لقد ثبت منذ القدم . . .

بوليتشوف : ثبت ، لكن ليس بصورة راسخة جدا فيمـــا يبدو .

بافلين : كان ليف تولستوي هرطوقيا ، وقد حرمته الكنيسة

ولعنته لكفره وجحوده ، ولكنه التجأ الى أعماق الغابات هاربا من الموت ، مثله مثل وحش مفترس .

(تدخل كسينيا)

كسينيا : ييجور فاسيليفيتش ، جاء موكي ، وهو يقول ان الشرطة اعتقلت ياكوف الليلة الفائتة ، وهو يريد أن يعرف . . .

بوليتشوف : حسنا ، شكرا أيها الأب بافلين . . . على موعظتك ! لسوف أزعجك في وقت آخر . (يخرج بافلين .) نادي باشكين الى هنا ، يا أكسينيا . واخبري جلافيرا أن تحضر عصيدة . وفودكا برتقال .

كسينيا : الفودكا . . . لا يمكن . . . (تخرج)

بوليتشوف : كل شيء ممكن ! هيا ، اذهبي . (يتطلع حواليه فيهمهم ويدمدم .) الأب . . . بافلين . . . جوبلين . . . يجب أن تعتاد التدخين ، يا ييجور . فالأمور أخف وطأة في سحابة من الدخان . فبعض الأشياء لا تمكن رؤيتها . (يدخل باشكين) ماذا هنالك ، يا موكي ؟

باشكين : كيف حالك ، يا ييجور فاسيليفيتش ؟

بوليتشوف : تزداد تحسّنا كل يوم . اذن ، لقد اعتقل ياكوف ؟

باشكين : نعم ، الليلة الفائتة . يالها من فضيحة !

بوليتشوف : اعتقل لوحده ؟

باشكين : يقال انهم اعتقلوا معه ساعاتيا فتى ؛ وكالميكوفا ، المعلمة التي كانت تدرس ألكسندرا ييجوروفنا ؛ وييريخونوف الوقّاد ، وهو متهوّر مشهور . حوالي العشرة ، حسب ما يقولون .

بوليتشوف : وجميعهم من نمط «فليسقط القيصر» ؟

باشكين : من مختلف الأنماط . بعضهم ضد القيصر ، وبعضهم الآخر ضد جميع الأغنياء ويريدون العمّال أن يتسلموا دفة الدولة . . .

بوليتشوف : هراء !

باشكين ؛ طبعا .

بوليتشوف : سيتلفون الدولة في غمرة السكر .

باشكين ؛ هذا ما لا شك فيه .

بوليتشوف : نعم . . . ولنفترض أنهم لم يفعلوا !

باشكين : وماذا يفعلون من غير أرباب العمل ؟

بوليتشوف : أنت على حق . لن يستطيعوا المضيّ من دونك ودون فاسكا دوستيجاييف .

باشكين : وأنت رب عمل بدورك . . .

بوليتشوف : طبعا ! أنا ايضا . وماذا يغنون ؟

باشكين (متنهدا) : لقد تخلينا عن العالم القديم . . .

بوليتشوف : ثم ماذا ؟

باشكين : ونفضنا غباره عن أقدامنا . . .

بوليتشوف : هذا أشبه بالصلاة .

باشكين : أي نوع من الصلوات هذا ؟ هم يقولون : نحن نكره القيصر ، والقصور . . .

بوليتشوف : آها ، هكذا ؟ أبالسة ماكرون ! (يفكر برهة) حسنا ، وماذا تريد ؟

(تحمل جلافيرا العصيدة والفودكا)

باشكين : أنا ؟ لا شيء .
بوليتشوف : وفيم مجيئك ، اذن ؟
باشكين : لأستوضح عمن أضع مكان ياكوف .
بوليتشوف : سيرجي بوتابوف .
باشكين : له ذات الأفكار أيضا - فهو لا يؤمن بالله أو القيصر . . .
بوليتشوف : اوه ، فهو واحد منهم ايضا ؟
باشكين : هل لي أن أقترح - موكرووسوف . فهو توّاق الى العمل لحسابك . وهو رجل مثقف ونشيط .
جلافيرا : تبرد عصيدتك .
بوليتشوف : ذلك الشرطي ، ذلك المرتشي ؟ ما الذى يسعى اليه ؟
باشكين : أضحى عمل الشرطة عملا خطيرا هذه الايام ، مما جعل الكثيرين ينسحبون منها .
بوليتشوف : خطيرا ؟ أليس كذلك ؟ الجرذان ! لابأس ، ابعث لي بوتابوف الى هنا غدا صباحا . تستطيع الانصراف . . . جلاشا ، هل جاء عازف البوق ؟
جلافيرا : انه قابع في المطبخ .

بوليتشوف : تستطيعين ادخاله بعدما أتناول عصيدتي .
لماذا يسود الهدوء الدار بأسرها ؟

جلافيرا : لأنهم ، جميعا ، في الطابق العلوى .

بوليتشوف (يجرع قدحا من الفودكا) : أوه ، لا بأس ، لماذا أنت مضطربة ، ما خطبك ؟

جلافيرا : أتمنى ألا تشرب . لا تؤذ نفسك ، لا تمرض ! أترك كل شيء وارحل عنهم . لسوف يلتهمونك حيا — كالديدان ! فلنرحل . . . الى سيبيريا . . .

بوليتشوف : دعيك من هذا ، فهو يوجع . . .

جلافيرا : سنذهب الى سيبيريا ، وسأشتغل . . . ما الذى يربطك الى هذه البقعة ؟ ولماذا ؟ ليس من يبالي بك — بل هم جميعا ينتظرون موتك . . .

بوليتشوف : كفى ، يا جلاشا . لا تكدّريني . فأنا عالم بكل شيء وأرى كل شيء ! وأعرف من انت بالنسبة لي . . . أنت وشورا . . . لقد حصلت على ما حصلت عليه من الحياة ، بينما خسارة لا تعوّض . . . لربما ستتحسن حالي . . . حسنا ، نادي عازف البوق .

جلافيرا : كل عصيدتك اولا .

بوليتشوف : آه ، بئس العصيدة ! نادي شورا اليّ .

(يبقى بوليتشوف وحيدا ، يجرع الكأس تلو الكأس من الفودكا بشره ونهم ، يدخل عازف البوق . وهو ذو وجه مجوني شاحب ، وملامح تدعو الى الشفقة ، وبوق ضخم موضوع في كيس معلق على كتفه .)

عازف البوق : أتمنى لسعادتك الصحة الجيدة .

بوليتشوف (مذهولا) : طاب يومك ! اجلس . (يصيح .) أغلقي الباب ، يا جلاشا ! وهكذا ، فهذا أنت .

عازف البوق : نعم ، يا سيدي .

بوليتشوف : أنت لا تملأ العين ! قـــل لنـــا ، كيف تشفي المرضى ؟

عازف البوق : دوائي ، يا صاحب السعـــادة ، بسيط كل البساطة ، غير أن الناس اعتادوا اثقال أنفسهم بأدوية مستحضرة عند الصيادلـــة . ويأبون تصديقي ، ولذا أطلب دائما أن أقبض أجري سلفا .

بوليتشوف : ليست تلك بالفكرة السيئة . لكن ، هل تشفي الناس مع ذلك ؟

عازف البوق : شفيتهم بالمئات .

بوليتشوف : ولا أرى أنك أثريت .

عازف البوق : لا يثري المرء بالأعمال الطيبة .

بوليتشوف : آها ، أصغوا اليه الآن ! وما نوع الأدواء التي تشفيها ؟

عازف البوق : جميع الأدواء مأتاها واحد – هواء فاسد في البطن ، ولهذا كان دوائي يصلح للجميع .

بوليتشوف (ضاحكا) : مرحى ! حسنا ، والآن ، أرنا كيف يعمل بوقك هذا . . .

عازف البوق : أتستطيع أن تدفع روبلا ؟

بوليتشوف : روبل ؟ سنجده ، كما اعتقد . جلاشا ، هل عندك روبل ؟ اليك . ذلك رخيص .

عازف البوق : هذا للبداية فقط . (يفك الكيس ويستخرج منه بوقا نحاسيا)

(تدخل شورا راكضة)

بوليتشوف : ياله من سماور ! انظري يا شورا ، ما اروعه طبيبا ! حسنا ، هلا نفخت فيه ؟

(ينظّف العازف حلقومه ، وينفخ نفخة - غير قوية ولا عالية ، ثم يسعل)

بوليتشوف : أهذا كل شيء ؟

عازف البوق : أربع مرات في اليوم لمدة خمس دقائق - ويتم كل شيء !

بوليتشوف : وتستنفد قوى الانسان ؟ ويموت ؟

عازف البوق : أبدا ! لقد شفيت الناس بالمئات .

بوليتشوف : أرى ذلك . حسنا ، قل لي الآن الحقيقة : ماذا تعتبر نفسك ، أحمق أم محتالا ؟

عازف البوق (متنهدا) : اذن ، أنت الآخر ترفض تصديقي ، مثلك مثل الجميع .

بوليتشوف (ضاحكا) : لا تبعد البوق عنك بعد . أخبرني صراحة ، أأنت أحمق أم محتال ؟ سأعطيك مالا .

شورا : لا تنهره ، يا أبتاه !

بوليتشوف : أنا لا أنهره ، يا شورا . ما اسمك ، أيها الطبيب ؟

عازف البوق : جبرائيل أوفيكوف .

بوليتشوف : جبرائيل ؟ (يضحك .) أوه ، لعن اللّه هذا كله ! . . أهو جبرائيل ، ها ؟

عازف البوق : انه اسم عادى . . . ولم يسخر أحد منه أبدا !

بوليتشوف : حسنا . . . من أنت : أأحمق أم محتال ؟

عازف البوق : اتمنحني ستة عشر روبلا ؟

بوليتشوف : جلاشا – هاتي المال اليّ ! انه في غرفة النوم . . . لمَ ستة عشر ، يا جبرائيل ؟

عازف البوق : أخطأت ! كان يجب أن أطلب أكثر من ذلك .

بوليتشوف : اذن ، فأنت أحمق ؟

عازف البوق : كلا لست بأحمق . . .

بوليتشوف : محتال اذن ؟

عازف البوق : ولست بمحتال أيضا . . . أنت تعرف من تلقاء نفسك – لا يستطيع المرء أن يعيش من دون أن يخدع الناس .

بوليتشوف : هذا صحيح ! ذلك ليس ظريفا ، يا عزيزي . ولكنه صحيح !

شورا : ولكن ، أليس من العار خداع الناس ؟

عازف البوق : ليس اذا كانوا يؤمنون به .

بوليتشوف (مهتاجا) : وهذا صحيح أيضا ! أتفهمين ، يا شورا ؟ انه صواب تماما ! اما الأب بافلين فهو لم يقل شيئا من هذا القبيل ! فهو لا يجسر !

عازف البوق : يجب أن تنفحني مبلغاً زائداً لقاء الحقيقة . فبوقي وشرفي ، يساعد بعض الناس .

بوليتشوف : أصدقك — أعطيه خمسة وعشرين روبلا ، يا جلاشا . أعطيه أكثر . أعطيه كل ما عندك !

عازف البوق : شكرا جزيلا ، يا سيدي . لعلك تريد تجربة البوق ؟ الشيطان وحده يعرف كيف ينفع ، ولكنه ينفع !

بوليتشوف : كلا شكرا . ايه ، جبرائيل ، جبرائيل ! (يضحك .) والآن ، فلنر ، أرني كيف يشتغل . . . تعال ، انفخ فيه ! بقوة !

(عازف البوق ينفخ بشدة نغما أصمّ . جلافيرا ترنو الى بوليتشوف بقلق . وشورا تسدّ أذنيها وتضحك)

بوليتشوف : أنفخ بكل ما فيك من قوة !

(يهرع الزوجان دوستيجاييف والزوجان زفونتسوف وباشكين وكسينيا الى الغرفة)

فارفارا : ما هذا ، يا أبتاه ؟

كسينيا : ييجور ، ماذا تقصد من جديد ؟

زفونتسوف (الى عازف البوق) : أأنت سكران ؟

بوليتشوف : دعوه وشأنه ! لا تتجاسروا ! استمرّ ، يا جبرائيل . هلا حطمت طبلة آذانهم ! هذا هو جبرائيل رئيس الملائكة ينفخ في البوق معلنا نهاية العالم ! . .

كسينيا : آه ، يا الهي ! لقد جنّ . . .

باشكين (الى زفونتسوف) : أخبرتك بذلك ، وهذا أنت ترى بنفسك .

شورا : أتسمع ، يا أبتاه ؟ يقولون انك جننت ! اذهب ، أيها العازف في البوق ، اذهب .

بوليتشوف : لا ، لا تذهب . أنفخ ، يا جبرائيل ، أنفخ ! انه يوم الدينونة ! نهاية العالم ! . . أنفخ – خ – خ !

ستار

الفصل الثالث

غرفة الطعام . جميع ما في الغرفة يبدو وكأنما نقل من موضعه الأصلي . الطاولة لم تنظف ؛ فهي مفروشة بالصحون القذرة ، والسماور ، وقراطيس متاجر ، والزجاجات . وفي زاوية الغرفة عدة حقائب . تاييسيا ، وهي راهبة مبتدئـــة ، في قلنسوة طويلة مدببة ، تفتح احدى الحقائب . جلافيرا تتوانى بالقرب منها حاملة صينية في يدها . الغرفة منارة بقنديل يتدلى فوق الطاولة .

جلافيرا : أجاءت الأم ميلانيا للاقامة طويلا ههنا ؟
تاييسيا : لا أدري .
جلافيرا : لمَ لمْ تنزل في ضيافة الكنيسة ؟
تاييسيا : لا أدري .
جلافيرا : كم هو عمرك ؟
تاييسيا : تسع عشرة سنة .

(يظهر زفونتسوف على السلـّم)

جلافيرا : وأنت لا تعرفين شيئا ! ماذا دهاك ؟ أهمجية أنت ، أم ماذا ؟
تاييسيا : محظور علينا الحديث مع العلمانيين .
زفونتسوف : هل شربت الراهبة شايها ؟

جلافيرا : كلا .
زفونتسوف : اذن يفضل أن تسخني السماور تأهبا لذلك .

(تحمل جلافيرا السماور وتخرج)

زفونتسوف : ماذا حدث هناك – هل أخافكن الجنود ؟
تاييسيا : نعم ، يا سيدي .
زفونتسوف : وماذا فعلوا حتى أخافوكن ؟
تاييسيا : قتلوا بقرة ، وهددوا بحرق الدير . اعذرنـــــي . (تخرج حاملة حزمة من البياضات بين يديها .)
فارفارا (من المدخل) : يا للطقس الماطر! أكنت تثرثر مع المبتدئة هنا ؟
زفونتسوف : هل تعرفين ، شيء مزعج أن تقيم راهبـــة في دارنا .
فارفارا : لم تصبح دارنا بعد . وماذا عن تياتين ؟ هل وافق ؟
زفونتسوف : تياتين حمار ، أو أنه يدعي الشرف .
فارفارا : انتظر . يلوح أن والدي ينادي . (تصغي عند باب غرفة والدها)
زفونتسوف : رغم أن الأطباء يقولون ان والدك سليم العقل ، ولكني بعد ذلك المشهد السخيف مع البوق . . .
فارفارا : أثار مشاهد كثيرة أسوأ من هذا المشهد في زمانه . يبدو أن ألكسندرا وتياتين على أتمّ وفاق .
زفونتسوف : نعم ، الا أنني لا أرى شيئا حسنـــا في هذا .

شقيقتك الصغيرة تلك خبيثة نوعـــا ما . . . وسوف تسبب لنا كثيرا من المتاعب .

فارفارا : من المؤسف أنك لم تفكر في شيء من هذا يوم كانت تغازلك . لكنك كنت تحب ذلك وقتذاك .

زفونتسوف : كانت تغازلني لتغيظك فقط .

فارفارا : وهل أنت آسف ؟ ها قد جاء بافلين . انـــه يغدو زائرا يوميا .

زفونتسوف : لدينا هنا فضلة من الأكليروس .

(تدخل ايليزافيتا والأب بافلين يتجادلان ، يتبعهمـــا موكي باشكين)

بافلين : الصحف تكذب كعهدها . مساء الخير !

ايليزافيتا : وأنا أقول لك ان ذلك غير صحيح !

بافلين : ثبت بصورة لا تقبل الشك أن القيصر تنازل عــن العرش ، ليس بارادتـــه ، بل تحت ضغط القـــوة والاكراه ، وقد اعتقلته على طريق بيتروغراد جماعة من أعضاء الحزب الديموقراطـــي الدستورى . . . نعم ، يا سيدتي .

زفونتسوف : وماذا يترتب على ذلك ؟

ايليزافيتا : الأب بافلين ضد الثورة والى جانب الحرب . أما أنا فضدّ الحرب ! فأنا أريد الذهاب الى باريس . . . كفانا قتالا . ألا توافقينني ، يا فاريا ؟ أنتِ تذكريـن

ما قال هنري كتر * مرة : «باريس أفضل من الحرب» . نعم ، أعرف أنه لم يقل هذا بالضبط ، ولكن تلك كانت خطيئته .

بافلين : لا أصرّ على شيء ، لأن كل شيء مزعزع مقلقل .

فارفارا : نحن في حاجة الى السلام ، أيهـا الأب بافلين — السلام ! أفلا ترى كيف يتصرّف الرعاع ؟

بافلين : بوضوح تام ، للأسف ! كيف حال مريضنا ؟ كيف حاله هنا ؟ (يضع اصبعه على جبهته .)

زفونتسوف : لم يجد الأطباء أية علامات للاختلال .

بافلين : حسنا ، يسرني أن أسمع هذا . وان كان الأطباء ، على العموم ، لا يجدون شيئا دون خطأ الا أجورهم .

ايليزافيتا : ما أخبث ذلك منك ! فاريا ، لقد عزمتنا جانّا على العشاء .

باشكين : لقد أطلق سراح المساجين ، والشرطـة في مأزق حرج .

بافلين : هكذا اذن . هذا أمر خارق ! أية حسنات تتوقع من هذه الأحداث ، يا أندريه بيتروفيتش ؟

زفونتسوف : القوى الاجتماعية تحتشد بصورة منهجيـة ، وسوف تقول كلمتها عما قريب . وأنا أعني بالقوى الاجتماعية الناس الذين يملكون مصالح اقتصاديـة ثابتة . . .

---

* الرابع (بالفرنسية) . **الناشر** .

فارفارا : اسمع ، لقد دعتنا جانّا على العشاء . . .

(تقوده جانبا وتهمس في أذنه)

زفونتسوف : افهميني ، ذلك محرج نوعا ما بالنسبة اليّ . راهبة من جهة ولعوب من جهة أخرى . . .

فارفارا : هس — س ، من فضلك !

باشكين : أندريه بيتروفيتش — لقد جاء موكرووسوف — أنت تعرفه فهو ضابط الشرطة .

زفونتسوف : نعم ؟ ماذا يريد ؟

باشكين : تخلّى عن وظيفته لأنها أمست خطرة جدا ، رهو راغب في العمل لحسابنا ، في الغابات .

زفونتسوف : وهل يناسبنا ذلك ؟

فارفارا : انتظر ، يا أندريه . . .

باشكين : يناسبنا تماما . فلابتيف سيرفع الآن رأسه وسيتمرد . أما دونات ، كما تعلم — فهو فتى غير ملائم ، زد على أنه منشقّ ، ويبربر دون انقطاع عن قانون الحقيقة ، وأية حقيقة يستطيع المرء أن يتوقع عندما . . . حسنا ، تستطيع فهم ذلك بنفسك !

زفونتسوف : لكن هذا هراء كلّه ! فنحن نشاهد بواكير انتصار الحقيقة بالذات . . .

فارفارا : أوه ، أنتظر يا أندريه ، من فضلك .

زفونتسوف : الحقيقة والعدالة .

فارفارا : ماذا تريد ، يا موكي ؟

باشكين : أنا أريد توظيف موكرووسوف . واقترحت ذلك على
ييجور فاسيليفيتش .
فارفارا : وماذا قال ؟

(يعبس زفونتسوف ويغادر الغرفة)

باشكين : لم يقل شيئا محددا .
فارفارا : خذ موكرووسوف اذن .
باشكين : ألا تودين القاء نظرة عليه ؟
فارفارا : لماذا ؟
باشكين : لتتعرّفي اليه فقط . فهو هنا .
فارفارا : حسنا ، ناده اذن . . .

(يخرج باشكين الى المدخل . فارفارا تخطّ شيئا فى مذكرتها . يعود باشكين يصحبه موكرووسوف ، وهو رجل قميء مدوّر الوجه ، ذو حاجبين مرتفعين بتقطيبـــة دهشـــة وشده على الدوام ، ورغم أن ابتسامة صغيرة تتجوّل على شفتيه ، الا أنه يبدو وكأنه يتهيأ لقذف شتيمة قاسيـــة . يرتدي بزّة الشرطة ، ويتدلى مسدس على وركه . يفرقـــع بحذائيه ، وينتصب في وضع تهيؤ واستعداد)

موكرووسوف : أتشرف بان اقدم نفسي ، يا سيدتـــي ! في
خدمتك ، يا سيدتي . . .
فارفارا : تسرني رؤيتك . أرى أنك في بزّتك الرسميـــة ؟
سمعت أن الشرطة ينزع سلاحها .

موكرووسوف : هذا صحيح ، يا سيدتي . ومن الخطر علينا أن نظهر في الشوارع بمظهرنـــا العادى ، ولذا أرتدي معطفا مدنيا ، رغم أني متسلح . أما الآن ، باعتبار أن آمالا كاذبة قد شاعت ، فقد هدأ الرعاع واستكانوا — ولذا . . . فأنا لا أحمل سيفي .

فارفارا : ومتى تتوقع أن تبدأ العمل لحسابنا ؟

موكرووسوف : أنا منذ زمن بعيد خادمكم المطيـــع بالفكر ، يا سيدتي . وأنا على استعداد للانطلاق غدا الى الغابات اذا شئت . فأنا أعزب ، و . . .

فارفارا : وهل تظن ان كل هذا سيدوم طويلا ، اعني ، هذا العصيان ؟

موكرووسوف : طوال الصيف ، على ما أعتقد .

فارفارا : طوال الصيف فقط ؟

موكرووسوف : وبعده يتدخل المطر والجليد ، فيمسي التلكؤ في الشوارع أمرا مزعجا .

فارفارا (مبتسمة) : لا اظن ان الثورة رهن بالطقس .

موكرووسوف : اغفري لي ، يا سيدتي ، بل هي رهن به بكل تأكيد ! فللشتاء تأثير مبرّد .

فارفارا (ما تزال تبتسم) : أنت متفائل .

موكرووسوف : الشرطيون متفائلون عموما .

فارفارا : آه ، حقا ؟

موكرووسوف : من دون ريب ، يا سيدتي . ذلك أن الشرطة تعي قوتها .

فارفارا : هل خدمت في الجيش ؟

موكرووسوف : نعم ، يا سيدتي . خدمت في فرقة بوزولوك الاحتياطية . كنت ملازما ثانيا .
فارفارا (تمدّ يدها) : حسنا ، الوداع ، وحظا طيبا .
موكرووسوف (يقبل يدها) : اني شاكر لك جزيل الشكر .

(ينحني ويخرج مقرقعا بعقبيه)

فارفارا (الى باشكين) : يبدو أنه أحمق ، أليس كذلك ؟
باشكين : ليس في هذا شيء من الأذية . أنظري الى ما يفعل الناس الأذكياء . أعطيهم فرصة فيقلبون وجه العالم ، مثل الجيب تماما .
بافلين (الى باشكين وايليزافيتا) : يجب أن يمنح الاكليروس الحقّ المطلق في الوعظ والتبشير بحرية تامة ، والا لم ينتج شيء من ذلك !

(تدخل جلافيرا وشورا ، يسندان ييجور بوليتشوف . تسود السكينة الغرفة . الجميع يراقبونه . أما هو فيعبس)

بوليتشوف : حسنا ؟ لماذا خرستم جميعا على حين فجأة ؟ كنتم توعوعون وتجمجمون . . .
بافلين : بغتنا بالمشهد غير المتوقع لـ . . .
بوليتشوف : أي مشهد ؟
بافلين : مشهد رؤية رجل مقاد . . .
بوليتشوف : مقاد؟ عندما تتضعضع ساقا الانسان ، فيجب

أن يقاد اذن ! مقاد ! هل أفرج عن ياشكا لابتيـف ، يا موكي ؟
باشكين : نعم ، أفرج عن جميع المساجين .
زفونتسوف : يعني المساجين السياسيين .
بوليتشوف : اذن ، فلابتيف حر ، والقيصر سجين ! ما قولك في هذا ، أيها الأب بافلين ؟
بافلين : لست خبيرا في هذه القضايا ، لكن يستحسن ، في رأيي المتواضع ، أن نتأكد أولا مما ينوي هؤلاء الرجال أن يقولوا ويفعلوا . . .
بوليتشوف : سيختارون قيصراً آخر بالطبع . فسوف تمسكون جميعا بخناق بعضكم بعضا ان لم يكن هناك قيصر . . .
بافلين : يبدو وجهك منتعشا اليوم ؛ من الواضح أنك تستعيد صحتك وقواك ؟
بوليتشوف : هذا صحيح ، فأنا أستعيدهما ! . . أنتم ، أيها المتزوجون ، وأنت ، يا موكي ، دعوني وحيدا مع بافلين . لا تذهبي ، يا شورا .

(باشكين يخرج الى المدخل . آل زفونتسوف وآل دوستيجاييف يصعدون الى الطابق العلوى . بعيد لحظة أو لحظتين تهبط فارفارا حتى نصف السلّم وترهف أذنيها)

شورا : اضطجع ، يا أبتاه .
بوليتشوف : لا أريد . ما الأمر ، أيها الأب بافلين ؟ أعتقد أنك جئتني بشأن ناقوس الكنيسة ؟

بافلين : كلا . جئت على أمل أن أراك في حال أفضل ، ولـــم أخطئ في هذا . لكنني ، وأنا أتذكر عطاياك السخية الوافرة في الماضي ، هذه العطايا التي أسهمت في عظمة المدينة وكنيستها . . .

بوليتشوف : أنت لا تصلي من اجلي كما يجب ، ولذا تسوء حالي . ولا أشعر برغبة أن أدفع للّه . ولماذا أدفع ، على أية حال ؟ لقد دفعت الكثير ، فما الفائدة ؟

بافلين : ان هباتك وعطاياك . . .

بوليتشوف : مهلا ! أريد أن أطرح عليك سؤالا : أفلا يجب أن يخجل اللّه من نفسه ؟ لِمَ هو يرسل الموت ؟

شورا : آه ، لا تتحدث عن الموت ، أرجوك !

بوليتشوف : صه ، لا تتكلمي أنت ! بل اصغي فقط . فأنا لا أتحدث عن نفسي .

بافلين : ينبغي ألا تكدّر نفسك بمثل هذه الأفكار . ومـــا أهمية الموت عندما تكون الروح خالدة ؟

بوليتشوف : لم هي ، اذن ، محشورة في قطعة من لحم وسخ ؟

بافلين : ان الكنيسة لاتعتبر هذا السؤال عبثا فحسب . . . ولكن . . .

(تضحك فارفارا في منديلها وهي قابعة على السلّم)

بوليتشوف : لا تتلعثم ! قل لنا بصراحة . شورا ، أتذكرين عازف البوق ؟

بافلين : في حضور ألكسندرا ييجوروفنا . . .

بوليتشوف : آه ، لا تهتمّ بهذا . عليها أن تعيش فعليها أن تعرف ! أنا عشت حياة مديدة ، وها أنا أسألك الآن : لماذا تعيش ؟

بافلين : انني أقوم بالخدمة المقدسة في الكنيسة . . .

بوليتشوف : أعرف أنك تخدم في الكنيسة ! لكنك ستموت عاجلا أو آجلا . فماذا يعني هذا ؟ ما هو – موتنا هذا ، يا بافلين ؟

بافلين : أسئلتك . . . غير منطقية ولا مُجدية . واغفر لي – اذ يجب ألّا تفكر في أشياء أرضيّة في مثل هذا الوقت . . .

شورا : اياك ومثل هذا القول !

بوليتشوف : لقد جئت من الأرض – وأنا أرضي بكل ذرة من ذراتي .

بافلين (ينهض) : ليست الأرض سوى تراب ورماد . . .

بوليتشوف : تراب ورماد ؟ اذن فأنت . . . اذن فأنت نفسك يجب أن تفهم أن الأرض ليست سوى تراب ورماد ! تراب ورماد – ومع ذلك فأنت تلبس غفارة من الحرير . تراب ورماد – وصليب من الذهب ! تراب ورماد – ومع ذلك فأنت شره نهم . . .

بافلين : أنت تقترف خطايا دنسة في حضور هذه الفتاة المراهقة . . .

(فارفارا تصعد السلّم بسرعة)

بوليتشوف : انهم يدربون الحمقى أشباهك مثلما يدربون الكلاب لملاحقة الأرانب البرية . . . لقد أصبحتم اغنياء على حساب المسيح المسكين . . .

بافلين : مرضك يجعلك حقودا ، فتهدر كالدب المتوحش . . .

بوليتشوف : اذن ، فأنت ذاهب ، ها ؟ آها . . .

(بافلين يخرج)

شورا : لا يجوز أن تزعج نفسك ، يا أبتاه . فذلك يضرّ بصحتك . لشدّ ما أنت نزق !

بوليتشوف : لا تراعي ! لم أفعل شيئا آسف عليه آه ، لا أستطيع أن أطيق هذا الكاهن ! احفظي عينيك وأذنيك مفتوحة . فأنا أفعل هذا عن قصد كي تفهمي . . .

شورا : خمنت ذلك من نفسي . . . فلست طفلة ، ولا حمقاء !

(يظهر زفونتسوف على السلّم)

بوليتشوف : قرروا أني مجنون ، بعد حفلة عازف البوق تلك ، لكنّ الأطباء كذّبوهم ! أنت تصدقين الأطباء ، يا شورا ، ايه ؟

شورا : أنا أصدقك أنت . . . وأنت وحدك . . .

بوليتشوف : يا لك من فتاة طيبة ! لا تخافي ، فعقلي في أحسن حال . والأطباء يعرفون ذلك . وصحيح أني

اصطدمت بشيء قاس . ولكن كل انسان يود أن يعرف ما معنى الموت . أو الحياة ، مثلا ! أتفهمينني !

شورا : لا أعتقد أنك شديد المرض حقا . يجب أن تغادر الدار هذه . ان جلافيرا عـــلى حقّ . يجب أن تتداوى بصورة جدية . ولكنك لا تسمع لأحد .

بوليتشوف : انني اسمع للجميع . ولسوف نجرّب الآن تلك الساحرة الطبيبة . فقد تفيدني ، من يعلم . حان وقت قدومها . فالألم . . . انه أشبه بحزن قارض !

شورا : كفى ، يا عزيزي ! أوه ، كفى ! اضطجع ، هيا . . .

بوليتشوف :تزداد الأمور سوءا عندما أضطجع . هذا يعني الاستسلام ، كما هي الحال في حفلات الملاكمة . أنا أريد أن أتحدث . أريد أن أروي لـــك أشيـــاء . افهمي مقصدي – أنا أعيش في الشارع الغلط ! وقد ارتبطت مع الناس الغلط – وجميعهم من الغرباء . . . ثلاثون سنة مرّت عليّ ، وأنا بين الغرباء . ولا أريـــد أن يحدث لك مثل هذا الأمر! كان والدي يسوق عوامات . وأنا – أنظري اليّ . . . لا أستطيع تفسير ذلك لك .

شورا : لا تتسرّع ، تكلّم مثلمـــا اعتدت أن تروي لي الأقاصيص .

بوليتشوف : تلك لم تكن أقاصيص – لم أكن أروي لك دائما سوى الحقيقة الناصعة . أفلا ترين . . . هؤلاء الكهّان والقياصرة والحكام . . . ماذا أريد منهم بحق الشيطان ؟ لا أؤمن باللّه . وكيف يمكن أن يوجد اللّه ؟ أنت ترين بنفسك . . . وليس ثمة أناس طيبون أيضا .

هم نادرون مثل . . . مثل العملة المزورة ! وأنت ترين الناس ومن يشبهون . وهؤلاء هـــم يتخبطون من جراء الحرب ، وقد جنّ جنونهم ! لكن ، ما لي ولهم ؟ وماذا يريد ييجور بوليتشوف منهم ؟ وأنت . . . أنت ، كيف ستعيشين واياهم ؟

شورا : لا تقلق عليّ . . .

كسينيا (تدخل) : جاءت تونيا وشقيقها لرؤيتـــــك ، يـــا ألكسندرا ، يصحبهما ذلك الفتى . . .

شورا : فلينتظروا .

كسينيا : هيا أسرعي اليهم . لا بدّ لي أن أتحدث مع والدك .

بوليتشوف : وهل لا بدّ لي من ذلك ؟

شورا : لا تتكلمي كثيرا . . .

كسينيا : لا تعلميني ! يا ييجور فاسيليفيتش ، لقد جاءت زوبونوفا .

بوليتشوف : شورا ، هلا دعوت ضيوفك الى هنا بعد قليل . (شورا تخرج .) حسنا ، نادي زوبونوفا هذه !

كسينيا : لحظة واحدة فقط . كنت أريـد أن أقول لك أن ألكسندرا توطد صداقتها مع ابن عم أندريه ، ذلك الفتى الرذيل . . . وتستطيع التأكد بنفسك من أنه لا يصلح لها . لقد أدخلنا الى بيتنا شحاذا مرة ، فانظر الآن كيف يتصرف مع الجميع على حد سواء .

بوليتشوف : يا أكسينيا ، أنت أشبه بحلم رديء — حقا !

كسينيا : هيا أهنّي ، اذا شئت ! انما ينبغي لك أن تمنعها من الغزل بتياتين ذلك .

بوليتشوف : وماذا أيضا ؟
كسينيا : ميلانيا باقية هنا . . .
بوليتشوف : ولِمَ ؟
كسينيا : وقعت في بعض المتاعب . لقد هاجم الفارون من الخدمة العسكرية الدير ، وقتلوا بقرة ، وسرقوا فأسين ، ورفشا ، وربطة من الحبال . من الواضح أن المصاعب ستتالى ! وحتى دونات ، ذلك الذى يقوم بحراسة الغابات لنا ، انه يؤوي بعض الشخصيات المريبة . وهم يعيشون في كوخ في منطقة قطع الأشجار . . .
بوليتشوف : لاحظت أنني عندما أحب امرءا فالجميع يمقتونه اذن .
كسينيا : لعلك تتصالح معها ؟
بوليتشوف : مع ميلانيا ؟ ولماذا ؟
كسينيا : اسمع . كنت أقصد أن . . . صحتك . . .
بوليتشوف : حسنا . . . سوف أصالحها . وسأقول لها : يقول الرب «واغفر لنا ما علينا» .
كسينيا : كن لطيفا معها . . . (تخرج)
بوليتشوف (يهمهم) : «واغفر لنا ما علينا ، كما نغفر نحن لمن لنا عليه» . . . كذب وخداع . . . يا للشياطين !

(تدخل فارفارا)

فارفارا : أبي ، سمعت أمي تحدثك عن ستيبان تياتين . . .

بوليتشوف : نعم . أنت تسمعين كل شيء ، وتعرفين كـــل شيء . . .
فارفارا : تياتين شاب متواضع ، وهو لن يطلب بائنة كبيرة من ألكسندرا ، وهو يصلح لها كثيرا .
بوليتشوف : أنت كثيرة الاهتمام ، أليس كذلك ؟
فارفارا : كنت أرقبه مليا .
بوليتشوف : مـــن الذى تهتمين بـــه في الواقـــع ؟ آه ، يا لكم . . . من شياطين منازل !

(تدخل ميلانيا وكسينيا ، تتبعهما تاييسيا التي تتوقف عند **العتبة)**

بوليتشوف : حسنا ، يا مالاشا ؟ فلنتصالح ؟
ميلانيا : هذا أفضل . يالك من مشاغب ! تهين الجميع دون سبب أو مبرر . . .
بوليتشوف : «واغفر لنا ما علينا» ، يا مالاشا !
ميلانيا : ليس المقصود ما علينا وما لنا . كفاك معاكســة ! أنظر الى ما يجري في العالـــــم . فهذا القيصر – ظلّ المسيح – أُسقط عن عرشه . أتدري ما معنى هذا ؟ هذا يعني أن اللّه أغرق شعبه في الظلمة والفوضى ؛ لقد جنوا خوفا ، وهـم يحفرون الأخاديد والحفر تحت أقدامهم ذاتها . ولقد ثار الأوباش ، فالنسوة الفلاحات فى كوبوسوفو صحن في وجهي أنهنّ يشكلن الشعـــب المواطن : «أزواجنـــا ، الجنود ، هم الشعب !» هل

يعجبك هذا ؟ وهل سمعت يوما أن الجنود يعتبرون الشعب ؟

كسينيا : هذا ما كان ياكوف لابتيف يقوله دائما . . .

ميلانيا : لقد جرّد محافظ المقاطعة من سلطته ، وحلّ مكانه اوسمولوفسكي ، كاتب العدل .

بوليتشوف :هذه معدة سمينة أخرى .

ميلانيا : قال المطران نيكاندر نهار البارحة : «نحن على عتبة حوادث مشؤومة فاجعة . أيمكن أن تتولى السلطة المدنية الحكم ؟ لقد كانت الشعوب ، منذ عهد التوراة ، محكومة باليد المسلّحة بالسيف والصليب» . . .

فارفارا : لم يكونوا يعبدون الصليب زمن التوراة . . .

ميلانيا : أمسكي لسانك ، أنت أيتها الآنسة الذكية . . . ان العهد الجديد والعهد القديم مرتبطان في كتاب مقدس واحد ، أليس كذلك ؟ والصليب هو السيف ! وأعتقد أن المطران يعرف أكثر مما تعرفين ما الذى كان يعبد ومتى . أنتم أصحاب المطامح تفرحون لسقوط القيصر عن العرش . حذار من أن يتحول فرحكم الى دموع مرّة لاذعة . . . بودي التحدث واياك حديثا خاصا ، يا ييجور .

بوليتشوف : وننتهي الى شجار من جديد ؟ لا بأس ، نستطيع أن نثرثر قليلا ، انما فيما بعد . فالمرأة الشافية آتية الآن ، وأنا أريد أن تتحسن حالي ، يا مالاشا .

ميلانيا : زوبونوفا شافية مشهورة . ولا يدانيها الأطباء اطلاقا ! وأنا في مكانك أجرب بروكوبي المبارك أيضا .

بوليتشوف : ذلك الذى يناديه الصبية الصغار بروبوتي ؟ سمعتهم يقولون انه مشعوذ .
ميلانيا : لا ، يا الهي ! كيف تجرؤ على التفوّه بمثل هذا الكلام ؟ يجب أن تستقبله .
بوليتشوف : حسنا ، فليأت بروبوتي أيضا . فأنا أشعر ببعض التحسّن هذا النهار . . . ما عدا ساقيّ . . . وكأني أشعر بسرور ما ، فكل شيء يبدو في عينيّ مضحكا . . . أدخلي الساحرة الطبيبة ، يا أكسينيا . . .

(كسينيا تخرج)

ميلانيا : آه ، يا ييجور ، لا يزال فيك الكثير من ذلك !
بوليتشوف : هذه هي القضية . . . الشيء الكثير .
كسينيا (داخلة) : تقول انه يجب أن يغادر الجميع الغرفة .
ميلانيا : حسنا ، فلنخرج اذن .

(الجميع يغادرون الغرفة . يجلس بوليتشوف وهو يبتسم ساخرا ، ماسحا على صدره وخاصرته . تدخل زوبونوفا . تلوي فمها خلسة ، لكن بشكل كاف كي يلحظه المرء – وتنفخ جهة اليمين ، ويدها اليمنى ضاغطة على قلبها ، بينا تخفق بيدها اليسرى مثل زعنفة السمكة . ومن ثم تنتصب جامدة ، وتمرّ بيدها اليمنى على وجهها .)

بوليتشوف : ماذا تفعلين – أتصلين للشياطين ؟
زوبونوفا (في نغمة غنائية) : ايه ، أيتها الأمراض المؤلمة للدم والجسد ! ألا اخرجي ودعي خادم اللّه في سلام ! منذ هذا اليوم ومنذ هذه الساعـــة ، أطردك بكلماتي الجبارة الى أبد الآبدين . نعمت مســـاء ، يا صاحب السعادة المقدسة ، المدعو ييجوري !
بوليتشوف : أسعـــدت مساء ، يا عمتي ! أكنت تطردين الشياطين ؟
زوبونوفا : يا الهي ، كلا – هل يمكن للانسان أن يتعامـــل معهم ؟
بوليتشوف : يمكنه ، ان كان لا بدّ من ذلك ! فالكهنـــة يصلّون الى اللّه ، ولكنك لست من الكهنة ، ولذا لا بدّ أنك تصلين للشياطين .
زوبونوفا : آه ، ما هذه الكلمات المخوفة التي تنطق بها ؟ الحمقى وحدهم يقولون اني أتعامل مع الشرير .
بوليتشوف : في هذه الحال لانفع منك ، يا عمتي . لقد صلى الكهنة الى اللّه من أجلي ، لكنه رفض أن يمدّ لي يد العون .
زوبونوفا : لا ريب أنك تمزح ، أيها الرجل العزيز . فأنت تقول هذا لأنك لا تؤمن بي .
بوليتشوف : كان يمكن أن أؤمن بك او جئتني رأسا من قبل الشياطين . ولكنه بلغك ، بالطبع ، أنني انسان فظ ، وأنني قاس مع الناس ، وأنني نهم أعبد المال . . .

زوبونوفا : سمعت هذا ، الا أنني لا أصدق أنك ستبخل عليّ بشيء قليل من مالك العظيم .

بوليتشوف : انني خاطئ كبير ، يا امرأة ، واللّه لا يريد أن تكون لي به علاقـــة . لقد تخلى اللّه عن ييجور بوليتشوف . وهكذا ، اذا لم تكوني صديقة للشياطين فيفضل أن تذهبي وتجهضي مومسات البلدة . هذه هي تجارتك ، ها ؟

زوبونوفا : آه ، صحيح اذن ما يقال عنـــك – انك انسان مشاكس ؟

بوليتشوف : حسنا ، أيـــة أكاذيب كنت ستسردين الآن ؟ انطقي بها !

زوبونوفا : ما تعلّمت الكذب قط . هيا أخبرني الآن بمـــا تعاني من آلام ، كيف هي وأين موضعها .

بوليتشوف : في البطن . يؤلمني كثيرا . . ههنا بالضبط .

زوبونوفا : اليك حقيقة الأمر . . . لكن لا تفه بنبسة واحدة مما سأقول .

بوليتشوف : لن أقول . لا تخافي .

زوبونوفا : ثمـــة أمراض صفر وأمراض سود ، والمرض الأصفر يمكن أن يشفيـــه حتى الطبيب ، أما المرض الأسود فيعجز الكاهن أو الراهب عـــن طرده ! المرض الأسود يتأتى من الشرير ، وليس ثمة غير علاج واحد له . . .

بوليتشوف : يقتل أو يشفي ، ها ؟

زوبونوفا : انه علاج باهظ الثمن .

بوليتشوف : بالطبع . لقد خمّنت ذلك .
زوبونوفا : هذه قضية لا بدّ لك فيهـــا من التعامل مـــع الشرير .
بوليتشوف : مع ابليس نفسه ؟
زوبونوفا : حسنا ، ليس معه مباشرة ، وانما . . .
بوليتشوف : وهل تستطيعين ذلك ؟
زوبونوفا : لكن – اياك أن تتفوه بنبسة واحدة لأي شخص كان . . .
بوليتشوف : اذهبي الى الجحيم ، يا عمتي !
زوبونوفا : تمهّل لحظة . . .
بوليتشوف : طيري من هنا . والا ناولتك . . .
زوبونوفا : أصغ لي . . .
جلافيرا (من المدخل) : لقد أمرك بالذهاب ، أفلم تسمعي ؟
زوبونوفا : ما بالكم ، أيها الناس ؟
بوليتشوف : اطرحيها خارجا !
جلافيرا : هيا من هنا – وتدّعين أنك ساحرة !
زوبونوفا : أنت الساحرة أنظري الى سحنتك هذه . . . آه ، أنت . . ألا فلتحرما أنتما الاثنين من النوم والراحة !

(تخرج المرأتان)

بوليتشوف (يرنو حواليه ، ثم يتنهد تنهدة قصيرة) : فو !

(الراهبة ميلانيا وكسينيا تدخلان)

ميلانيا : أفلم ترق لك زوبونوفا – أفلم ترضك ؟

(يحملق بوليتشوف في وجهها بصمت)

كسينيا : أنها حادة المزاج ، هي الأخرى ! لقد امتدحوهـــــا كثيرا ، فتكبّرت وتعجرفت .
بوليتشوف : ما قولك ، يا مالاشا – أأصيب اللـّه مرة بألم في المعدة ؟
ميلانيا : لا تك أحمق . . .
بوليتشوف : لا بـــدّ أن المسيـــح أصيب كثيرا بآلام فى معدته – فقد كان يعيش على الأسماك .
ميلانيا : كفى هذا ، يا ييجور . أتحاول اغاظتي ؟

(تعود جلافيرا)

جلافيرا : تريد زوبونوفا أن ندفع لها أتعابها .
بوليتشوف : أعطيها شيئا ، يا أكسينيا ! اصفحي عنـــي ، يا مالاشا ، فأنا تعب – سأذهب الى غرفتي . ليس ثمة ما يرهق قواك أكثر من التحدث الى الحمقى . والآن ، يا جلاشا، ساعديني . . .

(جلافيرا تقوده خارجا . تعود كسينيا وتتطلّع الى أختهـــا مستفسرة)

ميلانيا : انه يتظاهر بالجنون . يتظاهر . . .
كسينيا : أتظنين ؟ أشكّ في هذا . . .
ميلانيا : ذلك لا يهمّ . فليمثل دوره . وسينقلب هذا كله ضدّه في النهاية ، فيما اذا نقضت وصيّته في المحكمة ، فستكون تاييسيا شاهدة اذن ، وهنالك زوبونوفا أيضا ، والأب بافلين ، وعازف البوق – كثيرون من الناس ! نستطيع أن نثبت أن الرجل لم يكن سليم العقل عندما كتب وصيته . . .
كسينيا : أوه ، لا أعرف في الحقيقة ماذا أفعل . . .
ميلانيا : ولهذا أعلمك ما تفعلين ! هه ، أنت . . لقد تعجلت الزواج جدا ! وأنا أخبرتك أن تتزوجي من باشكين .
كسينيا : تذكرتِ . . . كان هذا قبل زمن بعيد ! وكان ييجور مثل النسر – وأنت نفسك حسدتني .
ميلانيا : من ؟ أنا ؟ هل جننت ؟
كسينيا : آه ، حسنا ، ما الفائدة من نبش الماضي الآن ؟
ميلانيا : فلتغمرنا الرحمة ! تقول انني حسدتها ! أنا ؟
كسينيا : وماذا عن بروكوبي ؟ لعله لا ينبغي ذلك ؟
ميلانيا : لماذا – لا ينبغي ؟ بعدما بعثنا في طلبه واتفقنا على جميع الترتيبات ؟ لا تتدخلي في الأمر . اذهبي وحضريه ، ثم عودي به الى هنا . تاييسيا !

(تدخل تاييسيا من المدخل)

ميلانيا : نعم ؟

تاييسيا : لم أكتشف شيئا .

(تغادر كسينيا الغرفة)

ميلانيا : لماذا ؟
تاييسيا : رفضت أن تقول شيئا .
ميلانيا : ماذا تعنين برفضت أن تقول شيئا ؟ كان يجب أن تنتزعي ذلك منها .
تاييسيا : حاولت ، فزأرت كالقطة – وهي تشتم الجميع .
ميلانيا : ماذا قالت ؟
تاييسيا : نعتتهم جميعا بالمحتالين .
ميلانيا : لماذا ؟
تاييسيا : قالت انكم تحاولون أن تدفعوا بالرجل الى الجنون .
ميلانيا : أقالت ذلك لك ؟
تاييسيا : كلا ، بل قالته لبروبوتي الأبله المبارك .
ميلانيا : وماذا قال ؟
تاييسيا : هو يقول أشياء مضحكة دون انقطاع .
ميلانيا : أشياء مضحكة ؟ أيتها الحمقاء ، أنت ! انه رجل مبارك ، وهو يتنبأ ، يا غبية ! اجلسي في المدخل واياك والحركة من هناك . . . أكان أحد آخر في المطهى ؟
تاييسيا : كان موكي هناك . . .
ميلانيا : حسنا ، اذهبي الآن . . . (تمضي الى باب غرفة بوليتشوف وتقرعه .) ييجور ، بروكوبي المبارك هنا .
(كسينيا وباشكين تقودان بروبوتي المبارك الى الغرفة ، وهو

يلبس صندلا من ليف النبات ، وقميصـــا طويلا من الكتان الأسمر يصل حتى رسغيه ، ومجموعة من الصلبان النحاسية المختلفة وبعض الايقونات تتدلى على صدره . مظهره مخيـف نوعا ما : فشعره كثيف متلبّد ، ولحيته طويلة ، ضيقة قليلة الكثافة ، وحركاته تشنجية مهتزة .)

بروبوتي : آه ، يالرائحة التبغ الحادة ! الروح تختنق !
كسينيا : ليس من يدخن هنا ، يا أبتاه . . .

(بروبوتي يقلـّد صفير ريح الشتاء)

ميلانيا : رويدك ، انتظر حتى يجيء . .
بوليتشوف (يخرج من غرفته تقوده جلافيرا) : أنظري اليه !
بروبوتي : لا تخف ! لا خوف عليك ! (يقلد صفير الريـح)
كل شيء فان ، كل شيء مقدّر له الموت ! لقد تسلق
جريشا السلـّم ، ومارس المداواة ، وبلغ السقف –
فجروه الى الجحيم .
بوليتشوف : أعتقد أنه يقصد راسبوتين !
بروبوتي : لقد خلع القيصر عن العرش ، والمملكة تفنى ،
والملوك الذين يسودون الآن هم الخطيئة والموت !
الريح تنبح ، والعاصفة تزمجر . (يقلـّد صفير الريح ،
يشير الى جلافيرا بعصاه) الشيطان يقف الى جانبـــك
بشكل امرأة ، فاطردها !
بوليتشوف : سأطردك أنت ! لا تدع لسانك يتهوّر بك . من
علـّمه هذا ، أنت يا ميلانيا ؟

ميلانيا : عجبا ! أيمكن أن يلقّن المجنون شيئا ؟
بوليتشوف : يبدو أن ذلك ممكن . . .

(تهرع شورا هابطة السلّم تتبعها أنظونينا وتياتين . ومن ثم يهبط آل زفونتسوف وآل دوستيجاييف . بروبوتي يرسم اشارات على الأرض وفي الهواء بعصاه ، دون أن يتفوه بحرف . ومن ثم ينتصب متفكرا وقد حنى رأسه)

شورا (تهرع الى والدها) : ما هذا الذي يجري ؟ مسرحية أخرى ؟
ميلانيا : أمسكي لسانك !
بروبوتي (وكأنه يتكلم بصعوبة) : لا نوم للهراطقة ، والساعة تدقّ ، تيك ، تيك ، توك ! لكن اللّه أراد . . فأنا أحمق منقاد . . وأكثر الأنام . . داسوني بالأقدام . . آي ، آي ! وصوّت الشيطان ، فردّ ملك الجان ، بصوت يصمّ الآذان ! وانتصف الليل ، وصاح الديك ، كوكو — كو ك . . . . و ! . . . تيك ، توك ، توك — تيك . . . هذه هي نهاية الهراطيك !
بوليتشوف : لا بأس ! علموك وأحسنوا تعليمك . . .
ميلانيا : لا تقاطعه ، يا ييجور ، لا تقاطعه !
بروبوتي : ماذا ينبغي أن نفعل ؟ ماذا نقول للناس ؟
أنظونينا (بأسف) : أوه ، ليس هو مخيفا على الاطلاق !
بروبوتي : قتلوا قملة وقبروها . . لعله يجب أن نرقص ؟ تعالوا اذن ولنرقص ، وليضجّ صوت المسرّات !

(يضرب الأرض بقدميه ويهمهم بلطف بادىء الأمر ، ثم بصوت عال وهو يقفـــز .) أستاروث ، ساباتان ، أسكافات ، ايدوميز ، نفرويز . . . ان لم تستطع فقد انهيت ، كاراتيلي – بر ، بر ، اضرب رأسك عـــلى القبر ! هاي . . . بف ، بف – ماذا تهف ؟ هو كـــي بوكي ، أرضي شوكي ! ابليس يلعب بفريستـــه ، أوه ، اي ! انه يذهب الى الأمام ، في الأرض وحيدا بين الأنام . وأطبقت عليه زاخاتاما الساحرة ، وأخذتـــه على ظهرها تلك العاهرة . لا فرار من الخطيئة ومـــن العهر . وييجور ولد من أجل القهر . . .

شورا (صارخة) : أطردوه !

بوليتشوف : ما بالكم ؟ هل تريدون اخافتي ؟

زفونتسوف : يجب أن يوضع حدّ لهذه الفظاعة . . .

(تركض جلافيرا صوب بروبوتي ، فيلوّح ، دون أن يتوقف عن الدوران ، بعصاه في وجهها)

بروبوتي : هيك ، هوك ، هاك ، أيها الشرير أدر وجهك !

(تياتين يختطف العصا من بروبوتي)

ميلانيا : ماذا تفعل ؟ وكيف تجرؤ ؟

شورا : أبي ، اطردهم جميعا من هنا . . . فيمَ لا تنطـــق بحرف ؟

بوليتشوف (بحركة ضجرة من يده) : انتظري . . انتظري . . .
(يجلس بروبوتي على الأرض ، يزعق ويصيح .)
ميلانيا : اياك أن تمسّه ! انه في غيبوبة ، في اشراق !
دوستيجاييف : يجب أن ينال صفعة رنانة على عنقه ، أيتها الأم ميلانيا ، من أجل مثل هذه الاشراقات .
زفونتسوف : انهض ! واخرج من هنا – حالا !
بروبوتي : ايه . . أين ؟ (يقلد صوت الريح النابحة)

(كسينيا تبكي)

ايليزافيتا : ما أذكاه ! كأنما يغني بصوتين !
بوليتشوف : أخرجوا من هنا ، جميعكم . . لقد تثاءبتم مـــا طاب لكم ههنا . .
شورا (تضرب الأرض بقدمها أمام نصف المجنون) : أخرج من هنا ، أيها الدجال ! ستيبان ، اطرده !
نياتين (يمسك بروبوتي من مؤخرة عنقه) : تعال معي ، أيها الرجل القديس ، هيا انهض ! (يخرجان .)
تاييسيا : لم يكن مخيفا اليوم . انه يتقن ذلك أكثر من قطرة من الفودكا . . .
ميلانيا : من طلب اليك الحديث ؟ (تضرب الفتاة على وجهها .)
زفونتسوف : يجب أن تخجلي من نفسك !
ميلانيا : أخجل ؟ أمامك أنت ؟
فارفارا : هدئي روعك ، يا عمتي . .
كسينيا : يا للسماوات ! . . ما هذا كله ؟

(شورا وجلافيرا ترقدان بوليتشوف على الأريكة ، بينا يقف

دوستيجاييف يرمقه مليا . آل زفونتسوف يقودان كسينيا وميلانيا الى الخارج)

دوستيجاييف (الى زوجته) : الأفضل أن نذهب الى البيت ، ياليزا ، فلنمضِ الى البيت ! فبوليتشوف مضطرب المزاج كثيرا . . . والمظاهرة بدأت ، ومن الافضل ان ننضمّ اليها .

ايليزافيتا : أفلم تكن طريقته في تقليد الريح رائعة ؟ لم أكن أتصوّر ذلك .

بوليتشوف (الى شورا) : هذا كلّه من صنع الراهبة . . .

شورا : هل أنت متضايق ؟

بوليتشوف : هي . . نوع من الخدمة الجنائزية . . على انسان حي .

شورا : قل لي . . هل أنت متضايق ؟ أأرسل في طلب الطبيب ؟

بوليتشوف : كلا ، لا حاجة لذلك . لقد قال ذلك بنفسه – ذلك المهرج – حين تكلم عن المملكة : هل سمعته ؟ «لكن اللّه أراد . . فأنا أحمق منقاد» .

شورا : يجب أن تنسى هذا كله . . .

بوليتشوف : لسوف ننساه ، بكل تأكيد ! اذهبي وانظري ماذا يفعلون هناك . احرصي على ألا يصيبوا جلافيرا بأذية أو ضرر . . ما هذا الغناء في الشارع ؟

شورا : لا تنهض !

بوليتشوف : لسوف تفنى مملكة النتانة . لا أستطيع أن

أرى شيئا . . (ينهض ، ويستند الى الطاولـــة بيده الواحدة ، ويحك عينيه .) «فليأت ملكوتك !» . . أي ملكوت ؟ يا للحيوانات ! ملكوت . . «أبانا الذى . .» لا . . هذا لا يصح أي صنف من الآباء أنت بالنسبـة اليّ اذا كنت حكمت عليّ بالموت ؟ ولماذا ؟ الجميع يموتون ؟ لماذا ؟ لا بأس ، فليموتوا -لكن لِمَ أموت أنا ؟ (يترنّح) حسنا ؟ ما هذا ، يا ييجور ؟ (يصيح بصوت أجش) شورا . . جلاشا . . الطبيب ! هِـــيْ ، أين أنتم ، أيها الشياطين ! ييجور . . . بوليتشوف . . ييجور !

(شورا وجلافيرا وتياتين وتاييسيـا يسرعون الى بوليتشوف الذى يتمايل ويترنح ، ثم يسقط في أحضانهـــم . الغناء في الشارع يزداد علوا ووضوحـــا . جلافيرا وتياتين يسندان بوليتشوف . شورا تهرول الى النافذة وتفتحها . الغناء يندفع في الغرفة)

بوليتشوف : ما هذا ؟ الجنّاز من جديد ! شورا ! من هذا ؟
شورا : تعال هنا ، تعال وانظر !
بوليتشوف : آه ، شورا . . .

ستار

فاسا جيليزنوفا

الصياغة الثانية

كتب غوركي هذه المسرحية في ديسمبر ١٩٣٥ في القرم . ولم يتسن له ان يشاهدها معروضة على خشبة المسرح لأنـه توفي فى حزيران ١٩٣٦ .

الشخصيات

فاسّا بوريسوفنا جيليزنوفا ، في حوالي الثانية والأربعين ، وتبدو أصغر من عمرها .

سيرغي بتروفيتش جيليزنوف ، زوجها ، في الستين ، قبطان متقاعد ، خدم في البحر الأسود ، ومن بعـــد على سفن نهرية .

بروخور بوريسوفيتش خرابوف ، شقيقهـــا في السابعـــة والخمسين .

لودميلا (لودا) في السادسة عشرة } ابنتاها .
ناتاليا (ناتا) في الثامنة عشرة

راشيل ، كنّتها ، في حدود الثلاثين .

آنا (انيوتا) أونوشينكوفا ، تجاوزت الثلاثين ، أمينة سرها وموضع ثقتها

ميلنيكوف ، موظف في محكمة المقاطعة .

يفجيني ، ولده .

غوري كروتكيخ ، مدير شركة جيليزنوف-خرابوف الملاحية .

ليزا وبوليا ، خادمتان .

بياتيوركين ، عمره بين ٢٧ و٣٠ ، جندي سابق ، ويعمـــل الآن في الشركة . له جمة من شعر كثيف خشن وشارب مشذب .

الفصل الأول

غرفة رحبة في ركن من المنزل الذي عاشت فيه فاسا وقضت معظم أيامها خلال السنوات العشر الأخيرة . هنالك فوتيل خفيف ذو ذراعين ومقعد خشبي أمام مكتب ضخم . إلى جانبه خزانة حديد . على الجدار خارطة كبيرة ملونة للمجرى الأعلى والمجرى الأوسط لنهر الفولغا ، من مدينة ريبينسك إلى مدينة قازان . وتحت الخارطة أريكة عريضة فوقها سجادة وعدد من الوسائد . وفي وسط الغرفة منضدة بيضوية الشكل متوسطة الحجم ومقاعد مساندها الخلفية مرتفعة . أبواب مزدوجة زجاجية تؤدي إلى الشرفة المطلة على الحديقة . ونافذتان تطلان على الحديقة أيضاً . وثمة مقعد كبير منجد بالجلد . وعلى افريزي النافذتين أزهار الجيرانيوم . بالقرب من الجدار ، في الفراغ القائم بين النافذتين ، برميل شجرة غار . وهنالك رف صغير فوقه إبريق فضي ومغارف فضية مذهبة . باب قريب من الأريكة يوصل إلى حجرة النوم . وباب آخر ، قريب من المنضدة ، يُفضي إلى غرف أخرى . الوقت صباحاً . الغرفة مترعة بأشعة شمس أواخر شهر آذار المتسللة من النافذتين والأبواب المزدوجة الزجاجية . مما يثير في النفس مرحاً . إنها عموماً غرفة نيّرة فسيحة الجنبات تبعث على الغبطة . تدخل فاسا وكروتكيخ .

فاستا : ثلاثة روبلات ونصف مقابل ألف بود * – أي خمس وثلاثون جزء من كوبيك واحد للبود الواحد . إنه مبلغ زهيد من دون ريب لعمال تفريغ السفن وتحميلها في شركات نقل الركاب والشحن . إن عليهم أن ينقلوا أحمالهم على ظهورهم قرابة عشرين ساجين * * وأكثر . يربحون روبلاً واحداً يومياً بالمتوسط ، ولكنهم يأكلون كثيراً ولا يستطيعون الاستغناء عن اللحم في غدائهم . عليك أن تلفت الانتباه إلى ذلك . اطلب مقالة في الصحيفة حول هذا الموضوع ، واعثر على من يتحدث مع الحمالين بشأنه . هل ذلك في مقدورك ؟

كروتكيخ (مسروراً) : طبعاً !

فاستا : حسن ! هذه الشركات الملاحية الكبيرة تستوجب أن تنعصر . ولكن شركتنا صغيرة وشحناتنا ليست كبيرة . وما نحمله من شحنات يلقي به بحارتنا من فوق جانب السفن على الرصيف ، وهكذا لا نضطر إلى استخدام عمال تفريغ في كثير من الأحيان ، على ما هو معلوم لديك .

كروتكيخ : الامر ليس في هذا فقط . فإن مبلغ روبلين لكل ألف غير كافٍ بالنسبة إلى البحارة !

---

* بود مقياس الوزن الروسي القديم يوازي ١٦,٣ كغم **الناشر** .

* * ساجين مقياس الطول الروسي القديم يساوي مترين و١٣ سنتم . **الناشر** .

فاسا : وفيم نعطيهم أكثر ؟ والآونة إذا عملتَ كيما ترفع «القوقاز – ميركوري» والشركات الأخرى اسعارها إلى خمسة روبلات لألف بود ، فسوف يفضّل الناس سفننا ، واذ ذاك نمنح بحارتنا زيادة . هكذا اذن ! أرجو المعذرة لا اوافق على المذكرة التي قدمتها .

كروتكيخ (عابساً) : لكن ، يا فاسا بوريسوفنا . . .

فاسا : لم لا تتحدث مع الخزافين ، وصغار الطحانين – مع الحرفيين الصغار عموماً ! خفّض الاسعار لهم قليلاً ليقدموا بضائعهم للنقل إلى شركتنا . سيفيدنا ذلك .

كروتكيخ (في أنفة) : لقد أنهينا أعمالنا بصورة حسنة في السنة الماضية . وجنينا ربحاً طيباً !

فاسا : لِمَ بصورة طيبة دائماً ؟ يجب أن يكون أفضل وأفضل . والا ستكون الحياة مملة بهذه «الصورة الطيبة» . حسنا . مع السلامة ! فأشغالي تنتظرني .

(ينحني كروتكيخ في صمت ، ويخرج)

فاسا (مرهفة سمعها) : انيوتا !

(تدخل آنا)

فاسا : خذي ، انسخي من هذه صورة على عجل ! هل كان غوري متذمراً ؟

آنا : أجل ، لم يكن راضياً .

فاسًا : ماذا قال ؟

آنا : لم أسمعه تماماً . قال شيئاً عن النهج المحافظ .

فاسًا : من كل بدّ ! فهو يتخيل نفسه اشتراكياً ! والاشتراكية عنده بمثابة الله عند بروخور . إنه يصلي بتأثير العادة – وليس من قبيل الأيمان . لا تلقي بالاً إلى أحاديثه الطنّانة . . . ماذا ناقشتما البارحة ؟

آنا : كان يحدثني كيف كان الاشتراكيون الألمان يتعاملون مع ملكهم .

فاسًا : حذار أن تحملي في بطنك ولداً من جراء اشتراكيته هذه .

آنا : أبداً ! لقد حفظت درسي ! فهو يغازل ناتاليا سيرغييفنا .

فاسًا : أعرف . ولكن ناتا ليست غبية .

آنا : وهو يسعى وراء لودا أيضاً . . .

فاسًا : كم هو . . . متنوع الاهتمام . (يرن الهاتف .) نعم . هي أنا . مؤكد . سأنتظرك . إنه المستأجر لدينا – ميلنيكوف . (تشير إلى آنا بالخروج من الغرفة ، تقف عند المنضدة غارقة في التفكير ، ويداها تنبشان بين الأوراق والأشياء الموضوعة عليها . تحدق فيما أمامها عابسة .)

ميلنيكوف (من غرفة آنا) : أسعدت صباحاً ، يا سيدتي المحترمة .

فاسًا : أسعدتَ صباحاً . أدخل واغلق الباب . أرجوك أن تجلس . ما الأخبار ؟

ميلنيكوف : ليست أخباراً سارة . إن نتائج التحقيق الأولي أ'رسلت إلى النائب العام . وقد أكّد لي المحقق أنه لطّف الأمور قدر المستطاع .

فاسّا : مقابل الثلاثة آلاف التي قبضها كان يمكن أن يلطّف القضية تماماً .

ميلنيكوف : هذا مستحيل . قرأت شهادة تلك المرأة ، تلك القوادة . لقد أفرغت كـــل ما في قلبهـــا أمام كرسي الاعتراف .

فاسّا : إذن ، ستكون هنالك محاكمة ؟

ميلنيكوف : هذا أمر حتمي .

فاسّا : وما هي العقوبة ؟

ميلنيكوف : قد تكون الأشغال الشاقة .

فاسّا : وماذا تسمون أنتم هذا . . . هذا الشيء ؟

ميلنيكوف : أي شيء على وجه الدقة ؟

فاسّا : هذا اللعب مع . . . القاصرات ؟

ميلنيكوف : التغرير .

فاسّا : يا للكلمة المقيتة ! وماذا سيحدث الآن ؟

ميلنيكوف : سيصدر النائب العام قرار الاتهام ، ثم يوجهونه الى المتهمين فيعتقلونهم .

فاسّا : الثلاثة جميعاً ؟ والقوادة أيضاً ؟

ميلنيكوف : دون ريب .

فاسّا : أيستطيع النائب العام أن يقوم . . . بأي تلطيف للأمور ؟

ميلنيكوف : أجل ، يستطيع . ولكن نائبنا ينوي ان يبنـــي

مستقبلاً باهراً . وأشكّ أن يبدي تسامحاً . رغم أن هنالك اشاعات تقول ان من كان الى جانب المشتركين في . . . هذه الفعلة يبذل جهده . . .

فاستا : آه : اذن فلنحاول ذلك ، نحن أيضاً . فافعل ، أرجوك ، إفعل ما في طاقتك . اعرض على النائب العام عقد صفقة تفادياً للفضيحة . يجب أن أخمد هذه القضية ، أخمدها تماماً ! ان عندي ابنتين كما تعلم .

ميلنيكوف : أنا أحترمك ، يا فاستا بوريسوفنا ، وأقدّر لك سخاءك التقدير كله ولكن . . .

فاستا : اختصر كلامك ! سنتحدث عن السخاء بعد أن تخمد القضية بكل هدوء وعلى خير وجه . فابذل قصاراك !

ميلنيكوف : ولكني لست قادراً على ذلك . أنا لا أستطيع أن أفعل ذلك .

فاستا : أنا لا أبخل بالمال في هذه القضية ، فابق هذا في ذهنك ! اذا نجحت في مسعاك سأعيد اليك كل سنداتك ، وفي مقدوري أن أضيف اليها ألفاً وخمسمائة روبل . وهذا يجعل المبلغ كله خمسة آلاف . أفلا يكفي هذا ؟

ميلنيكوف : أجل ، ولكن . . . مع ذلك . . . أنا . . .

فاستا : اكمل بشجاعة اكبر !

ميلنيكوف : يكون أفضل لو أنك شخصياً . . .

فاستا : كلا ، سيكون سخاء كبيراً جداً مني بالنسبة للنائب العام ان أنحني أمامه . سأدفع له . موافقة على ذلك . ولكنني لن أوافق على الانحناء أمامه . وفضلاً عن هذا

فأنا غليظة وصريحة جداً ، ولا أستطيـــع أن أنجح في ذلك . إفعل ذلك حالاً ، وهذا النهار بالذات ، أتوسل اليك ! ثم اتصـــــل بي هاتفياً واخبرني عن المبلغ . أتمنى لك حظاً سعيداً . مفهوم ؟

ميلنيكوف : اسمحي لي بالانصراف . . . فأنا في عجلة من أمري للوصول الى المحكمة .

فاسّا : أجل ، من دون ريب . أسرع ! (تجلس فترة مـــن الوقت مغلقة العينين ، ثم تفتح درجاً وتبحث فيه . تعثر على علبة صغيرة ، وتتفحص محتوياتها ، وهي تحركها بطرف مسكة ريشة . ترتفع ضجة عند الباب . تدسّ العلبة بسرعة في جيبها . تدخل لودميلا .)

لودميلا : مرحباً ، يا أماه ! لقد حلمت لتوي حلماً رائعــاً ، يا حبيبتي . كان في غاية الروعة !

فاسّا (تقبلها) : الواقـــع رائـــع أيضاً بالنسبــة اليــك ، يا عزيزتي لودا .

لودميلا : أصغي اليّ فقط .

فاسّا : اروى لي ذلك خلال الغداء .

لودميلا : ستضحك ناتا مني عندئذ ، أو يقاطعني أحد ، أو أنسى أنا أحداث الحلم . فالأحلام أشياء ينساها المرء سريعاً جداً . يفضل ان تصغي الي هنا .

فاسّا : كلا ، يا عزيزتي ، اذهبي عني الآن ! وقولي لليزا أن تحضر اليّ على الفور .

لودميلا : أوه ، يا الهي ! لكم أنت فظة اليوم !

فاسّا (تزمجر وقد بقيت وحدها) : فظة . . . يا للحمقـــاء

الصغيرة . . . (تدخل ليزا .) يشكو أخي من أنك لا تطيعينه . فلم تشحمي له أقفاله .

ليزا : فاسّا بوريسوفنا ، ليس لدي وقت . يصعب عليّ كثيراً أن أرعى شؤون الجميع ، أنا وحيـــدة في البيت بأكمله ! جيئيني بفتاة تساعدني . . .

فاسّا : لا تتوقعي مني ذلك ! لا أطيق رؤيـــة أناس زائدين حواليّ في البيت . فإبنتايّ تساعدانك . وأنت تقبضين أجرة مجزيـــة . فابذلي جهدك . ولا تنامي كثيراً . هل شقيقي في البيت ؟

ليزا : كلا .

فاسّا : أخبري سيرغي بتروفيتش أني أريد رؤيته .

(تقف في وسط الغرفة مستغرقة في التفكير ، تفرقع بأصابعها وتتحسس جيبها . يدخل جيليزنوف في روبه ، شعره الأجعد غير مسرّح ، ووجنتاه وذقنه في حاجة الى حلاقة . وله شارب غليظ أشيب)

فاسّا : هل نهضت للتو من نومك أم أنـــك ستلجـــأ الى فراشك ؟

جيليزنوف : ماذا تريدين ؟

فاسّا (تغلق الباب المؤدي الى غرفة آنا أونوشينكوفا جيداً) : لا تصرخ . فلن تخيف به أحداً .

(يذهب جيليزنوف الى الباب الذي خرج منه)

فاسّا (تتجاوزه وتغلق هذا الباب أيضاً) : التهمة الموجهــة

اليك صدّق عليها النائب العام .

جيليزنوف (يتشبث بظهر أحد المقاعد) : لا أصدق ذلك ! أنت تكذبين !

فاستا (في هدوء) : لقد صادق عليها .

جيليزنوف : لقد خسرت تسعة آلاف معـــه في لعب الورق ، ذلك الوغد . وقد نوّهتُ بأني سأعطيه أحد عشر ألفاً أخرى . . .

فاستا : سيبلغونك قرار الاتهام في غضون أيام قليلة ، ثم يحضرون للقبض عليك ، والقائك في السجن .

جيليزنوف : لقد ضننتِ بالمال اذن ! ولم تدفعي ! أعطيتِ المحقق قليلاً . ولعلك لم تدفعي لميلنيكوف ما يكفي أيضاً . هيا ، اخبريني كم دفعت له ؟

فاستا : التغرير بالقاصرات عقوبته الأشغال الشاقة .

جيليزنوف (يجلس وهو يهز رأســـه ، ثم يتحدث في صوت خشن) : وأنت مسرورة ، أليس كذلك ؟

فاستا : ان لديك فتاتين في سن الزواج . فماذا يحلّ بهما عندما يرسلونك للاشغال الشاقة ؟ وأي رجل محترم يتزوج من احداهما ؟ ولك حفيـــد أيضاً . عن قريـب سيبلغ الخامسة من العمر . كنت أفضّل أن تقتـــل شخصاً من أن ترتكب مثل هذا العمل القذر !

جيليزنوف : كان يجب أن أقتلك – هذا ما كان ينبغـي أن أفعل ! أقتلك ، وأمزق قلبك القاسي ، وألقي به الى الكلاب . أنت من ضللني ، ورمى بي في هذه الورطة . أنت . . .

فاستا : لا تكذب ، يا سيرغي . فذلك لن يساعدك . وعلى من تكذب ؟ على نفسك فقط . لا تكذب . الاصغاء اليك مقرف (تقترب من زوجها ، وتضع راحة يدها على جبهته ، وتدفع رأسه الى الوراء ، وتحدق في وجهه .) أرجو ألا تترك القضية تصل الى المحكمة كيلا تشين عائلتك . أنا لم أطلب منك أموراً كثيرة خلال حياتي معك – وهي حياة مضنية يندى لها الجبين خجلاً مع سكير وعاهر . وأطلب ذلك منك الآن ليس من أجل نفسي بل من أجل الأولاد .

جيليزنوف (مرتعباً) : ماذا تطلبين مني ؟ ماذا تريدين ؟ ماذا ؟

فاستا : أنت تعرف ما أطلب منك .

جيليزنوف : لا ، أبداً ! لا . . .

فاستا : أأجثو على ركبتيّ ؟ أجثو أنا أمامك انت !

جيليزنوف : ابتعدي . دعيني أذهب ! (يحاول النهوض .)

فاستا (تضغط بيديها على كتفيه وترغمه على البقاء في مقعده) : خذ مسحوقاً .

جيليزنوف : اليك عني !

فاستا : فكّر – ستذهب الى السجن ، ومن بعد يحضر أهل البلدة بأسرها الى المحكمة ليتفرجوا عليك ، وبعد ذلك ستموت ميتة طويلة بطيئة وأنت معتقل في الأشغال الشاقة . ستموت في الخزي ، والوحشة – ميتة رهيبة مخجلة ! أما بهذه الطريقة ففوراً ودون آلام أو خزي . يكفّ القلب عن الخفقان – وكأنك تغطّ في النوم .

جيليزنوف : اليك عني ! فليحاكموني . لست أبالي .
فاسّا : وماذا بشأن الأولاد ؟ والفضيحة ؟
جيليزنوف : سأطلب نفيي الى أحد الأديرة . سأصير راهباً . ناسكاً . سأعيش تحت الأرض ، في كهف – ولكنـــي سأعيش !
فاسّا : سخافات ! خذ المسحوق !
جيليزنوف (ينهض واقفاً) : كلا . . . لن آخذه ! لـن آخــذ منك شيئاً . . .
فاسّا : خذه بنفسك .
جيليزنوف : واذا لم أفعل ؟ هل تدسين لي السمّ ؟
فاسّا : سيرغي ، اذكر فتاتيك ! ان أمامهما حياتهما . الاولاد غير مسؤولين عن أفعال آبائهم الدنيئة .
جيليزنوف : وأمهاتهم ؟
فاسّا : هراء ما قلت . إفهـــم هذا ، يا سيرغي ، فلن أقف صامتة في المحكمة . سأتكلـــم عن المومسات اللواتي كنت تحضرهن الى بيتي ، وكيف فسقت معهنّ ، وكيف أطلعت ناتاليا ولودميلا على عصبة الفاجرات . وسأروي لهم كيف علـّمت ابنتيك على الشراب . . .
جيليزنوف : هذا كذب ! انه بروخور ، شقيقك ، من علـّمهما على الشراب . بروخور !
فاسّا : وقد أرعبتَ لودا فأصبحت شبه معتوهة . وهي لم تعد قادرة على الدراسة أو تصلح لأي شيء كان .
جيليزنوف : أما ناتاليا فصورة طبق الأصل عنك !

فاستا : استوعبْ هذا جيداً - سأخبر المحكمة بكل شيء ، وأخبر الناس جميعاً !

جيليزنوف (يقف أمامها ويصرخ) : ابتعدي ! يرعبني النظر اليك ! دعيني أمرّ ! (يدفعهـــا جانباً ويخطو صوب الباب)

فاستا (تلحق به) : خذ المسحوق ، يا سيرغي . . .

جيليزنوف : أبداً ! (يخرجان . تظهر ليزا عند الباب . تحمل صينية عليها عدة اقفال مختلفة الاشكال يتبعها بروخور خرابوف الى الغرفة حاملاً قفلاً ضخماً)

بروخور (عابساً) : فيم كانا يتخاصمان ؟

ليزا : لست أدري . كانت تحثّه على تناول بعض المسحوق أو غيره . . . هذا كل ما سمعت .

بروخور : أي مسحوق ؟

ليزا : دواء ، على ما يتراءى لي .

بروخور : أي دواء ؟

ليزا : من أين لي أن أعلم !

بروخور : أنت غبية ! ليس سيرغي في حاجة الى أي دواء . فهو يتمتع بصحة جيدة مثل ثور . كنا نلعب الورق حتى الساعة الرابعة صباحاً ونشرب الكونياك طوال الوقت .

ليزا : لعلّها قصدت مسحوق الصودا .

بروخور : انت غبية ثانيـــة ! ليس من يحتاج الى مسحوق الصودا بعد الكونياك . فيم تقفين هنا ؟ ضعي الأقفال على المنضدة . فأنت لا تلاحظين شيئـــاً ! لا تعرفين شيئاً ! فلماذا أقدم لك الهدايا ؟

ليزا : أعطيت لاحشائي هدية ! وسرعان ما سيراها الناس .
بروخور : حسن لو كنت انا الفاعل وليس بياتيوركين . انقلي هذا المقعد العريض . فالشمس تتلف الجلد ، وقد كلفنا خمسة وستين روبلاً .
ليزا : قصدت الشمس ؟
بروخور : المقعد ، وهو هديتي لشقيقتي ! الشمس لا تكلّف شيئاً . مهلاً ! ما هذا ؟ أتحاولين مداعبتي بالمزاح ؟ لا تنسي مكانك ! الشمس ! لقد دللتك شقيقتي مثلما تدلل العانس قطتها . أخرجي من هنا ! (يمعن النظر الى الأوراق على المنضدة ويعطس ، ثم يشرع يغني كالرهبان)

خريف كئيب بلون الخطيئة
وفي الدرب تمشي فتاة وحيدة
تهاوت وكانت . . . وكانت بريئة
وفي بطنها العبل . . .

ناتاليا (تدخل الى الغرفة) : يا لليوم الجميل . . .
بروخور : هذا ما لا نعرفه بعد ، فالنهار ما برح في بدايته . فيم انت بهذا الشكل ؟ شعرك منفوش ولباسك اخرق . . .
ناتاليا : اسمع . لقد قرروا محاكمة والدي .
بروخور (مذعوراً) : من قال هذا ؟
ناتاليا : يفجيني ميلنيكوف .
بروخور (يجلس) : اللعنة والدمار ! القبطان لم يفلت من ذلك اذن . آل جيليزنوف ! وآل خرابوف . . . هذا

الاسم الذي كان عريقاً ومحترماً ! وهذا ما انتهينا اليه ! لقد قاد القبطان سفينتنا الى سبيـــل رائع . أي خزي ينتظرنا ! سنشبع جميعاً خزياً حتى آخر يوم في حياتنا .

ناتاليا : قد يبرىء القضاء ساحته ؟

بروخور : ليست المشكلة هنا ! بل المحاكمة ، والعار . وقد يجدونه مذنباً فهذه هي الموضة في هذه الأيام . . . اذا كان المرء غنياً فهو مذنب اذن . مصيبة أن يكون المرء غنياً ! حاولي أن تفهمـــي - هم لن يحاكموا القبطان جيليزنوف بقدر ما سيحاكموننا نحن ، آل خرابوف .

ناتاليا : ألا يمكننا أن نفعل شيئاً ؟

بروخور : أن نهرب الى أميركا حيث يلجأ جميع اللصوص .

ناتاليا : ورشوة القضاة ؟

بروخور : فعلنا ذلك . فقد دفعت أختي ألوف الروبلات لخنق الفضيحة . قبضت الشرطة جزءاً ، وقبض المحقـــق جزءاً . لم يجد ذلك نفعاً اذن . ولن تتاح لي الآن فرصة أن أغدو عمدة للمدينة ، وأنت ولودميلا لن تستطيعا الزواج برجلين من طبقتكما رغم بائنتيكما . لقد لوثكما والدكما ، ذلك الوغد النذل ! لكم كانت بلهاء . . .

ناتاليا : مَنْ . . . أمي ؟

بروخور : طبعاً .

ناتاليا : هي ليست بلهاء .

بروخور : أي شيطان دفعها الى اذن الزواج من ذلك القبطان ؟ ويكبرها بعشرين سنة تقريباً .

ناتاليا : أنت أقنعتها . فهو صديقك .

بروخور : أنا فعلت ؟ أنا ؟ أنا سابح في دنيا الخيال ! أنا من طراز رقيق . فنان بطبعي . حين كنت شاباً أردت أن أصير ممثلاً كوميدياً في ملهاة موسيقية . ولكنه كان يجوب البحار السبعة ! واذن ؟ ثمة أقذار كثيرة تطفو على البحر !

ناتاليا : هل كانت تحبه ؟

بروخور : اذهبي الى الشيطان ! ليس هو الحب حين تتزوج فتاة من خارج فئتها وتنفصل عنها ، بل هو الجنون ! فقط لأن الأرستقراطيين كانوا يتزوجون من الغجريات والممثلات ، ولكن هذا لا يغدو مثالاً تسير فئتنا على هديه !

فاسّا : ما الذي لا يغدو مثالاً تسير على هَدْيه ؟

بروخور : كنت وناتاليا نتحدث . . .

فاسّا : أرى هذا تماماً .

بروخور : كيف حال سيرغي ؟

فاسّا : لا بأس . انه يشكو من قلبه . ناتا ، اذهبي واطلبي اليهم أن يأتوني بقليل من الشاي .

ناتاليا : الافضل ان تقولي صراحة ان وجودي يضايقك .

فاسّا : أجل ، وجودك يضايقني . وأنا لم أشرب الشاي بعد . (الى بروخور .) فيم كنت تصرخ ؟

بروخور : هنالك ما يرغم المرء على أن يصرخ ! ألم تستطيعي الحيلولة دون وصول الأمر الى القضاء ؟

فاسّا : لا تخبر الفتاتين بهذا الموضوع بعد . سأخبرهمـــا بنفسي .

بروخور : ناتاليا عرفت به . وقد أخبرتني بذلك .
فاسا : من أخبرها ؟

(تدخل لودميلا هادئة الخطوات)

بروخور : ابن ميلنيكوف . لا ينبغي على الفتاتين أن تستقبلاه مثلما تفعلان .
لودميلا : انه ظريف ونحن نشكو من السأم ! وصديقاتنا يمرضن على الدوام ولا يزرننا .
فاسا : اذهبي وساعدي ليزا في تنظيف الغرف ، يا لودا .
لودميلا : أريد البقاء معك . لماذا تبعدينني دائماً ؟
فاسا : لأنني مشغولة ، يا عزيزتي . ان لديّ عملاً ألتفت اليه .
لودميلا : أنت وعملك على الدوام ! ولا توفرين دقيقة واحدة لابنتك !
فاسا : حسناً ، عودي أثناء تناولي الشاي ، وسنتحدث . أما الآن فاذهبي !
لودميلا : ذلك يجعلني على حافة البكاء . أعرف أنك ستلومين الخال بروخور لأنه نعت والدي بالفاجر ، أعرف هذا جيداً !
فاسا (تداعب شعر ابنتها ، وترافقها حتى الباب) : الفاجر ليست كلمة بذيئة . انها تعني بالضبط العثور على السبيل . بعضهم ضلّ سواء السبيل ، وهو يعثر لهم

عليه . مثلي أنا . فلقد كنت أبحث عن السبيل للخروج من هذا التيه طوال عمري . . .

لودميلا : أنت تمزحين ! أنا أعرف ما معنى كلمة فاجر ! الفاجر هو الخال بروخور .

(تحاول فاسّا اغلاق الباب خلفها ، فلا توفّق)

لودميلا (تفلت من تحت ذراع أمها) : انه فاجر . لقد حملت ليزا منه . وهو يشتم أبي باستمرار ، فهو لا يحبه .

بروخور : أنت واهمة ! ولكن الشيوخ يبخلون بحبهم عادة .

لودميلا : وأنت لا تحبينه أيضاً ، أليس كذلك ، يا أمي ؟

فاسّا : هذا يكفي . يكفي .

لودميلا : لماذا لا تحبينه ؟ خالي رجل سكّير أيضاً ، ولكنك تحبينه . . . الادمان على الشراب مرض . يقول جينيا * ميلنيكوف . . .

بروخور : هذا المصدر للحكمة ! عليه اللعنة !

لودميلا : انه مثل وجع البطن وانه . . .

(تدخل ليزا حاملة سماورا صغيراً . تتبعها ناتاليا تحمل صينية عليها أدوات الشاي . تعانق فاسّا ابنتها وتجوس أرض الغرفة كمن يرهف السمع الى شيء ما . انها مضطربة

* جينيا اسم التدليل من اسم يفجيني . **الناشر** .

ولكنها تخفي هذا الاضطراب . تتوقف أخيراً وتوجه انتباهها الى الأقفال)

فاسّا (الى شقيقها) : أما برحت تستمتع بهذه اللعبة ؟ألم تسأمها بعد ؟

بروخور : انها لعبة لا تكلّف كثيراً . وقد لا تكون لعبة على الاطلاق ؟

فاسّا : ما هي اذن ؟

بروخور : من يدري ؟ ليس هنالك من يجمع الأقفال القديمة غيري . وهكذا ، فأنا أختلف عن الناس جميعاً ! اجل . القفل شيء عظيم ! فكل شيء في هذا العالم يغلق عليه بقفل ومفتاح ، كل شيء مصان بهما . ولو لم يتعلم الناس أن يقفلوا على أملاكهم لما كانت هناك أملاك ألبتة . أنت لا يمكن أن تدربي حصاناً من دون لجام .

فاسّا : هذه هي فكرتك اذن ! وفيها شيء من الحكمة . صبي الشاي ، يا ناتاليا .

بروخور (يراقبها) : تزعمين أني أبعثر نقودي ، ولكنني دفعت سبعة روبلات ثمن هذا القفل الضخم ، والآن يوجد شخص يودّ أن يشتريه بخمسة وعشرين روبلاً . سأجمع ألفاً من الأقفال وأبيعها على أحد المتاحف – بحوالي عشرين ألف روبل .

فاسّا : حسناً ! حسناً ! لينزل الله عليك هذا الحظ . (الى لودميلا فجأة ، وفي صوت مرتفع .) . أحببت والدك يوم لم اتجاوز الخامسة عشرة بعد . وتزوجنا وأنا في

السادسة عشرة . هكذا اذن . وفي السابعة عشرة ، وأنا حبلى بفيودور ، وفي احد الاعياد – وهو عيد الثالوث المقدس الذي تحبه جميع الفتيات – أسقطت اثناء تناول الشاي شيئاً من القشدة على جزمة زوجي . فأرغمني على لعقها بلساني . وقد فعلت ذلك – في حضور أناس غرباء أيضاً . لم تكن عائلتنا – آل خرابوف – محترمة عند الناس .

لودميلا : أوه ، يا أماه ! فيم تروين لنا هذا ؟

(ناتاليا تراقب أمها في انتباه من وراء السماور)

فاسّا : كان فتى مرحاً . يملأ أيامنا سروراً .

لودميلا : هل كان يمزح ؟

فاسّا : هل تذكرين ، يا ناتاليا ، كيف حفرت ثقباً في الجدار لمراقبة ملاهي والدك ؟

ناتاليا : أذكر .

فاسّا : ثم جئت اليّ راكضة والدموع في عينيك تصيحين : «اطرديهن من البيت ، اطرديهن !»

ناتاليا : أذكر . أتعقدين محكمة عائلية ؟

بروخور : أوه ، يا للأفعى !

فاسّا : وهكذا ، فأنت تذكرين ، يا ناتاليا ؟ هذا جيد ! لا يجوز للناس أن يعيشوا دون ذكريات . لقد حملت منه تسعة أطفال ، لم يبق منهم غير ثلاثة . ولد أحدهم ميتاً ، وطفلتان لم تبلغ كل منهما سنة واحدة ، وطفلان

سلاماً أن يعيش المرء وحيدا – عندهـــا يكون سيّد
هكذا كان الامر ، يا فتاتيّ ! أقول لكما هذا كله كيلا
تستعجلا الزواج .

لودميلا : أنت لم تخبرينا أبداً بمثل هذه الأمور من قبل .

فاستا : لم يكن لديّ وقت .

لودميلا : لماذا مات الجميع وبقينا نحن ؟

فاستا : لقد كنتم على شيء من الحظ . مات الآخرون لأنهـــم ولدوا ضعفاء ، وولدوا ضعفاء لأن والدك كان يسكـــر كثيراً وكان يضربني باستمرار . وخالك بروخور عـــلى علم بذلك .

بروخور : أجل ، كان يضربها ! هذا ما كان حقاً . وكان عليّ أن أنقذها من بين يديّ القبطان . لقد تعلّم في البحر كيف يضرب ، فمارس هذا العلم جيداً !

لودميلا : ولماذا لم تتزوج أنت ؟

بروخور : تزوجت مرة . ثمة أغنيـــــة في احـــدى المهازل الموسيقية :

رأيت الزواج طريقا يسيراً
واما الحياة معا . . . آه منها

لودميلا : أنت تنشد جميع أغانيك بنغمة واحدة .

بروخور : تكون أسهل على هذا الغرار – فأستطيـــع تذكـــر الكلمات بشكل أفضل . عشت مع امرأتي أربـــــع سنوات . ولم أستطع الاحتمال أكثر من ذلك . أكثـــر

سلاماً أن يعيش المرء وحيدا - عندها يكون سيّد نفسه . لماذا يمتلك المرء خيولاً طالما أن هنالك كثرة من الخيول الممتازة بالاجرة ؟

ناتاليا : هل سيعيش فيودور معنا ؟

فاسّا : طبعاً . بعد ان تتحسن صحته .

ناتاليا : وراشيل ؟

فاسّا : وكيف لا ؟ فهي زوجته .

لودميلا : يالها من لطيفة جداً !

ناتاليا : هل يجيئان للعيش معنا - بعد محاكمة والدنا ؟

فاسّا (منفجرة غضباً) : أنت تطرحين اسئلة كثيرة ، يا ناتاليا ! وفضولك ليس طيباً .

لودميلا : لا تغضبي ! لا تغضبي !

ليزا (وقد امتلأت رعباً) : فاسّا بوريسوفنا . . . ان سيرغي بتروفيتش . . .

فاسّا (كأنها تترنح . بصوت هادئ) : ماذا ؟ هل يطلبني ؟

ليزا : يبدو أنه مات . . .

فاسّا (غاضبة) : أنت مجنونة ! (تخرج متسارعة . تلحق لودميلا بها . تهب ناتاليا على قدميها وتنظر الى خالها . فينظر هو اليها مرتبكاً)

بروخور : أنا . . . ساقاي ترتجفان ! اذهبي ، يا ناتا . اذهبي ! واعرفي ماذا حدث هنالك ؟

ناتاليا : اذا كان مات فلن تكون هنالك أية محاكمة ، أليس كذلك ؟

بروخور : أقول لك اذهبي ! (حينما يصبح وحيداً يشرب

شاياً بارداً ويتمتم لنفسه .) هكذا اذن ، اللعنة !
بررر !

ليزا (تندفع راكضة ، وتتحدث في صوت خافت مرعوب) :
بروخور بوريسوفيتش ، كيف هذا ؟ كان في صحة
جيدة . . .

بروخور : لم تسألين كيف هذا ؟ كان حياً ، والآن لم يعد
كذلك ! أو لعله أغمي عليه ؟

ليزا : كان في صحة جيدة . . . بروخور بوريسوفيتش –
ذلك المسحوق . . .

بروخور (مصعوقاً) : م . . اذ . . ا ؟ هل أنت . . . (يقبض
على عنقها غاضباً ويهزها .) اذا أنت لم تنسي يا
قبيحة . . . اذا أنت – كيف ، أيتها الأفعى ! ماذا
تخترعين ، قولي ؟ كيف تجرؤين ؟ (يدفعها عنه ويمسح
العرق عن صلعته)

ليزا : لكن أنت الذي أمرتني أن أخبرك بكل شيء .

بروخور : تخبرينني بأي شيء ؟ ما تشاهدين وتسمعين –
هذا هو ! لكن ، ماذا شاهدت ؟ لقد لفّقت هذا !
لف . . . ق . . تيه . . . ه ! ولم تشاهديه ! أخرجي ،
أيتها البلهاء ! مسحوق ! سأعطيك مسحوقاً ! انسي
وقع هذه الكلمة . . .

(يدفعها خارجاً ، ويراوح في الغرفة ويغادي في وحشية . حين
يصل الى الباب يبدو عاجزاً عن متابعة خطواته . تدخل فاسّا
ولودميلا يتبعهما بياتيوركين)

بروخور : ماذا به ، يا فاسّا ؟ أهذا صحيح ؟
فاسّا : أجل . لقد مات .
لودميلا : أماه ، أيمكن اخذ شجرة غار ؟
فاسّا : أجل . خذيها .

(بياتيوركين يدفع برميل الشجرة مدوراً اياه في الغرفة . ترفع لودميلا الأزهار عن حفاف النافذتين وتخرج ، ثم تعود أدراجها على الفور)

بروخور : عجيب . ماذا أصابه ؟ كان في صحة تامـــة . حتى الساعة الرابعة صباحاً كنا . .
فاسّا : تشربان الكونياك .
بروخور : هذا صحيح . وكانت ليزا تخبرني قبل قليل – المسحوق الذي انت . . .
فاسّا : كان يشكو من حرقة في المعدة . وطلب مسحـــوق الصودا .
بروخور (في لهفة) : مسحوق الصودا ؟ هه !
لودميلا : انت فظيع أيها الخال بروخور ! مات بابا لتوّه وأنت تبتسم . كيف تفعل ؟
بروخور : لا تبالي ، عزيزتي لودا . . .
فاسّا (على الهاتف) : ستة ، خمسة ، ثلاثة . أجل . شكراً . من ؟ أهذا أنت ، يا ياكـوف لفوفيتش ؟ أرجوك أن تحضر حالاً . أجل حالاً . بلى ، سيرغـي بتروفيتش

مات . كلا ، كانت صحته جيدة تماماً . فجأة . لـــم يشاهد أحد كيف حدث ذلك . . . أرجوك .

بروخور (بصوت خافت وباعجاب) : أنت رائعـــة واللــه ، يا فاستّا !

فاستّا (مذهولة) : ما هذا ؟ عماذا تثرثر ؟ استردّ صوابك ! أيها الأحمق . . .

ستار

الفصل الثاني

بعيد عدة شهور . الحجرة البهيجة ذاتها . فاستا جالسة على المقعد الجلدي الوثير . لودميلا وناتاليا وآنا ويفجيني ميلنيكوف يجلسون على الكنبة . لقد انتهوا من تناول الشاي ، ولكن السماور وأدوات الشاي لا تزال على المنضدة . الوقت مساء . مصباح يلتهب ولكن الغرفة تسودها عتمة خفيفة . في الحديقة ضوء قمر واشجار سود .

فاستا : حسناً ، لقد أخبرتكم عن عادات الزواج القديمة ، وأخبرتكم عن كيف كان الأزواج والزوجات يعيشون في غابر الزمان . . .

آنا (في رقة) : كانت حياتهم رهيبة .

ناتاليا : وحمقاء جداً .

لودميلا : لماذا الناس تعساء ، يا فاستا ؟

يفجيني : لأنهم حمقى .

فاستا : لست أدري سبب تعاستهم ، يا لودا . أونيجين * وناتاليا هنا يعرفان – ويقولان انه من الغباء . وبعضهم يقولون – وأنا نفسي رأيت ذلك – ان الأذكياء أكثر تعاسة من الحمقى .

---

* اشارة الى بطل قصيدة الشاعر بوشكين «يفجيني اونيجين» . **المترجم** .

يفجيني : اذا قبلنا واقع أن الأغنياء أكثر ذكاء من الفقراء . . .

فاستا : طبعاً ، الأغنياء أكثر ذكاء ، ولكنهم يعيشون حياة وضيعة تعيسة . والغني عاجز عن أن يمرح ويستمتع مثلما يفعل الفقير .

آنا : هذا صحيح .

ناتاليا : اذن ينبغي على المرء أن يعيش في الفقر .

فاستا : هكذا بالضبط . أجل ، تماماً . حاولي ذلك ، يا ناتا . جربي . تزوجي أونيجين وعيشي على هذا الغرار . لسوف يغدو ملازماً ثانياً في المشاة وتصيرين أنت زوجة ضابط . هذا الصنف موجود . لن تحصلي مني على أي بائنة ، وهكذا ستعيشان على أربعين روبلاً في الشهر . وبهذا المبلغ يجب أن تؤمنا الكسوة والطعام والشراب واستقبال الضيوف واكرامهم . كما أنكما ستنجبان الاطفال وبين ايديكما نفس المبلغ أيضاً ، كما . . .

ناتاليا : لن أنجب أطفالاً على الاطلاق . لماذا أزيد عدد التعساء في هذا العالم ؟

فاستا : هذا أمر غاية في الحكمة من دون ريب . فيم تفعلين ذلك حقاً ؟ اذن ، ياأونيجين ما ينتظرك هو أربعون روبلاً في الشهر ، وجندي خادم يشوي لكما كوستاليتا من لحم رخيص قاسي الألياف يومياً .

يفجيني (مقطباً) : قد أنتقل الى البحرية . . .

لودميلا : أنا الأخرى لن أتزوج قط - فالزواج رهيب جداً !

سأسافر بالأحرى وأتفرّج على جميع حدائق النباتات والمستنبتات الزجاجية والمروج الجبلية . . .

ناتاليا : يجب تبديل كل شيء – الزواج ، والحياة نفسها ، وكل شيء !

فاسّا : باشري تبديلها اذن . وسيطلعك غوري كروتكيخ من أين تبدأين .

ناتاليا : أعرف من دونه . الثورة هي البداية !

فاسّا : لقد اشتعلت الثورة وانطفأت – ولم يبق منها غير الدخان .

آنا : أتقصدين دوما الدولة ؟

فاسّا : ذلك أيضاً . انه أشبه بكومة من الجمرات الخامدة . الحطب الرطب لا يحترق جيداً . ولكن غوري كروتكيخ سيعلمك كيف تفعلين . انه يعلمني كيف أدبر شؤون بيتي بمائتي روبل شهرياً ، وسيعلمك كيف تحققين الثورة بحوالي خمسة عشر – أي بخمسين كوبيكاً للدرس الواحد . حين دخل خدمتي كان سرواله بالياً ، ولكنني رأيت زوجته في المسرح منذ فترة . يلتمع عليها شيء ما من الذهب . هكذا الأمور ، يا فتاتيّ ! وهكذا ستصير بحاراً ، يا أونيجين ؟

يفجيني : لم أتخذ قراري بعد . لماذا تنادينني أونيجين ؟

فاسّا : إتخذ قرارك . حان الوقت كي تصير ضابطاً ، ولكنك لا تبرح طالباً في الكلية العسكرية . وأنا أناديك أونيجين . . .

ناتاليا : انه لا يشبه أونيجين ألبتة .

فاسـا : لا يشبهه ؟ ولكنه متشامخ مثله تماماً . حسنـاً ، لا تبالي . مؤكد ، يا ناتا ، فأنت تعرفين مَنْ يشبهـه اكثر مني .

ناتاليا : انه لا يشبه أحداً .

فاسـا: من البشر ؟

يفجيني (غاضباً) : لا أستطيع مطلقاً أن أميّز متى تمزحين ، ومتى تجدّين . يا له من اسلوب غريب في الكلام !

فاسـا : لا تغضب ولا تزعـــل . الاحرى ان تميّز الامور . إسمع ما أحدّثك . حين وقع اضراب في حوضنا الخاص بتصليح السفن وجاء الجنود ، قال أحد الميكانيكيين ، ويدعى فيزلومتسيف ، للملازم الثاني : «أنت تقبض اربعين روبلاً شهرياً ، يا صاحب السعادة ، وأنا أقبض خمسة وسبعين ، وفي مقدوري رفع المبلغ الى مائة اذا حاولت . ولذلك ، وطالما أنت تخدم الأغنياء ، وأنـا أكثر منك ثروة ، فلا يليق لك أن تصيح في وجه رجل ثري مثلي» .

يفجيني : لا أرى في هذه القصة شيئاً من نفع .

ناتاليا : أمي تحب اغاظة الناس .

فاسـا : هذا هو ذنبي . أنا عدو للناس .

لودميلا : ليس هذا صحيحاً ، يا فاسا !

فاسـا : بلى ، هو صحيح . انا عدو لهم . حسناً ، حسبكم هذا ! لقد تحدثنا ، وثرثرنا . فالى غرفتيكما ، يا فتاتيّ . ان لدي عملاً – يجب تدبير أمورنا . أنت ابقـي معي ، يا آنا . هيا اخرجوا ، اخرجوا ! سنلتقي على العشاء . (الى

35—545

آنا) أصحيح أن والد يفجيني إنضم الى «اتحاد الشعب الروسي» * ؟

آنا : أجل ، صحيح .

فاسّا : فعل ذلك ، الأحمق ، من أجل ولده . فهم ينوون طرد يفجيني من الكلية العسكرية . أخشى أن ينتهي هذا النذل الى افساد ابنتي .

آنا : اعتقد ان السآمة تدفع ناتاليا لان توليه اهتماماً .

فاسّا : الحاقدون لا يعرفون سآمة .

آنا : أصبحت متجهمة جداً منذ وفاة أبيها . ثم ان الأقاويل بالطبع . . .

فاسّا : وهل تستمرّ هذه الأقاويل ؟

آنا : أجل .

فاسّا : وتصدقينها ؟

آنا : كلا . ما أقلقني حقاً هو انتحار ليزا . لا أفقه لماذا فعلتْ ذلك . كانت فتاة طيبة . وعاشت لديكم منذ طفولتها . ويحبها الجميع .

فاسّا : انها فعلة بروخور . أنه أخافها بوسيلة ما .

آنا : هل كانت تعيش معه ؟

فاسّا : أرغمها على ذلك . ألا يصدّق الناس أن ليزا اختنقت من الدخان في الحمام ؟

---

* منظمة رجعية تشكلت في اكتوبر ١٩٠٥ ودامت حتى ثورة فبراير ١٩١٧ . كانت لها فروع في كثير من المدن . **الناشر** .

آنّا : قليلون من الناس وحسب .

(تدخل بوليا)

فاسّا : ماذا تريدين ؟ فيم وقوفك هنا مترددة ؟ تكلمي .
بوليا (في هدوء) : هنالك امرأة في الباب .
فاسّا : من ؟ في مثل هذا الوقت من الليل ؟
بوليا : اسمها صعب علي . . . فلانة مويسييفنا .
فاسّا : م . . . ن ؟ (تسرع ناحيـــة الباب ، ولكنها تقـــف وتخاطب آنّا .) لا تقولي للفتاتين شيئاً . فلتكـــن مفاجأة لهما . ولا تأذني لأحد بدخول هذه الغرفة . (الى بوليـــا) خذي هذا السمـــاور واحضري الصغيـــر . (تخرج)
آنّا : حسناً ، أنت تعتادين على الأمور ؟
بوليا : انه عمل مرهق . حسبت أنني سأخدم الآنستين فقط ، وسيكون للسيدة وصيفتها . وبروخور بوريسوفيتش يحتاج الى خادم خاص ، ولا أستطيع أن أخدمه .
آنّا : هل يعاكسك ؟
بوليا : انه عديم الحياء لا يعرف للخجـــل معنى ! وهو الآن يتواثب هنا وهناك في قميصه الداخلـــي فقط مردداً دائماً الأغنية ذاتها . البارحة ، حين أوى الجميع الى مضاجعهم ليلاً ، استمرّ هو في هز أقفاله وغنائـــه . انه يسبب لي الملالة حقاً . ما بالـــه ، يا آنـــا فاسيلييفنا ؟

أنَّا : ليس هو سليم العقل تماماً . فهو مدمن . وبكلمات أخرى سكّير .

بوليا : وأنا شاكرة جداً لك . فالبيت بيت طيب .

آنَّا : تقصدين القول فيما عدا أهله ، أليس كذلك ؟

بوليا : ليس لي الحق في الحكم . لقد حوكمت مرة ، في المحكمة . ولكنني أظهرت براءتي . غير أني كنت في السجن . وفضلاً عن ذلك ، فقد أخبروني أن الخادم التي كانت تعمل قبلي شنقت نفسها في الحمام .

آنَّا : هذا كذب . لقد خنقها الدخان في الحمام . حدث ذلك حينما كانت تسخن الماء . وكانت حاملاً .

بوليا : هكذا اذن ، أترين – لقد كانت حبلى !

لودميلا (تدخل حاملة مقعداً مدوراً صغيراً لا ظهر له ، يلحق بها بياتيوركين يحمل نبتة في برميل صغير) : ضعها هنا ، فهي تحتاج الى كثير من الشمس . لا ، ليس هنا – في الوسط .

بياتيوركين : حاضر . أهكذا ؟ (طرح هذا السؤال وقد ركع على ركبته)

لودميلا : جيد . يا لشعرك المخيف ! لا ريبة أنه خشن قاس !

بياتيوركين : أبداً . إلمسيه .

لودميلا (تلمس شعره) : مثل جمة الأسد .

بياتيوركين : أصبت . فألجميع يقولون ذلك .

لودميلا : من هم الجميع ؟

بياتيوركين : انهم معارفي . الناس عموماً .

لودميلا : وفيم أنت راكع ؟
بياتيوركين : من دواعي سروري أن أركع أمامك .
لودميلا : أنت الآن . . . تختلق الأمور ! فأنا لن أركع ابداً أمام رجل .
بياتيوركين : لا حاجة بك لذلك . فهو الذي سيركع أمامك . . . في مقدورك أن تفعلي بالرجل أي شيء يرغب فيه فضولك .
لودميلا : لا أريد أن أفعل شيئاً . ولن أفعل .
بياتيوركين : أنت وما تريدين .
لودميلا : رويدك برهة ، وسأسأل الجنائني ما يجب أخذه من هنا . (تخرج)
آنّا (من غرفتها) : أنت تعض ما هو أكبر من أن تستطيع مضغه ، يا بياتيوركين .
بياتيوركين : لا تكوني غيورة . من يدري ؟ كل شيء يمكن ان يحدث . كل شيء جدير بالمحاولة .
آنا : لو سمعت فاسّا خطبك . . .
بياتيوركين : ممّن ستسمع ؟
آنّا : ستطردك من البيت على الفور .
بياتيوركين : أنت لن تخبريها ، وحين تعضّ لودميلا الصنارة يكون الأوان قد فات . لذلك لا تدسي أنفك ، لا فائدة لك من دس أنفك . أنت تحصلين على ربحك هنا بانتظام ، أما أنا فقد أطرد غداً . واذ ذاك ستتزعزع أمورك أيضاً .

آنا : وما شأني أنا ؟ ولكن رؤيتك انت بين اسيادي تبدو لي شيئاً مؤذياً .

لودميلا (تعود أدراجها الى الغرفة) : تستطيع أن تذهب ، يا بياتيوركين . فليس لك عمل هنا .

بياتيوركين : أتمنى لك السعادة اليوم وحتى آخر أيام حياتك .

لودميلا : هو خدوم جداً .

آنا : اجل .

لودميلا : والطريقة التي يرقص بها ! مدهش !

آنا : ومع هذا ينبغي أن تأخذي حذرك منه ، يا لودا .

لودميلا : أي أذية يمكن أن يلحقها بي ؟

آنا : يمكن أن يمنحك طفلاً .

لودميلا : أف ، يا لها من قذارة !

آنا : الطفل ؟

لودميلا : هذا الذي تقولينه أنت ! (تخرج)

آنا (في اثرها) : كنت أتكلم عن طفل بالذات !

فاسا (بحركة واسعة من ذراعها تشير الى آنا وبولينا بالخروج من الغرفة . راشيل لم تبلغ الثلاثين من العمر بعد . ترتدي ثياباً أنيقة بسيطة . جمالها فاتن .) أدخلي ، يا راشيل ، واجلسي واروي لي كيف وصلت الى هنا ، ومن أين كان مجيئك ؟

راشيل : جئت من الخارج .

فاسا : أجل لا شك في هذا . بصورة شرعية ؟

راشيل : كلا . جئت مع موسيقية ، بصفتي مرافقة لها .

فاسا : واستخدمت جواز سفر مزوراً اذن ؟ أنت امرأة

شجاعة . شاطرة ، وأنت أكثر جمالاً من قبل . مخلوق جميل مثلك و . . . . حسناً ، لنترك هذا ! كيف هو فيودور ؟ قولي لي الحقيقة .

راشيل : اخفاء الحقيقة ليس في ديدني . لا أمل له يا فاستا بوريسوفنا . انه يذوي . ويقول الأطباء انه لن يعيش أكثر من شهرين أو ثلاثة .

فاستا : اذن ، هذه هي نهاية ابن القبطان جيليزنوف .

راشيل : أجل . لقد نحل جسده وشفّ تقريباً . وهو يعرف أنه يموت . ولكنه لا يبرح مرحاً حاد الذهن مثله أبداً . وأين كوليا ولدي ؟

فاستا : وهكذا انتهى فيودور جيليزنوف . انتهى وريثي . وصاحب كل املاكي .

راشيل : هل كوليا نائم ؟

فاستا : كوليا ؟ لست أدري . أظن ذلك .

راشيل : هل يمكن أن ألقي عليه نظرة ؟

فاستا : كلا .

راشيل : لماذا ؟

فاستا : هو ليس هنا .

راشيل : كيف هذا ! انت . . . ما معنى هذا ؟

فاستا : ليس هنالك ما يُخيف . فكوليا يعيش في الريف ، في غابة من شجر الصنوبر . الأرض هناك رملية . والمناخ صحي أيضاً . لا يفيده في شيء أن يعيش في المدينة . فلوزتاه ملتهبتان . لقد أورثه والداه صحة سيئة .

راشيل : هل المكان بعيد ؟
فاستا : حوالي ستين فرسخاً .
راشيل : وكيف أصل الى هناك ؟
فاستا : لا ضرورة لذلك . حسناً ، يا راشيـــل ، فلنتحدث الآن صراحة .
راشيل : هل مات ؟
فاستا : لو مات لما كان هنالك ما نتحدث عنه – فكلمة واحدة تكفي . كلا ، هو حي وصحته جيدة . وهو ولد لطيف وذكي . فيم تريدينه ؟
راشيل : قررت أن أرسلـــه الى الخارج . شقيقتي هناك متزوجة من بروفسور في الكيمياء . وليس لديهمـــا أولاد .
فاستا : هذا ما خطر لي تماماً – من المؤكد أن راشيـــل ستقتاد الطفل الى وسطها . كلا ، لن أعطيك كوليا !
راشيل : ماذا تقولين ؟ أنا أمه !
فاستا : وأنا جدته ! مؤسسة العائلة . أولادي هم يداي ، وأحفادي هم أصابعي . أتفهمين ؟
راشيل : لحظة . . . لا أفهمك . هل أنت جادة ؟ هذا كلام امرأة جاهلة متخلفة .ولكنك امرأة ذكية ، ولا يمكن أن يخطر هذا في ذهنك .
فاستا : كيلا نقول كلاماً فارغاً اصمتي واصغي . لن أعطيك كوليا .
راشيل : لكن هذا مستحيل !
فاستا : لن أعطيه لك . فكري : ماذا يمكن أن تفعلي ضدي ؟

لا شيء ! بقدر ما يتعلق الأمر بالقانون فأنت لا وجود لك على الاطلاق . أنت خارجة على القانون ، أنت ثورية هاربة . وحالما تظهرين نفسك يلقونك في السجن .

راشيل : هل تزمعين حقاً أن تستفيدي من الوضع الذي أنا فيه ؟ لا أصدق هذا ! لن تفعلي هذا لسوف تعطينني ولدي .

فاسّا : أنت تهرفين . كلامك فارغ . لسوف أفعل ما عقدت عزمي عليه .

راشيل : لا !

فاسّا : لا تصرخي ! تمالكي نفسك . لن أعطيك كوليا . ان مصيراً مختلفاً ينتظره .

راشيل : ماذا أنت – هل أنت وحش ؟

فاسّا : أقول لك لا تصرخي ! فما فائدة الصراخ ؟ أنا لست وحشاً . الوحش يغذي صغاره ويتركها من بعد تتدبر أمر غذائها . لا يهمه ما ستأكل ، سواء أكان ذلك فراخاً أم عجولاً . طبعاً أنا أتحدث عن الحيوانات المفترسة وليس عن الأرانب الجبانة . أما أنت فلن تتركي ولدك يدبر أمر نفسه . ولا أنا أترك أمر حفيدي . ان حفيدي سيرث شركة ملاحة جيليزنوف وخرابوف . وهو الوارث الوحيد لأملاك تساوي الملايين . وعمتاه ، ناتاليا ولودميلا ستنالان حصة صغيرة قدرها خمسون ألف روبل تقريباً لكل منهما – وهو مبلغ كبير بالنسبة اليهما على أية حال . أما ما تبقى فسيكون له .

راشيل : أنت مخطئة اذا ظننت أن في مقدورك رشوتي أو مواساتي بهذا الأسلوب . أنت مخطئة تماماً . هذا مستحيل !

فاسا : فيم أرشوك أو أواسيك ؟ أنت تعرفين ، يا راشيل ، أني لا أعتبرك عدوة لي ، حتى حين رأيتك تأخذين أبني مني . فماذا كانت فائدته بالنسبة لي ، هو المريض العاجز ؟ لم أكن لطيفة معه ، ورأيت أنك تحبينه . اذ ذاك قلت لك – هيا ، أحبيه ، فلست أبالي ! الرجل المريض يملك الحق في قليل من السرور في الحياة . بل كنت ممتنة لك بخصوص فيودور .

راشيل (منفجرة غضباً) : هذه أكاذيب كلها ! أكاذيب تثير القرف ! لا أستطيع أن أصدق . . . هذه وحشية !

فاسا : انت لا تصدقين ولكنك تشتمين . ومع هذا فلن أبالي . تابعي شتائمك . أنت تشتمين لأنك لا تفهمين . فكري ! ماذا يمكن أن تقدمي لولدك ؟ أنا أعرفك ، أنت عنيدة . ولن تعدلي عن حلمك وعملك . أنت تريدين اشعال ثورة من جديد . وأنا اريد أن أعزز أعمالي . لسوف تسجنين وتتعرضين للنفي . وسيعيش الطفل مع الغرباء ، في أرض غريبة – يتيم . أفهميني ، يا راشيل . لن أعطيك ولدك ! أبداً !

راشيل (في مزيد من الهدوء وبازدراء) : أجل ، أنت قادرة على ذلك ، وأنا أعرف هذا . بل يمكنك أن تسلميني الى الشرطة .

فاستا : أجل ، قد أصـــل الى هذه الحدود ! الى أي شيء ! اللعبة هي لعبة !

راشيل : كيف يمكن أن أحسّ ذهنك المتوحش ؟ قلبـــك الهمجي ؟

فاستا : ما زلت تتحدثين عن الوحوش ! لو سألتيني رأيي سأقول لك ان الناس أسوأ من الوحوش ! أجـــل ، أسوأ ! أنا أعرف هذا ! هنالك بعض الناس يجعلونك تتمنين أن تهاجميهم في شراسة – فتدمرين بيوتهم ، وتحرقين كـــل شيء ، تتركينهـــم عراة ، جائعين ، وتجمدينهم مثل الصراصير . . . هكذا !

راشيل : عليك اللعنة ، لكن ثمة شيئاً له قيمته في حقدك هذا .

فاستا : أنت امرأة ذكية ، يا راشيـــل . قد أسفت غير مرة لأنك لم تكوني ابنتي . وأظنني قلت لك ذلك مرة ! فأنا على الدوام أقول ما يخطر في ذهني من أمور .

راشيل (تنظر في ساعتها) : أيمكنني قضاء هذه الليلة هنا ؟

فاستا : وكيف لا ؟ ابقيْ ! لن أسلمك الى الشرطة . وستسر الفتاتان برؤياك – تسران حقاً . فهما تحبانك . لكنني لن أعطيك كوليا ! اعرفي هذا !

راشيل : سنرى اذن !

فاستا : هل ستحاولين سرقته ؟ هراء . . .

راشيل : لا ، لن اتحدث عن هذا بعـــد الآن . فأنا مهدودة القوى ، وأعصابي على شفا الانهيار ، وفوق كل شيء صعقتني أنت بهذه الصدمة . يا لك من مخلوق رهيب !

الاصغاء اليك يجعلني أفكّر أن هنالك نمطاً مجرماً في الحقيقة .

فاسّا : كل شيء موجود ! لن يستطيع المرء اختراع شيء أسوأ مما هو موجود .

راشيل : أنت والناس من طبقتك – أنتم السادة – لم يبق أمامكم وقت طويل . ثمة سيد جديد ، قوة جديدة هائلة ، تنمو الى الوجود . ولسوف تسحقكم . تسحقكم تماماً !

فاسّا : لكم هذا رهيب ! آه ، يا راشيل ، لو كنت صدقت هذا لقلت لك : خذي ثروتي كلها ودهائي كله ، فكل شيء ملك لك !

راشيل : أنت الآن تكذبين ليس غير !

فاسّا : لكنني لا أصدقك يا نبية . لا أستطيع أن اصدقك . والأمور لن تجري كما تشتهين ، لن تجري !

راشيل : أأنت آسفة على انها لن تجري ؟ آسفة حقاً ؟

فاسّا : لنفرضنّ هذا ؟ فما جدواه ؟ آه ، أنت لا تفهمين ... يوم قامر زوجي العزيز بجميع سفننا ، ومرافئنا ، وبيوتنا وأملاكنا كلها على مائدة اللعب – فأنت لن تصدقي هذا – ولكنني فرحت الفرحة كلها ! اجل ، فرحت ، أتصدقين ام لا ؟ ثم سحب آخر خاتم في اصبعه ، وراهن به واستردّ كل شيء ، بل أكثر مما خسر . . . وبعد هذا ، وأنت تعرفين ، شرع يدمن الخمرة والفسق ، وهذه أنا طوال خمسة عشر عاماً أحمل

هذا العبء كله ، عملنا الكبير كله في سبيل الأولاد . آه لو تعلمين الطاقات التي بذلت ! وهذه أنا الآن أضع آمالي كلها في أولادي . وحفيدي هو التبرير الوحيد لجميع الأشياء التي عشت من أجلها .

راشيل : أيمكن أن تتصوري كم يغبطني أن أسمع أن ولدي هو تبرير لصفقاتك المشبوهة وضحية اعمال دنيئة .

فاستا : لم ترقك الفكرة ، أليس كذلك ؟ لا تبالي ، فقد سمعت منك شيئاً أو شيئين لم أستسغهما بدوري . فلنشرب الشاي . لسوف نحافظ على الظاهر أمام الفتاتين . هلاّ فعلنا ذلك ؟

راشيل : لا ضرورة لاخبارهما أني وصلت بصورة غير مشروعة . ولا موجب لأن تعرفا شيئاً عن خصامنا أيضاً . فليس الأمر في يدهما .

فاستا : واضح انه لا ضرورة لذلك .

(تظهر بوليا عند الباب)

فاستا : اذهبي ونادى الفتاتين . أخبريهما أنا لا أرغب في وجود الطالب العسكرى . قولي ذلك في هدوء كيلا يسمعك . واحضري لنا سماوراً . هيا . وعلى هذا الغرار كان لقاؤنا ، يا راشيل !

راشيل : لقاء غير مستحب .

فاستا : ليس باليد حيلة . وحدهم الأطفال يحيون حياة سارة – وليس لوقت طويل على أى حال .

راشيل : وهذا كله يبدو لي بعيداً عن التصديق .
فاسّا (ترفس مقعدا في هياج) : وما الذي لا يصدّق فيه ؟
لودميلا (تدخل راكضة ووراءها تخطو ناتاليا) : أوه ، من هنا ؟ ماذا ؟ يا راشيل . . . راشيل !
ناتاليا : لم ترسلي برقية – لماذا لم تفعلي ذلك ؟
فاسّا : ناتا مغرمة بطرح الأسئلة . قولي لها مرحبا فتسأل لماذا .
راشيل : أنت لم تتبدلي ، يا لودا . جذابة مثلك أبداً . بل يبدو أنك لم تكبري خلال هاتين السنتين .
لودميلا : وهل هذا شيء سيىء ؟
راشيل : بالتأكيد لا ! ولكن ناتا . . .
ناتاليا : قد هرمت .
راشيل : لعلّ كلمة «نمت» ليست الكلمة المناسبة بالنسبة الى فتاة ، لكن ذلك هو بالضبط الانطباع الذي تعطينه .
ناتاليا : الناس يقولون عادة «نضجت» .
راشيل : ليس هذا هو الشيء ذاته !

(الشقيقتان مغتبطتان لرؤية راشيل ، ولكنها تتحدث في وهن ، وعيناها عالقتان بفاسّا معظم الوقت تقريباً . تشدها الابنتان الى الكنبة . فاسّا هادئة . تجلس الى المنضدة تهيىء الشاي)

لودميلا : اجلسي ، وانفضي الينا الأخبار كاملة .

ناتاليا : كيف حال فيودور ؟ هل هو أحسن ؟
راشيل : كلا ، صحته سيئة جداً .
ناتاليا : اذن لماذا سافرت وتركته وحيداً ؟
راشيل : جئت آخذ ولدي كوليا .
فاستا : وأنا لن أسمح بأن يغادر الحدود .
لودميلا : يا راشا العزيزة ، ما أروعه من صبي الآن ! انه ذكي وشجاع . . . يعيش في الغابات في خوموتوفو . وهو مكان رائع . وهنالك غابة كبيرة من الصنوبر .
ناتاليا : هل نقلوه من بوغودوخوفو ؟
لودميلا : وبوغودوخوفو مكان رائع أيضاً ! هنالك غيضة كاملة من أشجار الزيزفون وخلايا النحل . . .
راشيل : اذن ، أنتما لا تعرفان حتى مكانه ؟
فاستا : الى المائدة ، ارجوكم .
راشيل : أخبريني كيف تسير أمورك ؟
لودميلا : كل شيء رائع بالنسبة الي . أنت ترين ، انه الربيع وأنا وفاستا بدأنا العمل في الحديقة . تأتي وتوقظني في بكور الصباح ، قائلة : «هيا انهضي !» ونتناول قليلاً من الشاي ، وننطلق الى الحديقة . أوه ، يا راشا ، يا لها من حديقة غناء الآن !

(تدخل آنا ، تومئ برأسها تحية لراشيل . تهمس لفاستا شيأ ما وتخرجان معا)

لودميلا : ننطلق الى الحديقة حين تكون غارقة كلها بالندى

تتلألأ تحت أشعة الشمس ، وكأنهـــا ثياب الكهنـــة الموشاة ، كأنها من البروكار . انها تحبس أنفاسك ، أنها تسحر القلب ! في العام قبل الماضي طلبنا بذاراً للزهور بما يعادل مائة روبل تقريباً . وليس في المدينة كلها من يملك زهوراً فاتنــة مثــل زهورنـــا . ولدي بعض الكتب عن البستنة ، وأنا أدرس الألمانيـــة . وهكذا نتابع عملنا في صمت مثـــل الراهبات مثـــل الخرسان . ونحن لا ننطق بحرف ، ولكننا نعرف ما يجول في ذهن كل منا . أنا انشد أغنية عادة . واذا توقفت تهيب بي فاسّا أن أستمر . وأرى وجههـــا في مكان بعيد ، وجهها اللطيف الحنون .

راشيل : تعيشين حياة سعيدة اذن ؟

لودميلا : أجل ! سعيدة حتى الشعور بالخجل . انها رائعـــة مدهشة !

راشيل : وأنت ، يا ناتا ؟

ناتاليا : أنا في حال مستمرة من الدهشة .

بروخور (سكران يحمل قيثارة) : **ها ! انها راشيل ! (يغني .) «من أين جئت ، أيها الطفلة الفاتنة ؟»** * آه كم ازداد جمالك !

راشيل : وأنت على ما عرفتك .

بروخور : لا أفضل ولا أسوأ . أنا كما كنت من قبل .

راشيل : هل أنت مستمر في اللهو ؟

---

* سطر اخير من قصيدة بوشكين «بنت الماء» . **الناشر** .

بروخور : بالضبط . هذه مهنتي . موهبتي الرئيسية هي المرح البسيط . ذلك جزء من طبيعتي . لقد مات القبطان جيليزنوف ، وهكذا فأنا أرعى شرف العائلة والشركة بأن ألهو الآن لهوا مضاعفا .

راشيل : هل كان شديد المرض في ذلك الحين ؟

بروخور : أجل ، كثيرا — فقد مات .

(تضحك لودميلا)

راشيل : لقد قصدت هل طال مرضه كثيرا ؟

بروخور : القبطان ؟ لم يمرض على الاطلاق . مات فجأة . بف ! و«فليرقد بسلام مع القديسين» .

ناتاليا : هذا يكفي ، يا خالاه ! انه شيء مشين !

بروخور : مشين أن يرقد مع القديسين ؟ لا تحاولي تعليمي ، يا صغيرتي ! فأنت أصغر من أن تفعلي ذلك ! ومن أين انبثقت ، مدمّرة الحياة ؟ من سويسرة ؟ هل فيودور حي يرزق بعد ؟

راشيل : أجل .

بروخور : وصحته سيئة جداً ؟

راشيل : جداً .

بروخور : ليست أسرة جيليزنوف سلالة قوية . نحن ، آل خرابوف ، نملك قوة اكثر ! ولكن ولدك ، كوليا ، ولد لطيف ، ذلك الشيطان الصغير ! يلتقط الأمور بسرعة . ذات يوم كنت وجيليزنوف قد تخاصمنا قليلاً على

الغداء . في اليوم التالي سلـّمت على كوليا ، فانفجر في وجهي : «انصرف من هنا ، أيها العربيد السكير !» . بلى ، لقد فعل ذلك ! كان الوقت باكراً ، وكنت لا أزال صاحياً . . . وماذا تصنعون هنا ؟ تشربون الشاي ؟ الحوذيون وحدهم يشربون الشاي . أما الناس المحترمون فيطفئون ظمأهم بالخمرة . . . سأحضرها حالاً . بورتو فاخرة ! أفخر من أي صنف تذوقه الاسبانيون يوماً . وناتاليا تعرف هذا . . . (تدخل فاستا وهو في طريقه الى الباب)

فاستا : ماذا حدث هنالك في النادي ؟

بروخور : في النادي ؟ كيف عرفت ذلك ؟

فاستا : اتصلوا بي هاتفياً .

بروخور : في النادي جرى شجار صغير في موضوع السياسة . لا شيء أكثر من ذلك .

فاستا : وسيظهر اسمك في الصحف مرة أخرى ؟

بروخور : لماذا اسمي ؟ لقد ضربته مرة واحدة . جعل ينبح على «الدوما» فأنزلتها صفعة على فكه .

فاستا : أصغ اليّ ، يا بروخور . . .

بروخور : سأرجع حالاً . وعندها أصغي اليك . . . (يغني .) «لا تغويني دون سبب . . .»

لودميلا : ألا يبعث على الضحك ؟ لقد بدأ يكثر من الشراب مؤخراً . وهو يعلـّم ناتاليا على الشراب . . .

ناتاليا : لقد علمني وانتهى .

راشيل : أتعنين ذلك حقاً ، يا ناتا ؟

ناتاليا : أجل . فأنا أعشق الخمرة عشقاً . وأهوى الاحساس بأنني سكرى .

فاستا : يمكنك أن تضيفي الى هذا أنه ليس هنالك من يعاقبك على ذلك .

ناتاليا : وليس هنالك من يعاقبني على ذلك .

فاستا : ناتاليا ! حذار !

ناتاليا : أمرتني أن أضيف ذلك ، فأضفته .

فاستا : تظنين نفسك مجدودة لأنه ليس لدي الوقت لطرد هذا الشيطان منك !

لودميلا : ناتا دائما وقحة مع أمنا ، كما ترين ، يا راشا . وفي رأيي أن هذا شيء سيء .

فاستا : عندك نية ان تعيشي عيشاً سامياً . تدعين أنك مثقفة ، وتتصرفين كالخنازير !

ناتاليا : الخنازير الأصيلة غالية الثمن كثيراً !

فاستا (غاضبة) : هذه هي الحياة التي نعيشها هنا ، يا راشيل .

راشيل : هي حياة متعفنة ، ولكنكم لا تستأهلون شيئاً أفضل . انما الحياة الخالية من المعنى تماماً .

فاستا : هذا ما أستحقه ؟ هراء !

راشيل : أنا لا أقصدك شخصياً ، بل أتحدث عن طبقتك الاجتماعية .

فاستا : هذه هي تنطلق الآن !

راشيل : والأمور لا تقل عن ذلك سوءاً في الخارج أيضا . بل لعلها أسوأ ، فهم أكثر هدوءاً بشأنها ويعذبون

بعضهم بعضاً أقل مما تفعلون أنتم .

ناتاليا : أهذا صحيح ؟ أم أنك بهذا تواسيننا ؟

راشيل : انه صحيح ، يا ناتاليا . أنا لست ممن يؤاسون الناس . ان عالم الأثرياء ينهار ، رغم أنهم هناك أكثر تنظيماً . كل شيء ينهار ، بدءاً من العائلة ، ولقد كانت العائلة هنالك قفصاً حديدياً . أما هنا فالقفص من خشب .

فاسّا : راشيل !

راشيل : نعم ؟

فاسّا : أقيمي هنا معنا . سيموت فيودور ، هذا ما قلته بنفسك . كفّي عن التطواف والتجوال وعن الاختباء ! تعالي وعيشي معنا . وتستطيعين تربية ولدك . وههنا ابنتاي أيضاً . هما تحبانك . أنت تحبين ولدك .

راشيل : ثمة شيء أكثر قيمة بكثير من روابطنا وعلاقاتنا الشخصية .

فاسّا : أعرف . فثمة العمل . مشاكل الشركة . لكن يحدث احياناً ان يقع شيء ما في متناول يدك ، شيء يجدر أن تقتنيه ، ولكنك لا تشعرين برغبة في ذلك .

راشيل : أنت لا تتحدثين عن نفسك .

فاسّا : ماذا تقصدين ؟

راشيل : قد تشعرين أحياناً أنك تعبت من تسوية مشاكلك ، أما أن تشعري بعدم جدواها ، بفظاظتها ، كلا ، أنت لا تستطيعين هذا . أنا أعرفك . رغم كل شيء أنت

عبدة . أنت ذكية وقوية ، ولكنك عبدة مع ذلك . فالاشياء تتلفها الدودة والصدأ والعفونة ، وانتم تتلفكم الاشياء .

فاسّا : يا للذكاء ! لكن هذا غير صحيح كما أظن ! سأخبرك بما كنت أريد ، سأخبرك بذلك أمام ابنتيّ . كنت أريد أن يحمل حاكم هذه المقاطعة المبولة لي ، كنت أريد أن يقيم الكهنة المحليون احتفالاتهم الدينية على اسمي أنا وليس على أسماء القديسين ، بل على اسم روحي الشريرة السوداء الخاطئة .

راشيل : هذا مأخوذ من دوستويفسكي ولا يلائمك أنت . . .

ناتاليا : أمي لا تعرف شيئاً عن دوستويفسكي . فهي لا تقرأ الكتب .

فاسّا : من دوستويفسكي – من تراه يكون ؟ كلا ، بل من الاذلال الذي عانيت . من الاذلال الذي لا أستحقه . . . الفتاتان تعرفانه ، فقد أخبرتهما اليوم كيف كنت . . .

بروخور (حاملاً زجاجتين من الخمور) : ها هو البورتو ! هيا بنا الآن ، ولنأخذنّ الأمور بصورة جادة . هل أسكب لك يا فاسّا ؟ لن تندمي . انها بضاعة نادرة ، وهي . . .

فاسّا : حسنا ، هيا ! تعالين الى المنضدة ، يا فتيات . على اي حال ، لم لا نشرب ؟ كنّتي قد . . . جاءت لزيارتي ! أسكب ، يا بروخور . من ضربت ؟

بروخور : ميلنيكوف ، مستأجرك . ضربته على فكه . وضربت

شخصاً آخر أيضاً . . . ذلك هراء في هراء حقاً ! لسوف يشفى !

فاسّا : أتعلم ان ميلنيكوف سجل نفسه في «اتحاد الشعب الروسي» ؟

بروخور : واذن ؟ لكأن لذلك أية أهمية ! وأنا سجلت اسمي في دليل الهاتف ، ولكنني لا أتبجّح بهذا . الأقداح !

(الهاتف يرن)

فاسّا : هذا لي . (على الهاتف .) من ؟ أجل ، أنا هي . اية سفينة ؟ لماذا ؟ يا للحمقى ! من شحنها ؟ في أوفا ؟ تيرينتييف ؟ افصل هذا الأبله فوراً ! مطلوب حضوري – لماذا ؟ حجزوا السفينة كلها ؟ وماذا أيضاً ؟ ما عدا الجلود . . . اللعنة عليهم ! تقول ان لجنة الصحة هناك ؟ ومفتش أيضاً ؟ سأحضر على الفور . (تلقي السماع بقوة .) حسنا ، ابقوا أنتم هنا ولا تحدثوا شغباً . هنالك فضيحة كبرى نزلت فوق رأسي . لقد حجزوا أحد قوارب الشحن لدي . لقد سمح وكيلي الأبله بأن تشحن جلود الحيوانات قبل التفتيش الصحي ، وقبل ترقيمها . كما كانت السفينة تحمل جلود خراف ، وألياف أشجار ، ولحاء . سأذهب الى هناك حالاً . (تخرج ، وتلحظ نظرة راشيل أثناء خروجها .)

بروخور : ذهبت ترشو شرطة النهر . فشرطة النهر هنا

أفرادها من المحتالين اللصوص . وشرطـــة البر لا يختلفون عنهـــم في شيء . لكن ليذهب كل هذا الى الجهنم ! فأنا أصب الخمرة . ناتاليا ، يا حبيبتي ، هذه تكون أفضل من خمرتك المفضلـــة . (يغني مقلداً الانشودة الدينية .)

صبّ لي ، يا صاحبي ، في الكاس خمرة
صبّ لا تترك ، فذاك العمر قطرة

ستار

الفصل الثالث

برحت فاسّا الحجرة لتوّها . بروخور يدخن سيجاراً . لودميلا تلتهم بنشوة أصابع من البسكوت تغمسها في صحفة من المربى . ناتاليا تجلس الى جانب راشيل والكأس في يدها . راشيل مستغرقة في التفكير .

بروخور : هذا هو نمط الحياة التي نعيشها ، يا راشيل – لا نعرف هدوءاً أو سلاماً . لقد اساءت الشرطة الينا . (يقهقه ضاحكا)

راشيل : هل أنت الآن رئيس مجلس البلدية ؟

بروخور : حصلت على هذا المنصب في أحلامي ، ومن بعد سألت نفسي – لماذا ، وحق الشيطان ، أقيّد نفسي على هذا المنوال ؟ يحسنن ّ بي أن أعيش كما انا عليه حراً مثل العصفور .

ناتاليا : ليس هذا صحيحاً ! أنت لست حراً . وأنت هربت من الانتخابات بسبب من جبنك .

بروخور : رهيب هو هذا الأسلوب الذي تحب ناتاليا اغاظتي به . والآخرون جميعاً أيضاً . . . صغيرة بعد ولكنها شيطانة . وتبدو مثل احدى الشيطانات أيضاً . . . اهم ! ولكنها على حق تام – فأنا انسان بعيد النظر . بعيد وفاة القبطان . . .

ناتاليا : بعيد وفاة والدنا راجت الأقاويل أنه سمّ نفسه .

حتى قيل اننا سقيناه السم تجنباً لفضيحة المحاكمة .

لودميلا : يا للهراء السخيف !

بروخور (في قلق) : لا ريب أنه هراء ! وقد أوقف النائب العام هذه القضية المقرفة على أية حال . . .

ناتاليا : لعدم اثبات التهمة . وخاف خالي من تلك الأقاويل وخطر له أنه لن يتم انتخابه رئيساً .

بروخور : هذا يكفي ، يا ناتا !

ناتاليا : في حين كان يجب أن يفعل ذلك رغم الأقاويل ، ورغم الجميع .

بروخور : انها على هذا المنوال دائما – رغم كل شيء !

راشيل (تمسح على يد ناتاليا) : وهكذا يجب أن تكون !

ناتاليا : اذا لم تثبت التهمة ، يا راشيل ، فهذا لا يعني بالضرورة أن المتهم لم يكن مذنباً ، أليس كذلك ؟

راشيل : كلا .

لودميلا : وهل هكذا يجب أن نعيش ، يا راشيل – رغم جميع الناس ؟ أفليس في مستطاع المرء أن يعيش . . .

ناتاليا : أحمق مثل لودميلا جيليزنوفا .

لودميلا : عبثاً تشتمين ، فلن أغتاظ ! أوه ، يا راشيل ، اني أكره كل هذا – الحقد . . . وما شابه .

ناتاليا : وهي تحب الأصابع المغموسة بالمربى !

لودميلا : هل يثير هذا غيرتك ؟ أنت حاقدة على الدوام لأنك لا تملكين شهية . اذا أكلت أكثر لن تكوني على هذا القدر من النقمة !

بروخور (مغنياً) : «أنا لا أغضب رغم الضيـــق الذي يمزق قلبي» . اضافة الى الأصابع المغموسة بالمربى وجميع أصناف الحلويات ، فان لودميلا تعبد كل ما يمت الى العسكرية بصلة ، وخاصة ما كان له ريش على غرار الهنود .

لودميلا : هذا غير صحيح أبداً .

بروخور : الى الجحيم كل هذه السخافات العائلية ، والماضي وكل شيء آخر . ولنحتفل قليلاً طالما أن صاحبـــة البيت غائبة . سأريك راقصاً ، يا راشيل – راقصاً يجعلك تدهشين حد الذهول ! لودا ، نادى بياتيوركين !

لودميلا : هذه فكرة صائبة !

بروخور : وقولي له أن يحضر القيثارة ! (الى راشيـل) متى ستزورين ولدك ؟

راشيل : أهو في مكان بعيد ؟

بروخور : على مسافة ثلاثة وعشرين فرسخاً – وربما خمسة وعشرين . انه ولد لطيف . ليست صحته قويـــة ، ولكنه رائع !

راشيل : الجدة لا تريدني أن آخذه .

بروخور : انها على حق في هذا ! لا حاجة بك الى الولد وأنت تعيشين حياة الهروب هذه .

راشيل : ما رأيك ، يا ناتا ؟

ناتاليا : عليك ان تصري على أخذه . واذا لم تذعن لـــك فاسرقيه !

بروخور : أوهو !

ناتاليا : أجل ، اخطفيه واهربي به وخبئيه . انت ترين حالنا جميعاً ههنا ! ترين ذلك . . .

راشيل : أخطفه . . . أهرب به . لا أستطيع اتيان مثل هذا العمل .

ناتاليا : لماذا ؟

راشيل : ان لديّ أموراً أخرى أكثر أهمية .

ناتاليا : أكثر أهمية من ابنك ؟ حقاً ؟ لماذا أنجبته اذن ؟ لماذا ؟

راشيل : تلك كانت غلطتي !

ناتاليا : وما هي هذه الأمور ؟ ما سبق أن حدثتني عنها قبل سنتين ؟ أذكر . اذكرها جيدا .

راشيل : ولكنك لا تؤمنين بها ؟

ناتاليا : كلا .

راشيل : ذلك أنك لا تفهمين . أما أنا . . . أنا لا أستطيع أن أعيش دون القضية . وحتى لو فقدت . . . ولو لم أر كوليا مرة أخرى . . .

بروخور : رويدك ! انها فكرة هامة أن تخطفيه ! هي فكرة رائعة ، يا راشيل ! ستكون طعنة نجلاء في صدر أختي ! نفذيها ، يا راشيل ! وناتاليا وأنا نساعدك ، فاعتمدي علينا . وأنا عندي بياتيوركين - قادر أن يفعل أى شيء !

راشيل : كفى !

بروخور : ليوشكا بياتيوركين ؟ انه يستطيع أن يخطف مطراناً ، فكم بالحري صبياً صغيراً !

راشيل : تريدون أن تلهوا بولدي . . .

بروخور : هذا هو ، بياتيوركين ، جندي شجاع – خدم في قوافل التموين ! اليوشكا ، فلنقدم مقطوعة «عصفور الله الصغير» ! واذكر أنها مؤلفة للخارج ، لأوروبا ! ولهذا يجب ألا تشوبها شائبة !

(يأخذ بروخور القيثارة من بياتيوركين ويدوزن أوتارها . تحضر لودميلا طبلة وبلالايكا . تعطي الطبلة الى شقيقتها .)

بروخور : والآن ، أيتها الفتيات ، في هدوء وأسى ! وخاصة الطبلة ! ينبغي أن تهمهم لا تقرقع .

لودميلا : نعرف هذا .

بروخور : هيا بنا اذن . (يغني ، كالعادة ، كأنه يبتهل بانشودة دينية . لودميلا وبياتيوركين يرافقانه .)

طير صغير هو طير اللّه
لا يعرف الهّم او الغمّا
حلو ، فما تسمع منه الاهْ
الا حنانا دافقا جمّا

وأنتَ في العتمة غفيانُ
والشمسُ توقظكَ في الفجر
وصوتك الفرحانُ نشوانُ
للحنه أعطي أنا عمري

سيدتي ، سيدتي الحلوهْ
سيدتي . . متينة الأعصابْ

سيدتي أغنية حلوه
الى متى نبقى ، ترى ، بالباب !

ليوشكا ! هيا ! ارقص ! بوحشية ! واووو !

بدرب «روستوف» رأيناها
سيدةً كالضوء شهرتها
وغيرها «اوريل» سكناها
مجهولة كالسرّ سُمعتها
سيدتي ، سيدتي الحلوه

(يؤدي بياتيوركين الرقصة الروسية بصورة مسلية رائعة . لودميلا تغني وقد جرفتها الحماسة . بروخور جذلان طرباً . ناتاليا تضرب على الطبلة بصورة آلية وترنو الى راشيل . راشيل جالسة وكأنها تتجمد .)

سيدتي الآن ، ولا تسأل ،
قد ذهبت تمرح في «باريس»
والاحمر الرأس ، ولا تعجل ،
واعدها كأنه ابليس
سيدتي ، سيدتي الحلوه . . .

ناتاليا : كفى !
بروخور : لماذا ؟
ناتاليا : لا أريد المزيد .

لودميلا : تفو ، ما أصعب ارضاءك !

(تنهض راشيل وتخطو مبتعدة . تلحق بها ناتاليا متباطئة . تتوقف عند النافذة)

ناتاليا : حسناً ؟
راشيل : هذا رهيب .
ناتاليا : أفضل أن أقتل ابني ولا أتركه هنا .
راشيل (تضع ذراعيها حول كتفي ناتاليا) : لا أستطيع الخروج به من البلاد دون مساعدة فاسيّا بوريسوفنا .
ناتاليا : سيتدبر خالي الأمر . انه يغتبط لأية فرصة تتيح له ايذاء أمي . اذا اختطف كوليا سنعمل على اخفائه ، ومن بعد نرسله اليك .
راشيل : الى أين ؟ لست أدري أين سأعيش . اذا تدبرت أمري بالعودة الى سويسرا فأبقى هنالك بضعة أسابيع . . . يجب أن أقيم في روسيا . وليست لدي امكانية تنشئة كوليا . أما في لوزان ، عند أختى . . . فسيكون ذلك رائعاً . . .
بروخور (يوقف بياتيوركين ويصيح) : ألم يعجبك هذا ؟
راشيل : كلا .
بروخور : ليس لديك أى حسّ فني !
راشيل : وغناؤك لا يطاق .
بروخور : أصبت . عندما يتعلق الأمر بالشراب أو لعب الورق فأنا المبرّز الذى لا يجارى ، وأما فيما يتعلق بالغناء فالطبيعة لم تسبغ عليّ موهبته . ان لي قلباً

حنوناً ، وأما حنجرتي فجافة دائماً . ان نبراتها خشنة . بياتيوركين ، اذهب ، أيها الفاشل التافه ! فما أحرزنا نجاحاً ! راشيل ، تعالي الى غرفتي . سأريك مجموعة أقفالي .

راشيل : لقد رأيتها .

بروخور : متى كان ذلك ؟ يجب أن تريها الآن ! اني أملك سبعة وثلاثين قفلاً لمخازن المحصولات ، وأربعة للقلاع ، واثنين وأربعين قفلاً موسيقيا . ولن تشاهدي مثل هذا في أي مكان . تعالي على أية حال ! فلدي أشياء هامة أخبرك بها .

(يمسك ذراعها ، فتتبعه على مضض)

ناتاليا (ترنو الى شقيقتها) : ما بالك ؟

لودميلا : لا شيء . أشعر بالنعاس .

ناتاليا : اذهبي ونامي اذن .

لودميلا : لقد سئمت . أريد أن أبكي .

ناتاليا : اذهبي الى فراشك ، وابكي ، ونامي .

لودميلا : الأمور دائماً هكذا . سأنتظر فاسيا . لا أرتاح عندما تكون خارج البيت .

ناتاليا : أنت تكثرين من مناداتها فاسيا .

لودميلا : ذلك أني أحبها . أما أنت فلا تحبينها .

ناتاليا : لا ، أنا لا أحبها .

لودميلا : وهي تعرف هذا .

ناتاليا : تعرفه طبعاً .

لودميلا : ولكنك تشبهينها ، تشبهينها كثيراً !
ناتاليا : ولهذا لا تحب احدانا الأخرى .
لودميلا : انها مولعة بك .
ناتاليا : انها مولعة بتعذيبي .
لودميلا : وأنت تعذبينها بدورك .
ناتاليا : نعم ، أنا أقابلها بالمثل .
لودميلا : كم انت بلهاء ! وخالي أبلـــه أيضاً – تصوري اقتراحه باختطاف كوليا !
ناتاليا : لا تخبري أمنا بهذا .
لودميلا : سأخبرها حتماً .
ناتاليا : لماذا ؟
لودميلا : كلا ، لن أخبرها . لا أريد أن أضايقها .
ناتاليا (زافرة) : أنت قديسة . . . أنت فلتة . ولم تجبلي من طينتنا .
فاستا (تدخل الى الغرفة) : ما هذا كله – أكنتما تتخاصمان ؟
لودميلا : كلا ، بل نتحدث وحسب .
فاستا : حديثكما جاد جداً . وبروخور دخن السيجار هنا – كم مرة طلبت اليه ألا يدخن السيجار في غرفتي . أظن ان ناتاليا أفرطت في الشراب .
ناتاليا : لا أبرح قادرة أن أقف على قدميّ .
فاستا (تصب لنفسها قدحاً من البورتو) : هل برد الشاي ؟ صبوا لي قليلا .

(ناتاليا تصب لها الشاي)

فاستا : سبعمائة من الروبلات – لكأنني قذفت بها في النار . الرشوة في كل مكان . هم كلهم مرتشون . ماذا كنتم تفعلون ؟

ناتاليا : شربنا الشاي .

لودميلا : رقص بياتيوركين رقصة . وأصرّ خالي على راشيل أن تخطف كوليا .

فاستا : يا له من لاه ! وماذا قالت هي ؟

لودميلا : رفضت . أصبحت نكدة الطبع بصورة بغيضة . لم تعد مثلما كانت من قبل . مقيتة جداً ! جميع الأذكياء مقيتون !

فاستا : هكذا اذن . وماذا أنا في نظرك – غبية ؟

لودميلا : أنت لست ذكية ولست غبية ، أنت مجرد امرأة انسانة .

فاستا : لا أعرف – ماذا يعني ذلك ؟ أأنا أسوأ من غبية ؟ حسنا ، فليقف الأمر عند هذا الحد – امرأة انسانة . خذي السماور واطلبي أن يسخنوه . ناتاليا ، هل تودين السفر الى الخارج ؟

ناتاليا : أجل ، أود ذلك . وتعرفين هذا .

فاستا : حسنا ، في مقدورك أن تسافري . خذي آنّا معك .

ناتاليا : لن أسافر مع آنّا .

فاستا : لماذا ؟

ناتاليا : يكفيني ما لقيت منها هنا .

فاستا : لن أتركك تسافرين وحدك . آه ! يا فتاة . . .

ناتاليا : نعم .

فاسّا : ليس لدي فسحة من الوقت لأحادثك .
ناتاليا : ألديك فسحة من الوقت لتربية كوليا ؟
فاسّا : لن يتطلب مني كثيراً من الوقت .
ناتاليا : سوف يتطلب أكثر مني .
فاسّا : سافري برفقة آنّا . سوف يكون في وسعك الالتقاء بفيودور .
ناتاليا : هذا لا يغريني .
فاسّا (بأعلى صوتها) : أيتها الشيطانة ! اخرسي !
ناتاليا : حسناً . . . سأخرس .
راشيل (تدخل الى الغرفة) : ماذا جرى ؟
فاسّا : أجل ، أجل ، أعترف بانني صرخت عبثاً . كان ذلك غلطة مني . لقد أثاروني حتى أوجع ذلك قلبي . حسناً ، يا راشيل ؟ لقد اقترح بروخور اذن أن تخطفي كوليا ؟
راشيل : كان سكران لا يعي .
فاسّا : حين يكون صاحياً فهو يمكن أن يقترح هذا أيضاً . . . لم لا تذهبان الى فراشيكما ، يا فتاتيّ ؟ لقد تأخر الوقت . ها ؟
لودميلا : والعشاء ؟
فاسّا : نسيت العشاء . أريد أن أشرب شيئا . أريد شاياً ساخناً . حسناً . اذهبي واطلبي اليهم تهيئة المائدة للعشاء . ما لديك من أقوال ، يا راشيل ؟
راشيل : أصغي اليّ ، يا فاسّا بوريسوفنا . أعطيني ولدي وسأرسله الى الخارج .

فاسّا : تريدين استئناف الجدال ، أليس كذلك ؟ كلا ، لـن أعطيه لك !

راشيل : لا أستطيع أن أتصور أبداً ماذا ستفعلين به . كيف ستربينه ؟

فاسّا : لا تقلقي سنتدبر الأمر فنحن قوم مستقرون . وميسورون . سنستأجر أفضل المربيات . وأفضـل المعلمين . . . ونقدم له أفضل تعليم .

راشيل : لن تعلميه الأشياء التي يجب أن يعرفها الانسان الشريف . سيكون على كوليا أن يعيش في هذا البيت الحافل بالبلالايكا والقياثر ، بالطعام الدسم ، وبروخور خرابوف نصف السكران ، وبالفتاتين – احداهما مراهقة دائمة ، والأخرى بالغة الحقد . فاسّا بوريسوفنـا ، أعرف جيداً طبقتك الاجتماعية سواء هنا في روسيا أم في الخارج . انها طبقة مريضة بصورة ميئوس منهـا ! أنتم تعيشون مثل البشر الآليين ، تستعبدكم أعمالكم ، وتأمركم قوة الأشياء التي لم تبدعوها بأنفسكم . أنتم تحيون في ملء الازدراء والحقـد المتبادلين دون أن تسألوا أنفسكم لماذا تعيشون ، وأي نفع فيكـم للناس . . .حتى ان خياركم وأكثركم ذكاء لا يعيشون الا لأنهم يشمئزون من الموت ويخافونه .

فاسّا : هل انتهيت من أغنيتك ؟ استريحي الآن وأعيريني سمعك . اذا كان هنالك شيء واحد لا أعرفه عنك فهو ما يلي : كيف أن ذهنك هذا الوقاد يصاب بالعمـى والضعف حين تأخذين الحديث عن الحياة ؟ تقولين :

الطبقة الطبقة . . . يا سيدتي العزيـــزة ، ان غوري كروتكيخ - مدير أعمال شركتي الملاحية - يعرف عن الطبقة أكثر مما تعرفين . وهو يقول ان الثورات تكون شرعية حين تخدم هذه الطبقة السخيفة . وأنت لا تنفكين تتحدثين عن نوع غير شرعي من الثورات ، عن شيء خارج عن نطاق هذا العالم . بالنسبة الى كروتكيخ كـل شيء واضح : على الاشتراكيين أن يوحدوا العمال لما فيه مصلحة الصناعة والتجارة . هذا ما يقترحه ، وهو فيه على حق ! انه ليس أحمق - بخصوص هذا الشيء على أية حال . ولكنه لا يزال أحمق بخصوص شؤون العمل .

راشيل : لقبه كروتكيخ أليس كذلك ؟ وفقا لاسمه * ينادي بتدريب البروليتاريين ليكونـوا متواضعين وديعين . وليس هو وحيداً في ذلك . ثمة كثيرون جداً عـــلى شاكلته . وباعتبار أنهم من خدمك المخلصين فانتـــم تسمحون لهم أن يسموا عالياً جداً . . .

فاسّا : اسمعي . أنا فاسّا خرابوفا ، لا أبدي شيئاً مـــن المبالاة بهذه الطبقة ! أنت تقولين انها تلفظ أنفاسها ؟ وهذا شيء لا يثير قلقي . فأنا في صحة جيدة . أنـــا سيدة أعمالي . وليس من يستطيع أن يعرقلنـــي أو يرعبني . ولدي الكثير مما يكفينـــي مدى حياتـــي ، وسأوفر ثروة ضخمة لحفيدي . هذه هي أفكاري ، هذه

* كروتكيخ يعني وديع . **الناشر** .

هي حكمتي ! ولن أعطيك كوليـــا . فلنتخلص من هذا الموضوع ! حان أوان العشاء . وأنا مهدودة القوى .

راشيل : لا أريد أي عشاء . فطعامك مكروه لديّ . . . أيـن يمكن أن أستريح ؟

فاسـّا : اذهبي . سترافقك ناتاليا . (تنهض عن مقعدها في صعوبة ، وتعاود الجلوس وتنادي) آنـّا ! (لا تتلقـى جواباً .) طعامي مكروه لديها . . . من غيرها يجرؤ أن يقول لي مثل هذا الكلام ؟ . . أوه ، يا للأفعى ! (تقرع الجرس)

بوليا : هل قرعت الجرس ؟

فاسـّا : كلا ، بل هو الشيطان القابع تحت المدفأة . أيـن آنـّا ؟

بوليا : مع الأنستين .

فاسـّا : ناديها . (تجلس مرهفة سمعها الى شيء ما ، تتحسس حنجرتها وتتنحنح . تدخل آنـّا) ماذا حدث هنا أثنـــاء غيابي ؟

آنـّا : اقترح بروخور بوريسوفيتش اختطاف كوليا .

فاسـّا : اقترح ذلك بنفسه ؟

آنـّا : أجل . قال أولاً : «انها على حق في هذا . فلست في حاجة الى ولدك» . ثم انشرح فجأة ، فقال : «ذلك يكون طعنة في صدر شقيقتي» .

فاسـّا : وناتاليا ؟

آنـّا : هي التي اقترحت ذلك . . .

فاسـّا : أنت تخلطين الأمور ! أنت تكذبين !

آنّا : أنا لا أخلط الأمور . هذا ما حدث . حين قالت راشيل مويسيفنا انك تحتفظين بكوليا هنا ، قال بروخور بوريسوفيتش : «هي على حق» . وحين اقترحت ناتاليا الاختطاف ، تحمّس لذلك أيضاً .

فاسّا : هكذا . انه يتوق لأن يغرز أسنانه في لحمي . ولو كان ذلك في عقبي .

آنّا : وقال : «لدينا بياتيوركين هنا . يمكن أن يخطف مطراناً ، فكم بالحري صبياً صغيراً» .

فاسّا : انه كلب ضار بياتيوركين هذا .

آنّا : مخلوق دنيء ! لا يملك شرفاً أو ضميراً . وهو وقح جداً ، وفظ جداً . . .

فاسّا : لسوف نلطّفه .

آنّا : أمريضة أنت ؟

فاسّا : لماذا ؟

آنّا : ألمح ذلك في وجهك .

فاسّا : بنتاي لم تلحظا شيئاً . حسناً ! سوف تسافرين الى الخارج ، يا آنّا .

آنّا (مذهولة) : أنا ؟

فاسّا : أجل ، أنت . مع ناتاليا ، أو ربما لوحدك .

آنّا : أوه ، ما اشدّ سروري ! لا أعرف كيف أجزل لك شكري !

فاسّا : لا ضرورة لذلك . فأنت تستأهلين هذا . أنت لم تكذبي عليّ قط ، أليس كذلك ؟

آنّا : أبداً .

فاستا : هذا ما يهمني . سوف تحملين رسالة الى فيودور . لا تتركي ناتاليا تشاهدها . واكتبي اليّ فوراً عن صحة فيودور . إسألي الأطباء . هل تتذكرين اللغة الألمانية ؟

آنّا : أجل ، أتذكرها .

فاستا : حسناً ! اذا كانت صحة فيودور سيئة جداً ، فابقي الى جانبه حتى ينتهي الأمر . ولكننا سنناقش هذا الأمر فيما بعد . والآن إسمعي ما أقول . ستذهبين الآن الى الشرطة ، واسألي عن الكولونيل بوبوف . يجب أن تجديه ! قولي لهم أن يبعثوا خلفه . قولي ان الأمر مستعجل وفي غاية الخطورة .

آنّا : فاستا بوريسوفنا . . .

فاستا : اسمعي ! أخبريه أن راشيل توباز ، النازحة ، جاءت تزورني من الخارج . هو يعرف من تكون . فقد اعتقلها مرة من قبل . واذا كانوا سيعتقلونها الآن فليفعلوا ذلك في الشارع ، وليس في هذا البيت . مفهوم ؟

آنّا : أجل ، لكن . . . كيف ؟

فاستا : أصغي اليّ . هلاّ أصغيت ! اذا جاؤوا الى البيت فسيتضح أنك وشيت بها . أو فعلت أنا ذلك . ولست أريد أن تنطلق أقاويل جديدة حمقاء في المدينة . هل فهمت الآن ؟

آنّا : أنا . . . أنا لا أستطيع . . .

فاستا (مشدوهة) : لا تستطيعين ؟ لماذا ؟

آنّا : لن أجرؤ .

فاستا : تأسفين عليها ، أليس كذلك ؟ ألا تأسفين على كوليا ؟

لسوف يعتقلونها غداً أو بعد غد في كل حال . فلماذا ترفضين أن تؤدي لي هذه الخدمة ؟ هذا غريب جداً ! لا أصدق ذلك !

آنّا : كلا ، ليس الأمر كذلك ، وحق اللّه ! اني أضحي بحياتي في سبيلك ! لماذا أشفق على تلك اليهودية ؟ فلطالما ازدرتني ، كما تعلمين .

فاسّا (مرتابة) : ماذا تهمسين ، قولي ؟ لست أفهم !

آنّا : أخشى الذهاب الى رجال الشرطة في الليل .

فاسّا : هذه حماقة ! أتحسبين أنهم يأكلونك ؟ (تنظر في ساعتها .) لكن ، لعلك على حق — فالوقت متأخر . سيكون بوبوف يلعب الورق الآن في مكان ما . حسناً ، تستطيعين القيام بذلك غداً صباحاً . في البكور — في حوالي السابعة . فاطلبي ان يوقظوه من نومه .

آنّا : أوه ، شكراً لك ، لكم أنا ممتنة لك ! (تمسك يدها وتقبلها .)

فاسّا (تمسح يدها بتنورتها) : كيف ، أنت تنضحين عرقاً ، أيتها المخلوقة البلهاء ! انه يقطر من وجهك . . .

(تمسح آنّا وجهها)

فاسّا : راشيل تدأب على اخافتي بنعيبها عن الطبقة ! أية طبقة ؟ أنا طبقة ! انها تكرهني أنا . أجل ، أنا ! لقد سرقت الولد ، مثلما يسرق الغجري حصاناً . والآن لن أتركها تأخذ حفيدي ! كلا ! (تغرق في برهة من

التفكير .) أشعر بتوعك . ربما تعبت . . . اصنعي لي شراباً حاراً من توت العليق .

لودميلا : تعالي للعشاء ، يافاستا .

فاستا : أنت مغرمة بالطعام . . .

لودميلا : نعم ، أنا مغرمة به ! مغرمة به جداً .

فاستا : لدي مفاجأة سارة لك ، ولكنها ليست مما يؤكل - بل ستجعل حياتك أكثر سعادة .

لودميلا : أنت دائماً . . .

فاستا : اتخذت قراري . سأشتري منزل الأميرة كوجوشيفا العجوزة - وهذا سيكون اضافة رائعة الى حديقتنا ، أليس كذلك ؟

لودميلا : آه ، يا أماه ، ما أروع ذلك !

فاستا : هذه هي الامور ! أعتقد أن الأمير الصغير خسر مبالغ طائلة بلعب الورق . . .

لودميلا : ما أروع ذلك ! يا ربي . . .

فاستا : والأميرة مستعجلة للبيع . سأدفع العربون غداً . هذا عيد لك .

لودميلا : كيف تجدين متسعاً من الوقت لجميع هذه الأمور ؟ تعالي ، لنتناول عشاءنا .

فاستا : لست أريد طعاماً . فأنا أشعر بالتوعك . سأشرب شيئاً حاراً بتوت العليق وألجأ الى فراشي . تناولوا عشاءكم من دوني !

لودميلا : ألن تشربي قليلاً من الشاي ؟

فاسيّا : أجل ، هاتي السماور الى هنا . أشعر بالظمأ . هل راشيل هناك ؟

لودميلا : أغلقت الباب على نفسها في الغرفة الصفراء . وهي لا تريد أن تأكل أيضاً . لقد صارت سمجة متبخترة !

فاسيّا : اذهبي ، يا لودا ، اذهبي . . . (تبقى وحيدة . تتمشى في الغرفة في حذر وكأنها تدوس على الجليد ، متمسكة بالمقاعد ، وهي تنحنح وتهمهم) الاعمال . . . تزداد الاعمال . . . (تحاول أن تجلس ، وتبدل رأيها فتقف وظهرها الى الباب) أيجب أن أستدعي الطبيب ؟

(بياتيوركين ، سكران ، شعره مشعث أكثر من المألوف ، يمدّ لسانه لسيدته ويكشر تكشيرة شنيعة ، ويلتقط القيثارة ويطلق منها نغمة جشاء)

فاسيّا (جافلة) : أوه . . . ما هذا ؟ من . . . ماذا تريد ؟

بياتيوركين : جئت آخذ القيثارة . . .

فاسيّا : انصرف ، أيها الشيطان !

بياتيوركين : سأنصرف . لم لا أنصرف ؟ لست كلباً . ولا أعيش في حجرات الاسياد .

فاسيّا : الأحمق . . . يا . . . للشيطان . . . (تجلس متهالكة على الأريكة ، تحاول فك أزرار بلوزتها ، ولكنها تسقط على جنبها . يخيم الصمت لحظات .)

آنّا (حاملة صينية عليها ابريق الشاي وقدح) : هل أحملها الى غرفة النوم ؟ (تقف في انتظار الجواب . تبدأ الصينية

ترتجف في يدها والقدح يقرقع . تضع الصينية على المنضدة بحذر ، وتنحني على فاسّا وتنظر الى وجهها ، ثم تنتصب وتتحدث في همس مرتفع .) يا اللـّه ، يا اللـّه . . . فاسّا بوريسوفنا . . . ما لك ؟ (تصغي برهة ، وتركض الى المكتب وتفتح درجاً . تفتش ، وتعثر على مبلغ من المال تخبئه في صدرها . وتفتح بعد ذلك علبة موضوعة على المنضدة تعثر فيها على نقود تخفيها . وتجد مفاتيح فتضعها في جيبها ، بينما يغلق غطاء العلبة في ضجيج . وتركض آنّا خارجة من الغرفة . صمت . تدخل ناتاليا عجلانة الخطوات يتبعها بروخور . ويأتي بعدهما على التوالي آنا ، وبوليا ، وبياتيوركين .)

ناتاليا (تتحسس وجه أمها بيدها وتتحدث في صوت عال لا يناسب الجو) : ماتت .

بروخور : اوخ . . . مات جيليزنوف فجأة . والآن فاسّا ! ستدور الأقاويل في المدينة من جديد . تفو ! هكذا اذن . . . يا للشيطان !

ناتاليا : اصمت !

بروخور : ولماذا أصمت ! ناتا ، يجب أن نراقب آنّا . سنحتاج الى المفاتيح . مفتاح الخزانة . هي تعرف كل شيء ، آنّا هذه ! أنظري في جيب تنورة فاسّا اذا كان المفتاح فيها . . .

ناتاليا : لا أريد ذلك . انصرف .

بروخور : لن أنصرف !

آنّا (باكية) : ناتاليا سيرغييفنا ، لقد أغمي على لودا .
ناتاليا : استدعي الطبيب .
آنّا : لقد هتفت له . آه ، يا الهي ، ماذا سنفعل الآن ؟
بروخور : أين المفاتيح ؟ مفتاح خزانة النقود ؟
ناتاليا : هل أخبرتم راشيل ؟
آنّا : هل هذا ضروري ، يا ناتاليا سيرغييفنا ؟
ناتاليا : يا لك من قذرة ! (تخرج مسرعة .)
آنّا (ناشجة) : فيم هذا ؟
بروخور : كفي ، كفي عن النشيج ! مفتاح الخزانة ! أينه ؟
آنّا : بروخور بوريسوفيتش ، خدمت ثلاثة عشر عاماً ، لا تنس هذا . لقد خدمت باخلاص . . . (تنبش في جيوب فاسّا .)
بروخور : سوف تنالين ما تستحقين . . .
آنّا : لقد وهبت لك شبابي كله . هاك المفتاح !
بروخور (يخاطب بياتيوركين في طريقه الى الخزانة) : ليوشكا ، لا تترك أحداً يدخل . . . لحظة . . . ما هذا ؟ (في فرح ظاهر .) ما تزالان قاصرتين ، وسأعين وصياً ! يا للشيطان ! فيم أفعل هذا ؟ ايه ؟ (ينظر الى آنّا ويطلق ضحكة قصيرة .) أخرجي من هنا ، يا آنّا . لقد انتهت حياتك هنا ، حياة القطة المفضلة ! اذهبي الى الشيطان ! غداً ! لقد شبعت منك ، أيتها الجاسوسة ! يا وغدة !
آنّا : بروخور بوريسوفيتش ، ستندم على ذلك ! انت تفعل هذا ظلماً . . .

بروخور : انصرفي ! اخرجي من هنا ! لقد قبضت حقك ، سرقته . كفاية ! اخرجي من هنا !

آنّا : لا ، لن أسمح لك ! فأنا لديّ . . .

بروخور : بلى ، أعرف ما لديك ! اني عن هذا أتكلم . . .

(تدخل راشيل وناتاليا)

راشيل (الى بروخور الذي ينبش بين الأوراق على المكتب) : وهذا أنت الآن تسرق ؟

بروخور : لماذا ؟ اني آخذ ما يخصني وحسب .

(بوليا تُدخل لودميلا)

لودميلا (تتملص من يديها وتهرول الى الأريكة) : أماه ! أم . . ا . . . ه !

راشيل : ما يخصك ! ما الذي يخصك ؟

ستار

المحتويات

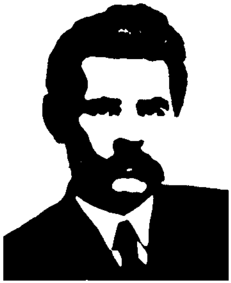
الى القراء

ان دار «رادوغا» تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وأبديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته وأعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ١٧ ،
موسكو ، الاتحاد السوفييتي

«في الايام الاخيرة شاهدت مسرحيـــة «ييجـــور بوليتشوف وآخرون» . انتم لم تتوصلوا ابدا لهذه البساطة الفنية . هذا بالضبط ما يجب ان يكون عليـــه الفن ـ متحدثا بكلمات مهمة خارجة من الدماغ ، بسيطة وواضحة ، بدون اشكال مشروطة . المسرحية تركت انطباعا رفيعا وعظيما . واروع شيء انكم توصلتم لهذا الفن الفتي الحديث بعد ان قطعتم مثـــل هذا الطريق» .

الكسي تولستوى



مؤلفات مكسيم غوركى المختارة بستـــــة مجلدات تحتوى على الكتب التالية :

المجلد ١ ـ طفولتى

المجلد ٢ ـ بين الناس . جامعياتى

المجلد ٣ ـ قصص (عام ١٨٩٢ ـ عام ١٩١٢)

المجلد ٤ ـ قصص (عام ١٩١٢ ـ عام ١٩٣٦)

المجلد ٥ ـ الأم

المجلد ٦ ـ مسرحيات

تفتتح المؤلفات بمقدمة عن مكسيم غوركى كتبها الكاتب الاعلامـــى البارز ومؤرخ الادب والفن ، اول مفوض سوفييتى للثقافـــة ، الاكاديمـــى اناتولى لوناتشارسكى (١٨٧٥ـ ١٩٣٣) .